شرح بشارة لوقا

للدكتور القس
ابراهيم سعيد

شـــرح بشـــارة لوقـــا

للدكتور القس ابرهيم سعيد

طبعة رابعة



طبعة رابعة

صدر عن دار الثقافة المسيحية ص . ب ١٣٠٤ ــ القاهرة
 ٤٢٣/١٠ ط١ (ع) /٨٦/٥
رقم الايداع ١٠١٨ لسنة ١٩٨٦
طبع بمطبعة دار الجيل للطباعة

مقدمة

هذا الكتاب هو أول تفسير كتبه القس إبراهيم سعيد وقد صب فيه خلاصة قلبه وعصارة نفسه . بل قال عنه أنه « كتاب شبابي بل كتاب العمر كله » . وان كان قد كتب بعد ذلك تفاسير أخرى مثل تفسير انجيل يوحنا وتفسير رسالة أفسس وتفسير الاصحاحات الأولى من سفر الرؤيا إلا أن تفسير لوقا يبقى شامخاً بين هذه التفاسير .

وقد حاول الكاتب أن ينقح الكتاب عند إعادة طبعة إلا أنه يقول أنه لم يجد ما يضيفه إلا ما استجد من معلومات بعد اكتشافات وادى قران .

وهذا التفسير يتميز بطلاوته وحلاوة أسلوبه كما أنه يلخص الآيات والفصول تلخيصاً يمهد لفهم كلمات وعبارات الآيات فهو يفيد القارىء العادى كما يفيد المتخصصين والوعاظ .

لذلك نقدم لك أيها القارئ العزيز هذه الطبعة الجديدة من شرح بشارة لوقا راجين أن يستخدمها الله لمجده .

دار الثقافة

بشارة لوقا

المقدمة العامة

هذا هو الكتاب الذي قال فيه رينان، ألد أعداء المسيحية، «انه أجمل كتاب في سجل آداب اللغات» — والفضل ما شهدت به الاعداء — وليس من الميسور في مؤلف صغير كهذا ان يحيط المرء بكل ما يتعلق بالمقدمة العامة لهذا السفر الجليل — فاذا لم يكن من الممكن ان نلم فنعجز ، فلا أقل من ان نلمع فنوجز .

(١) كاتب هذا السفر

(١) ان كاتب هذه البشارة هو كاتب سفر الاعمال . لان الكتابين مقدمان الى «العزيز ثاوفيلس» . والكتاب الثاني منهما يشهد للأول. واللغة، والاسلوب ، والأوصاف متشابهة في كليهما . (قابل لوقا ٤: ٢٠و٢٢: ٥٦ مع اعمال ٣: ١٢و٦: ١٥و٧: ٥٥) وتتبع فيها كلمة « شَخَصَ » ثم (قابل لوقا ٢٣: ٢ مع اعمال ٢٤: ٢—٥ ولوقا ٢٤: ٢٧ مع اعمال ٨: ٣٥ ولوقا ٢٤: ٤٦ مع اعمال ١٧: ٣) لترى المشابهة في الوصف وفي الأسلوب .

(ب) مؤلف سفر الاعمال هو رفيق بولس في سفره — «الجار قبل الدار والرفيق قبل الطريق» — يستعمل الكاتب في بعض المواضع ضمير المتكلم «نحن» وهو يصف رحلاته مع بولس الرسول. و بعد أن يفترق عن بولس يستعمل الضمير الغائب. واول مرة نعثر فيها على كلمة «نحن» في سفر الاعمال هي في اثناء

وجودهما في ترواس (اعمال ١٦:١٠) ومنها رافقه الى فيلبي اعمال (١٦:١٧) ثم يعود الى الظهور في (اعمال ٢٠:٥)حيث رافقه من فيلبي الى اورشليم (اعمال٢١:١٨) ثم يعود فيظهر في (اعمال ٢٧:١) الى ان رافقه من ايطاليا الى رومية (اعمال ٢٨:١٦).

(ج) رفيق بولس في سفره هو لوقا . ان اصوات الثمانية القرون الميلادية الأولى تنضم الى بعضها مكونة صوتاً واحداً صارخاً «ان ذلك الرفيق هو لوقا» وهذا الصوت هو دعم لصوت الكتاب المقدس . جاء ذكر لوقا في رسائل بولس الرسول في ثلاثة مواضع :— (١) كولوسي ٤:١٤ « يسلم عليكم لوقا الطبيب الحبيب» (٢) ٢تيموثاوس ٤:١١ «لوقا وحده معي» (٣) فليمون٢٤ «مرقس وارسترخس وديماس ولوقا العاملون معي» .اذاً لوقا هو العامل الوحيد ، الامين المحبوب ، الذي بقي رفيقاً لبولس الرسول الشيخ الى المنتهى . وهذه الصداقة التي توطدت ودامت بين الاثنين،طبعت نفسها بطابع خالد مشترك في كتابات كل منهما ، فكما دعي بولس ، بحق ، « رسول الامم والنعمة » كذلك يمكننا ان ندعو لوقا بحق ايضاً « بشير الامم والنعمة » وهذا يرى بوضوح في المشابهات التي تنطق بها المقابلات الآتية :—

كتابات لوقا :	كتابات بولس	كتابات لوقا :	كتابات بولس
لوقا ٤:٢٢ مع	كولوسي ٤:٦	لوقا ٩:٥٦ مع	٢ كورنثوس ١٠:١٨
« ٤:٣٢ «	١ كورنثوس ٢:٤	« ١٠:٨ «	١ كورنثوس١٠:٢٣
« ٦:٣٦ «	٢ كورنثوس ١:٣	« ١٦:٤١ «	تيطس ١:١٥
« ٦:٣٩ «	رومية ٢:١٩	« ١٨:١ «	٢ تسالونيكي ١:١١

كتابات لوقا :	كتابات بولس	كتابات لوقا :	كتابات بولس
لوقا ٢١:٣٦ مع	افسس ٦:١٨	لوقا ٢٤:٣٤ مع	١ كورنثوس ١٥:٥

« ٢١:١٩و٢٠ مع ١ كورنثوس ١١:٢٣—٢٩ .

من هذا يتضح لنا :

(ا) ان اسم الكاتب لوقا . وكلمة « لوقا » اختصار للكلمة اللاتينية «لوقانوس» ومعناها — « حامل النور » . كما ان « سيلا » مختصرة من « سلوانس » و « ابولوس » من « ابولونيس » و « حنان » من « حنانياه » « وز يناس » من « ز ينودورس » .

(ب) جنسيته : كان لوقا امياً لا يهودياً . وهذا ظاهر من اسمه اولاً ومن الاشارة الواردة عنه في كولوسي ٤:١٤ لان بولس الرسول وضع فارقاً بينه و بين الاسماء الواردة قبل اسمه حيث قال «الذين هم من الختان»—اي يهود . وما عدا اليهودي هو الامي . اذاً لوقا هو الشخص الوحيد الامي ، الذي شرفه الله فاوحى اليه بالكتابة .

(ج) مهنته : كان لوقا طبيباً . وهذه المهنة لها قيمتها الخاصة ، لانها تلقي على حياة لوقا نوراً ساطعاً ، فتر ينا إياه الرجل العلمي ، العملي ، المدقق ، المحقق الرقيق الاسلوب ، الجميل الديباجة . لان الرومان لم يسمحوا في وقتهم لأحد بان يمارس مهنة الطب الاَّ لمن جاز امتحانات عدة على جانب عظيم من الصعو بة ، والدقة ، والخطورة .

وهذا ا كبر سيف حاد يقطع ألسنة الثرثار ين الذين يحاولون ان يُلقوا ظلاً

من مخيلاتهم المظلمة، على ميلاد المسيح من عذراء ، او على معجزاته ، او على قيامته ، فلو قامت هنالك استحالة علمية على هذه جميعها أو على احداها ، لكان عقل لوقا الطبيب العلمي الاممي، أول من يقيم هذه العقبات،ويدعمها. لكن مجرد سرده هذه الحوادث سرداً ، طبيعياً ، هادئاً من غير تدليل ولا استقراء ، ومن غير احتجاج ولا ادعاء ، لهو اكبر دليل على أن كل هذه الحوادث لم تكن ضد العلم،بل فوق متناول العلم. كما أنها لم تكن ضد الطبيعة بل فوق الطبيعة . وأنه من الطبيعي للمسيح الذي كان في حياته فوق الطبيعة،أن يولد بطريقة خارقة للطبيعة. لان الذي كان معجزة في حياته وفي مماته، ينبغي أن يكون معجزة في ولادته، ومعجزة في قيامته . فهو لغز الاجيال ، فلا غرابة إذا كان ميلاده لغزاً . وهو معجزة التاريخ،فلا غرابة إذا ولد بمعجزة، وعمل المعجزات ،وقام بمعجزة. إذاً ليست المعجزة في أن المسيح صنع معجزات بل المعجزة هي أن يكون يسوع هو المسيح ، ولا يقدم على عمل المعجزات . وربَّ معترضٍ بانه لم يولد شخص لا قبله ولا بعده بمعجزة ، كما لم يقم شخص لا قبله ولا بعده قيامة دائمة بمعجزة . فنقول نعم لانه لم يقم في كل التاريخ سوى مسيح واحد ، فريد ، ممتاز ، ارتفع فوق البشر على قدر رفعة السماء عن الارض ، وعلى قدر سمو النار والنور على الرماد والتراب . لان عذراوية حياته اكبر ضمان وتأييد لعذراوية ميلاده . وقيامته الروحية مدة حياته، برهان قيامته الجسدية بعد مماته . و إذا كان كل انسان بشراً، فالمسيح الذي ارتفع فوق كل انسان قد سما فوق البشر . أما إذا قال أحدهم ان المسيح

بشر. قلنا له «إذاً لست أنت بشراً بل أقل من البشر بكثير على قدر انحطاط حياتك عن كمالات المسيح في حياته » .

(د) ميلاده . لا يُعرف بالضبط أين وُلد لوقا ولكن آراء الكثيرين من المفسرين متفقة على أنه ولد في انطاكية .

الأدله على ان لوقا هو الكاتب

أما الأدلة على أن لوقا هو كاتب البشارة المنسوبة اليه ، فان جانباً منها خارجي والآخر داخلي :

أما الأدلة الخارجية فهي قائمة على شهادة رجال الكنيسة الاولين من يوستينوس، وايريناوس، وترتليانوس واوريجانوس، ويوسابيوس وايرونيموس. هؤلاء أجمعوا على أن لوقا هو الذي كتب هذه البشارة المنسوبة اليه .

ومن الأدلة الداخلية :

(١) وحدة الديباجة في هذه البشارة وفي سفر الاعمال . والشهادات المتواترة على أن لوقا كاتب سفر الاعمال .

(ب) التعبيرات الدقيقة التي يستعملها لوقا في وصف الامراض التي شفاها المسيح تنم عن شخصية الكاتب الذي يعرف كيف يشخص الداء بحكم مهنته كطبيب وسيظهر هذا في سياق التفسير . ومنها تفرُّد لوقا في عدم ذكر العبارة الواردة في بشارة مرقس عن حالة المرأة المريضة بنزف دم . لان مرقس يقول « انفقت كل معيشتها على الاطباء ولم تنتفع شيئاً بل صارت إلى حال أردأ » . لكن لوقا الطبيب — احتراماً لمهنته وللاطباء — لم يرغب في أن

يلصق بكل الاطباء هذه التهمة الشديدة، بان علاجهم يؤدي بالمريض إلى حال أردأ ، بل اكتفى بهذه الكلمة الموجزة إذ قال «ولم تقدر أن تُشفى من أحد»

(٢) زمان الكتابة ومكانها

يشهد كليمنضس الاسكندري بان متى ولوقا كتب كل منهما بشارته قبل مرقس ومن المسلم به لدى الكنيسة السريانية بأن لوقا كتب كتابه في الاسكندرية.ولكن آراء المفسرين مجمعة على أن لوقا كتب البشارة المنسوبة اليه في أثناء السنتين اللتين سُجن فيهما بولس في قيصرية . وهذه المدة تسجلها ساعة الزمن في سنة ٦٠ بعد الميلاد .

(٣) لغة بشارة لوقا

كتبت هذه البشارة باللغة اليونانية الفصحى ، سيما الديباجة التي تستهل بها.فانها لا تضارَع في البلاغة والسمو الا في بعض الأجزاء من سفر الاعمال سيما الخاتمة ، وفي الرسالة الى العبرانيين .

وقد ارتأى بعض المفسرين الحديثين أن لوقا علاوة على اشتغاله بمهنة الطب ، كان بالفطرة رساماً مصوراً ، لذلك يحسبون بعض تعبيراته صوراً حية مستمدة الوانها من نار قلبه . ولكن هذا الرأي مفتقر إلى الاثبات

(٤) ميزات بشارة لوقا

تتميز بشارة لوقا عن غيرها في الأوجه الآتية :

(١) بشارة لوقا هي بشارة التسبيح والنشيد . فانه علاوة على تسبحة «مجد الميلاد» الواردة في لوقا ٢ : ٢٤ قد احتفظ لنا لوقا بثلاث تسبحات أُخر

(١) تسبحة زكريا (١: ٦٨ — ٧٩) (٢) تسبحة مريم العذراء (١: ٤٦ — ٥٥) (٣) نشيد سمعان (٢: ٢٩ — ٣٢) — هذه هي مزامير العهد الجديد، التي صارت للكنيسة كنزاً وذخراً.

(ب) بشارة لوقا هي بشارة الشكر والاعتراف بالجميل. فكما نسمع النشيد في مطلعها، كذلك تهتز أوتار قلوبنا بسمع نغمة الشكر في خاتمتها. وما اكثر تكرار الكلمة «تمجدين الرب» ٢: ٢٠ و٥: ٢٥ و٧: ١٦ و١٣: ١٣ و١٧: ١٥ و١٨: ٤٣ و٢٣: ٤٧.

(ج) بشارة لوقا هي بشارة الصلاة. فانه لم يكتفِ مع متى بتسجيل «صلاة التلاميذ» المعروفة بالصلاة الربانية. لكنه انفرد بذكر ست مرات صلى فيها يسوع المسيح ولم تدوّن في غيره: (١) في المعمودية (٢) بعد تطهير الابرص (٣) قبل دعوة الاثني عشر رسولاً (٤) في التجلي (٥) على الصليب لأجل الذين صلبوه (٦) في آخر لحظات حياته على الأرض.

يشدد لوقا، مثل بولس، على ضرورة الاستمرار والمثابرة في الصلاة. قابل ١٨: ١ و١١: ٨ و٢١: ٣٦ مع رومية ١٢: ١١ وغيرها. وهو الذي اختص بذكر مَثل الصديق المحتاج في نصف الليل. ممثلاً بهذا صلاة إلحاح الحاجة والضيقة، ومَثل قاضي الظلم الذي يمثل اللجاجة في الصلاة.

(د) بشارة لوقا هي بشارة البهجة والتفاؤل. هي بشارة الغفران والعطف والاحسان. فالكلمة «نعمة» وردت ٨ مرات. والكلمة «مخلص» و«خلاص» و«انجيل» تردّدت في لوقا أكثر منها في أي سفر آخر فهي بشارة «المسرة

بالناس» — هي بشارة تُستهَلُّ بانشودة وتختم ببركة السعد والظفر ، وكل تعبيراتها معطرة بندى السماء .

(هـ) بشارة لوقا هي البشارة التي تقدس الطفولة . فيها وحدها ذكر ميلاد يوحنا المعمدان وطفولته ، واعلان الملاك وتحيته لمريم ، ولقاء مريم باليصابات ، والختان، وذهاب المسيح الطفل الى الهيكل ليقدّم لله من يوسف وأمه.وفيها وحدها ذُكر ذهاب المسيح الى الهيكل في الثانية عشرة من عمره — وهذا هو شعاع النور الوحيد الذي يشرق علينا من خلال سني الصمت الثلاثين . وفيها أول كلمة فاه بها المسيح في الانجيل .

(و) بشارة لوقا ترفع مقام المرأة وتقدس خدمتها. فهي البشارة التي تسجل خدمة النساء ليسوع . كما دوّن فيها أيضاً اعمال المروءة والعطف التي قدمها المسيح للمرأة . في بشارة لوقا ذكرت معجزة اقامة ابن ارملة نايين،لان المسيح تحنن اذ وجده «وحيداً لأرملة». هي البشارة التي تفرّدت بذكر «حنة» الأرملة المصلية (٢:٣٦).وهي تسجل خدمة مريم ومرثا واختيار مريم النصيب الصالح. هي التي ذُكر فيها أن المسيح قال عن إحدى المعوزات انها «ابنة ابرهيم» .

كان الكتبة والفريسيون يبالغون في رفع هدب ثيابهم في الطريق لئلا تتنجس إذا لمست امرأة . لكن هذا مناقضٌ لرسالة المسيح الذي جاء ليرفع مقام المرأة وليعطيها مكانها اللائق بها . لأن الدين الذي لا يرفع المرأة هو دين لا يستحق أن يرفعه المرء .

(ز) بشارة لوقا هي بشارة العالم أجمع.لأنها تقدّم لنا ترجمة حياة يسوع المسيح الذي جاء للعالم أجمع.فهي البشارة الوحيدة التي ذُكر فيها الاقتباس من

اشعياء القائل « وكل جسد يرى خلاص الرب » وهي البشارة الوحيدة التي ذُكرت فيها رسالة ايليا الى أرملة صرفة صيدا الأممية ورسالة اليشع الى نعمان السرياني الوثني الأممي ، ورسالة السبعين — لأن العدد ١٢ يمثل الكمال في أمة اليهود — « ملء اليهود » والعدد ٧٠ يمثل « ملء الأمم » .

(ح) بشارة لوقا هي بشارة النعمة . فاذا كانت بشارة يوحنا هي بشارة «محبة الله» التي كانت نبع رسالة المسيح للعالم،فان بشارة لوقا هي بشارة النعمة التي هي غاية رسالة المسيح . هذا ظاهر من أن التطويبات لم يذكرها سوى متى ولوقا . انما لوقا قد امتاز عن متى في طريقة ذكرها. لأن متى يذكرها في صيغة عامة خبرية « طوبى للمساكين » لكن لوقا قد ذكرها في صيغة بركة على وجه التخصيص بصيغة المخاطب « طوباكم أيها المساكين» .

(ط) بشارة لوقا هي البشارة الاجتماعية — هي بشارة الفقراء والمعوزين ، والمطرودين والمنفيين . لأنه يسجل فيها زيارة الملاك لفتاة الناصرة ، الفقيرة العذراء ، وظهور الملائكة للرعاة المساكين،ومثل الغني ولعازر ، ووليمة العرج والعمي والعسم. وهي التي تفردت بذكر مثل السامري الصالح فنسي ما كان بين اليهود والسامريين من خلاف . ومَثل العشار ، وقصة الزانية ، ومَثل الابن الضال ، وقصة مريم المجدلية ، واللص التائب .

وهي البشارة التي تظهر لنا الجانب الاجتماعي من حياة المسيح - اذ ترينا إياه في صلاته الاجتماعية بالبشر . فيها نرى المسيح يتناول العشاء في بيت سمعان الفريسي الأبرص ، وفي بيت زكا العشار ، وفي بيت تلميذي عمواس .

(ي) فهي إذاً بشارة التسامح الذي تخطى كل القيود الجنسية فسما

فوق الضعفات الطبيعية . فيها وبخ المسيح يوحنا لانه طلب ناراً لتأكل اهل السامرة . وزجر تعصب التلاميذ بقوله «من ليس علينا فهو معنا» .

(ك) بشارة لوقا هي بشارة الدقة والنظام في تسجيل الحوادث ، بالترتيب التاريخي ، مصداقاً لقوله «تتبعت من الاول كل شيء بتدقيق» . فهو يؤرخ الحوادث الدينية بمناسبات مدنية سياسية . كأن يقول مثلاً « كان في أيام هيرودس ملك اليهود كاهن اسمه زكريا (١:٥) «وهذا الاكتتاب الأول جرى اذ كان كيرينوس والي سورية» (٢:١).«في السنة الخامسة عشرة من سلطنة طيباريوس قيصر اذ كان بيلاطس البنطي والياً على اليهودية » . . . «في أيام رئيس الكهنة حنان وقيافا كانت كلمة الله على يوحنا» (٣:١و٢) .

(ل) بشارة لوقا هي البشارة « الكاملة » . لانها تذكر حياة المسيح من بدايتها—قبل ولادته. بخلاف مرقس الذي يبتدىء بالمسيح عاملاً في خدمته الجهارية ، بعد أن بلغ الثلاثين . وبخلاف يوحنا الذي يبتدىء بالقول « في البدء كان الكلمة » فهي البشارة التي تقدم لنا سيرةً كاملةً للمسيح الكامل

(م) بشارة لوقا هي بشارة التوازن والقارن :— سمعان الفريسي والمرأة الخاطئة،مريم ومرثا،الفريسي والعشار ، السامري الصالح واللاوي والكاهن ، التطويبات والويلات،الابن الضال والابن الاكبر،اللص التائب واللص الهالك

(ن) بشارة لوقا هي اكثر البشائر ذكراً « للروح القدس » في صلته بالمسيح وخدمته . وهذا سيظهر لنا في خلال التفسير .

(٥) المعجزات التي تفرّد لوقا بذكرها

(١) معجزة صيد الاسماك (٥: ٤—١١) (٢) اقامة ابن ارملة نايين(٧: ١١)

(٣) المرأة التي بها روح ضعف (١٣: ١١ـ١٧)، (٤) الرجل الابرص (١٤: ١ـ٦)، (٥) العشرة برص (١٧: ١١ – ١٩) (٦) شفاء أذن ملخس (٢٢: ٥٠ و ٥١).

(٦) الامثال التي تفرّد لوقا بذكرها

(١) المديونان (٧: ٤١ — ٤٣) (٢) السامري الصالح (١٠: ٢٥ — ٣٧) (٣) الصديق اللحوح ١١: ٥ — ٨ (٤) الغني الغبي (١٢: ١٦ — ٢١) (٥) شجرة التين غير المثمرة (١٣: ٦ـ٩) (٦) الدرهم المفقود (١٥: ٨ـ١٠) (٧) الابن الضال ١٥: ١١ — ٣٢ (٨) الوكيل الخائن ١٦: ١ — ١٣ (٩) الغني ولعازر (١٦: ١٩ — ٣١) (١٠) قاضي الظلم (١٨: ١ — ٨) (١١) الفريسي والعشار (١٨: ١٠ـ١٤).

فضلاً عن الامثال والمعجزات قد اختص لوقا بذكر حوادث كثيرة، منها: جواب يوحنا المعمدان على الشعب، بكاء المسيح على أورشليم، موضوع الحديث مع موسى وايليا، العرق الذي نزل من جبينه كقطرات دم، خطابه لبنات أورشليم، تلميذا عمواس، التفصيلات الخاصة بصعوده

(٧) نسبة بشارة لوقا الى كل من البشائر الاخرى

قد يسأل أو يتساءل بعضهم ما الداعي لوجود أربع بشائر ؟ أليس في وجودها معاً تكرار للحقيقة الواحدة ؟ والجواب على هذا، ان لكل بشارة رسالة خاصة كاملة وفي الوقت نفسه مستقلة ومنفردة عن الرسالة التي تؤديها البشارة الأخرى. فكما ان قطعة الألماس الواحدة لها وجوه عدة ولكل وجه منها بريق خاص، كذلك لكل من هذه البشائر الاربع التي هي انجيل واحد كامل — رسالتها الخاصة نلخصها ونجملها فيما يأتي :

بشارة متى	بشارة مرقس	بشارة لوقا	بشارة يوحنا
كتبت لليهود	كتبت للرومان	كتبت لليونان	كتبت للكنيسة العامة
بشارة الماضي	بشارة الحاضر	بشارة المستقبل	بشارة الابدية
« اليهودية وقد كملت	« الحوادث التاريخية	« المسيحية المتقدمة	« المسيحية
ترينا المسيح ملك اليهود	تريئا المسيح الطبيب خادم البشرية	ترينا المسيح الانسان الكامل	ترينا المسيح الاله المتجسد
بشارة التطور والنمو	بشارة الشفاء العملي	البشارة الفدائية	البشارة الروحية
« كلمات المسيح	« معجزات المسيح	بشارة شخصية المسيح	بشارة لاهوت المسيح
ترينا المسيح ابن داود	تريئا المسيح رجل الاحزان	ترينا المسيح ابن الانسان	ترينا المسيح ابن الله
شعارها ما جئت لانقض بل لأكمل ١٧:٥	شعارها جاء يسوع الى الجليل ليكرز ببشارة ملكوت الله ١٤:١	شعارها «ابن الانسان قد جاء لكي يطلب ويخلص ما قد هلك» ١٠:١٩	شعارها « والكلمة صار جسداً وحل بيننا» ١٤:١

ما اقتبسه لوقا من العهد القديم

الآية في لوقا	المقتبسة من العهد القديم
لو ١: ١٧	مقتبسة من ملاخي ٤ : ٦
» ٢: ٢٤	» » لاويين ١٢ : ٨
» ٣: ٤ و٥	» » اشعياء ٤٠: ٣ ـ ٥
» ٤: ٤	» » تثنية ٨ : ٣
» ٤: ٨	» » تثنية ٦ : ١٣
» ٤: ١٠	» » مزمور ٩١: ١١ و١٢
» ٤: ١٢	» » تثنية ٦ : ١٦
» ٤: ١٨ و١٩	» » اشعياء ٦١ : ١ و٢
» ٧: ٢٧	» » ملاخي ٣ : ١
» ٨: ١٠	» » اشعياء ٦ : ٩
لو ١٠: ٢٧	» » تثنية ٦ : ٥ لاويين ١٩ : ١٨
» ١٣: ٣٥	» » مزمور ١١٨ : ٢٦
» ١٨: ٢٠	» » خروج ٢٢: ١ـ١٦
» ١٩: ٤٦	» » اشعياء ٥٦ : ٧ ارمياء ٧ : ١١
» ٢٠: ١٧	» » مزمور ١١٨ : ٢٢
» ٢٠: ٤٢ و٤٣	» » مزمور ١١٠ : ١
» ٢٣: ٣٧	» » اشعياء ٥٣ : ١٢
» ٢٣: ٣٠	» » هوشع ١٠ : ٨
» ٢٣: ٤٦	» » مزمور ٣١ : ٥

التقسيم

الديباجة ١:١—٤

١— الاستعداد لميلاد المسيح ١:٥—٨٠
٢— ميلاد المسيح وطفولته وصبوته ٢:١—٥٢
(ا) ميلاد المسيح ٢:١—٢٠
(ب) طفولة المسيح ٢:٢١ ٣٨
(ج) المسيح في صباه ٢:٣٩—٥٢
٣— ظهور المسيح للخدمة ٣:١—٤:١٣
٤— خدمة المسيح في الجليل ٤:١٤—٩:٥٠
٥— خدمته من الجليل الى اورشليم. المعروفة بخدمة بيرية ٩:٥١—١٩:٢٧
٦— يوم اورشليم ١٩:٢٨—٢١ ٣٨
٧— الفداء الذي أكمله المسيح ٢٢ : —٢٤ : ٥١
(ا) الآلام والصلب ٢٢:١—٢٣ : ٤٩
(ب) الدفن ٢٣:٤٩—٥٦
(ج) القيامة ٢٤:١—٤٩
(د) الصعود ٢٤:٥١

الخاتمة ٢٤ : ٥٢ و ٥٣



التفسير

الاصحاح الاول

الديباجة (١ : ١ — ٤)

إذ كان كثيرون قد أخذوا بتأليف قصة في الأمور المتيقنة عندنا ، كما سلمها الينا الذين كانوا منذ البدء معاينين وخداماً للكلمة . رأيت أنا أيضاً إذ قد تتبعت كل شيء من الأول بتدقيق أن أكتب على التوالي اليك أيها العزيز ثاوفيلس . لتعرف صحة الكلام الذي عُلمت به .

هذه ديباجة رائعة في بساطتها ، عميقة في سموّها ، متسامية في أسلوبها الاغريقي ، تنم عن إخلاص كاتبها ـ لوقا الطبيب ـ وتشفّ عن تواضعه ودقته في تحري الحقائق التاريخية بكل الوسائل العلمية ، والمواهب السامية التي وشحه الله بها ليكتب هذه البشارة التاريخية الخالدة ، مقدماً لنا فيها ترجمة كاملة لحياة المسيح بيننا على الارض . فقد تفرد بين سائر البشيرين بالرجوع بنا الى الظروف الاعجازية التي وُلِدَ فيها يوحنا المعمدان ، الذي كان صوتاً صارخاً في البرية ليهيء القلوب لانجيل ملك الملوك .

وفي هذا يختلف لوقا عن مرقس كاتب أُولى البشائر ـ تاريخياً ـ الذي أدخلنا رأساً إلى محضر المسيح ، وأسمعنا صوته العذب يشق شغاف القلوب منادياً الناس « بالتوبة والايمان بالانجيل » . ويتميز عن متى كاتب أُولى البشائر من حيث ترتيبها بين أسفار العهد الجديد ، الذي حدثنا عن الدم الملكي الذي يجري في عروق المسيح ـ حسب الجسد ، ويختلف عن يوحنا واضع تاج البشائر الذي أرانا « الكلمة » الازلي المتجسد نبع كلّ حياة ،

في هذه الديباجة الموجزة أوضح الكاتب باسلوب يوناني بليغ لا تدانيه في البلاغة سوى خاتمة سفر الاعمال والرسالة الى العبرانيين :

(١) الظروف التي دعت الكاتب الى كتابة بشارته «اذ كان كثيرون قد أخذوا بتأليف قصة... رأيت انا ايضاً» والمراد «بالكثيرين» اولئك الذين كتبوا فصولاً مقتضبة عن حياة المسيح لكنها اندثرت بحكم قانون « بقاء الاصلح »

(ب) الطريقة التي وُفـِّق فيها الى جمع مصادره « كما سلمها الينا الذين كانوا معاينين للكلمة » . والتسليم ، يشار به الى الاحاديث المنقولة ، ولا ينفي وجود الوثائق المكتوبة . وكلمة «تسليم» استعملها بولس الرسول بهذا المعنى عن العشاء الرباني (١ كو ١١: ٢٣—٢٥) وعن قيامة للمسيح (١ كو ١٥: ٣—٨) وعن الاحاديث المروية (٢ تس ٢: ١٥) وهؤلاء الذين سلموا هذه المعلومات الوثيقة للوقا كانوا معاينين للمسيح وخداماً لانجيله منذ بداية خدمته على الارض . فهم بذلك كانوا مؤهـَّلين لهذه الخدمة : (١) نظرياً (٢) وعملياً

(ج) الكيفية التي نفـذ بها لوقا مشروعه هذا « تتبـَّعت كل شيء من الاول بتدقيق» فهو كرائد مكتشف ، استقصى النهر حتى بلغ منبعه الاصلي ، ثم تتبـَّعه في مجراه متعقباً ، حتى بلغ المصب . وهو المؤرخ المحقـِّق الذي حلل كل حديث وصفاه ، فعرف الحقيقي المنقول من المخترع «المنحول»

(د) الغاية التي كان ينشدها من وراء هذه الكتابة « ليعرف العزيز ثاوفيلس صحة الكلام الذي عُلـِّمْ به» . والكلمة «عزيز» هي درجة شرف تقال لمن كان في مكان رفيع ، ومقام منيع . وقد ورد ذكرها في العهد الجديد غير

هذه المرة ، ثلاث مرات : — مرتين لفيلكس (اعمال ٢٣ : ٢٦ ، ٢٤ : ١٣) ، ومرة لفستوس (اعمال ٢٦ : ٢٥). وثاوفيلس اسم يوناني معناه «خليل الله» ولعله كان صديق لوقا . ومع ان الكتاب مهدى الى ثاوفيلس لكنه كتب لجميع المؤمنين على مرّ الاجيال

اعلان ميلاد يوحنا المعمدان (١:٥—٢٥)

في هذه الاعداد ينتقل بنا الكاتب من بيئة يونانية امية ، الى بيئة يهودية بحتة . فبدلاً من ان نسمع بثاوفيلس الامي ، نرانا في هيكل يهودي نسمع زكريا الكاهن . و بينما نقرأ في الديباجة لغة العالم المؤرخ، المطلع، نقرأ في هذه الاعداد لغة العابد المتخشع . وتحقيقاً لقوله القائل «تتبعت كل شيء من الاول بتدقيق» لم يكتف لوقا بان ذكر حياة المسيح من بدايتها ، بل أراد ان يتتبعها من بداية حياة يوحنا المعمدان ، الذي قال عنه المسيح في النبوة «هأنذا ارسل ملاكي فيهيىء الطريق امامي»

كانت كلمة الرب عزيزة جداً في الايام السابقة لميلاد يوحنا المعمدان لان الله كان يهيىء البشرية لتستمع « لكلمته » على طريقة جديدة لم تألفها من قبل . لذلك مهّد لصوت « كلمته» الحق ، بصمت عميق ، طويل ، استغرق نحو اربعة قرون

«وما اشبه اليوم بالامس» فقبل أن يفدي الله شعبه اسرائيل من مصر ، صمت مدة اربعة قرون . وقبل أن يفدي اسرائيله الروحي فداء أبدياً ، صمت ايضاً مدة اربعة قرون . ومن الغريب ان « أسرة عمرام » التي انجبت

كان في أيام هيرودس ملك اليهودية كاهن اسمه زكريا من فرقة ابيّا وامرأته من بنات هرون واسمها اليصابات .

موسى كليمه ، هي هي الأسرة التي منها خرج يوحنا المعمدان «صوت حقه»

فلما دقت ساعة الزمن التي في علم التقدير، اختار لنفسه نبياً ليعدّه لاعلانه، واختار لهذا الاعلان « اورشليم » التي فيها هيكل الله ، ومن اورشليم اختار هيكله، ومن الهيكل اختار «القدس» ليكون مهبطاً لوَحيه ولاعلانه. وارسل اعلانه الى كاهن من رجال العهد القديم ليكون اباً لنبي، هو حلقة اتصال بين العهدين، به يختتم رجال العهد القديم، ويمهد الطريق «لكلمة الله» ـ المسيح وهكذا صارت الديانة اليهودية في ترتيب الله ، ملاكاً هيأ الطريق للديانة المسيحية. فلما جاءت المسيحية حيّتها اليهودية وفتحت لها الابواب، ثم طارت واختفت ـ وأمام نور الشمس تختفي النجوم. « ومتى حضر الماء بطل التيمم»

اعلن الله ميلاد يوحنا مهيء الطريق للمسيح . ومن الملاحظ ان الوعد بميلاد يوحنا لم يلازمه وعد بانه يعمل معجزات. كذلك كانت حياته، وكذلك كانت شهادة تلاميذه عنه . هذه حجة قوية على صدق هذا الاعلان الذي خلا من كل ضروب المغالاة ، فذكر الحق المجرد برزانة فائقة .

يتضمن هذا الفصل ثلاثة فصول فرعيّة ـ اولها : السحابة السوداء التي كانت مخيمة على زكريا وزوجته «اذ لم يكن لهما ولد» (١:٥ـ٧). ثانيها: الوعد بزوال هذه السحابة السوداء (١:٨ـ٢٢) . ثالثها : انجاز الوعد (١:٢٣ـ٢٥)

القصل الاول(١:٥ـ٧). ان السحابة السوداء التي كانت مخيمة على زكريا وزوجته هي عين السحابة المخيمة على حياة الكثيرين في الشرق سيما بين اليهود . وليس

وكانا كلاهما بارّين امام الله سالكين في جميع وصايا الرب واحكامه بلا لوم. ولم يكن لهما ولد اذ كانت اليصابات عاقراً وكانا كلاهما متقدمين

الحرمان من الولد هو وجه الألم فيها ، بل في الشعور بأن الحرمان من هذه الهبة هو قصاص على خطية . (لاويين ٢٠ : ٢٠) . وانه عار . (ارميا٢٢ : ٣٠) ولان كل امٍ يهودية كانت تنتظر وترجو أن يجعلها الله أماً للمسيح .

وفي هذا الفصل نجد : (١) الزمن الذي عاش فيه زكريا وزوجته . « في أيام هيرودس الملك » المعروف بهيرودس الكبير الذي اشتهر بسلامة البدن ومتانة العضل. وقد اظهر احتراماً للديانة اليهودية بأن اعاد بناء الهيكل، وكان حازماً في حكمه، مع انه كان فاسداً ، عبداً لشهواته ، اذ تزوج من عشر نساء قتل منهن اثنتين ، وأعدم احد اولاده . كانت اليهودية ديانته لكنه إرضاء لرؤسائه الرومان ، جعل هيا كل الاوثان مقرّ عبادته .

(ب) اسماهما. «زكريا» ومعناه «الرب يذكر» وهو من فرقة «أبيا» الذي معناه « أبي هو الله » ، من نسل اليعازار الكاهن . وفرقة أبيّا هي الفرقة الثامنة من الاربعة والعشرين فرقة التي قُسّمت اليها طائفة الكهنة، منذ وقت داود وكانت كل فرقة تقوم بالخدمة مرة في كل ستة اشهر . ومدة خدمتها سبعة أيام ـ بين كل يوم سبت والسبت الذي يليه

اسم زوجته «اليصابات» ومعنى اسمها: « قَسَم او يمين الله» وهي على اسم زوجة هرون (خر ٦ : ٢٣) ولقد شرفها الله بأن جعلها بنت كاهن وزوجة كاهن كانت حياتهما خالية من اللوم اذ « سلكا أمام الرب في جميع وصاياه

في ايامهما . فبينما هو يكهن في نوبة فرقته امام الله . حسب عادة الكهنوت اصابته القرعة ان يدخل الى هيكل الرب و يبخر .

واحكامه» . أوَ ليس غريباً ان تتصل ايام هذين الزوجين الصالحين بايام رجل اثيم كهيرودس ؟ اوَ لا تجمع التربة الواحدة بين ما في الزنبقة البيضاء من نقاوة وجمال ، و بين ما في الطين من وحل ؟ بلى . ففي ايام هيرودس تلك الايام الحالكة السواد يظهر المسيح نور العالم . « وفي الليلة الظلماء يُفتقد البدر »

الفصل الثاني (١ : ٨-٢٠) وعد الله لزكريا بزوال السحابة السوداء . وفي هذا الفصل نرى :

(ا) ظروف اعلان هذا الوعد (٨-١٠) (ب) ما رآه زكريا (عدد ١١) (ج) ماشعر به زكريا (عدد١٢). (د) ماسمعه زكريا (عدد١٣-١٧). (ه) ماطلبه زكريا (عدد ١٨) (و) استجابة طلبه (عدد ١٩ و ٢٠) .

(ا) جاء دور فرقة ابيا في الخدمة الكهنوتية ، وكانت العادة ان تُلقى قرعة ليعرفوا بها على من يقع اختيار الله في القيام بخدمة البخور - وكانت لليهود عادة أن يصلوا الى الله في الهيكل ثلاث مرات في اليوم . المرة الاولى في الساعة التاسعة صباحاً ، والثانية وقت الظهر ، والثالثة في الساعة الثالثة بعد الظهر. وكان البخور يقدّم وقت رفع صلاة الصباح والمساء فقط - فاصابت القرعة زكريا ، فشرفته بأسمى خدمة كان ممكناً أن يقوم بها خادم وقتئذ في هيكل الله

(ب) ماراه زكريا: بين ذبح الحمل و بين اصعاده وتقديمه في المساء دق الجرس ايذاناً بموعد اطلاق البخور ، فاجتمع كل جمهور الشعب خارجاً. وكان زكريا وقتئذ قد دخل الى القدس حافي القدمين، متسربلاً بسربال الكهنوت الابيض

وكان كل جمهور الشعب يصلون خارجاً وقت البخور . فظهر له ملاك الرب واقفاً عن يمين مذبح البخور . فلما رآه زكريا اضطرب ووقع عليه خوف .

ومعه خادمان ـ احدهما يحمل مبخرة والثاني يحمل مجمرة، وكلتاهما من ذهب . فاطلقا البخور من على المذبح الذهبي ثم خرجا خارجاً تاركين زكريا وحده بين نور المنارة الخافت و بين ظل الحجاب السميك، الفاصل بين قدس الأقداس والقدس . وعند بدء إطلاق البخور كانت صلاة الجماهير في الخارج مرتفعة مع البخور المتصاعد من الداخل. فاتحدت الصلاة الرمزية مع الصلاة العملية. وهنا ظهر الملاك لزكريا « واقفاً عن يمين مذبح البخور » . والكلمة « ملاك » معناها « مرسل » وهي من أصل عبري « لأك » أي أرسل . وموقف الملاك عن يمين مذبح البخور يعينه لنا موقف زكريا . لأن مدخل الهيكل نحو الشرق . فتكون مائدة خبز الوجوه عن يمين زكريا ـ في دخوله الهيكل ـ والمنارة عن يساره ، ومذبح البخور أمامه . فيكون اذاً موقف الملاك ، بين المذبح و بين المائدة ، يكتنفه البخور المتصاعد من المذبح . ولعل ظهور الملاك عن يمين مذبح البخور الذهبي رمز للمسيح « ملاك العهد الجديد » الذي رآه استفانوس « قائماً عن يمين العظمة في الأعالي » .

(ج) ما شعر به : هزة نفسية . اضطرب الكاهن زكريا في خدمته لأن هذا المنظر لم يألفه في خدمته من قبل ، ولأن رؤية شخص من عالم الغيب والحق ، توقع الخوف في قلب العائش في عالم المادة والبطل ، وربما أثار هذا المنظر في نفس زكريا ، ذكريات خطايا كامنة في عقله الباطن، فأوقفته موقف المدان المقصر يوم مجيء الديان .

فقال له الملاك لا تخف يا زكريا لأن طلبتك قد سُمعت وامرأتك اليصابات ستلد لك ابناً وتسميه يوحنا . ويكون لك فرح وابتهاج وكثيرون سيفرحون بولادته .

(د) ما سمعه . لم تكن غاية الملاك الاولى ان يعلن اسمه لزكريا بل كان قصده الاسمى أن يُطمئن زكريا . فاعلن له انه لم يأته نذيراً ، بل بشيراً . فقال له «لا تخف» وهي كلمة طالما استعملها «يهوه» اله اسرائيل في العهد القديم ، كما استعملها المسيح ايضاً في العهد الجديد للتقوية والتشجيع . وكم كان مبهجاً لقلب زكريا أن سمع الملاك يناديه باسمه «يا زكريا» فذكره بوعد الله القائل «عرفتك باسمك انت لي» وهنا دق الملاك على الوتر الحساس في قلب زكريا اذ قال له «ان طلبتك قد سُمعت» اي منذ الوقت الذي رفعتها فيه الى الله . «وامرأتك اليصابات ستلد لك ابناً». ألم يُلقِ زكريا بتلك الطلبة في زوايا النسيان وقد شاخ هو وزوجته في الايام ، فذهب منهما كل أمل باستجابة تلك الطلبة القديمة ، وحسبا أن الله قد نسي (؟؟) ولكن هلْ ينسى الله ؟ اليس اسم زكريا اعظم برهان على أن الله لا ينسى ؟ اليس معناه «الله يذكر» ؟؟ أم هل كان زكريا مصلياً لله طالباً وجه الله، ومبتغياً رضاه، فاعطاه الله فوق ماطلب وتمنى، كما وهب سليمان حكمة ومالاً ، مع أن سليمان لم يطلب سوى الحكمة ؟؟

استرسل الملاك في اتمام تبليغ رسالته فاعلن لزكريا : (أ) اسم ابنه : «يوحنا» عدد ١٣ (ب) استقباله : عدد ١٤ (ج) اخلاقه : عدد ١٥ «عظيماً أمام الرب...» (د) خدمته : عدد ١٦ «يرد كثيرين . . . الى الرب الههم» (ه) روح رسالته : عدد ١٧ «يتقدم امامه بروح ايليا ...»

لأنه يكون عظيماً أمام الرب وخمراً ومسكراً لا يشرب . ومن بطن امه يمتلىء من الروح القدس . ويرد كثيرين من بني اسرائيل الى الرب الههم

(و) نتائج خدمته .. «لكي يهيىء للرب شعباً مستعداً »

(ا) اسم ابنه : «يوحنا » وهو اختصار « يوحنان» ومعناه «الرب يتحنن» (ب) اما استقباله فهو استقبال التقدير ، والتعظيم ، والاجلال. فهو المولود الذي تكون له قيمة عظمى في : (١) الدائرة الضيقة ـ في البيت ـ فيفرج به قلب والده «ويكون له فرح وابتهاج» . (٢) في قلب العالم الفسيح ـ وهذه دائرة أوسع من الدائرة الاولى . وفي هذا اقرار بان يوحنا ليس فقط «رجل البيت» لكنه ايضاً رجل البشرية «وكثيرون سيفرحون بولادته» . (ج) اخلاقه : ستكون له قيمة عظمى أمام الله . هـذه هي الدائرة العظمى التي تُبتلع فيها كل دائرة أخرى « لأنه سيكون عظيماً أمام الرب » وفي هذا أقصى تقدير وتعظيم . بل هذا هو الميزان الصحيح ، الصادق ، للعظمة الحقة . وأنه سيكون نذيراً للرب كل حياته كما كان شمشون وصموئيل . هذا هو سر العظمة ـ التكريس لله ، لأن الاشياء الحقيرة تكتسب عظمة بانتسابها الى ماهو أعظم وأمجد. وعلامة نذره أنه لا يشرب خمراً ولا مسكراً (سفر العدد ٦:٢ و ٣)

ان عدم شربه الخمر وعيافه « للارواح » المسكرة ، النجسة ، يقابله « امتلاؤه من الروح القدس » من بطن امه . فلا فراغ في القلب

(د) أما خدمته فقد ذكرها الملاك على وجهين ـ الوجه الاول: بشرى عام «يرد كثيرين من بني اسرائيل الى الرب الههم». والوجه الثاني : المهيء خاص

ويتقدم أمامه بروح إيليا وقوته ليرد قلوب الآباء الى الأبناء والعصاة الى فكر الأبرار لكي يهيء للرب شعباً مستعداً . فقال زكريا للملاك كيف أعلم هذا لأني أنا شيخ وامرأتي متقدمة في أيامها

« ويتقدم أمامه بروح إيليا وقوته » أي بروح الشجاعة، والإقدام والتضحية لأجل الحق ــ هذه هي أوجه الشبه بين إيليا و يوحنا في رسالتيهما (ملاخي ٣ : ١ و٤ : ٥ و١ ملوك ١٨ : ١٧ ــ ٤٠) . والهاء في « أمامه » تشير الى « الرب إلههم » الذي سيأتي الى شعبه في شخص المسيح ، وقد قيلت هذه الكلمات إتماماً لنبوة ملاخي٣ :١و٢ « هانذا أرسل ملاكي فيهيء الطريق أمامي .. و يأتي بغتة السيد .. وملاك العهدالذي تسرون به » . فيكون المسيح بلا شك هو « ملاك العهد » و بالتالي يكون هو « يهوه » إله العهد القديم . وتكون الهاء في « أمامه » عائدة على شخص المسيح ــ « ملاك العهد » . ومن هذا نرى أن فاتحة رسالة العهد الجديد مستمدة من خاتمة العهد القديم

(ﻫ) نتائج خدمته وغايتها ــ الاصلاح العائلي والاجتماعي . لانه سيوطد الروابط العائلية المتوترة . و يربط الصلات المتقطعة بين الآباء والأبناء ، و يزيل ما بين الطرفين من جفاء ، فيحل محله الصفاء ، و يقرّب مسافة التباعد التي فصلت بين العصاة والأبرار ، فيصيرهما كليهما أبراراً أو في صف الابرار ، لكي يهيء للرب شعباً مستعداً لكل عمل صالح

(و) ما قاله زكريا وما طلبه . سمع زكريا هذه الكلمات فكان بين مصدق ومرتاب . فطلب علامة إذ قال « كيف أعلم هذا لأني أنا شيخ وامرأتي متقدمة في أيامها »

فأجاب الملاك وقال له أنا جبرائيل الواقف قدام الله وأرسلت لأكلمك وابشرك بهذا . وها أنت تكون صامتاً ولا تقدر أن تتكلم الى اليوم الذي يكون فيه هذا لأنك لم تصدق كلامي الذي سيتم في وقته .

فأجابه الملاك وقال « أنا جبرائيل » . والكلمة معناها « بَطل الله » كما ان كلمة ميخائيل معناها « مَن مِثْل الله » . فكان جبرائيل ملاك الرحمة كما كان ميخائيل ملاك القضاء والدينونة . كان جبرائيل الملاك « المحارب » الواقف قدام الله استعداداً للخدمة ، وهو الذي ظهر لدانيال في العهد القديم ولزكريا ولمريم في العهد الجديد . نرى في كلام الملاك لزكريا إعلاناً : (١) لاسمه : « أنا جبرائيل » . (٢) وظيفته : « الواقف قدام الله » علامة الخدمة ، والاستعداد الدائم لها . كما كان إيليا قديماً . (٣) مهمته : « أرسلت لأكلمك وأبشرك بهذا » . (٤) موضوع رسالته المزدوج : عزاء « لابشرك » ، وقضاء : « وها أنت تكون صامتاً » . . ما كان أرهب وقع هذه الكلمات على أذني زكريا وعلى قلبه ! فلقد بُدئت رؤياه بخوف ، وانتهت برهبة صامتة . ان هذا لم يكن مجرد قصاص حل بزكريا لعدم تصديقه ولضعف ايمانه ، بل كان له خير هبة من السماء . « فكم نعمة في نقمة طويت » . فقد تهيأت له فرصة ثمينة ليكف عن الكلام مع الناس لعله يستمع لله في صمت عميق . بهذا ، وبهذا وحده ، اضحت نفس زكريا صفحة رقيقة حساسة ، تُطبع عليها خبرات موسيقى السماء .

وكان الشعب منتظرين زكريا ومتعجبين من إبطائه في الهيكل . فلما خرج لم يستطع أن يكلمهم ففهموا أنه قد رأى رؤيا في الهيكل . فكان يومىء اليهم . و بقي صامتاً

ولما كملت أيام خدمته مضى الى بيته . و بعد تلك الأيام حبلت اليصابات امرأته وأخفت نفسها خمسة أشهر قائلة

---

٢١ و٢٢ ـ رأى زكريا وسمع كل هذا في الهيكل « وكان جميع الشعب منتظرين خارجاً » فتعجبوا من ابطائه مخافة أن يكون الرب قد رذل تقدماتهم ، ودخن على بخورهم ، ورفض صلواتهم ، واحتقر خدمتهم ، فقضى على زكريا في الهيكل (لاويين ١٦: ١٣) . ولكن روعهم قد هدأ إذ رأوا زكريا خارجاً ، فانتظروا أن يتلو عليهم البركة المعتادة (عدد ٦: ٢٣ـ ٢٦) وإذا بالكاهن زكريا صامت يومىء بيده : تارة الى فمه الذي عجز عن الكلام ، وطوراً الى السماء التي لا يحلو لها التكلم إلا إذا صمت الناس وأصغت الأرض .

أفلا يحق لنا أن نتخذ من صمت هذا الكاهن ومن عجزه عن أن يبارك الشعب ، رمزاً لعجز الناموس القديم وصمته أمام جلال انجيل المسيح واقتداره واعجازه ؟ ؟ ! !

٢٣ـ٢٥ ـ إنتهى أسبوع خدمة زكريا فمضى الى بيته في الجبال في جنوب أورشليم عدد (٣٩) . و بعد تلك الأيام تحققت اليصابات ان الله بدأ يتم وعده لها ، وأحست بنمو حياة جديدة في أحشائها ، فاعتزلت الناس ،

هكذا قد فعل بي الرب في الأيام التي فيها نظر إلي لينزع عاري بين الناس ..

٢٦ — ٣٨ - وفي الشهر السادس أُرسل جبرائيل الملاك من الله الى مدينة من الجليل اسمها ناصرة . الى عذراء مخطوبة لرجل من بيت

وأخفت نفسها خمسة أشهر ، وخلت الى نفسها باختيارها ، كما اعتزل زوجها مخاطبة الناس مكرهاً ، وهو أبكم أصم . فكانت هذه منها عزة يمازجها الحياء : (ا) لتكون واثقة من هبة الله لها قبل ان تتحدث بها الى الناس « في الأيام التي نظر فيها الرب اليها فنزع عارها » (ب) ولتهيء نفسها بالتأمل ، والشكر ، والانتظار المقدس لتلك العطية الجديدة المجيدة القادمة

إعلان ميلاد يسوع المسيح ١ : ٢٦ - ٣٨

(١) التحية (١ : ٦ - ٢٨) . (٢) الرسالة (١ : ٢٩ - ٣٣) .
(٣) استقبال مريم للتحية (١ : ٣٤ - ٣٨)

بعد تمام الخمسة الأشهر التي أخفت اليصابات فيها نفسها ، خرج ملاك الله جبرائيل في الشهر السادس من لدن الله الى مقاطعة خاصة اسمها «الجليل» - ومعناها الدائرة - ميمماً مدينة من هذه المقاطعة اسمها «الناصرة» - ومعناها «الغصن». ولعلها مرادفة للكلمة العربية نضَر - قاصداً بيتاً خاصاً تسكنه عذراء طهور، مخطوبة، إسمها مريم - وكانت مدة الخطبة عند اليهود سنة - ليبلّغها رسالة خاصة من الله

داود اسمه يوسف . واسم العذراء مريم .

شتان بين مأمورية جبرائيل في هذه المرة وبين مأموريته الاولى التي قام بها منذ ستة أشهر – وهي المدة التي يزيدها عمر يوحنا المعمدان على عمر يسوع : (ا) في المرة الاولى ذهب الملاك الى اورشليم عاصمة اليهود . وفي هذه المرة ذهب الى الناصرة ، ملتقى اليهود بالامم – في التجارة . (ب) في المرة الاولى ذهب الى الهيكل ، وفي هذه المرة ذهب الى بيت . وكل بيت شريف هو هيكل الله ومعبده ، وكل عمل يومي مجيد هو في ذاته عبادة . (ج) في المرة الاولى ذهب الى رجل ، وفي هذه المرة ذهب الى امرأة . (د) في المرة الاولى ذهب ليعلن رسالة خاصة بميلاد يوحنا ، وفي هذه المرة ذهب ليعلن رسالة خاصة بميلاد من كان له يوحنا خادماً وصوتاً – المسيح .

وُلد يوحنا المعمدان من أب وام من بيت الكهنوت ، ووُلد المسيح من مريم . وهي من بيت داود ، بيت ملكي . ولادة يوحنا تمت بمعجزة لكنها كانت في دائرة الحدود الطبيعية ، أي من رجل وامرأة ، وهما زكريا واليصابات . لكن ولادة المسيح كانت بمعجزة تعدت وتخطت كل الحدود الطبيعية ، لانه جاء من امرأة فقط . ومَن كان في شخصه معجزة فلا عجب اذا كان ميلاده معجزة ، والذي كانت حياته فوق البشر ، لا بد ان يدخل حياتنا من باب لم يلجه غيره من البشر (انظر المقدمة) . ان عذراوية حياته هي اكبر ضمان وأعظم برهان على عذراوية ميلاده .

جاء يوحنا المعمدان على مثال اسحق نتيجة وعد ، وجاء المسيح بغير مثال لانه جاء من غير ابوين . ان أقرب مثال لظهور المسيح على الارض هو آدم .

٢٨ فدخل اليها الملاك وقال سلام لك ايتها المنعَم عليها .

غير ان آدم اخطأ وسقط . فكان ينبغي ان المسيح الذي هو آدم الثاني يأتي بطريقة غير الطريقة التي جاء بها آدم الاول . آدم الاول ، خُلق ولم يولد ، وآدم الثاني وُلد ولم يخلق

آدم الاول ، خُلق جسمه من تراب الارض ، ليكون سيداً على الارض . وقد هُيء جسد المسيح من جسم البشرية ، ليكون سيداً على البشر . وكما ان المرأة حواء التي كانت سبب السقوط ، خُلق جسمها من جسد رجل بلا امرأة، كذلك كان ينبغي ان يؤخذ جسد المسيح من جسد امرأة بلا رجل — توضيحاً لهذا اقرأ كتاب «لماذا تجسد الكلمة» ؟

كان من الطبيعي ان يولد ملك اليهود الموعود ، من امرأة من بيت الملك داود ، ليتم ذلك القول الذي أغلقت عليه ابواب الفردوس المفقود : « نسل المرأة يسحق رأس الحية » وكان من الضروري ان يولد من الناصرة — أي الغصن — حيث تربى — اتماماً لنبوة النبي الانجيلي، اشعياء ١:١١ « ويخرج قضيب من جزع يسى وينبت غصن من أصوله » ، وتحقيقاً لنبوة ارميا ٥:٢٣ « واقيم لداود غصن بر »

وهنا يظهر لنا تدقيق لوقا ، لانه البشير الوحيد الذي حدثنا عن الناصرة قبل ميلاد المسيح في بيت لحم .

مدينة الناصرة واقعة على وادٍ تعزله تلال عالية يبلغ ارتفاعها عن سطح البحر ٥٠٠ قدم . فكان خليقاً أن يولد منها ذلك الشخص الفريد الذي اعتزل

الرب معك . مباركة أنت في النساء .

عن الخطاة وارتفع عنهم وسما فوقهم . وهي أيضاً في موقعها الطبيعي واقعة على ملتقى طريق التجارة بين دمشق وعكاء ، فهي ملتقى رجال التجارة من اليهود والامم . فكان خليقاً أن يولد منها « ابن الانسان » الذي عنده تلتقي أعاظم الشخصيات في التاريخ

ان الواقف على احد التلال الرفيعة القائمة على حراسة مدينة الناصرة يرى الى الشمال جبال لبنان البيضاء ، والى الشرق جبال جلعاد الارجوانية الغبراء ، والى الجنوب جبال السامرة وجبل تابور ، والى الغرب مروج الكرمل الخضراء . وتبعد المدينة عن أورشليم مسيرة ثلاثة أيام ، كما تبعد ١٨ ميلا عن بحر الجليل

ان الكلمة « من بيت داود » الواردة في عدد ٢٧ — حسب وضعها في اللغة الاصلية _ تصف مريم ويوسف معاً . ويؤيد هذا عددا ٣٢ و٦٩ أما كون اليصابات من بيت هرون ، فلا يدل على أن مريم من بيت الكهنوت مثلها ، لأن مريم كانت نسيبتها لا قريبتها ، فلم تجمع بينهما العصبية ، لأن النسب كان جائزاً بين السبطين في اسرائيل

(١) تحية الملاك لمريم : حيَّا الملاك مريم تحية هادئة بأن ألقى عليها السلام ذاكراً لها مقامها في نظر الله « أيتها المنعم عليها » وهي كلمة قد تقال عن المؤمنين المقبولين لدى الله (أفسس ١ : ٦) « التي أنعم بها علينا » وقد وردت بصيغة المبني للمجهول باعتبار مريم العذراء ابنة النعمة السماوية فقط . وقد ترجمها إيرونيموس في « الفولكاتا » التي منها أخذت ترجمة روما « أيتها الممتلية نعمة »

٢٩ فلما رأته اضطربت من كلامه وفكرت ما عسى أن تكون هذه التحية
٣٠ فقال لها الملاك لا تخافي يا مريم لانك قد وجدت نعمة عند الله

ان السلام الذي القاه الملاك على مريم يتضمن ثلاث هبات: (١) نعمة: « أيتها المنعم عليها ». (ب) شركة مجيدة: « الرب معك »، فادخلتها هذه الكلمة في المعية الملكية. (ج) بركة: « مباركة أنت في النساء »

في جنة عدن جاء ملاك ساقط ـ الشيطان ـ الى حواء، فاوقعها في الخطية، وأوقع معها الجنس البشري. وفي بيت لحم، جاء ملاك طاهر الى مريم فوعدها بأن تكون أماً لمخلص البشرية الساقطة. اذاً تكون بيت لحم قد كفرت عن سيآت عدن ! !

كان تأثير هذه التحية على مريم مزدوجاً: (١) الخوف: « فلما رأته اضطربت من كلامه » لأنها لم تألف هذا المنظر من قبل. كما ان اذنيها لم تقع عليهما مثل هذه الكلمات الطيبة من قبل، فكان ما رأته وما سمعته، بعيداً عن انتظارها. وربما لم يخطر لبالها أن فتاة متضعة مثلها يغمرها الله بهذا الخير العميم. ولعل في اضطرابها هذا عنصراً من الفرح والسرور. فربما اضطرب الانسان من فرط السرور كما يضطرب من الخوف. فالألم والسرور اذا زاد كل منهما عن حده، بعثا في النفس تأثيرات متضاربة. فقد يضحك الانسان من شدة البلية كما يبكي من فرط السرور. (ب) التفكير: « وفكرت ما عسى أن تكون هذه التحية »

(٢) جواب الملاك: هدأ الملاك روعها مخاطباً إياها باسمها « يا مريم » كما فعل مع زكريا. وأكد لها رضى الله عنها. وفي جواب الملاك نرى:

٣١ وها أنتِ ستحبلين وتلدين ابناً وتسمينه يسوع . ٣٢ هذا يكون
عظيما وابن العلي يدعى ويعطيه الرب الاله كرسي داود أبيه .

---

(١) تشجيعاً : « لا تخافي يا مريم » (٢) تقديراً : « لانك قد وجدتِ نعمة عند الله » (٣) وعداً : « وها أنتِ ستحبلين وتلدين ابناً وتسمينه يسوع » . فكان في رسالته هذه مخصصاً ، ومحققاً ، ومكرراً لما رضى الله عنها وانعامه عليها. وعلامة رضى الله عنها انه يهبها ابناً اسمه « يسوع » . وهي الصيغة اليونانية للكلمة العبرية « يهوشوع » وتفسيرها « الله يفرج ويخلص » . وان هذا المولود سيكون: (ا) عظيما في اسمه ـ « يسوع » (ب) عظيما في مقامه ونسبته ـ «ابن العلي » (ج) عظيما في ملكه ـ « يعطيه الرب الاله كرسي داود أبيه » (د) عظيما في دوام ملكه ـ « يملك على بيت يعقوب الى الأبد ولا يكون لملكه نهاية » (دانيال ٢ : ٤٤ ومزمور ٤٥ : ٦ ورؤيا ١١ : ١٥)

ويليق بنا أن نوضح بكلمات موجزة المعنى المراد « بابن العلي » او « ابن الله » (ا) فلم يقصد بها ولادة طبيعية ذاتية من الله، وإلا قيل فيها « وَلَدَ الله »

(ب) ولم يقصد بها ما يقال عادة عن المؤمنين جميعاً انهم « ابناء الله » لأن نسبة المسيح لله هي غير نسبة المؤمنين عامة لله

(ج) ولم يقصد بها تفرقة في المقام من حيث الكبر والصغر ، ولا في الازلية ، ولا في الجوهر . لكنها :

٣٣ ويملك على بيت يعقوب الى الابد ولا يكون لملكه نهاية

٣٤ فقالت مريم للملاك كيف يكون هذا وأنا لست أعرف رجلاً .

(أ) تعبير يكشف لنا عمق المحبة السرية ، التي بين المسيح والله . وهي محبة متبادلة . وما المحبة التي بين الأب والابن الطبيعيين سوى أثر من آثارها وشعاع ضئيل من بهاء أنوارها

(ب) ويراد بها إظهار المسيح لنا : انه الشخص الوحيد الذي حاز رضى الله ، وأطاع وصاياه فقبل الموت ، موت الصليب . لذلك يقول فيه الله « هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت . له اسمعوا » وقد تكررت هذه العبارة عدة مرات مدة خدمة المسيح على الارض . لانه تمم إرادة الله في الفداء

(ج) ويراد بها إظهار التشابه ، والتماثل في الذات ، وفي الصفات ، وفي الجوهر . كما يكون بين الأب والابن الطبيعيين . فقيل عن المسيح انه « بهاء مجد الله ورسم جوهره » وقال هو عن نفسه « من رآني فقد رأى الآب » ، « أنا والآب واحد »

(د) ويراد بها دوام شخص المسيح باعتباره الوارث لكل شيء « الذي منه و به وله كل الأشياء »

(هـ) وقد يراد بها معان كثيرة غير محدودة ، يقصر دون إدراكها العقل العاجز المحدود

(٣) قبول مريم للتحية (١: ٣٤) امتازت مريم عن زكريا في طريقة قبولها رسالة الملاك . ذاك شك ولم يصدق . لكن مريم صدقت وطلبت إيضاحاً

٣٥ فأجاب الملاك وقال لها . الروح القدس يحل عليك وقوة العلي
تظللك فلذلك أيضاً القدوس المولود منك يدعى ابن الله . ٣٦ وهوذا
اليصابات نسيبتك هي أيضاً حبلى بابن في شيخوختها وهذا هو الشهر
السادس لتلك المدعوة عاقراً .

« كيف يكون هذا وأنا لست أعرف رجلاً » ؟ ولعل الاستيضاح هذا من مستلزمات الايمان الذي يُبنى على النور لا على الظلام . لأن « الله نور »

جواب الملاك (١ :٣٥) كان جواب الملاك لها سامياً ، بليغاً في أسلوبه ، عميقاً في ايضاحه ، سراً غامضاً في اعلانه ، فاستحال في فمه أغنية وتسبحة . والاشارة الى «الروح القدس»ـروح الحياة والمراد بالقول «قوة العلي تظللك» ان قوة الله تكون لها خيمة سر ، وسلام ، ونعيم . والاشارة فيها الى السحابة التي ظللت بني اسرائيل في البرية « والقدوس المولود منك يدعى ابن الله » .ان الكلمة « قدوس » هي عبرية الأصل . معناها الحرفي « محرّم » أي مكرس لغرض خاص ،ومحرم استخدامه لغرض غير الغرض الذي وضع له.ومنها شهر «محرم» الذي صار مقدساً لدرجة حرمت فيه الحرب . ومنها « بيت الله الحرام » . « والحرم الشريف » . فهي اذاً تفيد التنزه ، والبعد كل البعد عن الشر . وقد استعملت في الترجمة العربية عن الله جل وعلا . وعند التعبير عن قداسة الناس المؤمنين ، استعملت كلمة « قديس »

(٤) الاقتناع والتسليم (١ :٣٦و٣٧) ـــ لم تطلب مريم علامة من الملاك كما طلب زكريا لكن الله وهبها هذه العلامة من ذاته . وكان الملاك أحس

٢٧ لأنه ليس شيء غير ممكن لدى الله . ٢٨ فقالت مريم هوذا أنا
أمة الرب . ليكن لي كقولك . فمضى من عندها الملاك

بأن مريم تحتاج الى دليل ، لذلك قدم لها دليلين — احدهما مادي « وهوذا اليصابات نسيبتك هي ايضاً حبلى بابن في شيخوختها وهذا هو الشهر السادس لتلك المدعوة عاقراً » . والثاني معنوي مؤسس على الثقة بالله صخر الدهور الذي لا « يستحيل عليه شيء » (تكوين ١٨ : ١٤)

رأت مريم في هذه الأقوال السامية حججاً دامغة. وأيقنت ان في الامر افتقاد خاصاً لها. سيّما ان كل فتاة في اسرائيل كانت تترقب وترجو أن تكون «أماً لمخلص العالم» فما كانت تحلم به مريم في المنام، رأته حقيقة واضحة راسخة في وضح النهار.

١ : ٣٨ جواب مريم : أجابت الملاك جواباً فيه : (أ) اتضاع . (ب) وتسليم (ج) وانتظار . إذ قالت « هوذا أنا أمة الرب . ليكن لي كقولك » . قالت مريم هذه الكلمات وفي قلبها عاملان ـــ احدهما عامل السرور لقبول انعام الله عليها. والثاني عامل الألم لما يجره عليها هذا الحادث التاريخي، الغريب، من العار والخزي لدى جيرانها ومعارفها الذين لم يُكشف لهم بعدُ سر الله لها . فاظهاراً لسرورها وتعبيراً عن ألمها قالت هذه الكلمات المعبرة عن التسليم التام لارادة الله فأصابت كبد حقيقتين بسهم واحد .

خاتمة تاريخية (١ : ٣٨) بعد أن أتم الملاك رسالته لها مضى من عندها . وهل من داع لوجود الملاك معها بعد أن حل في أحشائها ربُّ الحق والنعمة ؟؟ أمام نور الشمس تختفي النجوم .

١:٣٩ـ٥٦ فقامت مريم في تلك الايام وذهبت بسرعة الى الجبال الى مدينة يهوذا . ٤٠ ودخلت بيت زكريا وسلمت على اليصابات . ٤١ فلما سمعت اليصابات سلام مريم ارتكض الجنين في بطنها وامتلأت

زيارة مريم لأليصابات (١ : ٣٩ـ٥٦)

(١) وصول مريم (١:٣٩ ـ ٤٠) (ب) تحية اليصابات (١:٤١ـ٤٥)
(ج) تسبحة مريم (١ : ٤٦ ـ ٥٥) الخاتمة (٥٦)

في تلك الايام قامت مريم وذهبت بسرعة الى جبال اليهودية تحقيقاً لكلام الملاك لها عن اليصابات ـ وهي إما أن تكون قد سافرت مجتازة السامرة ، أو سارت في طريق شرق الاردن ـ فقصدت مدينة يهوذا ولعلها حبرون . ودخلت بيت زكريا لتلتقي بأليصابات لتتقاسما السرور الفياض به قلب كل منهما . لان الاحزان إذا اقتسمت هانت ، والمسرات إن وُزعت زادت . فبدأت مريم بالتحية وسلمت على اليصابات . والكتاب ، لحكمةما لم يذكر لنا الكلمات التي حيت بها نسيبتها. وهي لا تخرج عن أحد القولين « سلام لك » أو « الرب معك » ، حسب عادة اليهود وقتئذٍ ، وربما شفعتها بكلمة تهنئة على نعمة الله عليها .

١:٤١ـ٤٥ فلما سمعت اليصابات سلام مريم «ارتكض الجنين في بطنها». هذه كلمة طبية يكتبها قلم لوقا « الطبيب » ويضع عليها مسحة سماوية مقدسة ، مظهراً بها الوقت الباكر جداً الذي شهد فيه يوحنا المعمدان للاهوت المسيح. فابتهج به. كيف لا وهو الذي قال عنه الملاك «من بطن أمه يمتلىء من الروح

اليصابات من الروح القدس . ٤٢ وصرخت بصوت عظيم وقالت مباركة أنت في النساء ومباركة هي ثمرة بطنك

القدس »؟ هذه حقيقة فاقت اتمام الوعد القائل «من أفواه الأطفال أسست حمداً»

« وامتلأت اليصابات من الروح القدس». هذه مرة أخرى، من المرات الكثيرة التي يشير فيها لوقا الى الروح القدس في بشارته . ولنا هنا دليل على قوة ايمان اليصابات بلاهوت المسيح اذ آمنت بالمسيح انه « رب » قبل أن تراه . وهذا ظاهر من قولها « أم ربي » لانه كيف يمكن لمن لم يولد بعد أن يكون ربا ؟ فاذاً نطقت اليصابات بشهادة لم يفه بها فم توما إلا بعد أن لمس آثار جروح المسيح بعد قيامته . فكانت في تعظيمها مريم كمن يحيي كوكب الصبح الذي هو بشير طلوع شمس الصباح

ومن فرط سرور اليصابات « صرخت بصوت عظيم » . هذه كلمة تدل على عمق الشعور وقوة التعبير . وفاهت بكلمات شعرية: (أ) عن مريم. (ب) عن يسوع ابنها . (أ) « مباركة أنت في النساء » هذا تعبير عبري يراد به أقصى أنواع البركات . وقد قيل لراعوث (را ٣ : ١٠) ولياعيل امرأة حابر القيني (قضاة ٥ : ٢٤) (ب) الكلمة التي تشير الى يسوع المسيح « مباركة هي ثمرة بطنك» هذه اشارة الى ان المسيح يكون مباركاً ويكون بركة. يوافقه ماجاء في التلمود اليهودي « طوبى للساعة التي يولد فيها مسيا (المسيح) وطوبى للبطن الذي يحمله ، وطوبى للجيل الذي يراه وطوبى للعين التي تنظره »

٤٣ فمن أين لي هذا أن تأتي أم ربي إليّ . ٤٤ فهوذا حين صار صوت
سلامك في أذني ارتكض الجنين بابتهاج في بطني . ٤٥ فطوبى للتي آمنت
أن يتم ما قيل لها من قِبَل الرب

ثم أشارت اليصابات الى نفسها معبرة عن عدم استحقاقها لزيارة مريم لها . وهي بلا شك لا تقصد مريم كما هي بالجسد ، فهي أصغر منها عمراً ، وربما كانت أقل منها مقاماً . لكنها تقصدها بوصف كونها أم ربها ومخلصها وفاديها ـ المسيح .

لم تكن اليصابات وحدها مقرّة بعظمته ، لكن الجنين أيضاً « ارتكض في بطنها بابتهاج » ، متهللا ، ومستبشراً ، بقدوم ربه وفاديه ، فكان هذا عربون الخدمة التي قام بها يوحنا المعمدان للمسيح ، مهيئاً الطريق قدامه

ختمت اليصابات كلماتها مغبّطة مريم على إيمانها بما قاله لها الملاك من قِبل الرب وعلى عمل إيمانها وتعب محبتها في تكبدها مشقة السفر ومجيئها اليها

تسبحة مريم (١ : ٤٦ — ٥٦)

نطقت اليصابات بتسبحتها وقد ملكتها هزة الانفعال والطرب ، لأن عواطفها ثارت « فصرخت بصوت عظيم » . لكن مريم فاهت بتسبحتها في هدوء عميق ، ورزانة إذ « قالت » . وهذا ، يفسره ويوضحه الفرق بين نفسية السيدتين ـ فالأولى هي أم يوحنا المعمدان البرّي ، الثائر ، والثانية هي أم المسيح الوديع ، الهادىء . كانت تحية اليصابات كقصف الرعد ، وجاءت

تسبحة مريم كخطرات النسيم الهادي . وقد يفيدنا أن نلاحظ أن أنشودة مريم ابتدأت من حيث انتهت تحية اليصابات

تشير مريم في تسبحتها : (١) الى تأثراتها الخاصة (١:٤٦و٤٧) (ب) الى فضل الله عليها (١:٤٨-٥٠) . (ج) الى البركات التاريخية التي عمت الأجيال بمجيء المسيح (٥١-٥٣) . (د) الى إتمام الله وعده لشعبه (١:٥٤ و٥٥)

ان هذه التسبحة في سموها ، ومجدها ، وتدرجها ، أشبه شيء بتغريد طائر في الفضاء . ففي الدور الأول منها ، نجد مريم في هدوئها العميق تعبر عن تأثراتها الخاصة . وفي الدور الثاني ، تزداد رفعة وسمواً وهي تتأمل أعمال القدير معها . وفي الدور الثالث ، تبلغ قمة مجد تسبحتها ، فتنسى نفسها وتذكر الأجيال القادمة التي تمتعت بهذا الخير العميم . لكنها في الدور الرابع تهبط من علوها كطائر يقرب من وكره ، وتختم أنشودتها الحلوة الجميلة ، الشائقة بالارتياح والاطمئنان الى أن الله سيتمم مواعيده الصادقة الأمينة

هذه التسبحة ذخر الكنيسة وكنزها على مر الأجيال. وهي وان كانت في بعض عباراتها شبيهة على نوع ما بتسبحة حنة (١صم ٢:١ - ١٠) لكنها تسمو على تسبحات العهد القديم ، بما فيها تسبحة حنة ، لدرجة تحسب فيها مبتكرة فريدة . لأن حنة في أنشودتها تتفاخر ، وتنقم على الأعداء . لكن مريم تتواضع وتذكر بركة الأجيال . الأولى قريبة من جبل سيناء فالتهبت بناره المحرقة . والثانية قريبة من الصليب فاستضاءت بأنواره المشرقة

ومما هو جدير بالملاحظة أن الأفعال التي استعملتها مريم في هذه التسبحة جاءت في صيغة الماضي مع أن المسيح لم يكن قد ولد بعد ، وخلاصه لم يكن قد

٤٦ فقالت مريم تعظم نفسي الرب . ٤٧ وتبتهج روحي بالله مخلصي .

ظهر العالم . وما ذلك إلا لأنها نطقت بروح النبوة التي تعتبر المستقبل في حيز الماضي سيما ان التجسد كان قد ابتدأ في أحشائها . والبزرة المجردة تحوي الشجرة في كمالها ، والثمرة في نضوجها

قال الكتاب عن اليصابات انها « امتلأت من الروح القدس » قبل ان تفوه بتحيتها لمريم . لكن الكتاب لم يذكر ان الروح حل على مريم قبلما تفوه بتسبحتها . ذلك لأن حلوله على اليصابات كان وقتياً ، لكن حلوله على مريم ، وسكنة فيها ، واستقراره عليها ، كان مستديماً . لأنها كانت عائشة في جو الروح كما يعيش الطائر في الهواء وكما يرتع السمك في الماء .

١ : ٤٦-٤٨ . الدور الأول من التسبحة : « تعظم نفسي الرب وتبتهج روحي بالله مخلصي » هذا شعر عبري بلغة يونانية ، فيه أصول الشعر العبري في الطباق ومراعاة النظير ـ الطباق والجناس . « فالتعظيم والابتهاج » مظهران متكاملان للعبادة . « والنفس والروح » كلمتان مترادفتان في اللغة العبرية ، مع تباين بسيط بينهما . فالنفس هي مركز الحياة الانسانية وهي بالجملة شخصية الانسان . والروح هي مركز الوجدان والعواطف والتعبد . النفس هي الحياة الطبيعية في الانسان ، والروح هي مركز الحياة الروحية فيه

وجدير بنا أن نذكر المقام الذي تضع مريم نفسها فيه بالنسبة لله (ا) «الله مخلصي» . (ب) « اتضاع امته » . فهي تدعو الله « مخلصها » ، باعتباره منشىء الخلاص الذي نفذه المسيح (١ تيمو ١:١ وتيطس ٣:٤)

٤٨ لأنه نظر الى اتضاع أَمَتِهِ . فهوذا منذ الآن جميع الأجيال تطوبني .
٤٩ لأن القدير صنع بي عظائم واسمه قدوس

شعرت مريم انه لم يكن من دافع لدى الله ، عندما باركها سوى دافع النعمة . لأن العلة في انعامه عليها هي انه « نظر » الى اتضاع أمته . فالعلة الحقيقية لبركة الله عليها ، هي في الله نفسه وفي قلبه لانه « نظر » لا في شيء تملكه مريم ـ اللهم إلا إذا كان هذا الشيء هو اتضاعها . لانها وهي من بيت داود الملك مرّت بها و باهلها ظروف ضيقة عصيبة ، ألجأتها في النهاية الىأن تكون مخطوبةً لنجار فقير .

ما أقوى ايمانمريم لأنها وهي تذكر اتضاعها تسمو عليه حالا ، وتذكر الغبطة التي تلازم اسمها على مرّ الأجيال « هوذا منذ الآن جميع الأجيال تطوبني » ولقد تمت هذه النبوة مبدئياً في لوقا ١١ : ٢٧ كما تمت بأكثر مما طلبت مريم أو افتكرت ، في كنائس عدة في الشرق والغرب

١ : ٤٩ و٥٠ ـ الدور الثاني من التسبحة . تنتقل مريم الى الدور الثاني من تسبحتها فتمجد الله على: (أ) قدرته (ب) وقداسته (ج) ورحمته .

(أ) قدرته(١ :٤٩) «لأنالقدير صنع بيعظائم» (ب) قداسته (١:٤٩) إذ ذكرت قداسة اسمالله «واسمه قدوس» . والاسم يراد به الصفات ، والذات ، والمظهر ، والتجلي ، وكل ما يتصف به الله . لأن كلمة « الاسم » عند اليهود معناها الله (لا٢٤ :١١و١٦ومز٩١ :١٤و٢ أي٦: ٢٠) (ج) رحمته (١ :٥٠) قد تغنت مريم بمراحم الله عليها وحدها في هذا الحادث في عدد ٤٨ . والآن تترنم

٥٠ ورحمته الى جيل الأجيال للذين يتقونه . ٥١ صنع قوة بذراعه . شتت المستكبرين بفكر قلوبهم . ٥٢ أنزل الأعزاء عن الكراسى ورفع المتضعين

برحمة الله على الذين يتقونه الى جيل الاجيال أي الى آخر الاجيال ، عند نهاية الدهور . والمراد بـ « الذين يتقونه » ، الذين يخافونه خوفاً مجيداً مقدساً

١ : ٥١-٥٣ الدور الثالث من التسبحة . من كلماتها الأخيرة في الدور الثاني، تنتقل الى الدور الثالث من تسبحتها ، وفي هذا الدور يكثر الطباق، ومراعاة النظير اللذان يمتاز بهما الشعر العبري . فمراعاة النظير ، التي هي تكرار ذات المعنى مع تعمق في التعبير ، نلاحظه في عدد ٥١ « صنع بقوة ذراعه ، شتت المستكبرين بفكر قلوبهم » والطباق الذي هو « الجمع بين معنيين متقابلين على الترتيب » نراه في عددي ٥٢ و ٥٣ « أنزل الأعزاء عن الكراسى ، ورفع المتضعين » ، « أشبع الجياع خيرات . وصرف الأغنياء فارغين »

(١) في هذه الأعداد نرى تدرجاً في المعنى : (أ) في البداية نجد وصفاً لحالة الناس الفكرية « شتت المستكبرين بفكر قلوبهم » أي العظماء في أعين أنفسهم (ب) ثم نرى وصفاً لحالتهم الاجتماعية ، في قولها « ورفع المتضعين » (ج) ثم نرى وصفاً لحالتهم الروحية في القول « صرف الأغنياء فارغين » .

(٢) وفي هذه الأعداد، نلاحظ أيضاً ان مريم تضع مقياساً جديداً للعظمة الحقة . وهو مقياس عكسى يتناقض مع النظام العالمي المعروف .

٥٣ أشبع الجياع خيرات وصرف الأغنياء فارغين ٥٤ عضد اسرائيل فتـاه ليذكر رحمة . ٥٥ كما كلم آباءنا. لابرهيم ونسله الى الأبد ٥٦ فمكثت مريم عندها نحو ثلثة أشهر ثم رجعت الى بيتها .

(٣) ونلاحظ أيضاً ان الألفاظ والمعاني في هذه الأعداد تسير في تدرج أشبه شيء بأمواج البحر: الأدنى فالأعلى ثم الأعلى فالأدنى ثم الأدنى فالأعلى. اذ يبتدىء العدد الأول من تسبحتها « بالمتضعين » وينتهي « بالمستكبرين » ثم يبتدىء العدد الثاني « بالمستكبرين » ويختتم « بالمتضعين » ، ثم يبتدىء العدد الثالث « بالمتضعين » ويختتم « بالأغنياء » الذين صرفوا « فارغين » أي ان كل عدد منها يبتدىء بما يختتم به العدد السابق له

١: ٥٤ـ٥٦ . الدور الرابع من تسبحتها : في هذا الدور تجد مريم أمانة الله الذي ذكر رحمته الى الأبد . وذكره هذه الرحمة هو أساس الفداء . وقد نظرت مريم الى الفداء فرأته سلسلة ذهبية تتكون منها حلقات ، ترتبط احداها بالأخرى حتى تنتهي بالمسيح . فاذا كانت الحلقة الأخيرة هي « المسيح ». فان الحلقة الأولى هي « اسحق » ابن الموعد الذي عاهد به الله ابرهيم فذكر هذا العهد ، حتى أتمه في المسيح نسل ابرهيم. وهو يجريه على الدوام لجماعة المؤمنين الذين هم أبناء ابرهيم المؤمن على مر الأجيال .

عدد ٥٦ . في هذا العدد نرى خاتمة تاريخية كعادة لوقا في كتاباته (١: ٦٥و٣: ١٤و٢٠) هل سافرت مريم قبل ميلاد يوحنا ، أو انتظرت حتى تم ميلاد يوحنا، وختانه؟ ان العادات الشرقية ترجح لدينا الأخذ بالفكر الثاني

٥٧ وأما اليصابات فتم زمانها لتلد فولدت ابناً ٥٨ وسمع جيرانها

« ثم رجعت الى بيتها » . اننا نحتاج الى ريشة مصور لـكي نرسم بها عواطف مريم،التي تتنازعها عوامل السرور والحزن،وهي في طريقها الى بيتها. وقد خيمت عليها سحابة نيّرة من جانب السماء ، وسحابة أخرى مظلمة من جانب الارض.انها كانت تحمل في أحشائها مخلص العالم ولـكنها كانت تخشى أن يلصق الرأي العام بها اثماً يستنزل عليها الازدراء والاعدام لولا تدخل السماء السريع ! ! ماذا يتصور يوسف في خطيئته التي طال غيابها خارج منزلها على غير العادة المألوفة ؟ ! لا شك أن سيف الألم كان يجتاز في نفسها في هذه الساعة — هذه وخزته الاولى .

ومن الغريب في هذه التسبحة المجيدة ، المنتظمة كعقد من اللآلىء الدرية النيرة ، أن لا نرى مريم تشير اشارة واضحة الى المسيح . لأن المصباح لا يحـدثنا عن النور الذي فيه ، سيما لأن ذلك النور هو « الذي ينير كل انسان آتياً الى العالم » وهو « الـكلمة » الذي يحدثنا عن نفسه ، بأبلغ مما يتحدث به غيره عنه .

ميلاد يوحنا المعمدان وختانه (١ : ٥٧ — ٨٠)

(١) ميلاد يوحنا (١:٥٧و٥٨) (ب) ختانه (١:٥٩—٦٩) (ج) تسبحة زكريا (١:٦٧ ـــ ٧٩) (د) خاتمة تاريخية (١ : ٨٠)

(١) ميلاد يوحنا (١:٥٧و٥٨) هذان العددان، يصوران لنا، نموذجاً للحياة اليهودية العائلية إذ اجتمع «الجيران» وقد ذُكروا أولا لقربهم ــ «والاقرباء»،

وأقرباؤها أن الرب عظم رحمته لها ففرحوا معها ٥٩ وفي اليوم الثامن
جاءوا ليختنوا الصبي وسموه باسم أبيه زكريا ٦٠ فأجابت أمه وقالت
لا بل يسمى يوحنا ٦١ فقالوا لها ليس أحد في عشيرتك تسمى بهذا الاسم
٦٢ ثم أومأوا الى أبيه ماذا يريد أن يسمى ٦٣ فطلب لوحاً وكتب

حول اليصابات التي كانت ملكة ذلك المشهد البيتي الجميل، ليشاطروها مسراتها حين سمعوا أن الرب عظم رحمته لها.

(ب) ختان يوحنا (١: ٥٩—٦٦): كما أن الطفل الاسرائيلي كان يدخل العائلة البشرية بميلاده، كان يدخل أيضاً في « عهد ابرهيم » — في العائلة الروحية ــ بختانه في اليوم الثامن (تك ١٧: ١٢) وفي هذا الوقت كان، يعطى اسماً فقصد الأهل والجيران أن يسمّوه باسم أبيه «زكريا» حسب عادة اليهود التي يحدثنا عنها يوسيفوس المؤرخ اليهودي الشهير، لكن أمه — على خلاف عادة اليهود — اعترضت وقالت، لا بل يسمى « يوحنا ». ولما اعترض الحاضرون بحجة أن الاسم «يوحنا» خارج عن أسماء العائلة، جعلوا والده زكريا، الحكَم في هذا الخلاف. كل هذا ليهيئوا الطريق لتدخل العناية في فك عقدة لسان زكريا، لينطق بعظائم الرب. ولما كان أبوه أصم وأبكم أومأوا اليه فطلب لوحة، ولعلها من خشب، عليها غشاء من الجمع (الشمع) أو طبقة من الرمل ليُكتب عليه بقلم من حديد، طرفه الأول مُدبب، للكتابة، والطرف الثاني مفلطح، لازالة الكتابة ومحوها ــ هذا إذا كان اللوح من جمع. فكتب على

قائلاً اسمه يوحنا . فتعجب الجميع ٦٤ وفي الحال انفتح فمه ولسانه
وتكلم و بارك الله ٦٥ فوقع خوف على كل جيرانهم . وتُحُدث بهذه
الأمور جميعها في كل جبال اليهودية ٦٦ فأودعها جميع السامعين في
قلوبهم قائلين ، أترى ماذا يكون هذا الصبي . وكانت يد الرب معه
٦٧ وامتلأ زكريا أبوه من الروح القدس وتنبأ قائلاً

اللوحة « يوحنا » فتعجب الجميع وكم كان تعجبهم عظيماً عندما حُلت عقدة لسانه « فتكلم و بارك الله » وزاد تعجبهم فانقلب « خوفاً » رهيباً.

وقد تعداهم هذا الخوف فعمّ الجيران . وصارت هذه العجائب أحدوثة أهل تلك المقاطعة . فأودعها جميع السامعين قلوبهم (٢ : ١٩و٥١)

وفي الختام نجد القول « وكانت يد الرب معه » . « يد الرب » اشارة الى فعل قوته ، وعضده ، ومعونته ، وارشاده .

(ج) تسبحة زكريا (١:٦٧—٧٩) من تلك الغرفة الوضيعة الهادئة في بيت الكاهن زكريا، صعدت ثلاث تسبحات، هي ذخر الكنيسة المسيحية على مر الدهور ـ التسبحة الاولى من اليصابات: والثانية من مريم، والثالثة من زكريا

وكما امتلأت اليصابات من الروح القدس قبل أن تفوه بتحيتها لمريم كذلك امتلأ زكريا زوجها من الروح القدس قبل أن يتنبأ . ولقد بَدأ زكريا تسبحته من النقطة التي انتهت بها تسبحة مريم وهذه بُدءت من النقطة التي بها اختُتمت تحية اليصابات .

تقع تسبحة زكريا في دورين ـ أولهما: تمجيد الله الفادي. وثانيهما: خاص

٦٨ مبارك الرب إله اسرائيل لانه افتقد وصنع فداء لشعبه . ٦٩ وأقام
لنا قرن خلاص في بيت داود فتاه

بالطفل يوحنا. فتح زكريا فاه بعد أن صمت طويلاً ، فشكر الرب إله اسرائيل لانه «افتقد وصنع فداء لشعبه». وكلمة «افتقد الله شعبه» معناها: (ا) أشرف على شعبه. (ب) زاره. (ج) وهبه عطايا جزيلة. والهبة التي يشكر زكريا إله اسرائيل عليها هي هبة « الفداء » ولا شك أن كلمة « فداء » يفهمها غير المسيحي لأنه معتاد على كلمة « يوم الفدو » (الفداء) . وهو يعيد كل سنة عيد الأضحى الذي فيه يقدم حملاً لازالة حمل خطيته، سيما ولأن كلمة فداء متداولة كثيراً. فاذا أضاع أحد الناس شيئاً ثميناً كانت التعزية: «فداك» وفي بعض البلاد المصرية إذا ما خرج أحدهم من سجن ، أو ضيقة. حيَّاه أصدقاؤه بالقول « كفارة »

ثم يتقدم زكريا فيصف شخصية المسيح الذي قام بهذا الفداء بأنه «قرن خلاص » وهذه استعارة عبرية يهودية ، يراد بها القوة الظافرة . هذا إتمام لما وعد به الله عن المسيح في (مز ١٣٢: ١٦) « هناك أُنبت قرناً لداود . رتبت سراجاً لمسيحي» وفي (١صم٢: ١٠) «ويعطي عزاً لملكه ويرفع قرن مسيحه» وقد جاء في التلمود انه توجد عشرة قرون : قرن ابرهيم ، وقرن اسحق ، وقرن يوسف ، وقرن موسى ، وقرن الناموس ، وقرن الكهنوت ، وقرن الهيكل ، وقرن اسرائيل ، وقرن داود ، وقرن المسيح الملك . ويقول التلمود « ان هذه القرون كانت في البداية على رأس اسرائيل الى أن وقع اسرائيل في الخطية فخُلعت عنه ورُفعت من على رأسه وأعطيت للامم » .

٧٠ كما تكلم بفم أنبيائه القديسين الذين هم منذ الدهر . ٧١ خلاص
من أعدائنا ومن أيدي جميع مبغضينا . ٧٢ ليصنع رحمة مع آبائنا
ويذكر عهده المقدس . ٧٣ القسم الذي حلف لابرهيم أبينا . ٧٤ أن
يعطينا أننا بلا خوف منقذين من أيدي أعدائنا نعبده

وكأن زكريا هنا، يمثل هذا الفداء بشجرة،أصولها ممتدة الى: (١) الماضي «كما تكلم بفم أنبيائه القديسين الذين هم منذ الدهر» أي منذ تاريخ الاصحاح الثالث من سفر التكوين الى آخر ملاخي. وفروعها ممتدة الى: (ب) المستقبل المجيد « خلاص من أعدائنا » ، وتتصل هذه الفروع: (ج) بالحاضر « ومن أيدي جميع مبغضينا » — سواء أكان هؤلاء المبغضون من الرومان — وهم الأعداء السياسيون — أو العالم والجسد والشيطان ، وهم الأعداء الروحيون .

كانت تسبحة زكريا هذه كنهر يستمد مياهه من نبع عظيم هو «عهد الله المقدس وقسمه مع ابرهيم » (تك ١٥: ١٨) وخلاصة هذا العهد «هبة الله لزكريا ولشعبه».وخلاصة هذه الهبة «العبادة الحقة لله».ولهذه العبادة أوصاف ثلاثة، كل منها مزدوج: (١) فالوصف الأول خاص بحالة العابد، وهذه الحالة مزدوجة: (١) «بلاخوف» ـ هذا احساس داخلي روحي: (ب) منقذين من أيدي أعدائنا ـ هذا اختبار خارجي سياسي. (٢) والوصف الثاني خاص بطبيعة العبادة.وهذا الوصف مزدوج أيضاً: (١) «بقداسة»ـ هذا اختبار داخلي

٧٥ بقداسة وبر قدامه جميع أيام حياتنا . ٧٦ وأنت أيها الصبي نبي
العلي تُدعى لأنك تتقدم أمام وجه الرب لتعد طرقه . ٧٧ لتعطي شعبه
معرفة الخلاص بمغفرة خطاياهم .

يشير الى حالة روح العبادة. (ب) والثاني خارجي « وبر » — هذا هو إتمام الفرائض والطقوس والشرائع الالهية . (٣) والوصف الثالث يشير الى مقام العبادة . وهذا أيضاً مزدوج (أ) مقام روحي « قدامه » — هذا مقام ممتاز رفيع مجيد (ب) مقام زمني — « جميع أيام حياتنا » .

ليس بعجيب أن يقول زكريا عن ذلك العهد أن الله « ذكره » . ويمكننا أن نرى نوراً جديداً في كلام زكريا هذا، متى ذكرنا أن « زكريا » معناه « الله يذكر » . وكلمة « اليصابات » معناها « قسم إلهي » . فاقتران « زكريا » « بأليصابات » معناه « إلهي يذكر قسمه » ! !

ارتفع زكريا في تسبحته محلقاً كالنسر في الأعالي، مترنماً بأمجاد الاله الفادي ثم هبط من علوه، وألقى نظرة عطف أبوية، على ابنه يوحنا، فقال « وأنت أيها الصبي » سيكون: (أ) لقبك « نبي العلي » (اشعياء ٤٠: ٣ وملاخي ٣: ١) (ب) وطبيعة عملك « ان تتقدم أمام وجه الرب » ولعله في كلمة « وجه الرب » يذكر لنا ضمناً شخص المسيح الذي قال فيه بولس « لانارة معرفة مجد الله في وجه يسوع المسيح » . (ج) وغاية عملك مزدوجة: من جانب الله « أن تعد طريقه » ، ومن جانب شعبه « ان تعطي شعبه معرفة الخلاص بمغفرة خطاياهم » — كأن الخطايا سحابة سوداء مظلمة تحجب نظر الانسان عن أن يرى الله، وتمنعه عن التمتع برؤية الخلاص ومعرفته . وزوال

٧٨ بأحشاء رحمة إلهنا التي بها افتقدنا المشرق من العلاء ٧٩ ليضيء
على الجالسين في الظلمة وظلال الموت لكي يهدي أقدامنا في طريق
السلام ٨٠ أما الصبي فكان ينمو ويتقوى بالروح وكان في البراري
الى يوم ظهوره لاسرائيل .

الخطايا فيه انقشاع لهذه السحابة ، وبالتالي يرى الانسان الرب وخلاصه .

ان زكريا الذي بدأ تسبحته كالنسر المحلق في الفضاء، يأبى على نفسه أن يختم تسبحته وهو مثبت نظره في ابنه الصبي. من أجل ذلك نراه يعود محلقاً، مرتفعاً في سموه كما في البداءة، فيمجد «أحشاء الرحمة» أو «الرحمة القلبية» التي منبعها «أحشاء الله» - التي افتقدنا بها المسيح «المشرق من العلاء» الذي كان في ظهوره كالشمس وهي تشرق وتضيء في قوتها ، أو كالقمر وهو يرسل أشعته على المسافرين في البرية في قلب الظلام فيبدد أمامهم « الظلمة وينير لهم ظلال الموت » .. « ويهدي شعبه الى طريق السلام » واذا كانت الظلمة رمز الى الخوف ، والخطية ، والحزن ، والجهل ، والشك ، والشقاوة . فان النور يرمز الى الأمان ، والقداسة ، والسرور ، والمعرفة ، واليقين ، والسعادة .

عدد (٨٠) يختم لوقا هذا الاصحاح بخاتمة تاريخية كعادته، يشير فيها الى الصبي يوحنا في: (١) شخصيه: « كان ينمو » (ا) بالجسد، ويتقوى (ب) «بالروح»، وفي (٢) مكانه « كان في البراري » ولعله سكن أحد الأديرة على شاطىء البحر الميت (٣) زمانه « الى يوم ظهوره لاسرائيل » في خدمته التي كانت ممهدة لخدمة المسيح ، كما يمهد الحرث الأرض لتُلقى عليها خير البذار .

الاصحاح الثانى

١ وفي تلك الأيام

ميلاد المسيح (٢ : ١—٢٠)

بهذه الأعداد ، يسطر الكاتب في سجل الوحي ، معجزة الدهور . فيحدثنا عن ميلاد أعظم شخصية في التاريخ .

ان هذه الرواية تستمد صدقها ويقينها ، من بساطتها . لأن الذهب الصافي لا يحتاج الى طلاء ، والسيف اليماني لا يعوزه صقل ولا بريق . وسهام نور الشمس في غنى عن أن تجملها الألوان الخادعة ، الكاذبة الخلابة .

في صمت العصور المظلمة ، أرسل الله « الكلمة » . وعندما بلغ اليأس من النفوس أشده ، أشرق نور « المُشرق من العلاء » . وعند ما فشلت حكمة اليونان ، واستوت النجاسة في معابد الرومان ، ونضج الانتظار والرجاء في قلوب المتقين ، إذا « كوكب الصباح » قد لاح ، وشمس البر قد أشرقت والشفاء في أجنحتها ، إذ جاء المسيح .

في هذا الفصل نرى : (أ) ميلاد المسيح (٢ : ١—٧) (ب) الملائكة تعلن هذا الميلاد ٢ : ٨—١٤ (ج) الرعاة يصدقون ويبشرون (٢ : ١٥—٢٠)

(أ) ميلاد المسيح (٢ : ١—٧) قضى الله في القديم ، أن يولد المسيح من بيت لحم ، لا من الناصرة ، حيث تسكن أم المسيح قبل ولادته . ومتى قضى الله أمراً قال له كن فيكون . ومتى وعد وعداً ، سخر في انجازه كل القوات .

صدر أمر من أوغسطس قيصر بأن يكتتب كل المسكونة ٢ وهذا الاكتتاب الأول جرى إذ كان كيرينيوس والي سورية

وفي هذه الأعداد التي أمامنا نرى القوة الرومانية الوثنية ، تتفق مع السلطة اليهودية الدينية ، في إتمام ما قضى به الله أن يكون .

كان أوغسطس قيصر ، امبراطور روما وقتئذٍ . واسمه الأصلي اكتافيوس قيصر ، لكنه نال لقب «أوغسطس» من مجلس الأعيان في روما . أصدر هذا الامبراطور أمراً عالياً بأن يكتتب «كل المسكونة» — أي كل سكان البلاد التي بسط ذلك النسر جناحيه عليها ، وكان هذا الأمر قد صدر اشباعاً لشهوة عظمته، وافتخاراً بامتداد نفوذه وسلطته ، وتمهيداً لجمع الضرائب التي يجبيها من رعاياه .

وكان الوالي على سوريا وقتئذٍ يوليوس كيرينيوس ، الذي أقيم على سوريا مرتين — أولاهما في سنة ٤ قبل الميلاد . واستمر في ولايته الى السنة الأولى بعد الميلاد،والمرة الثانية من سنة ٦ بعد الميلاد الى سنة ١١ بعد الميلاد. في المرة الأولى تم الاكتتاب الأول الذي نحن بصدده الآن، وفي المرة الثانية حدث اكتتاب آخر ، جاء ذكره في (أعمال ٥:٢٧)

لو تم الاكتتاب الأول على النظام الروماني ، لما تحتم على مريم العذراء أن تترك الناصرة . لأن نظام الاكتتاب عند الرومان يجيز لكل واحد أن يكتب اسمه في أي مكان يتفق له الوجود فيه ساعة الاكتتاب . ولكن الرومان، مماثلةً منهم لليهود ـ من جانبهم، وتنفيذاً لقضاء الله وهم لا يعلمون،

٣ فذهب الجميع ليكتتبوا كل واحد إلى مدينته ٤ فصعد يوسف
أيضاً من الجليل من مدينة الناصرة إلى اليهودية إلى مدينة داود التي
تدعى بيت لحم لكونه من بيت داود وعشيرته

أمروا ، بأن يتم هذا الاكتتاب على النظام اليهودي ، الذي يحتم بأن يكتتب كل انسان في البلد الأصلي الذي ينتسب اليه .

من هذا نرى أن سلطة الرومان وحدها لم تكن كافية لتنفيذ قضاء الله، لولا تذرعها بالنظام اليهودي . وان النظام اليهودي وحده من غير أن تدعمه سلطة الرومان ، كان عاجزاً عن إتمام ما سبق فقضي به الله . فكان من الضروري أن تتفق هاتان القوتان المتناقضتان — السلطة الرومانية الوثنية والنظام اليهودي الديني — لتنفيذ قضاء الله بوجوب ولادة المسيح في بيت لحم ، لا في الناصرة حيث تسكن أمه .

« فذهب الجميع » إطاعة للأمر الروماني المصطبغ بالصبغة اليهودية ، « ليكتتب كل واحد إلى مدينته » . لأن الاحصاء كان يتم بالأسباط ، فالعشائر ، فالبيوت ، فالأفراد (سفر العدد ١ : ٢)

كان يوسف وخطيبته مريم من بيت لحم أي « بيت الخبز » التي منها خرج المسيح خبز الحياة،الذي صار حياة العالم.وكانت هذه المدينة مسقط رأس داود الملك رأس عائلتهما (١صم ١٦ :١) فكان عليهما أن يسيرا مسافة تقرب من ٧٠ ميلاً — من الناصرة إلى بيت لحم — وكانا في سفرهما الطويل المُمل يظنان انهما منفذان أوامر أوغسطس القاهرة ، وهما لا يعلمان انهما متممان

٥ ليكتتب مع مريم امرأته المخطوبة وهي حبلى ٦ وبينما هما هناك
تمت أيامها لتلد ٧ فولدت ابنها البكر وقمطته وأضجعته في المذود إذ
لم يكن لهما موضع في المنزل ٨ وكان في تلك الكورة رعاة متبدين

إرادة الله الساهرة على كلمته لتجريها (ميخا ٥: ٢ وارميا ١: ١٢) وكانت نهاية السفر شاقة، مملة، لأن بيت لحم ترتفع ٢٠٠٠ قدم عن سطح البحر. وإذ بلغاها بعد جهد جهيد، وجدا الفنادق التي فيها مزدحمة بالنازلين الذين جاءوا مثلهما للاكتتاب، فوجدا نزلاً وضيعاً، ومن ذلك النزل اجبرا على أن يحلا محلاً وضيعاً، لأنه لم يكن لهما موضع فيه. وفي سكون الليل الرهيب والناس جميعاً نيام غافلون، وضعت مريم «ابنها البكر» وهي في وحدتها، بعيدة عن كل عين تعطف، وعن كل قلب يشجع، فقمطته بنفسها، وأضجعته في المذود — حالة ما أوضعها!! لكي: (ا) يُخزي المسيح بها غنى العالم الكاذب وأمجاده. (ب) ولكي يمجد الفقر الشريف. (ج) ولكي يغنينا بفقره.

(ب) الملائكة تعلن الخبر للرعاة ٢: ٨—١٤. بقيت ولادة المسيح سراً غامضاً، مستوراً عن عيون الملوك والعظماء في قصورهم. محجوباً عن أبصار الكتبة والفريسيين وبصائرهم. لأن الأرض صمتت عن أن تتحدث بهذا الميلاد العجيب. وحينما تصمت الأرض تتكلم السماء، وحينما تتكلم السماء، لا تسمعها إلا الآذان المصغية، والقلوب المنتظرة.

ما رآه الرعاة (٢: ٨و٦) — أرسل الله ملاكه إلى الرعاة المتبدين — أي

يحرسون حراسات الليل على رعيتهم ٩ وإذا ملاك الرب وقف بهم ومجد الرب أضاء حولهم

الساكنين في البادية والخلاء — وهم يحرسون حراسات الليل على رعيتهم . ولعلهم كانوا يحرسون بالتناوب و يقول إدرشيم ، انهم كانوا يحرسون الأغنام التي تقدم منها ذبائح الهيكل على ممر السنة . وكما وقف ملاك في العهد القديم لطرد آدم من الجنة ، وحراستها من دخول الانسان اليها ، وقف ملاك العهد الجديد بالرعاة ليدخلهم ، في مقدمة البشرية ، إلى جنة الفردوس المردود . « ومجد الرب أضاء حولهم » . الكلمة « مجد الرب » هي المستعملة في العهد القديم « شكينا » رمزاً لسكن الله وحضوره (خروج ١٦ : ٧) . وكان من الطبيعي أن يظهر ملاك الرب للرعاة ، وأن يقف بهم ، كما وقف ملاك الرب ببولس (أعمال ٢٧: ٢٣) للاعلان وللتشجيع. فهم الذين كانوا عائشين عيشة التأمل، بينما كانوا يرعون أغنام الذبح. فبكل سهولة توجه أنظارهم إلى « حمل الله » . وكان في قلوبهم ملء الانتظار والتعبد ، لأنهم كانوا « مرتفعين » على الجبال العالية ، هناك الهواء الصافي ، ونور الشمس البهيج ، حيث لم تصل يد انسان لتنجس وتلوث . ولا شك أن مثل هذه الحياة تربي في الانسان فضيلة الاخلاص ، والطهارة ، والحرية ، والوداعة ، والصراحة .

وهل غريب أن يظهر الله لهؤلاء الرعاة؟ ألم يكن يعقوب وابرهيم وداود رعاة ؟ ألم يقل الكتاب عن المسيح انه الراعي الصالح، ورئيس الرعاة، وراعي الخراف العظيم ؟؟ —وهكذا أخفى الله حكمته عن الحكماء والفهماء وأعلنها للاطفال!

فخافوا خوفاً عظيماً ١٠ فقال لهم الملاك لا تخافوا . فها انا ابشركم بفرح عظيم يكون لجميع الشعب

ما شعر به الرعاة (٢:٩) شعر الرعاة «بخوف عظيم» لانهم رأوا مجدالله في الليل . وهذا المنظر لم يألفوه من قبل .

رسالة الملاك (٢ : ١٠ — ١٢) فقال لهم الملاك «لا تخافوا فها انا أبشركم بفرح عظيم » . في هذا: (أ) تشجيع : « لا تخافوا » هذه هي الكلمة التي استعملها الله قديماً ، تشجيعاً لشعبه . وقد وردت بكثرة في سفر اشعياء (ب) بشارة : « ها انا أبشركم بفرح عظيم » . والتبشير والبشارة من اصل « بَشَر » وهي البِشْرَة أو الجلد . وقد استعملت كذلك لأن الخبر الطيب تهتز له أوتار القلب في الداخل ويعبر عنه تأثير البشرة في الخارج . هذه هي أول نبرة من نغمة الانجيل المقدس ، وقد بلغت قلوب الرعاة ، قبل أن تبلغ قلوب غيرهم ، لأن الانجيل هو البشارة . إن الفرح العظيم الذي بُشّر به الرعاة ، يقابله البؤس العظيم الذي كان مخيماً على الأمة اليهودية ، وعلى رؤسائها في تلك الاوقات . ومن فرط مراحم الله لم يكتفِ بان يجعل هذا « الفرح العظيم » مقتصراً على الرعاة ، بل جعله من نصيب كل من كانت قلوبهم في الصفاء ، والنقاوة ، والانتظار ، كقلوب الرعاة ، — «جميع الشعب» أي « شعب الله » الذي لم تعبث به بعد ألاعيب الكتبة والفريسيين . وهم مختارو الله ، من اليهود أولاً ثم من الرومان

على أن ذلك الفرح قد سمي« عظيماً » : (١) نسبة «للخبر العظيم» الذي

١١ انه ولد لكم اليوم في مدينة داود

يحمله (ب) «وللشخص العظيم» الذي هو موضوعه. (ج) «وللخلاص العظيم» الذي نتج عنه (د) «وللمسئولية العظمى» التي تترتب عليه : «فكيف ننجو نحن إن أهملنا خلاصاً هذا مقداره ؟ . (ه) وللرسالة العظمى التي يقدمها «ولد لكم اليوم في مدينة داود» . وربما كانت الكلمة المركزية في هذه الآية الكلمة «لكم» . فهي حلقة الاتصال بين فقر الرعاة و بين أمجاد هذا المخلص العظيم . ان المسيح لا يكون لنا إلا بقدر ما نكون نحن له . فعلى قدر ما نعطيه نأخذ منه وعلى قدر ما نخسر لأجله ، نكسب منه . فكل خسارة لأجله ربح . وكل بذل في سبيله هو نعم التمتع . ومن الغريب أن كلمة «مخلِّص» استعملت مرة واحدة فقط غير هذه المرة في البشائر (يوحنا ٤ : ٤٢) . ويراد بكلمة «المسيح» معنيان ـ معنى عام «أي الممسوح» . فهي اسم المفعول من مَسحَ ، ومعنى خاص : أي الفادي الوحيد ، الذي مسحه الله بالروح القدس ، والقوة ، ليكون ملكاً ، وكاهناً ، ونبياً ، في وقت واحد ، فهو الشخص الوحيد الذي جمع هذه الوظائف الثلاث معاً : فهو الكاهن الملك ، وهو الملك الكاهن ، وهو الكاهن الملكي المتنبي . ومن المهم أن نلاحظ أن الثلاث الكلمات «المسيح . الرب . المخلص» لم ترد مقترنةً معاً عن شخص المسيح إلا في هذه المرة. ومعناها مجتمعةً : « يسوع المسيح هو يَهْوه » لأن فيه اتحدت كل أمجاد العهد القديم بأمجاد العهد الجديد . فالمسيح هو روح النبوة والخلاص والمجد . في هذه الآية نرى: (ا) مقام الفادي : «الرب». (ب) مكان الفادي : «بيت

مخلص هو المسيح الرب ١٢ وهذه لكم العلامة تجدون طفلاً مقمطاً
مضجعاً في مذود ١٣ وظهر بغتة مع الملاك جمهور من الجند السموي
مسبحين الله وقائلين

داود » . (ج) عمل الفادي : « مخلص » (د) وظيفة الفادي : «المسيح» (ه) خاصة الفادي : ـ الرعاة ـ «لكم» . ومَن على ايمان الرعاة واخلاصهم

لم يطلب الرعاة علامة ليميزوا بها الطفل . لكن الملاك تبرّع لهم بها ، حين قال « وهذه لكم العلامة تجدون طفلاً مقمطاً مضجعاً في مذود » . ليست هذه علامة غريبة في ذاتها ولا هي بالمعجزة في نفسها ، ولكن غرابتها في أنها تتعلق بأكبر شخصية جاءت أرضنا فكان هذا حظها من أرضنا

تسبيح الملائكة (٢: ١٣ و ١٤) صار الملاك أول كارز بالانجيل فصارت كرازته أنشودة . ولما كان لكل أنشودة قرار ، ظهر بغتة مع الملاك جمهور من الجند السماوي ، وهم بعض المحيطين بعرش الله (١ ملوك ٢٢ : ١٩ و ٢ أيام ١٨:١٨ ومزمور ١٠٣ :٢١) فكانوا في ظهورهم مسبحين الله . وما أكثر الاناشيد التي خلقها ميلاد المسيح . هذه هي المرة الثانية التي سبح فيها جند السماء في تاريخ الكتاب : في المرة الاولى سبحت الملائكة عند ما أكملت الخليقة ، وهذه هي المرة الثانية حينما أكمل المسيح الخليقة الثانية بفدائه ، بالتجسد : وفي المرة الثالثة ستسبح الملائكة عند ما يتم تدبير الفداء وينفذ فتصير كل ممالك الارض للرب ولمسيحه

١٤ المجد لله في الأعالي وعلى الأرض السلام وبالناس المسرة ١٥ ولما
مضت عنهم الملائكة الى السماء قال الرجال الرعاة بعضهم لبعض

في هذا القرار الذي سبحت به الملائكة نسمع ثلاثة مقاطع: (ا) «المجد لله في الاعالي» هذه صلة التجسد بالله ، انه أعلن مجد الله. (ب) «على الارض السلام» هذه صلة التجسد العامة «بالارض» عموماً . انه صنع سلاماً بين السماء والارض . (ج) «وبالناس المسرة» : هذه صلة التجسد الخاصة بالبشر بنوع أخص . لانه قدم للمؤمنين من البشر بشارة « الانجيل» ـ أى الخبر الطيب السار ، الذي أُعلنت فيه إرادة الله الصالحة ، ورضاه الفياض بالخير العميم على البشر . وقد يترجم الجزء الاخير هكذا : « بالناس الذين قد سر بهم الله . » وهذه تعود على «السلام» الوارد في المقطع الثانى من هذا القرار

هذه المقاطع الثلاثة تتمشى معاً في حقلين متوازيين ، متوازنين ، متجانسين ، متطابقين

(١) المجـد (٢) لله (٣) في الاعالي

(٢) السلام (٢) بالناس (٣) على الارض

ألا تتجلى لنا في هذا القرار التضحية العظمى من جانب الملائكة ؟ لانها لم تسبح بالمسرة للملائكة بل «للناس» ولم تهتف بسرور «السماء» بل بسلام «الارض» ؟

(ج) الرعاة يصدقون و يبشرون (٢:١٥ـ٢٠) لما مضت الملائكة عن الرعاة

لنذهب الآن إلى بيت لحم وننظر هـذا الأمر الواقع الذي أعلمنا به الرب ١٦ فجاءوا مسرعين ووجدوا مريم و يوسف والطفل مضجعاً في المذود ١٧ فلما رأوه أخبروا بالكلام الذي قيل لهم عن هذا الصبي ١٨ وكل الذين سمعوا تعجبوا مما قيل لهم من الرعاة ١٩ وأما مريم فكانت تحفظ جميع هذا الكلام متفكرة به في قلبها

تشاور الرعاة فيما يجب عمله ولم يتوانوا لحظة عن أن يذهبوا إلى بيت لحم . بل ذهبوا تواً «الآن». لانهم وجدوا أنفسهم أمام أمر يقيني واقع، يجب أن يعرفوه و يتحققوه . ولم يخافوا على رعيتهم من ذئاب الليل ، لأنهم سلموا أنفسهم ورعيتهم لراعي الخراف العظيم .

« فجاءوا مسرعين » من فرط سرورهم بالخبر الذي سمعوه، وشوقاً إلى ما كانوا ينتظرون « فوجدوا مريم و يوسف والطفل مضجعاً في مذود » ـ وفي هذا انتقال عظيم من الوجود في حضرة الملائكة ومجد الله إلى جوار طفل وديع في مذود ـ فتيقنوا من العلامة التي حدثهم الملاك عنها، وأخبروا كل من رأوا «بالكلام الذي قيل لهم عن هذا الصبي» فكان لبشارتهم هذه تأثير مزدوج جانبه الاول: على السامعين بوجه عام، وهو تأثير سطحي «تعجبوا» إذ امتزج فيهم السرور بالشك واليقين،وجانبه الآخر:على مريم بنوع خاص وهو تأثير عميق« كانت تحفظ هذا الكلام متفكرة به في قلبها» إذ امتلأ قلبها بالثقة والحمد . وهذه الكلمات تكشف لنا ناحية من نواحي قلب أم المخلص. انها كانت وديعة . هادئة . متفكرة . رزينة . كما انها تعرفنا عن وقع الكلام

٢٠ ثم رجع الرعاة وهم يمجدون الله ويسبحونه على كل ما سمعوه
ورأوه كما قيل لهم ٢١ ولما تمت ثمانية أيام ليختنوا الصبي سُمي يسوع

على ذاكرتها وفكرها وقلبها. فالذاكرة هي السلسلة الذهبية التي تربط الهبات السماوية معاً. وهي المغناطيسية الكبرى التي تجتذب اليها أطيب معاملات الله معنا، لتحصيها أمام الناس وتصفها. فما أحوجنا إلى التأمل والتفكير بعد السمع

بعد ذلك يطوي لوقا صحيفة هؤلاء الرعاة فيختتم قصتهم بالقول «ثم رجع الرعاة وهم يمجدون الله ويسبحونه: (ا) «على كل ما سمعوه» . من الملاك ، (ب) «ورأوه» في ـ بيت لحم ـ «كما قيل لهم». وفيما بعد لا نسمع عنهم شيئاً ما أشبههم بسفينة سائرة على البحر ، يسطع عليها نور القمر فتتلألأ بجمال بهيج فلما عبرت عنها تلك السهام القمرية الفضية ، لم يعد أحد يراها فيما بعد . أو كبلبل صادح رفع صوته مغرداً، فاستمعنا لصوته الجميل ، ثم حلق في الفضاء مسبحاً ، فبعد صوته عن أن نسمعه ، وبَعُد هو عنا فتعذرت علينا رؤيته .

الختان (٢ : ٢١)

جاء المسيح «في شبه» جسد الخطية (رومية٨:٣) «من ثم كان ينبغي أن يشبه اخوته في كل شيء» (عبرانيين٢:١٧) ولانه وُلد « تحت الناموس» (غلاطية ٤:٤) لذلك تمم كل فرائض الناموس باعتباره «ابن ابرهيم» ـ له ميزات هذه النسبة، وعليه واجباتها والتزاماتها. فكان ختانه أول خطوة في إرادة الآب ، فيها سُكبت أولى القطرات من دمه الفدائي، وفيها شعر لأول مرة بالألم من أجلنا، لأنه لاق به أن يتمم كل بر. (متى ٣:١٥) « لأنه لم يأت لينقض بل ليكمل »

كما تسمى من الملاك قبل أن حبل به في البطن ٢٢ ولما تمت أيام تطهيرها
حسب شريعة موسى صعدوا به إلى أورشليم ليقدموه للرب ٢٣ كما هو
مكتوب في ناموس الرب ان كل ذكر فاتح رحم يدعى قدوساً للرب

تم الختان في اليوم الثامن حسب أمر الناموس (تكوين ١٧:١٢) وفي هذا اليوم كان يُسمى المولود . حسب عادة اليهود ، فسمّي « يسوع » « كما تسمى من الملاك قبل أن حبل به في البطن » .

تقديم الطفل في الهيكل (٢:٢٢—٣٨)

(أ) الفريضة نفسها (٢:٢٢—٢٤) ، (ب) سمعان الشيخ (٢ : ٢٥—٣٥) (جـ) حنة النبية (٢ : ٣٦ — ٣٨)

(أ) كانت الأم اليهودية تلازم بيتها مدة أربعين يوماً ، بعد ولادة الطفل الذكر ، حتى تتم أيام تطهيرها حسب شريعة موسى في (لاويين ١٢) وهذا تطهير طقسي لا أدبي. وعند إتمام هذه الفريضة « صعد يوسف ومريم بالطفل يسوع إلى الهيكل في أورشليم ـ ومعهم بعض الأقارب ـ « ليقدموه للرب » أي ليكرسوه له . لان الرب أوصى بني اسرائيل عند قتل أبكار المصريين ، قديماً بأن « كل ذكر فاتح رحم يدعى قدوساً للرب » فكان يفتديه أهله من خدمة الهيكل بخمسة شواقل ، اعترافاً منهم بحق الله عليه وفيه . واقراراً منهم بأنه مقدس ومكرس لله . وقد تم هذا الأمر في المسيح يوم أن كان طفلاً ، سيما لأن الملاك قال لمريم : « المولود منك يدعى قدوس الله » .

٢٤ ولكي يقدموا ذبيحة كما قيل في ناموس الرب زوج يمام أو
فرخي حمام ٢٥ وكان رجل في أورشليم اسمه سمعان . وهذا الرجل
كان باراً تقياً

فصعد به يوسف ومريم. و « الصعود » هنا إما أن يكون: (١) معنوياً دينياً — لا جغرافياً ، لان بيت لحم اكثر ارتفاعاً من أورشليم . لان اليهود كانوا يُطلقون على أورشليم كلمة العليا (غلاطية ٤ : ٢٦) لان فيها الهيكل والعبادة حيث تسمو النفس الى خالقها . أو أن يكون الصعود: (ب) جغرافياً باعتبار أن أورشليم نفسها مبنية على جبل مرتفع والذاهب اليها — بصرف النظر عن البلد الذي جاء منه — ينبغي أن يصعد اليها .

كان الناموس يفرض أن يُقدَّم عن تطهير المرأة ، حملا حولياً كمحرقة وحمامة أو يمامة كذبيحة (لاويين ١٢: ٨) ولفقر يوسف ومريم، لم يكن في إمكانهما إلا أن يقدما تقدمة الفقراء — وهي زوج يمام أو فرخي حمام . ولئن كانت مريم أفقر من أن تقدم خروفاً حولياً ، إلا أن الرب أنعم عليها بغنى جزيل ممتاز ، إذ قدَّمت « حمل الله الذي يرفع خطية العالم ».

كوكبان نيِّران:(٢: ٢٥-٣٥) ان الشمس وهي في بهائها تُرسل أشعتها الذهبية ، على نجوم كثيرة فتنيرها . كذلك لم ينسَ لوقا وهو يصف لنا شمس البر، أن يحدثنا عن بعض « الكواكب »، التي كانت قريبة منه، فاستنارت بنوره . ففي هذه الاعداد يحدثنا عن كوكب منها وهو سمعان . وفي (٢: ٣٦ - ٣٨) يحدثنا عن كوكب آخر هو حنة .

ينتظر تعزية اسرائيل والروح القدس كان عليه ٢٦ وكان قد أوحي
اليه بالروح القدس انه لا يرى الموت قبل ان يرى مسيح الرب

الكوكب الاول ــ سمعان

(١) وصف عام له (٢ : ٢٥—٢٨) (٢) تسبحته (٢ : ٢٩—٣٢)
(٣) كلامه ليوسف ولمريم (٢ : ٣٣—٣٥)

(١) وصف عام لسمعان : ان الله لم يترك نفسه بلا شاهد . هذا سمعان ، رجل مجهول ـ معناه «مستمع» : (أ) يشير اليه لوقا بالقول : «رجل في أورشليم» (ب) ثم يصف حياته العامة، في نظر الناس بالقول : « بار » بحسب الناموس (ج) و يصف حالة قلبه الداخلي ، في نظر الله بالقول « تقي » (د) ثم يصف صلته بأمته والكنيسة بالقول : « ينتظر تعزية اسرائيل » لان الخلاص الذي يقدمه المسيح المنتظر كان يعتبره عنه اليهود في لغتهم «تعزية» (اشعياء ٤٠ : ١ و ٦٦ : ١٣) ولان اليهود كانوا يتوقعون أيام ضيق قبل مجيء المسيح، فيكون مجيئه تعزية. ولانه قال عن الروح القدس «معزياً آخر» كأنه شهد عن نفسه انه المعزي الاول

ان سر حياة ذلك الرجل مكنون في القول «والروح القدس كان عليه». وهذه احدى المرات الكثيرة التي يشير فيها لوقا الى «الروح القدس» في بشارته

« أوحى الروح القدس لسمعان » ـ إما بالرؤيا والاعلان ، أو بالاقناع الداخلي أو بروح النبوة « انه لا يرى الموت قبل ان يرى مسيح الرب » «أو الرب المسيح» (مزمور ٢ : ٢ وأعمال ٤ : ٢٦). ويقول التقليد (الحديث المسيحي) ان هذا الاعلان جاءه بعد أن تحيّر باخلاص في معنى الآية « هوذا العذراء

٢٧ فأتى بالروح الى الهيكل . وعند ما دخل بالصبي يسوع أبواه ليصنعا له حسب عادة الناموس ٢٨ أخذه على ذراعيه وبارك الله وقال ٢٩ الآن تطلق عبدك يا سيد حسب قولك بسلام ٣٠ لأن عينيّ قد أبصرتا خلاصك

تحبل وتلد ابناً » (اشعياء ٧:١٤) « فأعلن الروح له » انه لن يرى الموت حتى يرى ان هذه الآية قد تمت . فأتى مقتاداً بالروح القدس الى الهيكل . وعندما « دخل بالصبي يسوع أبواه » ــ أي يوسف أبوه ــ على ما كان يُظَنّ (لوقا ٣ : ٢٣) ومريم أمه ، عرفه حالاً باشارة خاصة من الروح . ويقول التقليد ان هذه الاشارة الخاصة هي انه رأى أشعةً من النور تنبعث من وجه الطفل المنير فعرفه. ولعل التقليد يستند في هذا الى قول سمعان عن المسيح بعد أن رآه على هذه الحال « نور اعلان للأمم » .

« أخذه سمعان على ذراعيه » . ما أعجب ان نرى سمعان في شيخوخته يحمل بين يديه المرتعشتين،ذاك الذي حمل سمعان وخطاياه على عود الصليب، والذي قال فيه كاتب الرسالة الى العبرانيين «حامل كل الاشياء بكلمة قدرته»

(٢) تسبحة سمعان (٢:٢٩-٣٢). (١) المقطع الاول من هذه التسبحة (٢: ٢٩و٣٠) يرينا سمعان نفسه كعبد حارس في الليل.وقد قيّده سيده بأمر عالٍ وأوصاه بأن يلازم مكانه . وألاّ يبرحه ، إلا متى رأى « كوكب الصبح » . عندئذٍ يكون في حل من أمر سيده « فينطلق » . فعند ما رأى سمعان « كوكب الصبح » ــ المسيح ــ بعد انتظار طويل، هتف قائلاً « الآن تطلق عبدك يا سيّد حسب قولك بسلام لأن عينيّ قد أبصرتا خلاصك »

٣١ الذي أعددته قدام وجه جميع الشعوب ٣٢ نور اعلان للأمم ومجداً
لشعبك اسرائيل ٣٣ وكان يوسف وأمه يتعجبان مما قيل فيه

(ب) المقطع الثاني(٢: ٣١و٣٢) نرى فيه سمعان حراً طليقاً لأنه رأى خلاص الرب. وهذه هي المرة الوحيدة في الأناجيل التي وردت فيها كلمة « خلاص » بهذا المعنى ـ « اداة الخلاص » أو « واسطة الخلاص » . وهنا حلّق سمعان في العلاء ورأى الخلاص بزرة، زُرعت ، فأينعت ، فأثمرت ، فانتشرت ثمارها « قدام وجه جميع الشعوب » .. وزاد على ذلك فامتد بصره وبَعُد ، فرأى هذه البزرة وقد استحالت نوراً للأمم ، واذا هذا النور ، قد تكمل ، فصار « مجداً » لشعب الله « اسرائيل ». فما أوسع قلب سمعان وما أبعد نظره، لأنه جمع بين الأمم واسرائيل في نظرته البعيدة ، وقلبه المتسع .

ولا يفوتنا أن هذا المنظر تمّ في دار الأمم،فذكر سمعان أن هذا الخلاص « نور » للأمم، « ومجد » لليهود . وما أصدق بصيرة سمعان لأنه رأى بعين النبوة ، برنامج المسيحية الأتم ـ « نور الأمم » أولا ثم « مجد اسرائيل » بعد أن يكمل « ملء الأمم » (رومية ١١) .

تأثرات مريم ويوسف(٢: ٣٣): سمع يوسف ومريم هذا الكلام، فكانا يتعجبان، لأن السر الذي أعلنه لها الله في الخفاء، أضحى مُعلَناً لذلك الرجل سمعان . ولأن معاني جديدة ، واسعة وعميقة ، كانت تتكشف ، وتنبسط أمامهما ، من كلمات الملاك الأولى لهما منذ البداءة .

٣٤ وباركهما سمعان وقال لمريم أمه ، ها أن هـذا قد وُضع لسقوط وقيام كثيرين في اسرائيل ولعلامة تقاوم ٣٥ وأنت أيضاً يجوز في نفسك سيف . لتعلن أفكار من قلوب كثيرة

(٣) كلمات سمعان لهما (٢:٣٤و٣٥). «فباركهما سمعان» ، ان سمعان يُرى أمامنا هنا كاهناً ، ونبياً ـ (١) كاهناً : لأنه باركهما . ولعله كان شيخاً ، وكاهناً. ويهمنا أن نذكر أنه لم يبارك المسيح. لأن البحر لا يحتاج الى قطرات الماء . (ب) ونبياً : لانه فاه لمريم بكلمتين ـ أولاهما عن مستقبل ابنها فوصفه (١) « بالصخر » (اشعياء ١٤:٨) لانه « وُضع لسقوط وقيام كثيرين » ـ لان الشمس التي تذيب الشمع تُقَسّي الطين . (ب) ووصفه ايضاً بالعلامة التي تقاوَم من هؤلاء الذين يسقطون بسببه . أوَ لم يكن صليب المسيح نتيجة مقاومة الناس له ؟؟

عدد٣٥ـ من كلامه عن تأثير المسيح على الناس، انتقل سمعان الى الكلام عن التأثير الذي يعود على مريم ، فوجّه اليها الخطاب قائلا : « وأنت ايضاً يجوز في نفسك سيف » ـ الألم ـ عند ما تنظرين مقاومة الناس لابنك ، وقد نضجت، وتكوّنت، وتكمّلت، في الصليب ـ عندئذٍ « ستعلن أفكار من قلوب كثيرة » أي من قلوب الكتبة والفريسيين ، الذين يظهرون الآن بمظهر المتعبدين لله ، والحريصين على حفظ ناموسه وأحكامه ، فسوف يأتي اليوم، أمام نور الصليب، الذي فيه تنكشف خبايا قلوبهم. حينئذٍ يكون الصليب خير محك لمعرفة الخراف من الجداء . والحكم الفاصل بين اللص التائب

٣٦ وكانت نبية حنة بنت فنوئيل من سبط أشير . وهي متقدمة
في أيام كثيرة . قد عاشت مع زوج سبع سنين بعد بكوريتها
٣٧ وهي أرملة نحو أربع وثمانين سنة لا تفارق الهيكل عابدة بأصوام
وطلبات ليلاً ونهاراً

والص العنيد المجرم» (يوحنا ١٠:١٦ و١ كورنثوس ١١:١٩ و١ يوحنا ٢:١٩)
هذا انتقال عجيب وسريع، من بهجة الأغاني والنشيد، الى ظلال الصليب

الكوكب الثاني — حنة (٢ : ٣٦ — ٣٩)

(٣٦) الكوكب الثاني الذي يرينا اياه لوقا هو « حَنَّة » ومعناها «حنان الله ». وهي نبيّة، مثل مريم ودبورة قديماً ، وعشيرتها من سبط أشير ، وهي بنت فنوئيل ، من احدى العائلات التي جاءت قديماً الى اورشليم . لتحفظ الفصح ، اجابةً لنداء حزقيا الملك قبل سبي العشرة الأسباط بستة أعوام (٢ أيام ٣٠:١ ـ ١١) أي قبل ميلاد المسيح بمدة تزيد عن ٧٠٠ عام .

(٣٧) كانت حنة هذه ، متقدمة في أيام كثيرة ، يزيد عمرها عن ١٠٠ سنة . لأن الأربع والثمانين سنة المذكورة هنا هي التي عاشتها في ترمّلها . وهي تمتاز عن سمعان في ان سمعان كان يحضر الى الهيكل أحياناً كثيرة «بالروح». لكن حنة كانت عائشة في الهيكل «ملازمة» إياه ، عابدة بأصوام وطلبات ليلاً ونهاراً . كأن حياتها كانت ، حساً ومعنىً ، في هيكل الله ، وفي التعبد له ـ هذه هي التي عاشت لله وماتت عن العالم (١ تيموثاوس ٥:٥)

٣٨ فهي في تلك الساعة وقفت تسبح الرب وتكلمت عنه مع جميع
المنتظرين فداء في أورشليم ٣٩ ولما أكملوا كل شيء حسب ناموس
الرب رجعوا الى الجليل الى مدينتهم الناصرة ٤٠ وكان الصبي ينمو
ويتقوى بالروح ممتلئاً حكمة .

يذكر لوقا «الليل قبل النهار» لان اليهود يحسبون بداية اليوم من الغروب أي منذ أول الليل « وكان مساء وكان صباح يوماً واحداً » (تكوين ١: ٥)

(عدد ٣٨) في ساعة دخول المسيح الى الهيكل ، وساعة نطق سمعان بنشيده ، « وقفت » حنة ، على رغم شيخوختها ، وقامت هي بدورها « لتسبّح الله » . « وتكلمت عنه مع جميع المنتظرين فداء في أورشليم » . والكلمة « في أورشليم » تصف المنتظرين . ولا تصف الفداء .

الخاتمة التاريخية (٢: ٣٩و٤٠): بعد ما أكمل يوسف ومريم مطاليب الناموس ، رجعا بالطفل الى الناصرة . وبين هذا العدد والاعداد التي تليه ، تقع – في الترتيب التاريخي – زيارة المجوس ، والهرب الى مصر ، وذبح الاطفال الواردة في بشارة متى .

في (عدد ٤٠) يلقي لوقا نظرة نسر ، على الصبي يسوع ، فيصفه وصفاً مجملاً : (ا) في جسده: « كان ينمو » . (ب) في روحه « ويتقوى بالروح » . (ج) في نفسه وعقله : « ممتلئاً حكمة » . وفي نهاية هذا الوصف يصف حياته بوجه عام: « وكانت نعمة الله عليه » كأنه يريد أن يقدم لنا المفتاح لسر حياة المسيح . والمراد « بالنعمة » رضى الله التام عنه ، والقبول الذي يحوزه لدى الله والناس

وكانت نعمة الله عليه

هذا هو المسيح الانسان ، هذا هو الانسان الكامل ، الذي له جسد ، وعقل ، وروح ، كما لأي انسان آخر — لكن بلا خطية . هذا هو الإله الكامل ، والانسان الكامل ، في وقت واحد . لان اللاهوت أعطى مجالا واسعاً حراً لنمو الناسوت ، نمواً طبيعياً ، كاملاً ، متماثلاً . قابل بين ما قيل عن المسيح هنا و بين ما قيل عن يوحنا في (لوقا ١ : ٨٠) .

ان الذين يريدون أن يعرفوا اكثر من ذلك عن المسيح يكونون كمن يرتفع بأجنحة من الشمع ليحدق ببصره في الشمس ، فانهم ينحدرون الى الاسافل متى ذابت اجنحتهم امام حرارة الشمس قبل ان يبلغوها .

الصبي يسوع (٢ : ٤١ — ٥٢)

تظهر اهمية هذا الفصل الذي امامنا في اننا نرى منه النافذة الوحيدة ، التي تلقي نوراً على حياة المسيح، بين الطفولة والرجولة. لان هذا الفصل يسبقه صمت عميق مدة اثنتي عشرة سنة، و يعقبه سكون رهيب مدة ١٨ عاماً. فضلاً عن ان هذا الفصل يحدثنا عن: (ا) اول كلمة سجلتها البشائر للمسيح « ألم تعلما انه ينبغي ان اكون في ما لأبي». (ب) تحقيق الصبي يسوع، لنوع رسالته على الارض « ينبغي ان اكون في ما لأبي ». (ج) نوع الحياة التي كان يقضيها المسيح في تلك الايام — حياة الطاعة والخضوع والهدوء . « نزل مع مريم و يوسف وكان خاضعاً لهما » : فقد كان كزهرة نقية تنمو بهدوء في الربيع ، وكزنبقة بيضاء تنبت على مجاري الماء .وفي هذا رمز لتجسده على الارض،لانه

٤١ وكان أبواه يذهبان كل سنة الى أورشليم في عيد الفصح .
٤٢ ولما كانت له اثنتا عشرة سنة صعدوا الى أورشليم كعادة العيد .

كابن تعلم الطاعة مما قد تألم به . هذه كانت حياة الاختفاء ، ولكن الى حين ، وهل يختفي نور الشمس ؟؟

في الفصل سالف الذكر ، رأينا وصفاً مجملاً للمسيح في طفولته ، واذا بنا في هذا الفصل امام الصبي يسوع .

(٢ : ٤١) أوصت الشريعة اليهودية بأن يذهب كل الرجال اليهود الى اورشليم في كل سنة، ليعيدوا عيد الفصح (خروج ١٣: ١٧ وتثنية ١٦: ١٦) وصرح هلّيل، رئيس كهنتهم ومفسر الناموس، بأن تذهب النساء ايضاً مع الرجال . والكلمة « عيد الفصح » معناها « عيد العبور » الذي يذكر بني اسرائيل بعبور الملاك عنهم ليلة قتل ابكار المصريين . وكان هذا في منتصف شهر نيسان (ابريل) وكانت الطبيعة وقتئذٍ في عنفوان قوتها ، والحقول في ازدهار خضرتها، والزهور في ريعان زهوتها، وأشعة القمر في بهاء بهجتها، وأناشيد العيد على أقصى شجوتها ورقتها ، إذ كانوا يرنمون ترنيمات المصاعد (مزمور ١٢٠ ــ ١٣٤) . وكان المسافرون يسيرون على قافلتين ــ احداهما للنساء ــ في المقدمة ، والثانية للرجال، في المؤخرة ، و يسير الصبيان الذين تزيد أعمارهم عن الثانية عشرة إما مع الرجال أو مع النساء .

فلما ان بلغ يسوع من العمر ١٢ عاماً ، اضحى ككل صبي يهودي « ابن الشريعة » . وصار له الحق في ان يذهب مع مريم و يوسف، الى الهيكل

٤٣ و بعد ما اكملوا الايام بقي عند رجوعهما الصبي يسوع في اورشليم
ويوسف وأمه لم يعلما ٤٤ وإذ ظناه بين الرفقة ذهبا مسيرة يوم
وكانا يطلبانه بين الاقرباء والمعارف ٤٥ ولما لم يجداه رجعا الى
اورشليم يطلبانه ٤٦ و بعد ثلثة أيام وجداه في الهيكل جالساً في
وسط المعلمين يسمعهم و يسألهم

ليستمع لحوار الحكماء ، في « بيت المدراش » أي في « مدرسة الفقه » .

فذهبت مريم و يوسف و يسوع الى اورشليم. وسرعان ما انقضت أيام العيد الثمانية بلياليها المقمرة الفضية ، وأناشيدها المنعشة الشجية ، فتحولت القافلة رجوعاً . و بعد مسيرة يوم ، وقد دنت قافلة الرجال من قافلة النساء ، استعداداً للعشاء ، وقع يوسف ومريم في حيرة عظمى ، لانهما لم يجدا الصبي يسوع ــ الصبي ولا كل الصبيان ــ لان مريم كانت تظن أن يسوع مع يوسف ، وكان يوسف يظن أن يسوع مع أمه . و إذ ظناه بين الرفقة ، ذهبا مسيرة يوم . لان القافلة طويلة جداً . فقد كان يبلغ عدد المعيدين من رجال ونساء نحو مليونين . ثم أقفل يوسف ومريم راجعين الى اورشليم ، وهما لا يعلمان انه في معية أسمى . وظلا يفتشان عنه ، و يطلبانه ، وهما لم يدريا ، انه جاء الى أرضنا « لكي يطلب و يخلص ما قد هلك » .

« و بعد ثلاثة أيام » ــ انقضى اولها في السفر. والثاني في البحث عنه، والثالث في الرجوع الى أورشليم، وجداه في الهيكل، جالساً وسط المعلمين ، يسمعهم بوداعة في حلم، و يسألهم بحكمة في علم. والكلمة « جالساً في وسط »

٤٧ وكل الذين سمعوه بُهتوا من فهمه وأجوبته ٤٨ فلما أبصراه
اندهشا . وقالت له أمه يا بني لماذا فعلت بنا هكذا . هوذا أبوك
وأنا كنا نطلبك معذبين ٤٩ فقال لهما لماذا كنتما تطلبانني ألم تعلما
انه ينبغي أن اكون في ما لأبي

تفيد الاكرام الذي قُدم لهذا التلميذ الغير العادي . لان التلميذ العادي كان «يجلس تحت قدمي معلمه يُعفّر نفسه في تراب أقدام معلميه» كما يقول التلمود

« فلما أبصراه اندهشا » ولا شك أن دهشتهما هذه، كانت مدهشة في ذاتها ، بعد الذي سمعاه عنه من الملاك وسمعان . أما مريم فقد اختلط في قلبها السرور للقائه،بالألم والحيرة لفراقه.فنسيت انها أمام أعظم شخصية في التاريخ فقالت له بلسان الأم،و بنغمة تمازجها الحيرة والعطف والحنان والعتاب « يا بني لماذا فعلت بنا هكذا ؟ « هوذا أبوك » ـ هذه كانت الصفة الشائعة عن يوسف وقتئذ ـ «وأنا كنا نطلبك معذبين» فأجابهما بلطفه المعهود: لماذا كنتما تطلبانني؟ أتحسبين أنك أنت أمي ؟ وأتقولين أن هذا أبي ؟ إن لي صلة أشرف وعملاً أعظم . « ألم تعلما أنه ينبغي أن اكون في ما لأبي »؟ هذا سؤال فيه جواب نفسه فهو يكشف لنا حقيقة طبيعيَّةً لا تحتاج الى تكلُّف فكل شخص يكون حيث ترتاح طبيعته. وراحة المسيح هنا في الهيكل وفي ما «لأبيه» فمن الطبيعي جداً أن يكون المسيح في ما « لأبيه ». و يكون من المستغرب حقاً أن يكون في عمل أو في مكان آخر وما أعظمَ الفرق بين قول مريم « أبوك » و بين قول المسيح « أبي ». هذه أولى الكلمات التي يسجلها الكتاب للمسيح.

٥٠ فلم يفهما الكلام الذي قاله لهما ٥١ ثم نزل معهما وجاء الى الناصرة
وكأنه خاضعاً لهما . وكانت أمه تحفظ جميع هذه الامور في قلبها

عيشة يسوع في الناصرة (٢: ٥٠و٥٢) : هل يخلو كلام المسيح هذا من تعنيف لطيف لأمه وليوسف اللذين أعلن لهما الملاك كل شيء في البداءة؟ ولكن كل ما عرفه المسيح عن نفسه من مجد لم يمنعه عن أن يرجع معهما الى الناصرة ، حيث كان مطيعاً وخاضعاً لهما في بيت النجار ، يصنع الاخشاب كما يُطلب منه ، ويقول التقليد انه كان يصنع « أنياراً » « وصلباناً » عربوناً لحمله نير الخدمة ، وصليب الموت والعار فيما بعد .

ربما كانت اكبر معجزة عملها المسيح وقتئذٍ هي أنه ضبط نفسه فلم يعمل أية معجزة. فهو لم يتعد الزمن المرتب من الآب، ولم يسبق دقات ساعة الازل . ولكنه بقي كل هذه السنين الطوال حتى بلغ الثلاثين ، لا يعمل معجزة واحدة ، ولا يدّعي صنع المعجزات . لان القوة التي يستخدمها في الكف عن صنع المعجزات ، لا تقل عن القوة التي يستخدمها في عمل المعجزات . فهو قادر في صمته ، قادر في عمله وكلامه .

كان تأثير كلماته على مريم عظيماً .إذ كانت تحفظ جميع هذه الامور في قلبها. راجع (٢: ٩) ولعلها كانت كواقفٍ أمام بحر عميق عظيم لا تسبر غوره ولا تعرف مداه . أما تأثير الكلمات على يوسف ، فيذكر لنا الكتاب انه لم يفهمها مطلقاً. ومنذ هذا الوقت لا نعود نسمع شيئاً عن يوسف. ويقول بعضهم انه بين هذا الوقت وبين ظهور المسيح للخدمة الجهرية ، مات يوسف .

٥٢ وأما يسوع فكان يتقدم في الحكمة والقامة والنعمة عند الله والناس .

(عدد٥٢) يختم لوقا هذا الفصل بكلمة تاريخية كعادته، تلقي نوراً على حياة الصبي يسوع ، في صورة مجملة . لانها تتضمن وصفاً: (ا) لنموه العقلي : « كان يتقدم في الحكمة ». (ب) لنموه الجسدي: « والقامة ». (ج) لنموه الروحي : « والنعمة عند الله ». (د) لنموه الاجتماعي « والناس » .

ومما يُلاحظ أن هذا الجانب الاخير كان مُنعدماً في حياة يوحنا المعمدان لانه عاش عيشة برية ، جبلية ، مستوحشة بعيدة عن كل صبغة اجتماعية .

الاصحاح الثالث

١ وفي السنة الخامسة عشرة من سلطنة طيباريوس قيصر إذ

خدمة يوحنا المعمدان (١:٣—٢٠)

(١) تاريخ ظهور يوحنا المعمدان (٣ : ١ و ٢). (٢) طبيعة ظهوره (٣:٣ ـ ٦). (٣) طبيعة وعظه (٧:٣ ـ ٩). (٤) تأثير وعظه (١٠:٣ ـ ٢٠) (٥) خاتمة (٣ : ١٨ — ٢٠)

(١) تاريخ ظهور يوحنا المعمدان (١:٣و٢). ما أهم خدمة يوحنا المعمدان في نظر الله! لان الوحي يحيطها بإطار تاريخي مجيد ا ـ امبراطور روماني، ووالٍ روماني، وثلاثة رؤساء رومانيون، وكاهنان.. كل هؤلاء يذكرهم الوحي ليدلنا على الوقت الذي بدأ فيه يوحنا خدمته.

كان كل هؤلاء خداماً تاريخيين ليوحنا، مع أن يوحنا في نظر العالم لا يزيد في قيمته عن خادم لأحد هؤلاء. ولكن أفكار الله غير أفكار البشر، وطرقه غير طرقهم. لان كلمة الله قد تعدت هذه الرؤوس الشوامخ وجاءت «على يوحنا (يحيى) بن زكريا». فاجتازت كلمة الله سكان القصور وجاءت الى يوحنا (يحيى) ابن زكريا في البرية.

قصد لوقا بهذه الاسماء الاعجمية، التي يفتتح بها الاصحاح الثالث، ان يوجد حلقة اتصال تربط التاريخ الديني بالتاريخ العالمي، المدني. وهذه ميزة من مميزات بشارة لوقا. ولكن ألم يقصد لوقا بهذه الاسماء شيئاً أبعد من

كان بيلاطس البنطي والياً على اليهودية وهيرودس رئيس ربع على

ذلك ؟ ان كل هذه الاسماء الرومانية الحاكمة ، تدلنا بوضوح تام على أن المجد قد زال عن اسرائيل. وعلى أن قضيب الملك قد أُفلت من قبضة يهوذا، وعلى أن أيدي الرومان قد تغلغلت في كل شيء حتى في نفس الكهنوت. أليست هــذه هي الخطوة الأولى لمجيء المسيح ، إتماماً لنبوة يعقوب (تك ٤٩:١٠) « لا يزول قضيب من يهوذا ومشترع من بين رجليه حتى يأتي شيلون » — وفي العبري شيلوه — أي (المسيح) ؟ فاذا ما فسدت نُظُم الارض تدخلت يد السماء . وعند ما يبلغ اليأس من النفوس أشده ، يُفتح باب الرجاء من الاعالي .

يبتدىء لوقا في هــذه الأعداد من الدائرة الأوسع — الامبراطورية المجزأة الى أربع ولايات ، ومنها الى دائرة واسعة نوعاً ، حتى ينتهي بأضيق دائرة . وبعد أن ينتهي من التاريخ السياسي ، ينتقل الى التاريخ الديني ، فيذكر حنان وقيافا . وهذا يؤدي به الى الغرض الذي أمامه فيذكر يوحنا المعمدان .

(١) في الدائرة الأوسع : يقول لوقا « في السنة الخامسة عشرة من سلطنة طيباريوس قيصر » . هذا هو الامبراطور الروماني الثاني ، الذي بدأ ملكه قبل وفاة أوغسطس الامبراطور الأول بعامين — وكانت وفاة أوغسطس سنة ١١ بعد الميلاد فتكون السنة التي يشير اليها لوقا هنا، هي سنة ٢٦ للميلاد، يكون المسيح وقتئذ قد بلغ الثلاثين من عمره . لان سجلّ التاريخ متقدم

الجليل وفيلبس أخوه رئيس ربع على ايطورية وكورة تراخونيتس وليسانيوس رئيس ربع على الابلية ٢ في أيام رئيس الكهنة حنان وقيافا

أربعة أعوام عن تاريخ ميلاد السيد المسيح . (ب) من الدائرة الأوسع ينتقل لوقا الى دائرة أضيق — الى الارض المقدسة المعروفة باليهودية — حيث كان بيلاطس البنطي والياً عليها . وهذا يقل في مقامه وفي دائرة ملكه عن قيصر . لأن منه يستمد نفوذه . (ج) من هذه الدائرة الثانية ينتقل لوقا الى دائرة أضيق ، فيذكر هيرودس رئيس « ربع » على الجليل . هذا هو هيرودس المعروف «بانتيباس» وهو أحد أبناء هيرودس الاكبر، وقد نُفي الى أسبانيا سنة ٤٠ بعد الميلاد . وهو الشخص الذي عاش المسيحُ وخدمَ في أثناء حكمه العاتي، الفاسد. وفيلبس المذكور هنا، هو أخو «أنتيباس» من والده فقط . ولكن أمه هي كليوباطرة . وكانت وفاته سنة ٣٣ للميلاد . « وايطورية » هي المقاطعة الواقعة في الوادي عند سفح جبل حرمون . « وتراخونيتس » هي باشان القديمة . و« ليسانيوس » هو حفيد بطليموس ملك كيليكية ، ووارث جده في الحكم بعد أن اغتصب أنطونيوس الجزء الاكبر من ممتلكاته، وأعطاه غنيمة باردة لكليوباطرة . « والابلية » هي مدينة واقعة شمالي غرب دمشق .

(د) من هذه الدوائر المدنية ، ومن هذه الاسماء الرومانية ، ينتقل لوقا الى الدائرة الدينية ويذكر أسماء عبرية يهودية — « حنان وقيافا » . مع أن الشريعة اليهودية لم تسمح بوجود غير كاهن واحد في وقت واحد ، غير ان

كانت كلمة الله على يوحنا بن زكريا في البرية

« حنان » قد أقيل من خدمته، بأمر من الحاكم الروماني . وفي حياته ـ على خلاف الناموس ـ صار « قيافا » صهره رئيس كهنة بدلاً منه. لذلك كان يحترم اليهودُ حنانَ ، باعتباره رئيس كهنتهم الحقيقي . وينظرون الى قيافا كرئيس كهنتهم المفروض عليهم . الأول بالحق والثاني بالقوة الأول بحق الشريعة والثاني بحكم السياسة ، فهو صنيعتها .

في هذا التاريخ كانت كلمة الله « على يوحنا بن زكريا في البرية » . هذا تعبير يستعمل عندما يريد الكتاب أن يرينا شخصاً أودع الله فيه وعليه إلهاماً ، واعلاناً ، ومسئولية ، وحملاً ، وامتيازاً (١ ملوك ٢:٢٢) .

كان من الضروري أن يظهر يوحنا في خدمته قبل المسيح . لأن اليهود كانوا ينتظرون ملكاً ، سياسياً ، مخلصاً . فجاء يوحنا لكي يصلح هذا الخطأ في أفكارهم وانتظاراتهم، ويهيّىء أفكارهم للمسيح الحق ، ولرسالته الروحية. فالأرض الحجرية يلزمها الحراث قبل إلقاء البذار والاحجار الصخرية يجب أن تُقطع من الجبال قبل صقلها. فاذا كانت خدمة المسيح خدمة الزرع، فان خدمة يوحنا هي خدمة الحرث والفلاحة. واذا كان المسيح قد هذّب «الاحجار» الحية وصقلها، فان يوحنا المعمدان قد قدّها من الجبل بشدة كلامه فبينما قيل عن المسيح «فتيلة مدخنة لا يطفىء وقصبة مرضوضة لا يقصف» كان يوحنا المعمدان رافعاً « الفأس على أصل الشجرة » . وكلاهما في حاجة الى الآخر المسيح هو «النور» و يوحنا «شاهد» للنور. والمسيح هو «الكلمة» و يوحنا هو «صوت» هذا « الكلمة ». المسيح هو « العريس » و يوحنا هو « صديق العريس » .

٣ فجاء الى جميع الكورة المحيطة بالأردن يكرز بمعمودية التوبة لمغفرة الخطايا.

(٢) طبيعة ظهور يوحنا المعمدان (لو٣:٣—٦): (ا) مكان خدمته: «جميع الكورة المحيطة بالأردن» —وسميت «كورة» لانها وادٍ مستدير. (ب) طبيعة خدمته: « الكرازة » وهي من أصل كلداني « كرز » ومعناها الدعوة الى الدين والبشارة (جـ) ميزة خدمته: كانت خدمته مزدوجة — جانبها الأول خارجي — «المعمودية» وهي من أصل أرامي من « عَمَدَ » بمعنى وقف. لأن فيها يقف الانسان معترفاً بخطاياه، تائباً، معتمداً، ومتكلاً على رحمة الله الغافرة. وكانت المعمودية معروفة عند اليهود بالاغتسال (خروج ٢٩ : ٤) وبالتطهير (لاويين ١٤:٨) وبها كان يدخل غير اليهودي الى نطاق الديانة اليهودية. فجاء يوحنا وخلع على هذه الخدمة ثوباً جديداً مجيداً، فأطلق عليها كلمة «معمودية» وجعلها باباً لدخول الايمان المسيحي، لذلك سُمّي «يوحنا المعمدان». وجانبها الثاني داخلي: وهو « التوبة » التي تؤدي الى غفران الخطايا، والتي تعتبر شقيقة الايمان، وممهدة الطريق الى ملء الاختبارات الروحية المجيدة. فهي أساسها وهي أيضاً تاجها. لا يفارقها المسيحي ولا يودعها حتى يودع هذه الحياة. (د) مقامها: كانت خدمة يوحنا المعمدان حلقة اتصال بين العهد القديم والجديد. فهي كشجرةٍ تضرب أصولها فتتصل بالماضي وتمتد فروعها الى المستقبل، لتهيء الناس لقبول المسيح الفادي. والفداء الذي تستمد منه عصارتها، متضمن في كلام اشعياء النبي (اشعياء ٤٠:١—١١)

٤ كما هو مكتوب في سفر أقوال اشعياء النبي القائل صوت صارخ
في البرية أعدُّوا طريق الرب اصنعوا سبله مستقيمة ٥ كل وادٍ يمتلىء
وكل جبل وأكمة ينخفض وتصير المعوجات مستقيمة والشعاب طرقاً
سهلة ٦ ويبصر كل بشر خلاص الله ٧ وكان يقول للجموع الذين
خرجوا ليعتمدوا منه .

من هذه الأعداد الأخيرة تتجلى لنا وضاعة يوحنا المعمدان ووداعته أمام المسيح. (ا) لأنه مجرد «صوت» صارخ في البرية. بينما المسيح هو الحق ذاته (ب) يوحنا هو الخادم الذي عليه أن « يعد الطريق » ويجري أمام العربة الملكيّة، بينما المسيح هو الملك الظافر المنتصر الذي أمامه (١) تنخفض « اكمة » كبرياء الفريسيين . (٢) ويسمو الصدوقيون عن دناياهم فيمتلىء « وادي » سفاسف اعتقاداتهم . (٣) ويرجعَ العشارون من « معوجات » طرقهم في جمع الضرائب ، وسلب الناس فيعتدلوا . لكي « يبصر » جميع البشر يهوداً كانوا أم يونانيين « خلاص الرب »

(٣) نوع وعظ يوحنا (٣:٧—٩): على قدر ما كان يوحنا متضعاً أمام المسيح ، بهذا المقدار كان يتكلم بسلطان عظيم للشعب . وفي هذه الأعداد ، أمامنا مثال يرينا نوع وعظه وكرازته :

يقول متى في بشارته ان جماعة من الفريسيين والصدوقيين خرجوا من أماكن سكنهم الى البرية حيث كان يوحنا ، ليسمعوه . وما أعظم الفرق بين اعتقادهم في أنفسهم و بين اعتقاد يوحنا فيهم. فبينما يحسبون أنفسهم « أولاد

يا أولاد الأفاعي من أراكم أن تهربوا من الغضب الآتي ٨ فاصنعوا
أثماراً تليق بالتوبة . ولا تبتدئوا تقولون في أنفسكم لنا ابرهيم أباً .
لاني أقول لكم ان الله قادر أن يقيم من هذه الحجارة أولاداً
لابرهيم ٩ والآن قد وضعت الفأس على أصل الشجر . فكل شجرة
لا تصنع ثمراً جيداً تقطع وتلقى في النار ·

ابرهيم » يناديهم يوحنا قائلاً « يا أولاد الأفاعي » — وأوجه الشبه بينهم وبين الأفاعي هي : الخداع ، والرياء ، والمكر ، والأذى .

إن كلمات يوحنا شديدة لكنها مستمدة تعبيرها من « البيئة » التي عاش فيها . لأن في البرية تكثر « الأفاعي والأحجار » . وهو يريد بهذه الكلمات الشديدة أن يريهم أن الدين ليس ميراثاً ينتقل من الأب الى الابن بل هو شركة فردية ، روحية ، سرية ، بين الانسان والله .

دفع يوحنا الى هذا التشديد ، شعوره بالخطر الآتي المحدق باليهود ، إذا لم تكن أعمالهم متفقة مع أقوالهم وادعاآتهم — هذه هي « الثمار التي تليق بالتوبة » التي يدّعونها ويقولون بها . يقول التلمود : « لو تاب اسرائيل يوماً واحداً لجاء ملك اسرائيل المنتظر ، على الفور » . وان لم يجودوا بهذه الثمار ، فان فأس القضاء العادل ، قد وُضعت على أصل شجر حياتهم ، لتريح الارض منها وتجعلها مطعماً للنار ، فتتفرغ الارض لغيرها . هذه بداية عصر المسيح الذي وُضع « لسقوط وقيام كثيرين » .

١٠ وسأله الجموع قائلين فماذا نفعل

(٤) تأثير كرازة يوحنا (٣: ١٠—١٧) : يعزى تأثير خدمة يوحنا الى (ا) ان سنة خدمته كانت سنة «اليوبيل» فكانت الحقول متروكة من غير زرع، حسب وصية الله في حفظ اليوبيل. فكان الشعب منصرفاً عن مهام الزرع والحصاد، متفرغاً لسماع كل صوت جديد، (ب) ولأن يوحنا كان وقتئذ في أيام شبابه، لابساً لباساً برياً فذكَّر الشعب بعهد صموئيل وايليا، (ج) ولأن ملكوت الله، الذي كان النقطة المركزية في خدمة يوحنا، قد مسّ الوتر الحساس في قلوب اليهود المتطلعين الى الملكوت المنتظر (د) ولأن يوحنا كان معتمداً بالمعمودية التي نادى بها ولو أنه لم يقدر أن يمارسها — «معمودية الروح القدس والنار» ـ (هـ) ولانه كان شجاعاً مقداماً، لا يخشى في الحق لومة لائم. فهو الرجل الذي خاف الله. حتى خافه الخوف. فلم يكن بالقصبه المرضوضة التي تحركها الريح، بل كان العاصفة التي تقتلع الاشجار. لذلك كان لخدمة يوحنا أثرها الفعال المزدوج. الجانب الاول من تأثيرها: الهدم (٣: ١٠ — ١٤) والجانب الثاني: البناء (٣: ١٥ — ١٧).

(١) الجانب الاول (٣: ١٠ — ١٤) إن ثقة السامعين بعلو حسبهم ونسبهم، قد تزعزعت من أساسها أمام عاصفة كرازة يوحنا، فقامت ضمائرهم، واستيقظت، وفزعت، صارخة محتجة، وأضحوا في شغل شاغل على مصير حياتهم الابدي. ان الكرازة التي لا تولد توبة، وفزعاً، وندامة في قلوب السامعين لهي الكرازة التي ينبغى أن نفزع منها ونتوب عنها الى الله ! !

١١ فأجاب وقال لهم من له ثوبان فليعط من ليس له ومن له
طعام فليفعل هكذا ١٢ وجاء عشارون أيضاً ليعتمدوا فقالوا له يا معلم
ماذا نفعل ١٣ فقال لهم لا تستوفوا اكثر مما فرض لكم ١٤ وسأله
جنديون أيضاً قائلين وماذا نفعل نحن . فقال لهم لا تظلموا أحداً
ولا تشوا بأحد واكتفوا بعلائفكم .

كان هؤلاء المتسائلون ، السائلون على درجات : (ا) جماعة عموميون لا لون لهم ـ أصابهم القلق على أنفسهم، وانزعجوا على حالتهم فتكلمت ضمائرهم صارخة « ماذا نفعل ؟؟ » . هذا نداء الضمير المستيقظ بعد غفله ، ولسان حال المستسلم بعد عناد (اعمال ١٦ : ٣٠) . فكانت وصيته لهم، أن ينكروا ذواتهم، وأن يضحوا بكل عزيز ثمين لديهم مظهراً بهذا أن عيبهم كان «حب الذات والانانية» (ب) وكان جوابه لسؤال العشارين: ألا يستوفوا اكثر مما فرض لهم ، بأن يراعوا واجب الحق والامانة مظهراً بهذا أن عيبهم كان في عدم أمانتهم، وطمعهم لأن العشارين كانوا يجبون الضرائب من الناس، بسلطان من الحكام الرومان، حسبما تسوّل لهم نفوسهم الظالمة، من غير قيد ولا حساب، ومن هذا الكثير جداً الذي يجمعونه، يقدمون للحكومة « القليل جداً » بعد أن يمسكوا لأنفسهم ما يريدون. (ج) وكان جوابه للجنديين ـ الذين كانوا رجال الأمن العام وقتئذ ـ أن يلزموا العدالة ، والشرف ، والقناعة . موبخاً إياهم على ظلمهم ، ووشايتهم ، وعدم نزاهتهم .

١٥ وإذ كان الشعب ينتظر والجميع يفكرون في قلوبهم عن يوحنا لعله المسيح ١٦ أجاب يوحنا الجميع قائلاً أنا أعمدكم بماء ولكن يأتي من هو أقوى مني الذي لست أهلاً أن أحلّ سيور حذائه . هو سيعمدكم بالروح القدس ونار .

---

(٢) الجانب الثاني (٣: ١٥—١٧) لم تكن خدمة يوحنا المعمدان هادمة فحسب، لكنها كانت ايضاً خدمة بنيان فكما كانت خدمته مزعزعة لعقيدة السامعين الاصلية، كانت في الوقت نفسه رافعة عيونهم الى مخلص البشرية.

فما أشجع يوحنا وما أودعه . لم تأخذه نشوة النجاح في الخدمة ، فيتكبر ويتجبر، ولم يغتر بكثرة السامعين والسائلين . لكنه ظلّ وديعاً متواضعاً . وما أسهل الوداعة وقت الفشل وما أبعدها ساعة النجاح .

ولقد كان يوحنا أمام تجربة شديدة ، بسبب انتظارات السامعين فيه ، وتفكُّر الجميع في قلوبهم أنه المسيح . لكن يوحنا بقي على وداعته المعهودة . فلم يبعث الفشل فيه روح الضجر ، كما أن النجاح لم يوقعه في تجربة الفخر . فأجاب على انتظاراتهم ، التي عبروا عنها من خلال أسئلتهم قائلا « أنا أعمدكم بماء ولكن يأتي بعدي من هو أقوى مني الذي لست أهلا أن أحلّ سيور حذائه هو سيعمدكم بالروح القدس ونار » .

أعلن يوحنا بهذه الكلمات : (أ) انه ليس المسيح . (ب) ان المسيح قريب. (ج) انه خادم للمسيح، لأن حلّ سيور الحذاء عمل حقير يقوم به أحقر خادم لسيده. (د) ان معمودية المسيح أسمى من معموديته ، على قدر

١٧ الذي رفشه في يده وسينقي بيدره ويجمع القمح الى مخزنه . وأما
التبن فيحرقه بنار لا تطفأ .

ما تسمو النار على الماء كمطهر. لان الماء يطهر الثياب والاخشاب، لكن النار تطهر الذهب . والكلمتان « الروح » « ونار » تعبيران متشابهان لحقيقة واحدة «فالروح القدس» يشير الى الجوهر «والنار» تشير الى عملية التطهير ، لأن الروح القدس يُرمَز اليه مراراً بنار (اشعياء ٦:٦و٧) « والنار » في هذا العدد غير «النار» في عدد ٩، «فالنار» في عدد ٩ ، هي نار الهدم، والاهلاك ، والاحراق، لكن «النار» في عددي ١٦و١٧، هي نار التطهير ، والتقديس، والتكريس ، والتمجيد . تلك نار القضاء والغضب ، وهذه نار المحبة المتقدة ، التي لا تريد أن ترى عيباً في شخص من تحبه ، وكما كانت خدمة يوحنا هادمة وبانية ، كذلك كانت خدمة المسيح ـ على نوع ما ـ هادمة : لانها تحرق «التبن». وبانية: لانها تجمع «القمح». والتبن يشار به: (١) الى المرائين أو (ب) الى الادنى في الانسان ، أو (ج) الى الانسان الدنيء . لكن القمح يشار به : (١) الى المؤمنين حقاً أو (ب) الى الأفضل في الانسان أو (ج) الى الانسان الأفضل . من هذا يُرى لنا أن خدمة المسيح مفرقة كما انها جامعة. ولكن الغرض النهائي منها هو « الجمع » لا التفريق ولا « القسمة » لانها تفرّق لتجمع، وتحرق لتصفي ، وتغربل لتنقي. «وتكسر» « لتجمع » .

١٨ و بأشياء أخر كثيرة كان يعظ الشعب و يبشرهم ١٩ أما هيرودس
رئيس الربع فإذ توبخ منه لسبب هيروديا امرأة فيلبس أخيه ولسبب
جميع الشرور التي كان هيرودس يفعلها ٢٠ زاد هذا أيضاً على الجميع

(٥) خاتمة تاريخية لخدمة يوحنا (٣:١٨ ـ ٢٠): كان يوحنا مصلحاً بالمعنى الصحيح. فلم يعن بالعقيدة عنايته بالخلق المتين. فكان في خدمته واعظاً مبشراً « فالوعظ » يشير الى الجانب المبكت في خدمته « والتبشير » يشير الى الجانب المبهج السار. لأن البشارة هي الخبر الطيب المفرح الذي يغير البشرة. أنظر صفحة (٤٥).

ربما كانت الكلمة التي تستوقف النظر في هذه الأعداد هي كلمة « أما » لانها تفصل بين حياةٍ قضاها يوحنا في فضاء البريّة الفسيحة الارجاء، و بين حياةٍ قضاها في ظلمات السجون. « أما » هيرودس. فكأن لوقا أراد أن يفتتح وأن يختتم خدمة يوحنا بذكر حاكم روماني. هيرودس هذا هو الذي ورد ذكره في بداية هذا الاصحاح، وهو هيرودس انتيباس الذي باع نفسه لهيروديا ابنة أخيه ارستبولوس و زوجة أخيه فيلبس. يالها من مجموعة غرائب ومتناقضات — فأغواها حتى تركت زوجها في حياته، وأغرته هي حتى هجر زوجته.

كان هذا « الهيرودس » يستدعي يوحنا ليستمع بكلامه. لكن كلام يوحنا كان مصحوباً بوخز الابر، فضجرت هيروديا من وعظه المبكت، لان يوحنا في وعظه كان لها بمثابة الضمير المستيقظ المؤنب. فتآمرت مع

انه حبس يوحنا في السجن ٢١ ولما اعتمد جميع الشعب اعتمد يسوع أيضاً

هيرودس على يوحنا ، فألقياه في غياهب السجون . واحتالت عليه في فرصة أخرى حتى قطع رأس يوحنا فيما بعد

معمودية المسيح (٣ : ٢١ و٢٢)

ان نهر الأردن يشق الارض المقدسة ، جغرافياً ، الى شطرين . كذلك تضع معمودية المسيح في الاردن حداً فاصلا بين شطرين ظاهرين في حياة المسيح ـ احدهما سنوات صمته وسكونه في الناصرة ، وثانيهما سنوات خدمته التي انتهت بصلبه وقيامته

كانت معمودية اليهودي العادي ، تنطوي على معنيين ـ احدهما ترك الخطايا السالفة . وثانيهما انضمامه الى رعوية ملكوت الله ، وصيرورته واحداً منها . لكن معمودية المسيح تحمل معها معنىً جديداً ، هو رضاه ان يحسب نفسه واحداً من الجنس البشري ، وان يصير « ابن الانسان » . اذاً كانت معمودية المسيح احد أعماله الكفارية النيابية التي قبلها مختاراً لأجلنا نحن الخطاة . لأنه اذ جاء ليفتدي البشرية جعل نفسه واحداً منها ، متحداً معها ، قابلاً امتيازاتها ومسئولياتها ـ إلا الخطية ـ لذلك حق له ، ومنه وعليه ، أن يتم كل بر . « لان الذي لم يعرف خطية صار خطية لأجلنا لكي نصير نحن بر الله فيه » « و أحصي مع أثمة » . هذا ظاهر من كلمة « أيضاً » . ولما اعتمد جميع الشعب اعتمد يسوع « أيضاً » لانه صار واحداً منهم

واذ كان يصلي انفتحت السماء ٢٢ ونزل عليه الروح القدس بهيئة
جسمية مثل حمامة وكان صوت من السماء قائلاً

ومن المهم أن نلاحظ أن الثالوث الاقدس ، تجلّى بوضوح في معمودية المسيح . فالمسيح ـ الأقنوم الثاني نراه مصلياً . وهذا ما انفرد لوقا بذكره كعادته في الاهتمام بتسجيل صلوات المسيح . ليست هذه صلاة الاعتراف ، ولا هي صلاة الطلب والترجي ، لكنها صلاة الشركة المقدسة العميقة مع الله ، وهي صلاة التكريس للخدمة المجيدة التي تنتظره ، اذ كان بعد في بدايتها. فكأن المعمودية هيأت المذبح الروحي الذي عليه قدم المسيح نفسه لله بالصلاة والتكريس ، ذبيحة حية ، عربوناً لتقديمه نفسه لله نهائياً على الصليب

والاقنوم الثالث ـ الروح القدس ـ نراه نازلا على المسيح « بهيئة جسمية كحمامة » . فلم ينزل الروح القدس على المسيح بهيئة « نار » كما نزل على التلاميذ ، لأن المسيح بخلاف التلاميذ ، كان كاملا من « غير خطية » ، فلم يكن في حاجة الى التطهير ، ولكن الروح نزل عليه بهيئة حمامة . فكان في هذا المظهر مُعلناً شخصية المسيح للناس ، وليوحنا المعمدان الذي عرفه

ان اختيار الروح القدس هيئة « الحمامة » لكي يظهر بها على المسيح ، فيه معنى مشترك لطبيعة المسيح والروح القدس معاً ، في الوداعة ، واللطف ، والطهارة

ألا تذكرنا هذه « الحمامة » بحمامة نوح التي عادت بغصن الزيتون الى نوح لتحمل اليه بشارة مفرحة بزوال طوفان غضب الله عن العالم القديم ؟ ؟

أنت ابني الحبيب بك سررت
٢٣ ولما ابتدأ يسوع كان له نحو ثلاثين سنة وهو على ما كان

ألا ترمز هنا الى رسالة السلام التي جاء المسيح ليحملها الى البشرية بزوال غضب الله عن الخليقة الجديدة ؟؟!

واذ كانت الحمامة رمزاً لصفات الروح القدس ، فان في هذه دلالة على ان الروح الذي حلّ ـ الى حين ـ على رأس شاول ، ـ والى لحظة ـ على رأس شمشون ، لم يجد شخصاً يستقر عليه غير المسيح

وحضور الاقنوم الأول « الله الآب » ظهر في الصوت الذي خاطب المسيح « أنت ابني الحبيب بك سررت »

ان الله لم يسر بواحد من البشر سروره بالمسيح، لعجز البشر ، ولوقوعهم جميعاً في الخطية . لكنه بابنه الحبيب قد سُر . وهذا برهان قاطع على أن القول بأن المسيح « ابن الله » يمتاز امتيازاً كبيراً عن القول بأن كل المؤمنين « أبناء الله » . ذلك لان المسيح وحده هو الذي لاق به هذا اللقب المجيد الرفيع « أنت ابني الحبيب »

واذا كان الله قد سُر بواحد من البشر ، فان علة السرور هي مسرة الله. لكن سروره بالمسيح ، علته : المسيح نفسه

تسلسل نسب المسيح (٣ : ٢٣ — ٣٨)

يذكر لوقا عمر المسيح حين ابتدأ خدمته بعد المعمودية ، وهو نحو ثلاثين سنة . و بمقابلة سلسلة النسب في لوقا، بتلك المذكورة في متى، نلاحظ أن :

يُظن ابن يوسف بن هالي ٢٤ بن متثات بن لاوي بن ملكي بن ينا بن
يوسف ٢٥ بن متاثيا بن عاموص بن ناحوم بن حسلي بن نجاي
٢٦ بن مآث بن متاثيا بن شمعي بن يوسف بن يهوذا ٢٧ بن يوحنا بن
ريسا بن زربابل بن شألتيئيل بن نيري ٢٨ بن ملكي بن أدي
بن قصم بن ألمودامَ بن عير ٢٩ بن يوسي بن اليعازر بن يوريم بن
متثات بن لاوي ٣٠ بن شمعون بن يهوذا بن يوسف بن يونان بن الياقيم

(ا) متى يوصف كونه يهوديا، يكتب لليهود ، فيذكر ان المسيح « ابن داود » . ولوقا يوصف كونه أممياً يكتب للبشرية جمعاء ، فيذكر ان المسيح « ابن آدم » « ابن الله »

(ب) يذكر متى النسب ، من الاكبر الى الاصغر فنازلا ، مبتدئاً بابرهيم. ويبتدىء لوقا بالأصغر فصاعداً « ابن يوسف » « ابن هالي »

(ج) يذكر متى سلسلة النسب في مَطْلع بشارته ، وقبل أن يذكر شيئاً عن ولادة المسيح . ويذكرها لوقا في الاصحاح الثالث ، منذ بداية خدمة المسيح

(د) يرجع الفرق في الاسماء المذكورة ، الى ان متى كتب عن نَسَب المسيح من مريم . لأن متى يقول فيه « ابن يوسف » بينما يقول لوقا « على ما كان يُظن ابن يوسف ابن هالي » . والحقيقة هي انه ابن مريم ، التي أجمعت شهادات اليهود في التلمود ، وفي التاريخ ، على انها حفيدة هالي . وانما تخطى لوقا ذكر مريم واكتفى بذكر « هالي » والدها، الذي هو جد المسيح حسب

٣١ بن مليا بن مينان بن متَّاثا بن ناثان بن داود ٣٢ بن يسى بن عوبيد
بن بوعز بن سلمون بن نحشون ٣٣ بن عميناداب بن أرام بن حصرون
بن فارص بن يهوذا ٣٤ بن يعقوب بن اسحق بن ابرهيم بن تارح بن
ناحور ٣٥ بن سروج بن رعو بن فالج بن عابر بن شالح ٣٦ بن قينان
بن ارفكشاد بن سام بن نوح بن لامك ٣٧ بن متوشالح بن أخنوخ
بن يارد بن مهللئيل بن قينان ٣٨ بن أنوش بن شيت بن آدم بن الله

الجسد ، لأن العادات الرومانية واليهودية القديمة ، كانت تقف حائلاً دون ذكر انتساب الانسان إلى أمه لكونها امرأة، ولا مقام ممتاز لها عندهم بوجه عام. ولأن الانسان في عرفهم هو « ابن أبيه لا ابن أمه » . وفي مثل هذه الحال، عند ذكر الأنساب ، كانوا يرجعون بالنسب الى الجد ، اذا تعذرت عليهم معرفة الأب . هذا كانوا يفضلونه على ذكر الأم . سيما أن الجد في الكتاب المقدس هو الأب - أي أن الانسان يحسب ابن جدّه (قابل ١ ايام ٣:٨ مع تكوين٤٦ :٢١ وعزرا ٥ :١ مع زكريا ١ :١و٧ ومتى ١ :٨ مع ١ ايام ٣ :١١)

واذا كنا نرى في تاريخ بعض الذين ينتسب اليهم المسيح، شيئاً يعابون عليه ، فان المسيح لم يأت منهم لكنه جاء «من فوق» . فهو الزيتونة المباركة التي يصح فيها القول «لا شرقية ولا غربية» . «ان الذي يأتي من فوق هو فوق الجميع »

وهل تعاب الزنبقة البيضاء لأن أصولها منغرسة في الطين ؟ ؟ ! ! !

الاصحاح الرابع

١ أما يسوع فرجع من الأردن ممتلئاً من الروح القدس

التجربة (٤ : ١ — ١٣)

توطئة (٤ : ١ و ٢) : بعد المعمودية وأمجادها، جاءت التجربة وجهادها . كانت المعمودية في النهر ، وكانت التجربة في القفر

مكان التجربة: في المعمودية، نرى المسيح مُكتنفاً بأمجاد اللاهوت الأقدس، وفي التجربة نراه وجهاً لوجه أمام الروح النجس . في المعمودية ، مُسح المسيح بالمسحة الرسمية، التي كانت مقدمة لخدمة حياته المجيدة ، ليكون فادياً للبشرية، فكان عليه باعتباره آدم الثاني ، ان يبدأ من النقطة التي انتهى منها آدم الأول . كان آدم الأول في الفردوس المفقود ، فطُرد الى البرية . ومن البرية ينبغي أن يبدأ المسيح خدمته ليرجع بالبشرية الى الفردوس المردود . فالفردوس ضاع في جنّة ، واستُردّ في برية . جنة عدن كانت شرقاً ، وكانت البرية « غرب الأردن »

الطرف الأول فيها : كان ذهاب المسيح الى البرية « بقيادة الروح » و بترتيبه ، لا بتحريض من الشيطان . لأن المسيح ، وقد تسلّح بملء الروح القدس ، ينبغي أن يواجه « أسد البرية » في عرينه ، ليشتبك معه في معركة فاصلة — وأكثر التجارب شدة هي التى تكون بعد نوال بركة ممتازة

دخل المسيح التجربة بوصف كونه انساناً لا الهاً . لأن لوقا يصفه باسمه الانساني: «أما يسوع» لا باسمه الالهي: «المسيح». ومن الملاحظ أن يوحنا الذي

وكان يقتاد بالروح في البرية ٢ اربعين يوماً يجرب من

تفرّد في بشارته باثبات لاهوت المسيح ، لا يذكر هذه الحادثة . ومع ان المسيح إله تام وإنسان تام في وقت واحد ، ومع ان لاهوته لا ينفصل مطلقاً عن ناسوته ولا يتجزأ ، لكن المسيح لم يدخل التجربة بلاهوته ، بل دخلها بعد أن أخلى نفسه ـ مختاراً ـ من استخدام قوات اللاهوت الى حين ـ مع ملازمة اللاهوت وقواته له ـ كسيف مغمد في يد جندي لا يريد استخدامه . فلو دخل المسيح التجربة بطبيعة ليست لنا ، وبقوة لا نقدر أن نمتلكها ، لما أمكن أن يقال عنه « مجرَّب في كل شيء مثلنا بلا خطية » ، ولا ان يقال عنه « لأنه في ما هو قد تألم مجرَّباً يقدر أن يعين المجرَّبين »

انتصر المسيح في البرّية على المجرِّب ، لكي لا ننكسر نحن أمام المجرِّب في برية هذا الوجود . فاذا ما كانت البرية وقتئذ موحشة على المسيح ، لكنها بالنسبة الينا أضحت بستاناً وفردوس النعيم والخلود

الطرف الثاني في التجربة : إبليس . والكلمة « إبليس » أعجمية ، من « أبلَسَ » بمعنى ارتاب ، وتحيَّر ، وأوقع الريبة والحيرة في قلوب الآخرين . ولابليس هذا اسم آخر ذُكر في عدد ٨ : « شيطان » وهي كلمة عبرية من « شَطَن » بمعنى انحرف ، وعاند ، وتمرد ، واشتكى ، (رؤيا ١٢ : ١٠) وهو ليس مجرد قوة أو تأثير ، لكنه روح كائن ، ذو شخصية خادعة ، يتلوَّن بالشكل الذي يختاره

حقيقتها : كانت التجربة واقعةً حقيقيةً فعلية . لم ينسج التلاميذ بُردة

إبليس . ولم يأكل شيئاً في تلك الأيام ولما تمت جاع أخيراً

هذه الحادثة ، لـكنها من نسيج يدي المسيح وحده . فهي صفحة من حياته تلاها بنفسه على تلاميذه . لأنها تمت للمسيح على انفراد ، بعيداً عن عيون التلاميذ ـ فهي واقعة ، فردية ، فريدة ، ما أرهبها ! ! إذ اصطدم فيها النور بالظلام ، والتقى فيها رئيس الحياة برئيس الظلمة والموت

مدتها : كانت المدة التي جُرِّب فيها المسيح ٤٠ يوماً وما أكثر المرات التي نلتقي فيها بهذه المدة في الـكتاب المقدس ، فهي مدة نزول الطوفان على الارض (تكوين ٧ : ١٢) وهي المدة التي قضاها موسى على الجبل مرتين (تثنية ٩:٩ و١٠:١٠) وهي المدة التي صامها إيليا (١ ملوك ١٩ : ٨) وهي المهلة التي قدمها يونان لأهل نينوى ليتوبوا فيها (يونان ٣:٤) وهي مدة تكررت في حياة المسيح بنوع خاص . فبعد انقضاء أربعين يوماً على ميلاده أُخذ الى الهيكل ، وبعد قيامته بقي على الارض أربعين يوماً حتى صعد الى السماء . فهي إذاً مدة كاملة ، كافية لاتمام عملية الفحص والاستعداد للخدمة الجهرية التي خُتمت بالصلب . ويظهر ان التجارب الثلاث المذكورة هنا حدثت في نهاية الأربعين يوماً ، إذ يقول لوقا « ولما تمت جاع أخيراً . وقال له إبليس » . أما التسعة والثلاثون يوماً الأخرى ، فقد جُرب فيها يسوع بتجارب تمهيدية ، تحضيرية لهذه التجربة

ترتيبها : يذكر متى التجارب حسب وضعها التاريخي ويذكرها لوقا حسب ترتيبها المنطقي والاختباري : « شهوة الجسد وشهوة العيون وتعظم

٣ وقال له إبليس إن كنت

المعيشة » (١ يوحنا ٢ : ١٧) ولا يبعد أن لوقا باعتبار كونه « الطبيب » قد ذكر هذه التجارب بترتيبها النفسي « السيوكولوجي » . وتميل جمهرة المفسرين في القرن الماضي الى الترتيب المذكور في متى بينما يتفق المفسرون العصريون على تفضيل الترتيب في لوقا

التجربة الأولى (٤ : ٣ و ٤) الهجوم : استند الشيطان في هذه التجربة الى اختبارين اجتازهما المسيح ـ أولها في دائرة الروح وهو امتلاؤه من الروح وقت المعمودية ، و إعلان بنوته لله وامتلاكه القدرة الإلهية لاتيان المعجزات . والاختبار الثاني في دائرة الجسد ، وهو الجوع . لذلك طلب الى المسيح ان يسخر قوته الروحية ، وامتيازه الالهي « كابن الله » ليخدم حاجات الجسد فيسد رمق الجوع . فينظر الى الاحجار المستديرة على شكل رغيف خبز . وما اكثر هذه الاحجار في البرية ـ وقال له ابليس « إن كنت ابن الله فقل لهذا الحجر أن يصير خبزاً » وكما غمس الشيطان سهمه في سم الشكوك والارتياب قبل أن يصوبه الى آدم وحواء في الجنة ، كذلك عمل مع المسيح إذ قال « إن كنت » ، ومن الغريب ان الأكل كان العامل المشترك في التجربتين

يظهر خداع الشيطان من انه طلب أمراً مشروعاً ، وهو اشباع الجوع . لكنه توسل الى اتمام هذا الغرض المشروع بوسائل غير مشروعة ، لأنه قصد أن يزعزع ثقة المسيح بالله ، ليوقعه في خطية محبة الذات فيستخدم قوته المعجزية لاتمام غرض ذاتي نفساني ، و بذلك يحسب ثائراً على إرادة الآب ، الذي يريد

ابن الله فقل لهذا الحجر أن يصير خبزاً ٤ فأجابه يسوع قائلاً مكتوب
أن ليس بالخبز وحده يحيا الانسان بل بكل كلمة من الله

ان يستخدم المسيح قوته المعجزية في عمله الفدائي لأجل الآخرين لا لأجل نفسه . ولو استسلم المسيح لأهواء المجرب لجرد نفسه من القيود الوضيعة ، التي اختارها لنفسه ليكون بها « ابن الانسان » حقاً . من هذا نرى أن الشيطان استجمع كل قواه ليهدم غرض المسيح الاسمى في حياته إذ جاء ليتمم مشيئة الآب بتضحيته نفسه لأجل الآخرين ، و بمشاركته البشر في الجوع والألم والفقر

الدفاع : لم يدخل المسيح في جدال مع الشيطان ، من جهة حقيقة بنوته لله لأنها حقيقة فوق كل جدال. لكنه تسلح بكلمة الله (تثنية ٨:٣) مظهراً بهذا ان «كلمة الله» الحي «وكلمة الله» المكتوبة قد تلاقيا ، متكاتفين ضد «كلمة الباطل»

ومن جواب المسيح نستنتج : (١) انه دخل التجربة كانسان « يحيا الانسان » . (ب) ان الانسان الراقي هو الروح لا الجسد. (ج) ان مطالب الروح فوق مطالب الجسد. (د) ان شبع الروح وحياته في الاقتيات بكلمة الله و بمواعيده. (هـ) ان جوعاً يختاره الله للانسان خير من شبع يختاره الانسان لنفسه . (د) ان « يهوه » الذي عال إسرائيل « ابنه البكر » مدة أربعين عاماً في البرية يعول « ابنه الوحيد » أربعين يوماً في البرية

فاذا كانت التجربة الأولى موجهة الى شخص المسيح فان التجربة الثانية موجهة الى عمله . وهكذا كان يصد المسيح هجمات الشيطان بسهم واحد يسدده نحوه من غير ان يُثني أو ينثني

٥ ثم أصعده إبليس الى جبل عالٍ وأراه جميع ممالك المسكونة في لحظة
من الزمان ٦ وقال له إبليس لك أعطي هذا السلطان كله ومجدهن لأنه
إليّ قد دُفع وأنا أعطيه لمن أريد ٧ فان سجدت أمامي يكون لك الجميع

التجربة الثانية : (٤ :٥ ـ ٨). الهجوم (٤ :٥ ـ ٧) : فشل الشيطان في التجربة الأولى التي اتخذت لنفسها فرصة حاجة الجسد ، فقصد ان يصوّب الى المسيح سهماً آخر يوجهه نحو النفس . وقد استعار الشيطان لهذه التجربة ، لوناً من الأفكار السائدة عند اليهود وقتئذ ليقدمها للمسيح في شكل مقبول ومعقول. لأن اليهود كانوا يُمنّون أنفسهم بملكٍ أرضي تخضع عند قدميه جميع ممالك الارض ، فلو نال المسيح هذا السلطان لتمت مأمورية حياته في لحظة . وما أحق المسيح بهذا السلطان فهو ابن بجدته . وقد جاء الى الارض ليأخذ لنفسه مُلكا . ولـكن عن أي طريق ؟ ! عن طريق الصليب . ولـكن ما أرخص ـ وفي الوقت نفسه ـ ما أغلى الثمن الذي طلبه الشيطان من المسيح مقابل هذا السلطان ! ! هو السجود له ! ! إذاً طلب الشيطان من المسيح أن يصل إلى غايته من أسهل الطرق في لحظة واحدة . ولـكن ليست أسهل الطرق أنظفها ولا أصلحها ، بل في الغالب أسهل الطرق أقبحها ، وأخطرها ، وأقذرها . فاذا كانت التجربة الأولى منطوية على محبة الذات ، فان غاية التجربة الثانية ، هي تهيئة الطريق أمام المسيح ليتنحى عن الصليب . ولوكان المسيح أطاع رغائب المجرِّب لما صار « مسيحاً » . لأن المسيح مسيحٌ بالصلب أولا وآخراً

٨ فأجابه يسوع وقال إذهب يا شيطان انه مكتوب للرب إلهك تسجد
و إياه وحده تعبد ٩ ثم جاء به إلى أورشليم وأقامه على جناح الهيكل
وقال له إن كنت ابن الله فاطرح نفسك من هنا الى أسفل ١٠ لأنه
مكتوب أنه يوصي ملائكته بك لكي يحفظوك

الجواب (٤ :٨) : فزع المسيح من هذه الفكرة . وقال « إذهب عني يا شيطان». كان هذا جواب المسيح من، غير أن يجادل الشيطان من جهة القوة التي له على هذا الدهر (يوحنا ١٢ :٣١ و١٤ :٣٠ و١٦ :١١) واستمسك « بالعُروة الوثقى » ، ولم يحد عن الكلمة المكتوبة : « انه مكتوب للرب إلهك تسجد و إياه وحده تعبد »

التجربة الثالثة (٤ :٩-١٣) ــ الهجوم (٤ :٩ ــ ١:١١) : لا يُلدغ المؤمن من جُحر مرتين لكن الشيطان غير مؤمن بل رئيس الكافرين ، فلم يبالِ بانخذاله مثنى وثلاث . فهو المقاوم الذي أضاف الى قوة مقاومته دهاء حيلته ، لأنه عمد الى ان يستل من يد المسيح السهمين اللذين صرعه بهما في التجربتين السابقتين ، ليسددها نحو قلب المسيح الطهور . فالسهم الأول الذي صرعه المسيح به هو ثقته غير المحدودة بالله . والسهم الثاني هو استمساكه بكلمة الله . ومن هذين السهمين كون الشيطان سهماً واحداً قوياً ليطعن به المسيح . إذ طلب اليه أن يجرب ثقته بالله على محك التجربة والاختبار ــ مستنداً في ذلك الى مواعيذ الله في كلمته ، فيلقي بنفسه من فوق جناح الهيكل ــ أي من قمة رواق سليمان . وقد خلع الشيطان على تجربته هذه ، طلاء دينياً مزيناً يأخذ بمجامع القلوب ، إذ بناها على وعد في كتاب الله ، مع تشويه بعض كلماته .

١١ وانهم على أياديهم يحملونك لكي لا تصدم بحجر رجلك ٢٢ فأجاب
يسوع وقال له إنه قيل لا تجرب الرب إلهك ١٣ ولما اكمل إبليس كل تجربة

لأن الله لم يعد الانسان بنجاته من المخاطر التي يتبرع بها الانسان لنفسه بل بانقاذه من المخاطر التي تضعها العناية عليه كرهاً . ولقد كان لهذه التجربة وجهها الخطر ، لأنها كانت تعبّر في ظاهرها عن انتظارات رؤساء الكهنة والفريسيين الذين كانوا يتوقعون من المسيح آية حتى يؤمنوا به . فلو أقدم المسيح على إجابة الشيطان الى رغباته ، وألقى بنفسه من فوق قمة الهيكل أمام عيون الكهنة ، واليهود العابدين ، لرأوا فيه مسيّا المنتظر ، الذي « سيأتي في السحاب بقوة ومجد كثير » ـ تجربة ما أفسدها ، وحيلة ما أشد كيدها ، لأن الشيطان حاول أن يلبس خطية التهور ، لباس فضيلة الثقة بالله . وأن يصوّر خطية تجربة الله ، بفضيلة الاعتماد عليه ، وخطية كسب إعجاب الناس ، بفضيلة كسب رضى الله . وكم من رذيلة كانت فضيلة فُسخت ! !

الدفاع (٤ : ١٢) : كشف المسيح القناع عن التجربة ، وأزال طلاءها الخارجي عنها ، وجرّدها من أثوابها الخلابة البراقة وردّ سهم الشيطان الى نحره ، وظلّ « كلمة الله » الحي مستمسكاً « بكلمة الله » المكتوبة . وأجاب : « إنه قيل لا تجرب الرب إلهك » ، مبيناً بهذا : ان الاندفاع في أحضان المخاطر غير الضرورية ، لا يحسب سوى تحدٍّ للعناية ، وتجربة للقوة الالهية

خاتمة تاريخية (٤:١٣): ما أشد حرص الشيطان على اتمام واجبه ! لأنه لم يترك المسيح ، حتى اكمل كل تجربة ، ولم ينته من اتمام واجبه في هذه المرة

فارقه الى حين ١٤ ورجع يسوع

إلا ليعود اليه مرة أخرى، بل مرات . لأنه « فارق المسيح الى حين » فهو الذي يغير شكله ليظهر في « شكل ملاك نور » . وفيما بعد نراه ، وقد أخذ شكل بطرس ، وجرّب المسيح بالتنحي عن الصلب ـ هناك في قيصرية فيلبس ـ فزجره المسيح قائلا « إذهب عني يا شيطان » ا ومرة أخرى نراه منادياً المسيح بلسان المصروعين بالارواح النجسة . وعند الصليب نسمعه يردّد على أذني المسيح صدى التجربة الثانية إذ يناديه بلسان المشاهدين « انزل عن الصليب فنؤمن بك » (مرقس ١٥ : ٣١)

تاجها : يتوّج متى هذه الحادثة بالقول « وكانت ملائكة تخدمه » مبرهناً بهذا على أن وعد الله بحراسة الملائكة، ليس لمن يخلق لنفسه المخاطر ، بل لمن يعيش عيشة التسليم لإرادة الله في الحالة التي يختارها له الله

رجوع المسيح الى الجليل (٤ : ١٤ و١٥)

بدء السنة الأولى في خدمة المسيح

بعد المعمودية ذهب يسوع الى قانا الجليل ، حيث أجرى معجزته الأولى التي أظهر فيها مجده. ومن قانا الجليل ذهب الى كفر ناحوم (يوحنا ٣ : ١٤) حيث انتظر مدة قصيرة ، واعظاً في خلالها في مجامع اليهود . وهناك أجرى معجزاته . ثم ذهب الى الناصرة للمرة الأولى المسجلة هنا . وهي غير الزيارة التي سجلها متى ومرقس (متى ٤ : ١٢ ومرقس ١ : ١٤)

نرى في هذين العددين مقدمة وجيزة تصف لنا خدمة المسيح في الجليل ،

بقوة الروح الى الجليل وخرج خبر عنه في جميع الكورة المحيطة
١٥ وكان يعلم في مجامعهم ممجّداً من الجميع ١٦ وجاء إلى الناصرة
حيث كان قد تربى .

من حيث قوّتها ، وامتدادها ، ونوعها ، ومجدها . أو من حيث نبعها ، ومجراها ، وطبيعتها ، وأثرها (ا) قوتها : « بقوة الروح القدس » (ب) امتدادها : « خرج عنه خبر في جميع الكورة المحيطة » . (ج) نوعها : « وكان يعلم في مجامعهم » . (د) مجدها : « ممجداً من الجميع »

خدمة المسيح في الناصرة (٤ : ١٦—٣٠)

توطئة (٤ : ١٦): ان هذه الحادثة التي يستهل بها لوقا خدمة المسيح الرسمية، هي نموذج صحيح لخدمة المسيح كلها لأنها تكشف لنا جوهر رسالته في كلمة واحدة : «النعمة» ، التي هي المحبة الصادرة من الأعلى الى الأدنى والبركات التي تصحبها . كما أنها تزيح الستار عن طبيعة البشر ، الذين جاء ليخدمهم . — حسد يمازجه عدم ايمان ، وكلاهما تحريض على النقمة . هذه موعظة عملية للآية الحكيمة القائلة «الى خاصته جاء وخاصته لم تقبله » كما أنها تنبئنا بالخاتمة التي انتهت اليها حياة المسيح في محاولة أهل الناصرة أن يقتلوه . هذه هي البقعة الأولى ، التي نلتقي فيها « بظل الصليب » في حياة المسيح وخدمته .

ما ألذ الذكريات التي جالت في خاطر المسيح عند زيارته الأولى للناصرة بعد ان مُسح للخدمة الرسمية ! ! في الناصرة تربى طفلاً ، وعمل في بيت النجار صبياً ، واعتاد أن يذهب الى الهيكل للعبادة يافعاً ، وفي الناصرة قضى

ودخل المجمع حسب عادته يوم السبت وقام ليقرأ ١٧ فدُفع اليه سفر
إشعياء النبى . ولما فتح السفر وجد الموضع

« سنوات الصمت » شاباً . وما أكثر هذه الذكريات ايلاماً على نفسه، حين كانت تختلط معها أفكار مؤلمة عن مصير الناصرة ، تلك التي كانت أحق البلاد بالانتفاع بخدمته والاستمتاع بأمجاد انجيله . لكنها ، باختيارها ، حكمت على نفسها بالاعدام الروحي، لأنها رذلت ، بارادتها ، رسالة المسيح المجيدة. فهي كالحوت الذي يموت ظمأً ! « وفمه في الماء » . وما أجملها عادة تلك التي مارسها المسيح مذ كان صبياً « دخل المجمع حسب عادته » . وقد كانت المجامع تبنى واورشليم قبلتها . وهي التي بُدىء في تأسيسها بعد السبي ، وكثر عددها بعد خراب الهيكل . وكان اليهود ينصرفون الى العبادة فيها ثلاث مرات في الاسبوع ، يوم السبت ويومي الاثنين والخميس . ولأن الناصرة كانت صغيرة فلم يكن فيها سوى مجمع واحد ، والمجمع يُعرف اليوم عند اليهود «بالكنيس» ومتى اجتمع اليهود للعبادة ، يتلو الكاتب القراءة الأولى من التوراة (اسفار موسى) وهذه القراءة معروفة عندهم (بالبراشا). وكانت القراءة الثانية من الانبياء وهي معروفة عندهم «بالهفطراه» ٠ وهذه يتلوها معلم في الناموس باللغة العبرية، وهو واقف ، ثم يترجمها الى اللغة الارامية أو اليونانية . وبعد نهاية القراءة يجلس ليفسّرها . وهذه القراءة الثانية ، وما يعقبها من تفسير ، هي التي قام بها المسيح في الهيكل . وباشارة من رئيس المجمع ، (اعمال ١٣ : ١٥) دفع الكاتب الى المسيح سفر أشعياء النبي ، وهو مكتوب على درج ملفوف ،

الذي كان مكتوباً فيه ١٨ روح الرب عليّ لأنه مسحني لأبشر المساكين أرسلني لأشفي المنكسري القلوب لأنادي للمأسورين بالاطلاق وللعمي بالبصر وأرسل المنسحقين في الحرية ١٩ وأكرز بسنة الرب المقبولة

مصنوع من جلد الغزال ، ففتحه . وبترتيب إلهي وجد الموضع الذي كان مكتوباً فيه : « روح الرب عليّ » (اشعياء ٦١ : ١ و ٢) ولعله كان الفصل المعين للقراءة في ذلك اليوم هذه هي المرة الوحيدة التي نرى فيها المسيح يقرأ

وفي هذه الأعداد نجد نبوة عن :

(١) مسحة المسيح : « روح الرب علي لانه مسحني». (ب) نوع خدمته ومسحته: الهية ، وروحية من العلاء (ج): غاية المسحة : « تبشير المساكين» وخدمة المتألمين .

من هذه الأعداد أيضاً يتجلى لنا شيء عن طبيعة انجيل المسيح: فهو انجيل: (ا) فرح : « بشارة المساكين ». (ب) شفاء : «لاشفي المنكسري القلوب ». (ج) رجاء : « لانادي للمأسورين بالاطلاق » . (د) نور : «للعمي بالبصر » (ه) حرية : « وارسل المنسحقين في الحرية . (و) ابراء واسترداد : « لأكرز بسنة الرب المقبولة » . « والكرازة بسنة الرب المقبولة » هي المناداة باليوبيل (النداء بالبوق) — لاويين ٢٥ — وهي السنة التي ترد فيها الاملاك الى اربابها بعد ضياعها من أيديهم ، ويتحرر فيها العبيد من أيدي ساداتهم ويتم فيها الفكاك والابراء للناس ، وتستريح الارض من الزرع . فهي اذاً سنة ابراء ، واسترداد ، وهتاف وعيد .

٢٠ ثم طوى السفر وسلمه الى الخادم وجلس . وجميع الذين في
المجمع كانت عيونهم شاخصة اليه ٢١ فابتدأ يقول لهم إنه اليوم قد
تم هذا المكتوب في مسامعكم

ان هذه الاوصاف ، أشبه شيء بسيف ذي حدين : لأنها تصف حالة الناس جسدياً ، وروحياً كما أنها تصف خدمة المسيح من جانبيها — للجسد، وللروح . وما أسوأ الحالة التي وصلت اليها البشرية بسبب الخطية . فهي حالة «حزن» ، « وفقر » ، « ومرض » ، « و بؤس» ، « وعمى» ، « وظلام» « وعبودية »

تأثير تفسيره (٤: ٢٠): فسّر المسيح هذه الاقوال، والشعب شاخص اليه، لانه وقّع نغمةً أصابت أوتار القلوب . كم وددنا لو حفظ لنا الوحي أول موعظة نطق بها المسيح في هذا الحادث. ولكن الوحي — لحكمة — أراد أن يحفظ لنا التطبيق الذي ختم به المسيح موعظته . إذ قال « اليوم تم هذا المكتوب في مسامعكم » كأن يقول « اني أنا هو » وان مجيئي لم يكن من « مصادفات » الأوقات بل من « صدق » النبوّات . أو ليس من المحزن أن يتم هذا في مسامعهم فقط لا في قلوبهم ؟ ؟ !

وقد كان لهذه الكلمات تأثيرها المزدوج — التأثير السطحي ، والتأثير العميق . (١) فالتأثير السطحي له درجتان : (ا) شهادة علنية على صدق ما سمعوه عنه انه معلم ، (ب) تعجب من كلمات النعمة . والكلمة « نعمة » تصف كلامه، باعتبار كونه كلاماً مقبولا جذاباً، وديعاً. وهذا مصداق لمزمور (٤٥: ٢)

٢٢ وكان الجميع يشهدون له ويتعجبون من كلمات النعمة الخارجة من
فمه ويقولون أليس هــذا ابن يوسف ٢٣ فقال لهم . على كل حال
تقولون لي هذا المثل أيها الطبيب اشف نفسك كم سمعنا انه جرى في
كفر ناحوم فافعل ذلك هنا أيضاً في وطنك ٢٤ وقال الحق أقول لكم
انه ليس نبي مقبولا في وطنه

« انسكبت النعمة على شفتيك » . كما انها تشير الى موضوع كلامه لأنه بشرهم «بنعمة الله» (أعمال ١٤: ٣). (١) والتأثير العميق : هو احتقارهم إياه في قلوبهم قائلين «من هذا ؟؟؟!» هذه هي الخطوات التي سلكوها ، فأدت بهم الى الموت الروحي : «شهدوا» ، «فتعجبوا» ، «فاحتقروا» بينما لو سلكوا طريقاً آخر ، «فشهدوا» ، «وأعجبوا» ، «ومجدوا» لوجدوا الطريق المؤدي الى حياة البركة

جواب المسيح على اعتراضهم (٤: ٢٣ — ٢٧)

اعتراضهم (٤: ٢٣) : كان أساس اعتراضهم وعدم ايمانهم به ، اتضاع أصله ، ولانه لم يعمل في بلدهم معجزات كتلك التي سمعوا انه أجرها في كفر ناحوم . ولقد أفرغوا اعتراضهم في قالب مَثَلٍ كان متداولاً بينهم : « أيها الطبيب اشف نفسك » . أي « يا من رفعت نفسك أمام عيون الأجانب بقوة معجزاتك ، ارفع نفسك هنـــا في عيون آلك وذويك ، وارفع أيضاً مسقط رأسك بمعجزة » . وما أشبه كلمتهم هذه بالتجربة الثالثة التي فاه بها الشيطان ، وما أصدق قول لوقا « فارقه إلى حين » (لوقا ٤: ١٣)

٢٥ وبالحق أقول لكم إن أرامل كثيرة كنّ في إسرائيل في أيام إيليا
حين أغلقت السماء مدة ثلاث سنين وستة أشهر لما كان جوع عظيم
في الأرض كلها ٢٦ ولم يرسل إيليا الى واحدة منها إلا الى امرأة أرملة
الى صرفة صيداء ٢٧ وبرص كثيرون كانوا في إسرائيل في زمان
أليشع النبي ولم يطهر واحد منهم إلا نعمان السرياني .

جواب المسيح ـ (٤ : ٢٥ و٢٦) كان جواب المسيح جارحاً لهم لانه أظهر لهم ان المعجزات لا تتم إلا إذا هيأوا لها الجو الصالح بواسطة ايمانهم. وان الحائل الحقيقي لإجراء المعجزات انما هو عدم ايمانهم ، لا عدم مقدرته هو . وانهم بهذا يعيدون تاريخ أسلافهم أيام إيليا (١ ملوك ١٧:١و١٨:١) حين حدث جوع ، مدة ثلاث سنين وستة أشهر . ومع ان امتناع المطر استمر نحو ثلاث سنين ، لكن الجوع حتماً استمر ستة أشهر بعد زوال المطر ، حتى ينضج الزرع. هذه هي المدة المعروفة عند اليهود بمدة الضيق ـ « اثنان وأربعون شهراً » (دانيال ٧:٢٥ و١٢ ٧ ورؤيا ١١ :٢) والمقصود «بالأرض» أرض إسرائيل والبلاد المعروفة حولها . فلم يُرسَل إيليا في تلك الأيام إلا الى أرملة في صرفة صيدا . مع وجود كثيرين وكثيرات من اليهود في إسرائيل وقتئذ (٤:٧) ثم مثّل لهم بأيام أليشع الذي شفى نعمان السرياني وتخطى كل المرضى وقتئذ . وكان من الطبيعي ان يذكر المسيح إيليا لأن الناصرة كانت تشرف على الأرض التي وطئتها قدما إيليا وكان من السهل عليه أن يراها ويشير اليها فيذكرهم عملياً بها

٢٨ فامتلأ غضباً جميع الذين في المجمع حين سمعوا هـذا ٢٩ فقاموا
وأخرجوه خارج المدينة وجاءوا به إلى حافة الجبل الذي كانت مدينتهم
مبنية عليـه حتى يطرحوه الى أسفـل ٣٠ أما هو فجاز في وسطهم
ومضى

اكتمال غيظهم (٤ :٢٨ و٢٩) : لم يتمالك السامعون أنفسهم من الغيظ لما علموا أنه يُعيرهم بالأمم أعدائهم . فغضب الذين في المجمع ، وقاموا وأخرجوه خارج المدينة ، وجاءوا به الى حافة الجبل الذي كان ارتفاعه ٨٠ قدماً وكانت مدينتهم مبنية عليه ، حتى يطرحوه الى أسفل . هذه خاتمة مؤسفة للذين بدأوا يشهدون و « يتعجبون »

ان الحديد الحامي إذ صُب عليه ماء بارد تقسّى وتصلّب ، كذلك الضمير إذا قاومه الانسان بعد ما يستيقظ و يتأثر ، فان حالته تنتهي بالصلابة والتحجر

نجاة المسيح منهم (٤ :٣٠): لم يعمل المسيح معجزة خاصة لينجو بها منهم . لـكن جلال شخصيته ، وقوة طهارته ، وسلطان شجاعته ، قد فعلت فعلها فيهم فاجتاز وسطهم ومضى، من غير أن يعترضوه. وكيف يُوقعون به وهو في حرز حريز حتى يتم رسالته ؟؟ وكل شخص خالد حتى ينجز خدمته !

أ كانت هذه معجزته التي تركها لهم ، أنه لم يعمل معجزة ؟ ؟

٣١ وانحدر الى كفر ناحوم مدينة من الجليل . وكان يعلمهم في
السبوت ٣٢ فبهتوا من تعليمه لأن كلامه كان بسلطان

في كفر ناحوم (٤ :٣١ — ٣٢)

موقعها (٤ :٣١) - يخرج بنا هذا الفصل من الناصرة المقامة على التلال ، وينحدر بنا الى كفر ناحوم ، الكائنة على شاطىء بحر الجليل في مكان ينخفض عن سطح البحر المتوسط بمقدار ٧٠٠ قدم . وما أقرب المشابهة بين الحالة الروحية والموقع الجغرافي في كل من البلدين ! كانت كبرياء الناصرة متمشية مع عُلو موقعها ، فمنعت الخير عنها . كما كانت وداعة كفر ناحوم متفقة مع انخفاض موقعها فمتّعتها بخير جزيل . والأمطار متى نزلت من السماء ، انتفعت بها الأراضي المنخفضة ، واجتازت الرؤوس المتشامخة تاركة إياها في جفاف مستديم

في كفر ناحوم صرف المسيح مدة كانت فيها هذه المدينة إسماً ومعنى « بلد المعزّي » لأن هذا معناها . وهي عاصمة الجليل اليهودية كما كانت طبرية عاصمتها الامية

تعاليم المسيح فيها (٤ :٣٢) : كانت عادة المسيح أن يذهب في السبوت الى المجمع هناك ويعلّم . وكان تعليمه يختلف عن تعليم الكتبة لأن الكتبة كانوا يكتفون بتفسير آيات الكتاب ، مستمدين النور والسلطان من آراء المفسّرين. لكن تعليم المسيح كان بسلطان مباشر من الله ، وكان مصحوباً بحق و بقوة فلم يكن المسيح مجرد محام عن الحق بل كان هو «الحق» نفسه . وكانت تعاليمه راسخة مبنية على حقائق جديدة ثابتة ، تملك على القلوب مشاعرها ، فتُخضعها . ان هذا النوع من التعليم أثار دهشة السامعين العميقة

٣٣ وكان في المجمع رجل به روح شيطان نجس فصرخ بصوت عظيم
٣٤ قائلاً آه ما لنا ولك يا يسوع الناصري . أتيت لتهلكنا أنا أعرفك
من أنت قدوس الله ٣٥ فانتهره يسوع قائلاً اخرس واخرج منه

شفاء الرجل الذي كان به روح نجس (٤:٣٣ — ٣٦)

أعراض الداء (٤ : ٣٣ و٣٤) : نحن الآن في المجمع في كفر ناحوم ، والعابدون يستمعون لتعاليم المسيح في صمت رهيب ، واذا بهذا الصمت تلاشيه صرخة مفزعة ، من رجل به روح شيطان . وهي صرخة غريبة جنونية ، لأنها تجمع بين الفزع من المسيح : « ما لنا ولك » ، و بين معرفته للمسيح واطرائه إياه : «أنا أعرفك من أنت قدوس الله». ليست هذه صرخة الرجل بل صرخة الروح النجس الذي تملكه ، واستعبده . وكان من الطبيعي أن يفزع الروح النجس من « قدوس الله » كما يفزع الظلام من النور ، وكما تهرب النجاسة أمام القداسة. ان حضور المسيح يقرب السماء لكثيرين، وجهنم لكثيرين أيضاً

لسنا في حاجة الى إقامة الحجة على أن هذا المرض حقيقي اكثر من القول ان الذي يحدثنا عنه هو لوقا الطبيب . فضلاً عن ذلك فان الطب العصري يسلّم بوجود قوات روحية غريبة غير معروف مصدرها تتسلط على مجموع الانسان العصبي وتحتل جسمه

العلاج (٤:٣٥): بكلمة منه أخرس المسيح الشيطانَ وانتهره. فعلى قدر رحمة المسيح بالمساكين، كانت قسوته على الشياطين. فصرع الروحُ النجس ، ذلك الانسان ، صرعة المستميت الذي انتزع آخر سهم من كنانته

فصرعه الشيطان في الوسط وخرج منه ولم يضره شيئاً ٣٦ فوقعت
دهشة على الجميع وكانوا يخاطبون بعضهم بعضاً قائلين ما هذه الكلمة ؟
لأنه بسلطان وقوة يأمر الأرواح النجسة فتخرج ٣٧ وخرج صيت
عنه الى كل موضع في الكورة المحيطة

٣٨ ولما قام من المجمع دخل بيت سمعان . وكانت حماة سمعان
قد أخذتها حمى شديدة . فسألوه من أجلها

« فخرج من الرجل ولم يضره بشيء » ومهما عظم جهاد الشيطان ضدّ النفس المتألمة ، فانه أمام حضرة المسيح يعجز عن أن يُوقع بالانسان أذىً

تأثير المعجزة على المشاهدين (٤: ٣٦ و٣٧) زادت هذه المعجزة في دهشة المشاهدين . فتخاطبوا فيما بينهم متعجبين من كلمة السلطان التي للمسيح على الشياطين ، وسرعان ما انتشر حديث هذه المعجزة الى كل موضع .

شفاء حماة بطرس (٤ : ٣٨ و٣٩)

أعراض المرض (٤: ٣٨): يختلف المنظر هنا عن المنظر في المعجزة الأولى ، تمّت المعجزة الأولى أمام جمهور المصلين في المجمع ، لكن هذه المعجزة تمت في دائرة البيت الضيقة . شفى المسيح حماة بطرس بانتهار الحمى ، كأن لمرضها صلة بروح غريبة . وتظهر لنا مهنة لوقا « الطبيب » متجلية في : (١) وصفه أعراض المرض: «حمى شديدة» تمييزاً لها «عن الحمّى الخفيفة» ولعلها الملاريا التي كانت منتشرة هناك. (ب) في وصفه حقيقة الشفاء العاجل (٤: ٣٩)ـ الذي تم

٣٩ فوقف عندها وانتهر الحمى فتركتها وفي الحال قامت وصارت تخدمهم
٤٠ وعند غروب الشمس جميع الذين كان عندهم سقماء بأمراض مختلفة
قدموهم اليه فوضع يديه على كل واحد منهم وشفاهم

لحماة بطرس من غير حاجة الى دور للنقاهة بعد « حمى شديد » كهذه . لأنها « قامت وصارت تخدمهم » فهو شفاء « عاجل » وهو شفاء إلهي كامل . ان هذه إلا صورة مادية ، تمثل لنا الحقيقة الروحية : ان المسيح « قادر ان يخلص الى التمام » . وهنا تتجلى لنا غاية الحياة وهي : « الخدمة »

جموع المساء (٤ : ٤٠ و٤١)

الانسانية المشوهة والانسان الكامل

السبت أم الانسان ؟ ؟ (٤ : ٤٠) : بما ان سبت اليهود يبتدىء عند غروب الجمعة ، وينتهي عند غروب السبت ، فلم يكن في استطاعة اليهود ان يحملوا مرضاهم لينالوا الشفاء من يسوع قبل غروب السبت . لأن حمل المرضى لينالوا الشفاء يومَ السبت ، خطية في نظرهم : لأن السبت عندهم أعظم من الانسان على قدر عظمة الناموس على النعمة ! ! ! والصورة التي أمامنا غاية في الجلال والوقار ، لأنها تصوّر لنا الجماهير العديدة المجتمعة لدي المسيح عند الغروب . حين ألقت الشمس ظلال الغروب عليهم ، نشر «شمس البر» أنوار أشعته واشعة أنواره عليهم

هنا في هذه الصورة تلتقي الانسانية المشوّهة المتألمة « بالانسان الكامل » فيضع المسيح يده على كل واحد من المرضى . ان علاجه: (١) لطيف لأنه من

٤١ وكانت شياطين أيضاً تخرج من كثيرين وهي تصرخ وتقول أنت
المسيح ابن الله . فانتهرهم ولم يدعهم يتكلمون لأنهم عرفوه انه المسيح ٤٢ ولما
صار النهار خرج وذهب الى موضع خلاء وكان الجموع يفتشون
عليه فجاءوا اليه وأمسكوه لئلا يذهب عنهم ٤٣ فقال لهم انه ينبغي
لي أن أبشر المدن الأخر أيضاً بملكوت الله لأني لهذا أُرسلت

يد المسيح . وهو : (ب) علاج خاص لأنه لكل واحد . فالمسيح يشفي الجميع في شفائه كل واحد . فهو مخلص لجميع الخطاة ، لانه مخلص لكل خاطىء على انفراد . ولم يُنس واحد من هذه الجماهير ، بل تمتع كل منهم بعناية خاصة « من الطبيب الأعظم » . كلٌ أحسّ بلمسة تلك اليد المفتوحة لتعطي كل حي بركةً ورضى من غناه . كلٌ فرح بتلك الابتسامة اللطيفة التي تصيّر الأرض سماء

وكما شفى المرضى كذلك انتهر الارواح

المسيح في موضع خلاء (٤ : ٤٢ و٤٣)

خرج يسوع مبكراً من بيت سمعان بطرس الى موضع خلاء ، بعد جهود المساء. ليخلو بالآب في شركة عميقة لأنه كان حيٌ بالآب (يو ٦ : ٥٧) « ولما صار الصباح » وكانت الجموع تفتش عليه ، جاءوا اليه وأمسكوه لكي يمكث في مدينتهم . ولكن مخلص العالم رأى نفسه تحت التزام أدبي ، ذاتي ، داخلي ، بأن يذهب ليبشر المدن الأخرى . لأن رسالته ليست منحصرة في الشفاء في كفر ناحوم بل في تبشير العالم بملكوت الله . والكلمة «ملكوت الله»

٤٤ فكان يكرز في مجامع الجليل

مستعارة من لغة العهد القديم بعد أن خلع عليها المسيح مسحة روحية مجيدة . والمراد بها سلطان الله على قلوب الأفراد ، والجماعات ، في مدى اتساعه وفي طبيعته ·

الخاتمة التاريخية (٤ : ٤٤) : يختتم لوقا هذا الفصل بكلمة تلقي نوراً على خدمة المسيح في ذلك الحين وما بعده بقليل « وكان يكرز في مجامع الجليل» والفعل في اللغة الاصليَّة يفيدالاستمرار ، والتجدّد

الاصحاح الخامس

١ وإذ كان الجمع يزدحم عليه ليسمع كلمة الله كان واقفاً عند بحيرة
جنيسارت

الى الآن ، كان يقوم المسيح بالتبشير ، وعمل المعجزات ، من غير ان يكون له أتباع وصحابة يلازمونه ، ويشاهدون أعماله ، ويمتلئون بروحه ، ليكونوا خلفاءه وشهوده . أما الآن ، وقد اتسع نطاق عمله ، فقد حانت الفرصة ، ودعت الحاجة الى اختيار هؤلاء « الحواريين »

دعوة التلاميذ (٥:١ — ١١) : في خلال الفصل الماضي ، يذكر لوقا أشخاصاً كانوا مع المسيح (٤:٣٨و٣٩) ولو انه لم يصرح لنا باسمائهم. ومن هذه الأعداد ومن مرقس ١:٢٩ نستنتج انهم كانوا : « بطرس ، واندراوس ، ويعقوب ويوحنا » ـ وقد كانوا الى الآن ملازمين بيوتهم ، مزاولين أعمالهم الخاصة . هؤلاء هم نواة المسيحية ، وزعماؤها ، وخدامها . ويحدثنا هذا الفصل عن دعوة المسيح لهم ، ليتركوا كل شيء ، ويتبعوه ، ليكونوا تلاميذه ـ والتلمذة هي ميزة تتقدم خطوة عن الايمان به وتنقص درجة عن « الرسولية » التي دُعوا اليها فيما بعد

الظروف المحيطة بهذا الاختيار (٥:١ ـ ٣) : في إحدى الليالي وقد استعدّ بطرس واندراوس ويوحنا ويعقوب ، للصيد كعادتهم في بحيرة جنيسارت ، التي هي بحيرة الجليل ، وكانت تلك الليلة منكودةً ـ حسب الظاهر ، لأنهم

٢ فرأى سفينتين واقفتين عند البحيرة. والصيادون قد خرجوا منهما
وغسلوا الشباك ٣ فدخل إحدى السفينتين التي كانتا لسمعان وسأله
أن يبعد قليلاً عن البرّ . ثم جلس وصار يعلم الجموع من السفينة

قضوا الليل كله ولم يمسكوا صيداً . فلما ان طوى الليل رداءه ، ليهرب من وجه الشمس ، وهي تتهيأ لتوشّي وجه الأرض بليقتها الذهبية ، رجع هؤلاء الصيادون بسفينتهم الى الشاطىء ، فغسلوا الشباك، ثم تركوا السفينة ، على أمل أن يعودوا الى عملهم في المساء . وكم كان أسفهم شديداً لفشلهم هذا ، ولم يجُل بخاطرهم أن فشلهم في تلك الليلة هو بداية نجاحهم الى جيل الاجيال ! وكم من نفوس يكون لها الفشل نِعمَ النجاح ! ! لأن فشل الانسان بشيرُ رجاء الله . وعندما تغلق أبواب الارض ، تنفتح من السموات أبواب

كان المسيح في هذه الاثناء قد أتى الى شاطىء البحيرة مبكراً ، ليقف رب الطبيعة أمام الطبيعة في جمالها ، وهي تمجد الله في جلاله . واذا بجمع كثير ممن تمتعوا بالشفاء — « يزدحم عليه ليسمع كلمة الله » . وكم كان لذيذاً ان يسمعوا « كلمة الله » المتجسد يحدثهم « بكلمة الله » الحية . « جمعٌ كثير يزدحم عليه » ! ان جُلهم كان « يزحمه » ، ولكن كم كان عدد الذين كانوا يتصلون به و يلمسونه لمسة الايمان والشركة والاتحاد ! !

لمّا رأى المسيح السفينتين على الشاطىء ، وقد خرج منهما الصيادون ، « دخل احداهما التي كانت لسمعان ، وسأله ان « يبعد قليلاً عن البر » ليستعين بهذا البعد على مخاطبتهم ، وليتمكن من رؤيتهم فيُسمعهم صوته

٤ ولما فرغ من الكلام قال لسمعان ابعد الى العمق وألقوا شباككم للصيد

ويريهم وجهه ، ليكون قريباً منهم — بعدٌ هو القربُ بعينه ! !

فاتخذ من السفينة منبراً ، ومن شاطىء البحر هيكلاً ، فجلس كعادة المعلمين ، وتكلم وكان الشعب يسمعه وقوفاً، احتراماً لكلمة الله وسلطانها . وما ألذ هذا المنظر البديع الذي يصوّر لنا « صياد » النفوس الأعظم وهو يلقي من السفينة « شباك » انجيله على « بحر » خضمّ من المستمعين ، ليجتذب منه « الاسماك » الحيـة ، المعيّنة للحياة الابدية ، وليقدّم بهذا درساً عملياً لصيادي الاسماك الذين دعاهم ليكونوا « صيادي الناس »

أمرُ المسيح لبطرس (٥ : ٤) : لما فرغ المسيح من الكلام مع الشعب ألقى على سمعان نظرة عميقة ، هادئة ، فياضةً بالمعاني ، وقال له بلطف يمازجه السلطان والثقة « ابعد الى العمق والقوا شباككم للصيد » . هذا أمرٌ يدل على جرأة عظيمة إذا صدر من انسان عادي، لأنه تهجم على الصيادين في مهنتهم ، وهم أدرى من غيرهم بالمواضع التي يكثر فيها السمك . وهي غالباً عند الشاطىء ــ بعيداً عن التيار ــ لا في العمق . كما انهم أدرى من غيرهم بأن النهار بضجيجه ، وأنواره ، لا يصلح للصيد . سيما بعد فشلهم في الليل وظلامه ، وسكونه . هذا عندهم أنسب الأوقات .

٥ فأجاب سمعان وقال له يا معلم قد تعبنا الليل كله ولم نأخذ شيئاً ولكن
على كلمتك ألقي الشبكة

جواب بطرس (٥ : ٥) : كان في جواب بطرس نغمتان تفصل بينهما كلمة : « ولكن » :— احداهما نغمة الاختبار : « يا معلم قد تعبنا الليل كله ولم نأخذ شيئاً » . وهي نغمة يتخللها التعب والفشل واليأس ، التي اصيب بها بطرس في أثناء الليل . ولعله قصد أن يستريح في النهار بعد غسل الشباك

والنغمة الثانية هي نغمة الايمان. « ولكن على كلمتك ألقي الشبكة » . كان بطرس مع المسيح في كفر ناحوم وسمع « الكلمة » التي أخرج بها المسيح الأرواح النجسة ، وتعجب مع المتعجبين ، الذين قالوا « ما هذه الكلمة ؟ لأنه بسلطان يأمر الارواح النجسة » (٤ : ٣٥ و٣٦)؟ وكان مع المسيح لما انتهر بكلمة ، الحمى التي أصابت حماته ، فرأى (بطرس) بعين الايمان — وهو أسرع الرسل في هذا الميدان — ان هذه « الكلمة » مقولة من « كلمة الله المتجسد » . وان أمره يجب أن يُطاع ، لأنه خارج من الفم الذي انتهر « أرواح سلطان الهواء » . فكيف لا تخضع له أسماك البحر في الماء ؟ وكيف لا يصدع بطرس بالأمر الصادر ممن له سلطان على الماء والهواء ؟

ما أفقر الذين يقتاتون على كِسَر الاختبارات اليابسة فيحرمون أنفسهم من طعام الايمان الدسم المتجدد على الدوام.

٦ ولما فعلوا ذلك أمسكوا سمكاً كثيراً جداً فصارت شبكتهم تتخرق
٧ فأشاروا الى شركائهم الذين في السفينة الأخرى أن يأتوا
ويساعدوهم . فأتوا وملأوا السفينتين حتي أخذتا في الغرق ٨ فلما
رأى سمعان بطرس ذلك خرّ عند ركبتي يسوع قائلاً اخرج من سفينتي

المعجزة (٥ : ٦ و٧) : هذه معجزة من طراز جديد . قبلاً كان يجري المسيح معجزاته لتخفيف آلام البشرية المعذبة ، ولكنه في هذه المعجزة استخدم علمه الكلي ، وقدرته غير المحدودة ، في صيد الأسماك.

ليست أسماكاً من البحر ، تلك التي أجرى المسيح معجزته ليصطادها . انما هي « أسماك » آدمية ، هم رسله (الحواريون) الذين قصد أن يجتذبهم اليه بهذه المعجزة التي خاطبهم فيها بلغة الصيادين . أوَ لم يجد بطرس في هذه الاسماك الكثيرة مكافأةً له على تقديمه سفينته للمسيح ليعظ منها الجماهير ؟ وهل يُسخّر الله أحداً ؟ ولكي يوجد المسيح صلةً تربط سمعان وأخاه ، يعقوب ويوحنا ، ضاعف مقدار السمك ، ففاض على السفينة حتى بدأت في الغرق ، فاضطرا أن يطلبا الى شريكيهما أن يأتيا ويساعداهما ويُقاسماهما مسرّات هذا الخير العميم . أوَ ليس هذا عربوناً للشركة المقدسة المقبلة التي سترابطهم جميعاً في ميدان خدمة انجيل المسيح فيما بعد ؟؟

ما عمله بطرس (٥ : ٨و٩) : في نور هذه المعجزة وما قبلها، رأى بطرس نفسه أمام الله رب السماء والارض والبحار (مز ٨ : ٨) فما كان منه إلا ان (ا) سجد : « خر عند ركبتي يسوع » ، (ب) وفزع : « اخرُج من سفينتي »

يا رب لأني رجل خاطىء ٩ إذ اعترته وجميع الذين معه دهشة على صيد السمك الذي أخذه ١٠ وكذلك أيضاً يعقوب و يوحنا إبنا زبدي اللذان كانا شريكي سمعان . فقال يسوع لسمعان لا تخف . من الآن تكون تصطاد الناس

هذا صوت الضمير عندما يواجه النور فترسم أمامه خطاياه (ج) واعترف بلاهوت المسيح : « يا رب » (د) وأقرّ بأنه (بطرس) خاطىء : « لأني رجل خاطىء » — والاقرار نتيجة طبيعية للاعتراف بلاهوت المسيح

لم يقصد بطرس أن يُخرج المسيح من السفينة التي كانت وقتئذ في العمق لكن نفسه الحساسة الشاعرة بخطاياها ، لم تقوَ على البقاء في حضرة المسيح هذا شعور إشعياء حين غطى وجهه أمام نور الله في العهد القديم (إشعياء ٦) . إن هذا البعد الذي طلب بطرس أن يكون بينه و بين المسيح ، لهو الحكم الطبيعي العادل الذي يستحقه كل خاطىء لولا رحمة الله ومحبته في المسيح. وقد كان في إمكان بطرس أن يكتفي بالدهشة كغيره، لكنه دخل الى العمق الروحي فاستحالت دهشته عبادة

في عدد ١٠ هنا يذكر لوقا لأول مرة رفيقي بطرس واندراوس اللذين يشاطرانهما خدمة المسيح، وأمجاد دعوته. وهما «يعقوب و يوحنا ، إبنا زبدي»

(٢) ردّ المسيح : كانت كلمة المسيح التي خاطب بها بطرس موجهة لهم جميعاً . وهي تتضمن : (١) تشجيعاً : « لا تخف » ، (ب) دعوة : « من الآن تصطاد » . هذه دعوةٌ لطيفةٌ بساطتها ، لانها أمرٌ سريعٌ عاجل من

١١ ولما جاءوا بالسفينتين إلى البر تركوا كل شيء وتبعوه

الملك . (ج) وعداً : « تصطاد الناس » — هذه خدمة إحياء . لا كصيد الأسماك لإماتتها .

« منذ الآن » ! هذا هو الحد الفاصل الذي أقامه المسيح في سجل الزمن ليفصل بين ماضي هؤلاء المدعوّين و بين مستقبلهم ، فَرَفَعَ مستقبلهم عن ماضيهم على قدر سمو الناس على الاسماك

على ان الخدمتين لا تختلفان في طبيعتهما ، وان اختلفتا في الدرجة والسمو لأن بينهما أوجه تَشَبَه عدة ، تسهل طريق الانتقال من هذه إلى تلك (١) فالصبر (ب) والسهر (ج) والاختفاء عن عيون السمك (د) والاتكال الكلي على الله (ه) والحكمة في درس طبيعة الاسماك . هذه حلقات خماسية ذهبية تُكوّن السلسلة المجيدة التي تربط هاتين الخدمتين معاً

طاعتهم وتضحيتهم (٥ : ١١) : كلام الملوك ملوكُ الكلام . أمام كلام المسيح الملك خضع الصيادون الأربعة . فتركوا « كل شيء وتبعوه ». ومن يتبع الشمس يصبح كوكباً إذا فاته أن يكون بدراً . «تركوا كل شيء» فوجدوا فيه الكل في الكل. تركوا الشباك فحبكت لهم الاجيال أكاليل مجد وفخار. تركوا الاسماك فرُفِعتْ أسماؤهم فوق السماكين. تركوا نفوسهم المائتة فوجدوا نفوسهم الحيَة في رب الحياة . تركوا مجاذيف السفينة، فوُضِعت على أكتافهم مفاتيح ملكوت السموات . تركوا الاهل والاصدقاء ، فوجدوا في هذه الحياة مِئة ضعف وفي الدهر الآتي الحياة الابدية . اذاً أكانت تضحيتهم هذه تضحية بالمعنى الصحيح ؟ ؟ كلا انها خير كسب وهي نِعمَ الربح

١٢ وكان في إحدى المدن فاذا رجل مملوء برصاً . فلما رأى يسوع خرّ
على وجهه وطلب اليه قائلاً يا سيد إن أردت

شفاء الابرص (٥:١٢ — ١٦)

تشخيص الداء (٥ : ١٢) : لم يذكر لنا لوقا اسم المدينة التي وُجد فيها ذلك الأبرص ، ولعلها كانت « قرية حطيم » . كما انه لم يذكر اسم المريض ، ولعل هذا من آدابه كطبيب . لأن البرص لا يشرف المدينة ولا المريض . لكن لوقا الطبيب يستخدم قلمه العلمي في تشخيص الداء ، فيقول ، « مملوء برصاً » مما لا يترك مجالاً للشك في حالته ، ومما يمجد المسيح الشافي « الذي سُرّ ان يحل فيه كل الملء » ، « المملوء نعمة وحقاً »

ما أكثر أوجه الشبه بين الخطية و بين مرض البرص : فكلاهما (ا) وراثي (ب) ونجس (ج) ومنجس (د) وعديم الشفاء (ه) ولعنة (و) وكلاهما موت شرعي أو موت حي ، لأن الابرص كان يلبس أكفان الموتى وتُتلى عليه صلاة الموتى . وكان يُحكم عليه بأن يعيش بعيداً عن الأحياء (ز) وكلاهما ضربة جسدية ، واجتماعية ، ودينية . وكما أن الخطية ملأت الانسان « من أسفل القدم الى هامة الرأس » (اشعياء ١:٦) كذلك كان ذلك الرجل « مملوءاً برصاً » فهو نموذج صحيح للمريض بداء الخطية

على ان هذا المرض الجسدي الذي حل بالرجل كان متمشياً معه ضعف روحي ، وهو ضعف ايمانه بارادة المسيح ، مع انه كان مؤمناً بقدرته . لأنه من فرط حاجته الى الشفاء خر على وجهه وطلب الى يسوع قائلا « إن أردت

تقدر أن تطهرني ١٣ فمد يده ولمسه قائلا

تقدر أن تطهرني » إذاً كانت ثقته بقدرة المسيح متوفرة . إنما كان يعوزه الايمان بارادة المسيح

ما عمله المسيح (٥: ١٣ و١٤) : (١) شفاه (٢) وأوصاه . عمل المسيح مع الأبرص أمرين بهما تم الشفاء — أولهما : اللّمس ، وهذا في دائرة الجسد والثاني الكلام وهذا في دائرة الروح . فكأن شفاء الرجل قد تم على دورين : أولهما — اللمس « مدّ المسيح يده ولمس الابرص » ليُبيّن له انه يريد ويقدر . فكان يمدّ يده مقدماً برهاناً على إرادته. وكانت لمسته مجرًى يسري فيها تيار قوته . وكان بهذين العملين معاً، مقدّماً تكئةً يستند عليها ايمان الرجل

أولاً : لمسه المسيح (٥: ١٣): لمسه[١] المسيح على خلاف أمر الناموس الذي يُحرّم لمس الابرص، مبرهناً بهذا على: (ا) انه رب الناموس وعلى:(ب) ان ناموس الرحمة ينتصر على ناموس الطقوس. لَمَسَه على خلاف عادة الناس ، لأن الرجل كان أحوج ما يكون الى هذه اللمسة التي حُرِم منها منذ أصيب بمرضه . فبرهن المسيح بهذا على انه ليس بالرجل العادي الذي يخشى ان تنتقل العدوى اليه ، بل انه رب الحياة الذي تنتقل منه عدوى الصحة والحياة ،

(١) يحاول بعض المفسرين العصريين ان يطبقوا حالة هذا الرجل على لاويين ١٣: ١٣ ولكن لو كان الرجل كذلك لما طلب الشفاء لأنه بريء بحُكم الناموس . ولأصبح عمل المسيح معه من قبيل تحصيل الحاصل

أريد فاطهر . وللوقت ذهب عنه البرص ١٤ فأوصاه أن لا يقول لأحد بل امضِ وأرِ نفسك للكاهن وقدم عن تطهيرك كما أمر موسى شهادةً لهم

فتدبّ القوة في جسم المريض . فكانت هذه اللسة في نظر الأبرص معجزة وصارت لنا نحن انجيلاً ونوراً. لانه لو لا تجسد المسيح ، لما كانت له يد . ان لمسة المسيح للأبرص ، من غير أن ينتقل المرض اليه ، تُعتبر رمزاً لحله جسم بشريتنا، من غير أن يتدنس بخطايانا. فصار في كل شيء مثلنا « بلا خطية »

قال أحدهم : ألم يُشفَ الرجل ويبرأ من مرضه في اللحظة التي أراد له المسيح فيها الشفاء ، حين قال « أريد » ؟ اذاً تكون يد المسيح قد لمست جسم الرجل وهو طاهر من البرص. وبهذا لا يكون متعدياً على الناموس !

ثانياً : أمر المسيح له: حين لمس المسيح باصبعه ذلك الابرص قال له «أريد فاطهر » وفي هاتين الكلمتين اعلان لإرادة المسيح ، وإظهار لقدرته . لان إرادته تجلّت في القول « أريد » وقدرته ظهرت في الكلمة « فاطهر » . فاللمسة الظاهرة طهّرت الرجل من مرض جسمه — البرص. والكلمة الحيّة أبرأت الرجل من مرض نفسه— وهو ضعف ايمانه بارادة المسيح .

ثالثاً:وصية المسيح له (٥: ١٤): كانت وصية المسيح للرجل مزدوجة: (ا) في صيغة نهي: «لا تقل لأحد». (ب) في صيغة أمر:« امضِ وأرِ نفسك للكاهن وقدم عن تطهيرك ».و بين الامر والنهي كلمة «بل». وفي النهاية يتوّج المسيح كلامه له بذكر الباعث على هذه الوصية : « كما أمر موسى شهادةً لهم »

١٥ فذاع الخبر عنه أكثر . فاجتمع جموع كثيرة لكي يسمعوا ويشفوا به من أمراضهم

قال له المسيح: «لا تقل لأحد»: (١) لكي لا يعطي الرجل فرصة للاختلاط بالناس قبل أن يحكم الكهنة ببرئه (ب) لكي يعطي للرجل فرصة هادئة يتأمل فيها هذه الرحمة التي شملته عوضاً عن أن يصيبه الافتخار والغرور أمام الناس بالشفاء الذي ناله. (ج) لكي لا يثير نقمة الكهنة على الرجل فيحكموا بعدم برئه ، لأنه نال الشفاء على يد المسيح (د) لان المسيح رأى أن الوقت لم يحن بعد لانتشار حديث الناس عنه : انه صانع المعجزات ، بدلاً من أن يعرفوه فادياً ، ومخلصاً للأرواح والنفوس .

أمرَ المسيحُ الرجلَ أن يُري نفسه للكهنة، وان يُقدِّم القربان لسببين: (١) كما أمر موسى. (٢) شهادةً لهم. لكي يُقيم من الرجل شهادةً حيةً ناطقة (١) بقدرة المسيح على الشفاء العاجل ، (ب) وأنه لا يحرّض الناس على كسر الناموس ، بل بالحري يوصيهم باحترامه ، (ج) وبأنه هو نفسه محافظ على روح الناموس، وقوّته . لانه لم يأت لينقض الناموس الادبي بل ليكمله.

نتيجة الشفاء (٥:١٥) : ذاع خبر هذه المعجزة اكثر كثيراً بسبب وصية المسيح. لان شفاء الرجل لم يكن من الممكن أن يُخفى — وهل يختفي النور ؟؟ ولان الرجل — كما يقول مرقس في بشارته — لم يعمل بوصية المسيح ، بل ابتدأ ينادي كثيراً ويُذيع الخبر . وكان انتشار هذا الخبر باعثاً على اجتماع جموع كثيرة ، لكي يسمعوا كلام المسيح ، ولكي يشفوا من أمراضهم .

١٦ وأما هو فكان يعتزل في البراري ويصلي ١٧ وفي أحد الأيام
كان يعلم وكان فريسيون

خاتمة تاريخية (٥ : ١٦) : بعد الجهود والقوى التي خرجت من المسيح في الشفاء ، مضى الفادي « واعتزل في البراري » . ليتمتع بالشركة مع الله ، وليجدّد قوة جسده، ففي هذه الفرصة خلا المسيح بالآب ، وارتاح الجسد في هدوء الطبيعة وسكونها. فما أمجد المسيح حين يخدم. وما أمجده حين يعتزل . فاذا كان مع الناس ، خدمهم أجلّ الخدمات ، وان اعتزل عنهم فهو يتحدث مع الله .

أمجدّف ام ماذا ؟؟؟ (٥ : ١٧ — ٢٦)

تمهيد (١٧:٥) : نحن الآن في كفر ناحوم، في بيت يهودي. مبنيّ على الطريقة الشرقية . بين محتوياته دهليز يؤدي الى باحة فسيحة ، عليها سقف من القرميد ، مصنوع من قطع معشقة من الفخّار ، المعروف بالأجُر ، من السهل رفعها واعادتها الى مكانها. وللدار سلم منصوبة من الخارج — كمعظم البيوت في تلك البلاد وقتئذٍ — لكي يصعد منها الضيوف من غير أن يمروا « ببيت الحريم » من الداخل . وفي أحد الايام ـ غير السبت ـ كان المسيح يعلّم . وكان المستمعون خليطاً من أناس جاءوا ليستشفوا، وآخرين جاءوا ليستمعوا فينتفعوا،وآخرين جاءوا ليستمعوا فينتقدوا،ويُوقعوا. وهذا النوع الاخير مُمثل في الفريسيين ـ وهذه أول مرّة يرد فيها ذكرهم في هذه البشارة. والكلمة « فريسيون » آرامية من « فرز »ـ ومعناها انفصل. وهم الذين فرزوا

ومعلمون للناموس جالسين وهم قد أتوا من كل قرية من الجليل واليهودية وأورشليم . وكانت قوة الرب لشفائهم

أنفسهم عن عامة الشعب ترفعاً منهم واباءً . وهم أقرب الناس لى « المعتزلة » في الاسلام. يرجع تاريخ نشأتهم الى حكم المكابيين . إنّ عقيدتهم الدينية لا غبار عليها . لانهم كانوا يعتقدون بسلطان العناية الالهية ، و بالقيامة من الاموات ، و بفصل الدين عن السياسة . اذاً كانت عقولهم سليمة . انما الداء كان فى قلوبهم الممتلئة كبرياء . لانهم كانوا ينظرون الى الدين من ناحيته الخارجية بصرف النظر عن حالة القلب الداخلية « لهم صورة التقوى لكنهم ينكرون قوتها » .

« والمعلمون » هم المعروفون عند اليهود « بالحاخامين » أي الحكماء . وهم الذين يستندون في تعليم الشريعة الالهية الى الاقوال الواردة في « الحديث » المعروف عندهم « بالتلمود » وهو من تلمذ وعلّمَ — وهي كلمة آرامية ايضاً .

وكان هؤلاء جالسين —لا واقفين— على خلاف عادة المستمعين. ترفعاً منهم وكبرياء . لانهم جاءوا ليمسكوه ، لا ليسمعوه . ولكنهم كانوا منتحين جانباً خاصاً ، حتى لا يختلطوا بالشعب .

كان عدد الحاضرين كبيراً لانهم أتوا من كل قرية من الجليل واليهودية وأورشليم .

«وكانت قوة الرب لشفائهم» ـ أي أن قوّة الشفاء كانت ملازمة للمسيح الذي هو « يهوه » رب العهد القديم والجديد . وكانت هذه القوّة مُعدّة

١٨ واذا برجال يحملون على فراشٍ انساناً مفلوجاً وكانوا يطلبون أن
يدخلوا به ويضعوه أمامه ١٩ ولما لم يجدوا من أين يدخلون به
لسبب الجمع صعدوا على السطح ودلّوه مع الفراش من بين الأُجُرّ
الى الوسط قدام يسوع .

وكافيةً لشفائهم ، فلم ينتفع بها إلا الذي شعر بحاجته اليها ، وأخضع نفسه لسلطانها ، بالايمان ، والطاعة . شأن كل القوات الاخرى، كالكهربا مثلاً ، لا ينتفع بها إلا من درس نواميسها ، وخضع لها ليمتلك ناحيتها .

منظر المريض (٥ : ١٨ و ١٩) : كان المسيح موجوداً ، والشعب مجتمعاً حوله ، واذا بمريض محمولٍ على فراش ، له أربعة أطراف ، مدلّى من السقف، يحمله أربعة رجال. لأنهم وجدوا الطريق المؤدي الى المسيح مزدحماً بالجموع المحتشدة، فصعدوا على السلم الخارجيّة ونقبوا السطح ، ودلّوه من بين الأُجُر ، واذا به في الوسط بين يدي المسيح . وما أبهاها دائرة ، تلك التي يكون المسيح مركزها — في الوسط . فهي سماء، يكون هو سماءها. وما أقواه ايمان ، ذلك الذي لا يكتفي « بالمحيط » الخارجي بل ينتصر على العقبات فلا يرتاح إلا إذا وُجد في « المركز » بين يدي المسيح .

أليس هذا الرجل المفلوج، وهو حيٌّ ميت، رمزاً لمرضى الارادة الروحيّة الذين هم أحياء أموات ؟ !

٢٠ فلما رأى إيمانهم قال له أيها الانسان مغفورة لكَ خطاياك
٢١ فابتدأ الكتبة والفريسيون يفكرون قائلين من هذا الذي يتكلم
بتجاديف . من يقدر أن يغفر خطايا إلا الله وحده ٢٢ فشعر يسوع
بأفكارهم وأجاب وقال لهم ماذا تفكرون في قلوبكم ٢٣ أيما أيسر
أن يقال مغفورة لك خطاياك .

شخصيَّة المسيح (٥ : ٢٠—٢٤) : ان أمثال المسيح هي معجزات الحكمة ، كما أن معجزات المسيح هي آية التعليم . كذلك كانت هذه المعجزة مثالاً ، تجلَّت فيه شخصيَّة المسيح القوية البارزة . من هذه المعجزة ، نرى في شخصيَّة المسيح: (١) علماً غير محدود (٢) وسلطاناً غير محدود. (٣) وحكمةً غير محدودة — هذه صفات ممتازة لا تُنسب إلا الى الله جلَّ وعلا .

(١) إنَّ علمه الغير المحدود ، يتجلى أمامنا كسيف ذي حدين ، يضرب ذات اليمين وذات اليسار ، لانه : (ا) رأى ايمان الاربعة الذين يحملون المريض ، ورأى ايمان المريض ايضاً ، الذي استسلم لهم برغبته . (ب) كشف أفكار الفريسيين . وقال لهم « لماذا تفكرون في قلوبكم » .

(٢) وسلطانه الغير المحدود ظهر : (ا) من قوله للمريض « أيها الانسان مغفورة لك خطاياك» . وبهذه الكلمة شفى نفسه المريضة. لان الخطيَّة هي تعدٍّ على شريعة الله وحده فلا يُستغفَرُ فيها غير الله . ولا يغفرها إلا الله . وهذا ما شهدت به الاعداء — إذ قالوا « من يقدر أن يغفر خطايا إلا الله وحده». فاذا

أم أن يُقال قُم وامشِ ٢٤ ولكن لكي تعلموا أن لابن الانسان
سلطاناً على الارض أن يغفر الخطايا قال للمفلوج

لم يكن المسيح إلهاً فهو مجدف. (ب) من قوله للمريض: « لك أقول قم » وبهذه الكلمة شفي جسده.

(٣) أما حكمته الغير المحدودة، فهي معلنة في اكتشافه حاجة المريض الحقيقية لأن الرجل كان مصاباً بمرض مزدوج: ـ مرض روحي ـ وهو الخطية. ومرضٍ جسدي ـ هو الفالج وربما كان مرضه الثاني مظهراً ونتيجة لمرضه الأول. لذلك أظهر المسيح حكمته في انه بلغ « العمق »، وعرف أن حاجة النفس أولى بالاجابة، فأجاب نداء النفس وغفر لها ذنبها قبل أن يلتفت الى نداء الجسد ويشفيه من المرض. وتظهر حكمته بصورة أخرى، في انه عرف الحجة التي يتمسك بها أعداؤه عليه، بقولهم في أنفسهم: «أليس غفران الخطية عملاً غير منظور؟ فمن يحاسبه اذا هو قال فيه ما يشاء؟ أننا نريد برهاناً مادياً مؤيداً، مصداقاً لهذا الادعاء». فقطع عليهم الطريق، واستلّ من أيديهم سلاحهم، وطعنهم به في الصميم، إذ قال « ولكن لكي تعلموا أن لابن الانسان سلطاناً على الأرض أن يغفر الخطايا قال المفلوج: لك أقول قم واحمل فراشك واذهب الى بيتك» وفي قوله هذا: (١) قدم اعلاناً جديداً عن نفسه. (ب) وألقى أمراً على المفلوج.

(١) اعلانه عن نفسه: « انه ابن الانسان وان له سلطاناً » ـ وردت كلمة «ابن الانسان» في سفر دانيال، وصفاً للمسيح قبل تجسده بخمسة قرون.

لك أقول قم واحمل فراشك واذهب الى بيتك -

وهي كلمة خاصة به ، استعملت في البشائر ثمانين مرة ، وفي كل الأوقات استعملها المسيح عن نفسه إلا مرة واحدة وصفه بها استفانوس عند استشهاده . فهي تصف شخصيته المكونة من اتحاد الناسوت باللاهوت، تلك الشخصية التي عاش بها انساناً كاملا و إلهاً كاملاً ، والتي بها ارتفع عن الأرض الى المجد (أعمال ٧:٥٦) والتي بها يأتي الى مجيئه الثاني ليدين الأحياء والأموات لانه « ابن الانسان ». فهو خلاصة البشرية الكاملة ، الظافرة المتسلطة. الممجدة

(ب) وكلمته للمفلوج فيها شيء من الغرابة ، بل كل الغرابة . لانها تحوي أوامر ثلاثة ، من المستحيل على الرجل تنفيذها :

(١) : « قم » . (٢) : « احمل فراشك ». (٣) : « اذهب الى بيتك »

(١) لو كان الرجل قادراً على ان يقوم ، لما كان مفلوجاً محمولا . ولكن ألا يطلب المسيح منا عمل المستحيل ؟ بلى . لانه يعطي القدرة التي بها يحيلُ المستحيل الى امكانية سهلة . واذا لم يقدرنا على عمل المستحيل فمن المستحيل أن يكون مسيحنا ! إذا أوامره مواعيد ومواعيده قوات بها تصبح نقطة الضعف في حياتنا مصدر قوة وحياة ورجاء. فكما كانت الفراش المحمول عليها المريض قبل الشفاء، دليل مرضه . كذلك أصبحت الفراش التي صار يحملها بعد شفائه دليل الصحة والقوة . وهذا لا يتم لنا إلا إذا صارت طاعتنا مترجمة عن ايماننا الوثيق بكلامه وأوامره. (٢) وفي قوله للمريض « احمل فراشك » قطع عليه سبيل الرجوع الى مرضه وقدم له برهاناً عملياً محسوساً على شفائه التام. (٣) وفي أمره

٢٥ ففي الحال قام امامهم وحمل ما كان مضطجعاً عليه ومضى الى
بيته وهو يمجد الله ٢٦ فاخذت الجميع حيرة ومجدوا الله وامتلأوا
خوفاً قائلين اننا قد رأينا اليوم عجائب ٢٧ و بعد هذا خرج

اياه بالذهاب الى بيته ، هيأ له الفرصة السانحة للشهادة بقدرة المسيح الفائقة . فيرى اهل بيته بعيونهم ما يساعدهم على ان يروا بعين ايمانهم فيمجدوا الله .

اتمام الشفاء (٥ : ٢٥) : اطاع الرجل أمر المسيح فصار شهادةً حية أمام الجميع . ونال اكثر من مجرد الشفاء. لانه نال قوة لحمل فراشه، ومجّد الله.

نتيجة الشفاء (٥ : ٢٦) : أخذت الجميع حيرة . وتعمقت هذه الحيرة والدهشة فتحولتا الى عبادة. وصارت العبادة تمجيداً. وتطور التمجيد خوفاً لانهم « رأوا عجائب » اذ رأوا أن لابن الانسان سلطاناً على الارض ان يغفر الخطايا وان يشفي الامراض

دعوة لاوي (٥ : ٢٧ — ٣٩)

في هذه الاعداد ثلاثة فصول (١) الدعوة نفسها (٥ : ٢٧ و ٢٨) (٢) الوليمة وحديثها (٥:٢٩-٣٢) (٣) الصوم وجواب المسيح (٥:٣٣-٣٩)

الدعوة (٥:٢٧) : خرج المسيح من ذلك البيت التاريخي الذي دُشِّنَ على مر الأزمان ، برفع جزء من سقفه ، وذهب الى شاطىء بحر الجليل . فوصل الى محل الجباية . حيث يجبي الجباية موظفون من اليهود ليقدموها الى انتيباس هيرودس ممثل الحكم الروماني

وكان جامعو الجباية معروفين «بالماكسين» أي «بالعشارين» نسبةً الى

فنظر عشاراً اسمه لاوي جالساً عند مكان الجباية .

«العشور» التي يدّعون أخذها من الناس ضريبةً على أموالهم وممتلكاتهم . ولكونهم يهوداً ، يجمعون ضريبةً من أمتهم، لتقدّم الى الأمة الرومانية الوثنية الحاكمة ، لذلك كانوا محسوبين من أمتهم « كسقط المتاع » ، فلا تُقبل شهادتهم في المحاكم ، ويمتنع الناس عن أن يخالطوهم ، ويؤاكلوهم ، لانهم كانوا « التكئة » التي يرتكز عليها الأجنبي في تنفيذ إرادته الغاصبة، ولانهم كانوا يستخدمون كل أنواع الضغط ، والظلم ، والاباحيّة ، في جباية هذه الضرائب. ويقول حديث « لا يدخل صاحب مكس (عشار) الجنة » وكم كان احتقار الشعب للاوي هذا عظيماً ، لأن أصله من بيت الكهنوت الرفيع اليهودي «المقدس». فهو في نظرهم كأمير من عائلة ملكية. خان عرش آبائه وتواطأ مع العدوّ هذا هو «لاوي» المعروف «بمتى» أي «عطية الله» (مت٩: ٩—١٧) وهو الاسم الذي منحه اياه المسيح بعد دعوته ، كما منح سمعان اسم « بطرس ». هذا هو الرجل « الساقط » الذي رآه المسيح جالساً عند مكان الجباية فنسي كل اعتبار آخر ورأى فيه « انساناً » بدلاً من أن يرى فيه كتلةً مهملةً من سقط المتاع

ما أعجب أعمال العناية التي رتبت أن يكون « لاوي » جالساً في مكان الجباية وقت مُرور المسيح ـ «فرآه» اوما أعظم شجاعة المسيح في تقديمه الدعوة لهذا الرجل الغير الشريف سيما لأن المسيح كان في بداءِ رسالته الدينية. وان وجود رجل ملوّث السمعة كهذا، ضمن اتباع المسيح الاوّلين يُخشى من أن

فقال له اتبعني ٢٨ فترك كل شيء وقام وتبعه

ينزل بسمعة المسيح وأتباعه الى الحضيض لأن البحر متى تلوّثت مياهه عند منبعه، صارت على الناس ويلا وو بالاً وموتاً.

ولكن الله الذي يخرج نوراً من ظلمة، والذي يُوجد الألماس اللامع من الفحم الأسود، والذي يُنبت النرجس من البصل، ان الله الذي يُجري هذه المعجزات في دائرة الطبيعة، قد مدّ يده السحرية العجيبة وأتمّ معجزةً أخرى في دائرة الروح، وقال لمتى: « اتبعني ». فصار هذا العشار كاتبَ البشارة التي بها يُفتتحُ العهد الجديد.

اجابة الدعوة (٥:٢٨و ٢٩): كانت كلمة المسيح لمتى مصحوبةً بسلطان جاذب، مُحبب. فلم يقوَ على مقاومتها بل: (١) ترك. (ب) وقام. (ج) وتبع، (د) وصنع وليمة — (١) في الترك: التوبة عن الماضي. (ب) في القيام: العزيمة في الحاضر (ج) في اتباع المسيح: الايمان الذي يضمن المستقبل. (د) وفي صنع الوليمة تضحية وخدمة، بهما يطبع الطابع الجديد على حياة متى، الذي كان رمز حياته الأولى « الشرّه، والسلب، والنهب »، فصار شعار حياته الجديدة « البذل، والسخاء، والوفاء ».

(١) «ترك» — هنا بزرة الحياة الجديدة وقد زُرعت. (ب) «قام» — هنا بزرة أضحت نبتة. (ج) « تبعه» — النبتة أضحت شجرة. (د) « وصنع وليمة» ـ الشجرة جادت بثمر.

٢٩ وصنع له لاوي ضيافة كبيرة في بيته . والذين كانوا متكئين
معهم كانوا جمعاً كثيراً من عشارين وآخرين ٣٠ فتذمر كتبتهم
والفريسيون على تلاميذه قائلين لماذا تأكلون وتشربون مع
عشارين وخطاة ٣١ فأجاب يسوع وقال لهم لا يحتاج الأصحاء

كان من الطبيعي ألاّ يحضر الوليمة إلا العشارين والخطاة — والطيور على أشكالها تقع — وهم الذين دعاهم متّى ليشاطروه مسرّات الحياة الجديدة، إذ وجد في المسيح «اللؤلؤة الكثيرة الثمن» .

الشباعى الجائعون (٥: ٣٠): جَلَس — ولكن عن بُعد — جماعة من الفريسيين والكتبة فتذمروا واحتجوا لدى تلاميذ المسيح، فكان هذا مظهراً لكبرياء في جُبن ، وغيرة في حِقد . لأنهم لم يجسروا أن يسألوا المسيح رأساً بل سألوا تلاميذه .

جواب المسيح (٥: ٣١و٣٢): كان جواب المسيح كسيف ذي حدَّين ـ برَّر به موقفه ، وقضى به على ادعاآتهم . وكم نحن مدينون لهؤلاء الكتبة والفرِّيسيين بتصرفهم هذا ! لأنهم أنطقوا لسان المسيح بهذه الحكمة الخالدة التي عبر بها عن: (١) طبيعة رسالته ـ انها للشفاء: (ب) طبيعة البشرية ـ انها مريضة . (ج) طبيعة الخلاص ـ انه لا يُوهَب إلا لمن يعترف بمرضه. (د) طبيعة المسيحية ـ انها ديانة فدائية ـ فهي ديانة الأقوياء بضعفهم، الأعزّاء بوداعتهم، الأجلاّء بيساطتهم والأغنياء بفقرهم. (ﻫ) طبيعة التوبة ـ انها انارة، فتبكيت،

الى طبيب بل المرضى ٣٢ لم آتِ لأدعو أبراراً بل خطاة الى التوبة
٣٣ وقالوا له لماذا يصوم تلاميذ يوحنا كثيراً ويقدمون طلبات
وكذلك تلاميذ الفريسيين أيضاً. وأما تلاميذك فيأكلون ويشربون

فتغير، فرجوع الى الله الحي مُخلّص الخطاة وطبيب المرضى.

كل هذا له معنىً خاص عند لوقا الطبيب

جواب المسيح على السؤال الخاص بالصوم (٥: ٣٣—٣٩): كان جواب المسيح مُفحماً للفريسيين الذين احتجوا على أكله مع العشارين والخطاة. لكنهم لم يعدموا وسيلة بها يهاجمونه، فاتخذوا من تلاميذ يوحنا المعمدان وسيلة استندوا اليها في مهاجمته. لأن الصوم كان « العامل المشترك » بين هاتين الفئتين المتباعدتين. أو ليس عجيباً بل محزناً أن تلاميذ يوحنا يسخّرون أنفسهم لمهاجمة من كان سيدهم عبداً له ورسولاً وصديقاً ؟؟

سؤالهم (٥: ٣٣): فقالوا للمسيح « لماذا يصوم تلاميذُ يوحنا كثيراً ويقدّمون طلبات، وكذلك تلاميذ الفريسيين أيضاً. وأما تلاميذك فيأكلون ويشربون » والصوم المقصود هنا ليس الصوم الذي فرضه الله على اليهود مرّةً واحدةً في السنة في يوم الكفارة لكنه الصوم الذي رتّبه البشر فيما بعد — يومين في الاسبوع (لو ١٨: ١٢)— كل يوم اثنين وجمعة. وهما اليومان اللذان صعد فيهما موسى الى سيناء ليأخذ من الله لوحي الشريعة كما يعتقد اليهود. « والطلبات » ليست هي الصلوات الروحية الخشوعية التي تعبّر عن أشواق النفس الى خالقها بل هي الكلمات التي تتكرّر باطلاً.

٣٤ فقال لهم أتقدرون أن تجعلوا بني العرس يصومون ما دام
العريس معهم ٣٥ ولكن ستأتي أيام حين يرفع العريس عنهم
فحينئذ يصومون في تلك الأيام ٣٦ وقال لهم أيضاً مثلا

جواب المسيح (٥: ٣٤و٣٥): كان جواب المسيح جامعاً مانعاً. لأنه أعلن لنا حقائق ثمينة عن: (١) شعوره العميق برسالته: انه المسيح الآتي الى العالم (ب) طبيعة رسالته: انها رسالة نور وسرور، وانها رسالة «يهوه» عريس شعبه. باعتباره الرأس، والمحب، والعائل، ونبع السرور. (ج) شعوره بظل الصليب، وقد وقع عليه من بعد: وهذا ظاهر من قوله «حين يرفع العريس عنهم». (د) حقيقة الصوم: انه تعبير طبيعي عن شعور القلب. فمتى كان القلب فرحاً بوجود العريس فلا معنى للصوم لانه يعتبر اهانة لحضوره، ومتى كان القلب كسيراً عند «رفع العريس» (يو ١٦: ١٦) عندئذ تكون الفرصة مهيأة للصوم. لأن إذلال الجسد يكون مناسباً متى كان متمشياً مع تذلل الروح. فاذا ما صام تلاميذ يوحنا، فلا لوم عليهم لأن عريسهم كان سجيناً. (هـ) طبيعة موته: انه رفعة وسمو — هذه صورة للصليب، حساً، ومعنى. «هكذا ينبغي أن يرفع ابن الانسان»، «وأنا إن ارتفعت عن الأرض أجذب إلي الجميع». ومن الغريب ان شهادة المسيح عن نفسه انه «عريس شعبه» قد أيدتها شهادة يوحنا المعمدان (يوحنا ٣: ٢٩)، وشهادة يوحنا الحبيب أحد تلاميذ يوحنا (رؤيا ١٨: ٢٣). أوليس عجيباً أن يصدر هذا الاعلان عن ذاك الذي سمي «رجل الأحزان» ؟؟؟

ثلاثة أمثال (٥: ٣٦—٣٩): من مثل العرس والعريس استمد المسيح

ليس أحد يضع رقعة من ثوبٍ جديد على ثوبٍ عتيق . وإلا فالجديد يشقه والعتيق لا توافقه الرقعة التي من الجديد ٣٧ وليس أحد يجعل خمراً جديدة في زقاقٍ عتيقة لئلا تشقّ الخمرُ الجديدة الزقاق فهي تُهرقُ والزقاق تتلف ٣٨ بل يجعلون خمراً جديدة في زقاقٍ جديدة

ثلاثة أمثال ـ أحدها : من الثياب الجديدة ، التي يدخل بها المدعوون الى العُرس. والثاني : من الخمرة وهذه كانت تكثر في أفراح اليهود،وهي العصير المختمر ، لا الروح المقطّرة . والثالث : مَثل طبيعي مستمد من المثَل الثاني .

مثل الثوب والرقعة (٥:٣٦) : في المثل الأول يقول.انه ليس من الحكمة أن يأخذ الانسان قطعة من ثوبٍ جديدٍ ويرقع بها ثوباً عتيقاً ، لأن أخذ الرقعة الجديدة من الثوب الجديد فيه إتلاف للثوبالجديد الذي شُقّت منه، فضلا عن كونها لا تلائم الثوب العتيق . ولأن القماش الجديد القوي ، إذا ما اتّحد بقماش بال عتيق ، شقّه ، لأن كل شيء يبلى من أضعف جزء فيه .

وبهذا المثل أظهر يسوع الغرض من رسالته:فهو ليس مجرد مصلح يقوم بترقيع العتيق البالي، لكنه مُجدّد يخلق سماءً جديدة ، وأرضاً جديدة ، يسودها ويحكمهما ناموس وصية جديدةـ وصيّة المحبة. فاذا ماحاول ان يرقع القديم فان في هذا إتلافاً لرسالته الجديدة التي لاتتلاءم مع العبادة الصوريّة القديمة. إذ لا مساومة في دينه. بل الأفضل ترك القديم حتى يبلى ويضمحل من تلقاء نفسه، ليظهر الجديد «الذي يتجدّد للمعرفة حسب صورة خالقه» (رومية ٧:١٧و١١:٦)

المثل الثاني (٥:٣٧و٣٨) : مثل الخمر والزقاق ـ الزقاق مصنوعة عادة من

فتحفظ جميعاً ٣٩ وليس أحد إذا شرب العتيق يريد للوقت الجديد لأنه يقول العتيق أطيبُ

جلد في هذا المثل يظهر المسيح ان روح ومبادىء المسيحية الجديدة، لا تلائم أشخاص النظام القديم، لأن روح المسيح هي روح الحرّية والمحبـة بينما أشخاص الفريسيين والمعترضين من تلاميذ يوحنا، جامدة متحجرة. هذا يوافقه احتجاج القوم على تلاميذ المسيح يوم الخمسين «انهم امتلأوا سلافة (خمرة)» (أعمال ٢: ١٣). فالتوفيق بين الاثنين فيه إتلاف لكليهما

المثل الثالث (٥: ٣٩): مثل التعلق بالقديم: ان المسيح بتسامحه المعهود، ومحبته التي تنتظر «الأفضل» في كل الاشخاص والاشياء، أراد في هذا المثل الثالث، ان يلتمس العذر لأهل العهد القديم، إذا هم تمسكوا بقديمهم. لأن هذا طبيعي، ولأنّ الطفرة، كما في أمثالهم، من المحال، لان الذي يعتاد على شيء، من الصعب عليه تغييره.

وفي هذا نغمةُ أسف، واشفاق، وعطف على الفريسيين. لان العشارين والخطاة بما فيهم من مُرونةٍ وخضوعٍ وتوبة، يسبقونهم الى ملكوت الله، ولانّ انتقال العشارين الى ملكوت السموات يتم بسرعة البرق، مع أن تغيير الفرّيسيين الجامدين المتحجرين، هو عمل الاجيال.

الاصحاح السادس

بدء السنة الثانية من خدمة المسيح

وفي السبت الثاني بعد الاول اجتاز بين الزروع . وكان

المسيح رب السبت ايضاً (٦ : ١ - ١١)

بدأت المعارضة تُنظّم نفسها ضد المسيح ، مذ ان علمتْ انه يجسر على غفران الخطايا ، ويُؤاكل المشارين والخطاة ، ويمنع تلاميذه من مماشاة الفريسيين في أصوامهم المتكاثرة . وسنرى في هذا الاصحاح ان معارضة الفريسيين له قد تَبلوَرَتْ ، وتصلَّبت، فتكوَّنت. اذ رأوه يكسر وتلاميذه الوصيَّة الخاصة بيوم السبت .

فكأنَّ تلاميذه وهم يفركون السنابل بين أيديهم، كانوا يفعلون ما هو أبعد من ذلك بكثير . فما كان احتكاك أيديهم بالفريك، سوى صورة ضئيلة لبداية الاحتكاك الفكري بين مبادىء الأنجيل الجديدة ، و بين مبادىء الفريسيين العتيقة البالية، ودلالةً على ان «الخمرة الجديدة» لاتوافقها «الزقاق العتيقة» .

أمامنا حادثتان — احداها حدثت بين الزروع — محطّ الحياة العملية والثانية في المجمع - مهبط الحياة الروحية . وفيهما ألقى المسيح درساً على أعداء الحق : انه « رب السبت أيضاً »

تلاميذه يقطفون السنابل ويأكلون وهم يفركونها بايديهم

فَرْك السنابل (٦ : ١ — ٥)

(٦ : ١ ـ ٥) تمت الحادثة الاولى « في السبت الثاني بعد الأول » . وقد اختلف المفسرون في تفسير كلمة « السبت الثاني بعد الأوّل » . التي تُترجم حرفياً من اليونانية الى : « السبت الثاني الأول »

(١) فمن قائل ان السبت الأول هو سبت عيد اليهود الأول أي سبت الفصح. وان السبت الثاني بعد الأول، هو سبت عيد اليهود الثاني ـ الخمسين، أي سبت عيد الباكورات. (٢) ومن قائل ان السبت الأول هو اول سبت بعد عيد الفصح ، وان السبت الثاني هو ثاني سبت بعد الفصح ، المعروف عند اليهود بسبت « العومر » أي سبت الاغمار ، وفيه يكون الشعير مُفركاً (٣) ومن قائل ان السبت الاول هو سبت الشهر الأول في السنة اليهودية ، وان السبت الثاني هو سبت الشهر الثاني منها . (٤) ومن قائل ان لليهود سنتين ـ احداهما مدنية : تبتدىء في شهر تشرين (سبتمبر — اكتوبر) والسنة الثانية دينية : تبتدىء في شهر نيسان (ابريل – مايو) ، فيكون السبت الواقع في رأس السنة الاولى هو السبت الاول ، والسبت الواقع في رأس السنة الثانية هو السبت الثاني. (٥) ومن قائل ان السبت الثاني هو أول سبت في السنة الثانية الحولية ، في دورة السنين السباعية عند اليهود . لانّ لسني اليهود دورات سباعيةٍ تنتهي بسنة اليوبيل الذهبي (٦) ومن قائل أن السبت الثاني هو يوم السبت، الواقع بعد اليوم الثاني بعد عيد الفصح هذا هو

٢ فقال لهم قوم من الفريسيين لماذا تفعلون ما لا يحل فعله في
السبوت ٣ فأجاب يسوع وقال لهم أما قرأتم ولا هذا الذي فعله داود
حين جاع هو والذين كانوا معه ٤ كيف دخل بيت الله وأخذ خبزاً

رأي المسيحيين اليهود مترجمي العهد الجديد الى العبريّة وعلى رأسهم ديلتش. وحجة أصحاب هذا الرأي هي أن الفصل المعّين للقراءة في هذا السبت الثاني هو عين الفصل الذي اقتبس منه المسيح حادثة داود ورجاله ، في كلامه عما عمل مع تلاميذه . ولا يبعد أن يكون هذا هو الرأي الأرجح .

ففي ذلك السّبت اجتاز يسوع وتلاميذه بين الزروع ، وكان التلاميذ يقطفون السنابل ويفركونها ، وهذا الأمر ، في ذاته ، جائز فعله عند اليهود أو عند غيرهم ، لـكنّ فعله محرّم في يوم السبت ، لأن فرك السنابل في نظامهم الأضيق يُعتبر حصاداً ودراساً بصورة مصغّرة !!

هذا عمل أشبع به التلاميذ بطونهم الجائعة، كما أشبع به الفريسيون عقولهم وعيونهم المتجوعة ، والمتحفّزة لفرصةٍ للايقاع بالمسيح وتلاميذه . فاحتجّ الفريسيون على هذا العمل . ولأهميّة الأمر ، تقدّم المسيحُ تلاميذه، واحتفظ لنفسه بحق الاجابة عن هــذا السؤال والاحتجاج عليه . فاستلّ من كنانة الفريسيين سهماً رمى به خبثهم وحسدهم،وجرح به كبرياءهم بحفظهم الكتاب المقدس،إذ قال لهم «أوَما قرأتم ولا هذا ...» ؟ فأصاب عقيدتهم في صميمها، إذ كشف لهم انهم متمسكون بحرف الناموس لا بروحه لان روح الناموس تفضّل حفظ الحياة على حفظ السبت.فاذا جاز لداود ورجاله أن يأكلوا خبز

التقدمة وأكل وأعطى الذين معه أيضاً . الذي لا يحل أكله إلا للكهنة فقط ٥ وقال لهم ان ابن الانسان هو رب السبت أيضاً

التقدمة — وهو المرفوع من مائدة الوجوه لانه يجدّد كل سبت (١صم ٢١: ١ — ٦) — الذي لا يحل أكله إلا للكهنة فقط ، أفلا يحقّ لتلاميذه أن يفعلوا ما فعلوه ؟ كان سؤاله هذا مُفحماً يحمل معه جواب نفسه . لانه كان مبنياً على عمل أتاه داود نبيهم . وملكهم ، وزعيمهم الأعظم بعد موسى ، و بمصادقة أبياثار رئيس الكهنة وأخيمالك الكاهن — فما جاز لداود أن يفعله، ألا يحل لابن داود بل لرب داود أن يأتي مثله ؟؟ هذا هو « ابن الانسان » الذي حمل في شخصيته جلال اللاهوت وكمال الناسوت ، والسلطان الناتج عن اتحاد هاتين الطبيعتين معاً،فصار رباً على الهواء وسماكه والبحر واسماكه، والبر وأملاكه ، فهو « رب السبت أيضاً » . إذاً لم يكن السبت أول شيء صار عليه المسيح رباً ، لكنه كان رباً على هذه جميعها ، وعلى السَّبت أيضاً فوقها . واذا كان هو رب السَّبت فمن حقه: (ا) ان يقرّرُه، ومن حقه (ب) ان يحرّره من قيود الفريسيين التي تبرّعوا له بها . لأن السَّبت خُلق لراحة الانسان ولتربيته الروحية . واذا كان المسيح هو « رب السَّبت » فهو إذاً صاحب الحق في: (ج) ان يغيّره بالأحد. لأن سبت اليهود هو الراحة بعد الخلق ، ولأن أحد المسيحيين هو السبت (الراحة) بعد إتمام الخليقة الجديدة التي لولاها لكانت الخليقة الاولى ويلاً ، وشراً، ووبالاً علينا. فهو إذاً تذكار لعمل الفداء،الذي تم بقيامة المسيح الفادي من الاموات في اليوم الأول،الذي

٦ وفي سبت آخر دخل المجمع وصار يعلّم

سُمي « يوم الرب » . وهو تذكار أيضاً لميلاد الكنيسة في يوم « الخمسين » إذ وُلدت «يوم الأحد». وفي هذا اليوم كانت تُقام الصلوات وتقدّم التقدمات وفيه كان يوحنا ـ خاتمة الرّسل « الحواريين » ـ في الرّوح. وفيه تستريح النفس لتجد مجالا لتعرف، وتتأمل، وتذكر « من أين أتت والى أين هي ذاهبة ». هذا ركنٌ من أركان المسيحية ، قال فيه فولتير أحد أعدائها « من أراد هدم المسيحية فليهدم أولا يوم الأحد »

فاذا كان الانسان يقضي طوال الاسبوع في الوادي، فانه في يوم الاحد يرتقي و يسمو الى « جبل الشركة » مع الله

شفاء اليد اليابسة (٦ : ٦ — ١١)

تختلف هذه الحادثة عن التي قبلها، في أن تلك تمت بين الزروع ، لكن هذه تمت في المجمع في ـ مقادس الله ـ في كفر ناحوم . تلك كانت تنطوي على عمل أتاه تلاميذ المسيح، وهذه تنطوي على عمل أجراه المسيح نفسه. تلك أجراها تلاميذ المسيح لفائدة أجسادهم ولحفظ حياتهم . وهذه أجراها المسيح لشفاء جسد غيره، ولإعادة الحياة الى ذلك الجسم. لان يد الرجل كانت يابسة من غير حياة . تلك كانت عملا ضرورياً لحفظ النوع ، وهذه عمل خيري ، انساني ، إلهي ، تفرضه الرحمة والشفقة على البشرية المتألمة

(ا) زمانها ٦ : ٦ : « في سبت آخر » ليس من الضروري بعد السبت الاول مباشرة

(ب) مكانها : « في المجمع » . هذا مما يجعل مسئولية كاسر الناموس عظمى وخطيرة

وكان هناك رجل يده اليمنى يابسة ٧ وكان الكتبة والفريسيون
يراقبونه هل يشفي في السبت لكي يجدوا عليه شكاية ٨ أما
هو فعلم أفكارهم وقال للرجل الذي يده يابسة قم وقف في الوسط .
فقام ووقف

(ج) وصف المرض : يقول لوقا الطبيب ان يد الرجل اليمنى هي التي كانت يابسة ، مما يدل على اكتمال عجز الانسان عن ان يأتي عملا قوياً بيده اليسرى. هذه حال رجل إذا ما وقعت عليه عين، شملته بعطفها ورعايتها

(د) عين الفريسيين الشريرة (٦: ٧) : ان عين الكتبة والفريسيين الشريرة ، خلقت من ضعف هذا الرجل فرصة « لتجد على المسيح شكاية » هذه عيون مظلمة ، وقلوب مريضة ، لا يهمها أن ينال المريض الرحمة ، بل كل ما يهمها أن تجد منفذاً للنقمة . هذه قلوب يؤلمها أن المريض يشفى لانه يلذ لها أن تتشفى

(ﻫ) علم المسيح (٦: ٨و٩) : علم علام الغيوب ، بما كان يختلج في أفكارهم وقلوبهم . فقال للرجل « قم وقف في الوسط » . وفي هذا قصد المسيح : (١) أن يفحص مقدار استعداد الرجل ومبلغ رغبته في الشفاء . (٢) أن يوبخ جبنهم بشجاعته التي برهن بها على أنه لا يأتي عملاً ما في الخفاء. (٣) وأقام من الرجل « في الوسط » تمثالا حياً ناطقاً بسلطانه وقدرته على الشفاء. ولم ينتظر حتى يهاجموه ويستجوبوه، بل أوقفهم موقف المتهمين

٩ ثم قال لهم يسوع أسألكم شيئاً . هل يحل في السبت فعل الخير أو
فعل الشر . تخليص نفس أو إهلاكها ١٠ ثم نظر حوله الى جميعهم
وقال للرجل مدّ يدك . ففعل هكذا . فعادت يده صحيحة كالاخرى

واستجوبهم قائلاً «أسألكم شيئاً: هل يحل في السبت فعل الخير أو فعل الشر، تخليص نفس أو اهلاكها؟» ولا شك في أن المسيح أراد أن يقابل بين عمله مع الرجل المريض، و بين عملهم هم مع المسيح. فان عمل المسيح هو الخير والخلاص. لكن نواياهم كانت تنطوي على الشر، والغدر والاهلاك. لأنهم فكروا في قتل المسيح. فكأنهم قد توسلوا بحفظ الوصية الرابعة ـ حفظ السبت ـ ليكسروا الوصية السادسة القائلة «لا تقتل». فلم يقوَ أحد منهم على أن يجيب عن سؤال المسيح الذي ألصق بهم تهمة صريحة خطيرة

(و) سلطان المسيح (٦: ١٠) : نظر المسيح حوله الى جميعهم «حزيناً على غلاظة قلوبهم» وقال للرجل «مد يدك». فكان أمره هذا: (١) كاشفاً مدى طاعة الرجل، التي هي برهان ايمانه، ووسيلة تمتعه ببركات المسيح. (٢) ومعلناً قدرة الفادي على عمل المعجزات. لان أمره مصحوب بوعد «أمين هو الذي يدعوكم الذي سيفعل أيضاً»

كانت طاعة الرجل عاجلة، تامة، لانه «قام ووقف». كذلك كان شفاؤه عاجلاً، كاملاً. لان يده عادت صحيحة كالاخرى. هذا وصف من قلم طبيب، يرينا به أن الشفاء لم يكن متمشياً مع النواميس الطبيعية الطبية، إذ أن الشفاء الطبيعي يعوزه الوقت لتسترد فيه اليد قوتها لكنه تم بقوة فوق الطبيعة

١١ فامتلأوا حمقاً وصاروا يتكالمون فيما بينهم ماذا يفعلون بيسوع
١٢ وفي تلك الايام

(ز) تأثير المعجزة عليهم (٦: ١١) : كان من الطبيعي أن معجزة كهذه تولّد الايمان في قلوب المشاهدين ، لكن القلب العنيد لا تزيده الاعلانات الجديدة إلا صلابةً على صلابة ، وقسوة على قسوة

يكشف لنا هذا العدد: (١)مبلغ تأثرهم الداخلي ـ «امتلأوا حمقاً» ـ والحمق هو الغضب وقد استوى بنار الحقد والحسد (٢) مقدار تعبيرهم الخارجي عن شعورهم ـ «كانوا يتكالمون فيما بينهم» (٣) نوع عملهم الذي يعبرون به عن أفكارهم ـ «ماذا يفعلون بيسوع»

منذ الآن بدأت السُحب تتلبد في سماء حياة «العريس» الذي كان في بدايته صافياً . و بدأت الورود القرمزية الدامية التي ترمز الى التضحية والألم ، تنبت في طريق المخلص ، تحفها الاشواك الموجعة بوخزها

دعوة الاثنى عشر (٦: ١٢—١٩)

« في تلك الايام » (٦: ١٢) ـ وقد اشتدّت المعارضة وتوطّدت ، وذاعت أخبار معجزات المسيح وامتدت ، رأى الفادي أن الوقت قد حان ليختار رسله المعروفين «بالحواريين». وكان قد سبق فاختار بعضاً منهم ، ليكونوا تلاميذه. واليوم حانت الساعة ليختار منهم رسلاً ، ليلازموه ، و يمتلئوا من روحه ، مدة وجوده بالجسد على الارض ، وليحملوا اسمه ورسالته متى صعد و بُعث الى السماء حياً بعد موته . واذا كان واجب التلميذ أن يأخذ من معلمه ، فما على

خرج الى الجبل ليصلي . وقضى الليل كله

الرسول إلا أن يبلغ الرسالة وأن يعطى ما أخذ من سيده . انشرط التلمذة : الوداعة تمازجها الطاعة . ولكن شرط الرسولية : الامانة تحدوها الشجاعة . هؤلاء هم رسل المسيح الذين تختلف مأمورياتهم عن مهمة « رسل الهيكل » . لأن رسل الهيكل كانت مهمتهم أن يجولوا في الارض ليجمعوا التبرعات ويجبوا الجبايات ، لتكدس في خزينة الهيكل . ومهمة رسل المسيح هي أن يجولوا في الارض كسيدهم صانعين خيراً ، ليعطوا ويوزعوا على الناس مجاناً ، مما أخذوه مجاناً من سيدهم . وأن يضموا « نفوس » الناس لا « فلوسهم » الى خزائن الملكوت

مهمة خطيرة تلك التي كان قادماً عليها المسيح . لانه بالرسل زرع بزرة الكنيسة الاولى ووضع الحجر الاساسي لهيكل البشرية الجديد . فلا غرابة اذا رأيناه قبل هذا العمل المجيد ، يخرج الى الجبل ليصلي ، « ويقضي الليل كله في الصلاة »

ليست هذه أول مرة صعد فيها المسيح على الجبل ! فلقد صعد من قبل على جبل عالٍ « أراه فيه الشيطان جميع ممالك المسكونة في لحظة من الزمان » وشتان بين الحالين ! يوم التجربة عرض عليه الشيطان ثمناً ليمتلك به كل هذه الممالك بسجدة واحدة له . واليوم يقف المسيح على جبل « قرون حطيم » ، ويرى جميع ممالك العالم وقد انتشرت أمامه كدرج وانطوت . ثم يعود الى الآب السماوي . متمتعاً بالشركة الروحية المستديمة معه ، فيقبل من جديد ، حمل صليبه لاجل العالم .

في الصلوة لله ١٣ ولما كان النهار دعا تلاميذه واختار منهم اثنى عشر الذين سماهم أيضاً رسلاً

« في الصلاة لله »: الترجمة الحرفية كما هي: « في صلاة الله » . أي في الصلاة التي يكون فيها الله لنفس المسيح ، غذاءً وعزاءً ، و بيئةً وقوة ، فترتاح معه وفيه . «في صلاة الله» أي في الصلاة التي تليق بالله فهي ليست دعاء ولا توسلاً ولا استرحاماً لكنها راحة الروح مع الروح ، هي صلة الاقنوم الثاني بكمال اللاهوت وجلاله ، هي صلة الانسان الكامل بالاله الكامل ، صلة المحبة الازلية بالمحبة الابدية، صلة النور بالنور، والروح بالروح « والروح مع الروح تتلاقى » .

هذا هو السر في صرف « الليل كله » في الصلاة . لأن الصلوات التي يكررها الكتبة والفريسون ، والطلبات التي يقدمها تلاميذ يوحنا ، تنتهي في وقت قصير ، فتصبح حملاً وثقلاً . لكن هذه الصلاة تزداد قوة كلما ازدادت عمقاً ، وكلما زدادت قوة ارتفعت سمواً ، وكلما ازدادت سمواً ازدانت لذة، فتطورت وحدة تامة ، دائمة بالله، يكون فيها « المسيح والآب واحداً »

دعوة المسيح(٦:١٣): «ولما كان النهار دعا المسيح تلاميذه واختارمنهم اثنى عشر الذين سماهم أيضاً رسلاً » . وإنهم في بساطتهم يمثلون المسيحية في وداعتها ، و بساطة تعاليمها . وفي تنوعهم يمثلون المسيحية التي جاءت لكل الطبقات، لتقدم لهم « نعمة الله المتنوعة » . وكما كان عدد أسباط اسرائيل اثنى عشر، كذلك صار عدد أعمدة «اسرائيل الجديد» الروحي اثنى عشر

١٤ سمعان الذي سماه أيضاً بطرس واندراوس أخاه . يعقوب
ويوحنا . فيلبس وبرثولماوس

اسماؤهم (٦ : ١٤ – ١٦) : (أ) لنلق نظرة على ترتيب هذه الاسماء . اتفقت كلمة جميع البشيرين على وضع سمعان الملقب بطرس في رأس القائمة ، باعتباره الزعيم والمتكلم فيهم . ويهوذا الاسخريوطي في آخر القائمة . الخمسة الأولون من بيت صيدا ، والباقون من الجليل . ويهوذا من قريوت (اليهودية) . في ذكر اسمائهم نجد ثلاث طبقات ، تحوي كل أربعة اسماء ، واقربها الى المسيح الطبقة الاولى ، وتليها الثانية فالثالثة . فكأن رجال الطبقة الاولى هم رجال «الدرجة الأولى» ، وهم «المختارون بين المختارين» ، فهم «خلاصة الخلاصة»

(ب) ولنلق نظرة اخرى على نفسياتهم : بطرس — المقدام المجازف المتهور . يوحنا – الباطني المتصوف . توما العملي . فيلبس السياسي . متى — العشار المادي الكاتب . يهوذا رجل بليعال والعالم . سمعان الغيور . يهوذا أخو يعقوب الذي هو «لباوس» ومعناه «صاحب القلب» – رجل العواطف .

(ج) ولنلق نظرة على اسمائهم : «سمعان» : كلمة عبرية – معناها «السميع والمطيع» . «بطرس» : كلمة يونانية أراميتها «صفا» – ومعناها «الصخر» . «أندراوس» : اول من آمن به من تلاميذ يوحنا . والكلمة يونانية ، معناها «الرجل القوي» . «فيلبس» : كلمة يونانية معناها «الرجل الفارس» . «يعقوب» : كلمة عبرية معناها «المتعقب» . «يوحنا» كلمة عبرية معناها «الله يتحنن» . «برثولماوس» : كلمة أرامية معناها «ابن الحارث» .

١٥ متى وتوما . يعقوب بن حلفى وسمعان الذي يدعى الغيور
١٦ يهوذا أخا يعقوب ويهوذا الاسخريوطي الذي صار مُسلِّماً أيضاً

«متى» : كلمة أرامية معناها «عطية الله». «توما» : كلمة أرامية معناها «التوأم» «سمعان الغيور» : يلقبه متى «بالقانوي» وهي كلمة عبرية ، من قنا معناها هاج واحمرّ . ومنها الغيور . «لباوس» كلمة أرامية معناها «صاحب القلب». «تداس» : كلمة أرامية أصلاً ويونانية صورة . معناها «ذو الثدي» أي رجل العاطفة . «يهوذا» كلمة عبرية معناها «الممدوح»

أوَ ليس من الحزن أن اسم يهوذا ، الذي يحمله الرسول الذي سلّم سيده . معناه : «الممدوح» ؟ وكم من أسماء ملتصقة ظلماً بأشخاص ! فكان من الحق أنه دُعي فيما بعد «بالأسخريوطي» أي «الباطل» فهو الذي باع نفسه «بالمال الباطل لأجل الباطل» . هذه مأساة نفسٍ كانت أمامها كل فرصة للخير والفضيلة ، فاختارت الرذيلة والهلاك . نعم خدم يهوذا البشرية بأن أسلم سيده للصلب ، لتنفيذ عمل الفداء الذي به خلصت البشرية . ولكن هل كانت نيته أن يؤدي خدمةً للبشرية ، أم أن يشبع نفسه الشرهة المريضة ؟؟ «ألا انما الأعمال بالنيات وان لكل امرىء ما نوى»

اذاً ليس الأمر المهم في المركز الذي يشغله الانسان ، بل في الكيفية التي يملأ بها هذا المركز . فهذه أسماء كثيرة لا نعرف عملا بارزاً إلا لنفر قليل منها ، أما البقية الباقية فلم يخبرنا عنها الوحي إلا اجمالاً .

١٧ ونزل معهم ووقف في موضع سهل هو وجمع من تلاميذه
وجمهور كثير من الشعب من جميع اليهودية وأورشليم وساحل
صور وصيداء الذين جاءوا ليسمعوه ويشفوا من أمراضهم
١٨ والمعذبون من أرواح نجسة وكانوا يبرأون ١٩ وكل الجمع طلبوا
أن يلمسوه لأن قوة كانت تخرج منه وتشفي الجميع .

المسيح والجمهور (٦:١٧—١٩) : في الصباح الباكر ، نزل المسيح من «الجبل» ، ووقف في «سهل» مع جمع من تلاميذه . وما أجمل أن نرى بدراً يحيطه اثنا عشر كوكباً . هذا هو المسيح « مركز الدائرة » في المسيحية . لأن المسيحية لا ترتكز على مبدأ بل على شخص حي . إن جلالها ليس في الخلاص الذي تقدمه ، بل في المخلص الذي يقدم هذا الخلاص . هذا هو «شمس البر» الذي صار للناس نوراً وحياة .

سرعان ما نزل المسيح عن الجبل والتقى بتلاميذه في الصباح ، حتى هرع اليه «جمهور كثير من الشعب، من جميع اليهودية وأورشليم وساحل صور وصيداء. الذين جاءوا ليسمعوا ويشفوا من أمراضهم والمعذبون من أرواح نجسة وكانوا يبرأون وكل الجمع طلبوا أن يلمسوه لأن قوة كانت تخرج منه وتشفي الجميع» هذا وصف دقيق . لطبيب خبير .

ما أوسع شقة الخلاف بين هذا الجمهور المحتاج ، المتعطش للشفاء ، وبين الكتبة والفريسيين الذين أعماهم التعصب وأكل قلوبهم الحقد . هنا في هذا الجمع المحتشد حول المسيح ، نرى ثلاث طبقات من الناس: (١) المستمعين

٢٠ ورفع عينيه الى تلاميذه

«جمهور كثير من الشعب» . (ب) التلاميذ الذين اختار منهم الرسل . (ج) الرسل . فالطبقة الأولى تمثل الشعب الذي سمع دعوة المسيح للملكوت . والطبقة الثانية تمثل الكنيسة المسيحية ، هذه دائرة داخلية . والطبقة الثالثة تمثل الخدمة . هذه «قدس أقداس» المسيحية ، فاذا كانت الطبقة الثانية تمثل «القدس» ، والأولى تمثل « الدار » في الهيكل الذي بناه سليمان ، فان الطبقة الثالثة تمثل «قدس الأقداس»

الموعظة في الخلاء (٦ : ٢٠ ـ ٤٩) : هذه هي عين الموعظة المعروفة «بالموعظة على الجبل» . «والجبل» معناه الوادي المرتفع . فهو مرتفعة أو هضبة ـ في الصحراء . والسهل هو مُنخَفضة في الجبل فيكون مكان الاجتماع عند ملتقى السهل بالجبل في الصحراء ، حيث يسهل اجتماع الألوف الكثيرة من الناس لاستماعه

هذه هي الموعظة التي وردت في متى ٥و٦و٧ . وقد قيلت للتلاميذ ، وسمعها الجمهور ، فمع انها موعظة واحدة ، لكن متى ولوقا ، سجّل كل منهما ما رآه مؤدياً الغرض الذي يرمي اليه . كتب متى لليهود فكان من الضروري أن يقارن بين تعاليم المسيح وتعاليم موسى للقدماء ، ويقابل بين ناموس جبل سيناء و بين نظام وروح « جبل » المسيحية الجديد . أما لوقا فقد كتب للأمم بل للعالم أجمع ، لذلك اكتفى بالعنصر الجوهري العملي في الموعظة — وهو المحبة . ومع كلٍّ فان أوجه الشبه متوفرة في الموعظة كما هي في متى ، وكما هي في لوقا : ـ في البداءة والوسط والخاتمة

الموعظة على الجبل كما هي مدوَّنة في متى ولوقا		
الموضوعات	في متى	في لوقا
(١) المقدمة	٥ : ١ و ٢	٦ : ٢
(٢) التطويبات	٥ : ٢ — ١٢	٦ : ٢٠ — ٢٣
(٣) الويلات		٦ : ٢٤ — ٢٦
(٤) ملح الارض	٥ : ١٣	
(٥) نور العالم	٥ : ١٤ — ١٦	
(٦) إتمام الناموس والانبياء	٥ : ١٧ — ١٩	
(٧) بر الكتبة والفريسيين	٥ : ٢٠	
(٨) مقابلة بين الناموس والانجيل	٥ : ٢١ — ٤٨	٦ : ٢٧ — ٣٧
(٩) العطاء	٦ : ١ — ٤	
(١٠) الصلاة والصيام	٦ : ٥ — ١٨	(١١ : ٢ — ٤)
(١١) الكنز السماوي	٦ : ١٩ — ٢١	
(١٢) العين البسيطة	٦ : ٢٢ — ٢٤	
(١٣) الله والمال	٦ : ٢٤	
(١٤) الاهتمام بالارضيات	٦ : ٢٥ — ٣٤	
(١٥) مثل القذى والخشبة	٧ : ١ — ٥	٦ : ٣٧ — ٣٩
(١٦) الاهتمام بالسماويات	٧ : ٦	
(١٧) المثابرة على الصلاة	٧ : ٧ — ١١	(١١ : ٩ — ١٣)
(١٨) القانون الذهبي	٧ : ١٢	
(١٩) الباب الضيق	٧ : ١٣ و ١٤	
(٢٠) الشجرة والثمرة	٧ : ١٥ — ٢٣	٦ : ٤٣ — ٤٦
(٢١) البناء الحكيم والبناء الجاهل	٧ : ٢٤ — ٢٧	٦ : ٤٧ — ٤٩

وقال طوباكم

ما أعظم الفرق بين جبل سيناء و بين جبل التطويبات !!. جبل سيناء لم يجسر أن يتقدم اليه أحد من الناس . ولكن على جبل التطويبات ازدحمت الناس . على جبل سيناء نزلت الوصايا «بالنفي»، و «السلب»، ولكن على جبل التطويبات جاءت التطويبات متوجة بالخير والبركات الايجابية . جبل سيناء أحاطته الغيوم والضباب ، لكن جبل التطويبات زانه الاله الذي ظهر في حجاب الجسد فصار واحداً من الناس ومعهم

تنقسم هذه الموعظة الى ثلاثة أقسام حسب نظرة الانسان اليها : فاذا ما نظرنا اليها باعتبار كونها « خطاب العرش » أو « دستور المسيحية » ، جعلنا أقسامها : (ا) قانون السعادة (٦ : ٢٠ــ٢٦). (ب) قانون العدالة (٦:٢٧ــ٣٨) (ج) قانون الحكمة (٦:٣٩ - ٤٩)

واذا ما نظرنا اليها باعتبارها « كلمة المعلم الى تلاميذه » جعلنا تقسيمها (ا) تحية المحبة (٦:٢٠ــ ٦) (ب) وصايا المحبة (٦:٢٧ــ٣٨) (ج) تحريضات المحبة (٦:٣٩ ــ ٤٩)

واذا ما نظرنا اليها باعتبارها «برنامج الملكوت صار تقسيمها: (ا) أبناء الملكوت (٦:٢٠ ــ ٢٦) (ب) مبادىء الملكوت الأساسية (٦:٢٧ ــ ٣٨) (ج) ثمار الملكوت(٦:٣٩ــ٤٩). ولنتخذ التقسيم الثالث أساساً لتفسيرنا هنا فهو أقربها الى طبيعة الموعظة

أيها المساكين لأن لكم ملكوت الله ٢١ طوباكم أيها الجياع الآن
لأنكم تشبعون. طوباكم أيها الباكون الآن

(ا) أبناء الملكوت (٦: ٢٠ ـ ٢٦)

يستهل لوقا هذه الموعظة بالقول « فرفع يسوع عينيه » وبهذه النظرة التي ألقاها على الجماهير، رفع مقام التلاميذ في نظر العالم، والله، اذ رفع عينيه. هذه نظرة شاملة، وفاحصة، ورافعة. إن البَصَر إذا ما وقع على منظر، انطبع هذا المنظر على «شبكيّة» العين، كذلك في نظرة المسيح اليهم، طُبعت أشخاصهم على قلبه و بصره.

نرى في هذه الأعداد وصفاً لأبناء الملكوت في: (١) غبطتهم. (٢) وفي شقاوة أضدادهم

يوجه المسيح الخطاب إلى تلاميذه الموصوفين بأربعة أوصاف (١) «المساكين». (٢) «الجياع». (٣) «الباكين». (٤) «المبغَضين». وكل وصف منها نتيجةٌ طبيعيةٌ للوصف السابق له وهي أوصافٌ لحالات مادية، اجتماعية، تطوّرت الى حالات روحية، معنوية، تتمشى معها وتوافقها، وتفسرها تلك الأوصاف المذكورة في متى: «المساكين بالروح» : «الجياع والعطاش الى البر» وكم من أغنياء مساكين وكم من مساكين أغنياء !! (رؤ ٣: ١٧ و ٢ كو ٦: ١٠)

إن المساكين هنا هم «فقراء» الله، و «الجياع» الى الله، «والباكون» من شدة حاجتهم، وشوقهم، وتجوعهم الى الله. وهم هم «المبغَضون» من أجل

لأنكم ستضحكون ٢٢ طوباكم إذا أبغضكم الناس وإذا أفرزوكم وعيّروكم وأخرجوا اسمكم كشرير

الله . «هذا المسكين صرخ والرب استمعه ومن كل ضيقاته خلصه» .. «الأشبال احتاجت وجاعت» - مع أنها اجراء الأسود ملوك البر - «وأما طالبو الرب فلم يعوزهم شيء من الخير» (مزمور ٣٤: ٦ و ١٠) «طعامها أبارك بركة . مساكينها أشبع خبزاً» (مزمور ١٣٢: ١٥)

أساس هذه الصفات : الفقر المادي ، الذي يُعِدّ النفس لمعرفة ذاتها ، ويُشعرُها بحاجتها ، وعجزها ، وافتقارها الروحي الى الله . وهذا الاحتياج المزدوج يُولّد جوعاً مزدوجاً من نوعه . والجوع المزدوج ينشيء حزناً من نوعه . وهذه الحالات، متى تمكنت من الانسان ، رَفعته وقرّبته من الله ، فاضحى بالتالي مكروهاً، ومُبغضاً من الناس أعداء الله

هؤلاء المبغَضون من الناس معرّضون لحكم ثلاثي : (ا) «الفرز» وهو حكم يصدره المجمع ، فلا يحق لهم دخوله ، مدة تتراوح بين ٣٠ و ٩٠ يوماً. (ب) «والتعيير» هو حكم من المجتمع ؛ وهو حكم مدني لا ديني كالاول- كل هذا لكونهم مسيحيين . (ج) «وأخرجوا اسمكم كشرير» هذا حكم أدبي، يُعتبرُ الانسان بسببه كسقط المتاع، فيُحرَم حقوقه الدينية والمدنية والشخصية

كل هذه الاحكام الصارمة تُحسب للانسان بركةً اذا كانت لأجل المسيح ، لا لأجل ذنب شخصي .

ان لهؤلاء الناس السعادة الحقة، المعبّر عنها بكلمة «طوبى» . ولعلّها من

من أجل ابن الانسان ٢٣ افرحوا في ذلك اليوم وتهللوا . فهوذا أجركم عظيم في السماء . لأن آباءهم هكذا كانوا يفعلون بالأنبياء

مصدر «طاب يطيب» ، بمعنى يسعد وينعم ، وهي الغبطة . ولعلها أُخذت من غُدَّة سفر المزامير عند اليهود . والطوبى عند الهنود ، « اسم الجنة » . وعند المسلمين « اسم شجرة في الجنة يبلغ طول ظلها مسيرة الف عام » غير أن السعادة في المسيحية هي حالة اكثر منها مكاناً . وهي حالة يتمتع بها الانسان في الحال ، ويحظى بحق التمتع بها في الاستقبال . لأن «لهم» لا لأن «سيكون لهم ملكوت السموات » . وملكوت السموات هو سلطان الله ، وحكمه ، وجلاله ، وتحكم ارادته في القلب ، وفي العائلة ، وفي العالم

خير لنا أن نكون شهداء المسيح ، من أن نكون « سُعداء» الدنيا

ومن هنا يتبيَّن لنا، أن المسيح وضع نظاماً عكسياً لكل أنظمة العالم فهو الذي «فتن» المسكونة ، وقلب أنظمتها . بل بالحري أعاد أنظمتها الى مكانها الحق ، بعد أن قلبتها الخطية ، وعبثت بها

إن غبطة الجياع هي أنهم يشبعون، وغبطة الحزانى هي أنهم يسعدون ويرفعون أصواتهم بهجة وسروراً ، كما رفعوها بالبكاء والعويل وغبطة الذين محيت أسماؤهم من سجل الارض هي أنهم يُكتبون في سجل السماء، باحرف من نار ونور ، ويُحسبون في الارض في عداد الأنبياء . فهي حالات تحمل معها مكافآتها . إذاً ليست هذه سعادة تُضاف الى هذه الحالات اضافةً ، لكنها سعادة مشتقة من هذه الحالات، فهي ثمر من ثمارها، وأثر من آثارها، ونور مستمدٌ من أنوارها

٢٤ ولكن ويل لكم أيها الأغنياء . لأنكم قد نلتم عزاءكم ٢٥ ويل
لكم أيها الشباعى لأنكم ستجوعون . ويل لكم أيها الضاحكون
الآن لأنكم ستحزنون وتبكون ٢٦ ويل لكم اذا قال فيكم جميع الناس

مقابل أبناء الملكوت الذين طيّب المسيح قلوبهم ، وعزاهم : (ا) ببركة الامتلاء ، (ب) وأجر السماء ، (ج) وفخر الانبياء ، «رفع عينيه» فرأى «أغنياء» «وشباعى» ، «وضاحكين» ، «وممجدين» من كل الناس . وكل من هذه الاوصاف الاربعة ، يتعارض مع الاوصاف الاربعة الاولى على التوالي . فهي أوصاف اجتماعية ، مادية ، أدّت وتطوّرت الى أوصاف معنوية روحية . لأن أغنياء كثيرين كيوسف الرامي ونيقوديموس رَحّب بهم المسيح

وكما نادى المسيح بالطوبى للاولين ، نادى «بالويل» للآخرين . والكلمة «ويل» في اللغة الاصلية ، تعبر عن حسرة المسيح وتوجعه عليهم ، فهي ليست تعبير القلب القاسي الشامت ، لكنها تعبير القلب الجريح الكسير لأجلهم . فهي مراثي أكثر منها لعنات . والفرق بين ويلات هؤلاء وغبطة أولئك ، هو أن الغبطة حالية ، كما أنها مقبلة . لكن الويلات قادمة . إلا في أمر الاغنياء . فان شقاوتهم قد تمت في الماضي وفي الحال . لأنهم نالوا عزاءهم . والتعبير في اللغة الاصلية يفيد أنهم « أمضوا الايصالات بتسلم أجرهم وعزائهم » وكما رفع المسيح الاولين الى مراتب الانبياء الصالحين ، أنزل هؤلاء الى دركات الكذبة الطالحين

كل شيء يزول عند تمامه . فالبدر اذا ما بلغ دور التمام يبتدىء في النقصان ،

حسناً . لأنه هكذا كان آباؤهم يفعلون بالأنبياء الكذبة
٢٧ لكني أقول لكم أيها السامعون أحبوا أعداءكم . أحسنوا
الى مبغضيكم ٢٨ باركوا لاعنيكم . وصلوا لأجل الذين يسيئون اليكم

كذلك «الممتلئون» «والشباعى» «والاغنياء» «والضاحكون» «والممدوحون» من الناس، سيُذَلُّون على رغم ارادتهم . « لأننا لو حكمنا على أنفسنا لما حُكم علينا »

(ب) مبادىء الملكوت (٦:٢٧ـ٣٨)

تتضمن هذه الاعداد ، خلاصة مبادىء الملكوت ، كما فاه بها الملك. وهي تتركّز في كلمة واحدة ـ «المحبة». ومن المهم أن نلاحظ أن المسيح ذكر المحبة حالاً بعد ذكر «الطرد» ، «والفرز» ، «والتعيير» . وهل من سلاح يكسر سهام البَغضاء سوى المحبة ؟ هذه هي المحبة التي تبغض البَغضاء ، وتحتقر الاحتقار ، فيخافها الخوف! ! !

أليس المسيح في هذه الوصايا طالباً منّا المستحيل ؟ ألا ينتظر منا ما هو مضادّ لطبيعتنا ؟ ولِمَ لا ؟ اذا لم يطلب منا المسيح المستحيل فاين قدرته الفائقة ؟ واذا لم تكن المسيحية فوق طبيعتنا فهي أقل من طبيعتنا ! !

«أحبوا» «أحسنوا» ، «باركوا» ، «صلوا» . هذه من الممكن لنا (مع انه يصعب علينا) أن نعملها ولكن لمن ؟ للذين يحبوننا ، ويحسنون الينا ، ويباركوننا ، ويصلُّون لأجلنا ـ لأن هذه أعمال انسانية تتطلّبها الانسانية. ولكن محبة الاعداء ! والاحسان للمسيئين ، ومباركة اللاعنين ، والصلاة لأجل

٢٩ من ضربك على خدك فأعرض له الآخر أيضاً . ومن أخذ رداءك
فلا تمنعه ثوبك أيضاً ٣٠ وكل من سألك فأعطه . ومن أخذ الذي لك
فلا تطالبه

مضطهدينا ـ هذه كلها أعمال الهية تتطلبها المسيحية . هذا سر المسيحية وجوهرها ، لأنها ديانة فدائية كفارية ، أساسها الصليب . فمع أن الصليب لم يُذكر بحصر اللفظ في هذه الموعظة الا أنه ذُكر بالفعل، للدرجة نستطيع فيها أن نحس بروح الصليب متمشياً في الموعظة ولو أننا لا نرى الخشبة

(١) عدم المقاومة (٦: ٢٩ـ ٣١): اذا كان جوهر المسيحية «المحبة» واذا كان شعارها «الآخرين» ، فان جمالها في التسامح ، والتنازل عن الحقوق ، وعدم المقاومة في حالة: (أ) الضرب : «من ضربك على خدك ...» وفي هذا عمل فدائي ، لأن الانسان بطبعه ، ميال ، متى ضُرب ، أن يضرب ضاربه انتقاماً ، لكن المسيحية توصيه بدلاً من ضربة الانتقام هذه أن يحمل هذه الضربة على نفسه ، فيكون بذلك قد قدم نفسه فداء في الألم والاحتمال ، عوضاً عن الذين ضربوه . (ب) في حالة النهب : «من أخذ رداءك فلا تمنعه ثوبك» . (ج) في حالة السلب : «ومن سألك فأعطه ومن أخذ الذي لك فلا تطالبه». هنا يظهر لنا الفرق ، بين الروح العالمي الذي يتمسك بالباطل الذي ليس له ، والروح الانساني الذي يستمسك بأهداب حقوقه ، فيقيم من الحبة قُبة ، و يبني من الذرة ذُروة ، و بين الروح المسيحي الذي يتسامح في حقوقه ، و يخسرها لكى يربح الناس . إنَّ المبدأ الواضح من هذه الوصايا هو : أن لا حدود للمحبة سوى

٣١ وكما تريدون أن يفعل الناس بكم افعلوا انتم أيضاً بهم هكذا ٣٢ وان
احببتم الذين يحبونكم فأي فضل لكم. فان الخطاة أيضاً يحبون الذين يحبونهم
٣٣ واذا أحسنتم الى الذين يحسنون اليكم فأي فضل لكم. فان الخطاة أيضاً
يفعلون هكذا

المحبة نفسها، فهي حدود غير محدودة !!

لقد بلغ المسيح بتعاليمه ذروة المجد والفضيلة، اذ نطق بهذا القانون الذهبي: « كما تريدون أن يفعل الناس بكم افعلوا أنتم أيضاً بهم هكذا». ان لهذا القانون الذهبي ظلا في سفر طوبيت (٤: ١٥) - أحد الأسفار الغير القانونية - نذكره من قبيل الاستدلال كغيره من الكتب الدينية: « ماتكرهه لنفسك فلاتفعله بغيرك »، وظلا آخر في أقوال الرواقيين: « ما لا يريد أن تعامل به، فلاتعامل به أحداً » - ولكن الفرق واضح بين قول المسيح الايجابي، الذهبي، و بين هذه الاقوال السلبية العديمة الحياة. ان قول المسيح كنور الشمس، فيه نور وحياة وقول هؤلاء - إن زاد - فهو كنور للقمر، ضئيل ضعيف مستمد من نور ذلك انتا معرضون لأن نقيم لأنفسنا ميزاناً غير الميزان الذي ننصبه للناس فلو تساوت الكفتان لصار عالمنا فردوساً على الارض

(٢) سمو المبادىء واتساعها وعمقها (٣٢- ٣٤): هذه تظهر من انها تعلو فوق الاحسان الطبيعي المؤسس على مبدإ « حب الذات »، الذي شعاره « انتظار الرد والمجازاة ». لذلك قصد المسيح أن نحب، حباً في المحبة نفسها، وان نرغب في الخير لاجل الخير، وان نستمسك بالفضيلة لذاتها. وفي هذا ينتظر

٣٤ وان أقرضتم الذين ترجون أن تستردوا منهم فأي فضل لكم .
فان الخطاة أيضاً يقرضون الخطاة لكي يستردوا منهم المثل ٣٥ بل
أحبوا أعداءكم وأحسنوا وأقرضوا وأنتم لا ترجون شيئاً فيكون
أجركم عظيما وتكونوا بني العلي فانه منعم على غير الشاكرين
والأشرار ٣٦ فكونوا رحماء كما أن أباكم أيضاً رحيم ٣٧ ولا تدينوا

المسيح من اتباعه ، أن يكونوا اكثر غيرة على البر ، من الفريسيين أنفسهم الذين يدّعون انهم حماة البر وأربابه

(٣) المثل الأعلى للاحسان (٣٥ و٣٦) : في هذين العددين نرى المثل الأعلى للاحسان الالهي — في الله نفسه . وفي هذا نعم الأجر وخير فخر «لكي تكونوا بني العلي المنعم على غير الشاكرين و لأشرار » . هذه نسبة جديدة ، أدخل المسيح تلاميذه اليها ، اذ فتح لهم الباب بسعة الى كنوز «أبوة الله » . « فكونوا رحماء كما ان أباكم أيضاً رحيم » ولا تفوتنا الدقة التي يستعملها لوقا في هذا التعبير : « أباكم » — لا « أبانا » — لان نسبتهم لله كابناء ، تختلف في جوهرها ، وفي نوعها ومظهرها ، عن نسبة المسيح لله « كابن » هذا يوافقه قول يوحنا « أبي وأبيكم » « والهي والهكم » (يوحنا ٢٠: ١٧)

(٤) الحذر من ادانة الغير (٣٧ و٣٨) : ولئلا ترتفع قلوب التلاميذ بفرط هذه الاعلانات ، فيحسبوا أنفسهم قضاة العالم وديّانيه ، فيزاحموا الكتبة والفريسيين في ما يدّعونه لانفسهم ، من مجد وعظمة ، لذلك نهاهم المسيح عن أن يدينوا

فلا تدانوا . لا تقضوا على أحد فلا يقضى عليكم . اغفروا يغفر لكم
٣٨ أعطوا تعطوا . كيلا جيداً ملبداً مهزوزاً فائضاً يعطون في

الناس، وأوصاهم بالغفران :(١) لان الإنسان الذي يدين الناس يتهجم على الله في وظيفته كديان للعالم. (ب) لأنه يجهل الظروف المحيطة بكل شخص . فربما هناك عذر وهو يدين . (ج) لأنه يتعجل يوم القضاء والدينونة ، قبل أوانه. (د) لأنه غير حائز على مؤهلات الانسان الكامل الذي يحق له وحده أن يكون مقياساً كاملا للقضاء « من أنت ... حتى تدين ؟؟ »

لا يريد المسيح بهذا ، أن يمنع تلاميذه عن أن « يوبخوا أعمال الظلمة غير المثمرة » ، بل قصد منهم أن يبتعدوا عن روح الانتقاد ، فلا يرغبوا في الانتقاد حباً بالانتقاد . ومنعهم عن أن تكون دينونتهم بعيدة عن العطف والاصلاح . فلايركزوا عيونهم على عيوب الناس بأن يسلطوها كالسهم البارد، بل عليهم أن يجتهدوا في أن ينظروا دائماً الى حسنات الناس ، والى الأفضل في كل انسان ، وان يروا الجانب المنير في كل مكان يحفه الظلام

وكما ان المحبة لا تأخذ بل تعطي ، لذلك طلب المسيح من تلاميذه أن يعطوا . ومع ان عطاياهم تكون بعيدة عن طلب الجزاء أو انتظاره ، لكن الجزاء يأتيهم عفواً ، طائعاً ، مختاراً لا بل يأتيهم بفيض عميم والاستعارة هنا ، مأخوذة من طريقة الكيل على النظام اليهودي (راعوث ٣:١٥)

قد تترجم كلمة « أعطوا » : « فكوا أو حرروا من الدين » فالعطاء المقصود هنا هو التسامح والسخاء في الحكم على الآخرين لان الروح المتسامح

أحضانكم . لأنه بنفس الكيل الذي به تكيلون يكال لكم ٣٩ وضرب
لهم مثلاً . هل يقدر أعمى أن يقود أعمى

لايعرف قياساً ولا كيلاً « غير المحبة » — هذه هي حدوده الغير المحدودة !!
هذا هو « الروح الذي يهبه الله بدون كيل » (يوحنا ٣: ٣٤)

(ج) ثمار الملكوت (٦: ٣٩—٤٩)

أربعة أمثال : في هذا الجزء العملي من الموعظة ، يذكر المسيح أربعة أمثال — ثلاثة منها متتابعة مع الحقائق المستمدة من الاعداد القليلة السابقة ، والمثل الرابع يختتم به الموعظة بوجه عام ، دعماً للحقائق المستمدة من كل الموعظة بوجه الاجمال .

(١) فالثلاثة الامثلة الأولى (٣٩ — ٤٥) : مثل الاعمى، ومثل الخشبة والقذى ، ومثل الشجرة الصالحة والشجرة الرديئة ، مستقاة من البيئة المحيطة بالمسيح . فالعميان موجودون بكثرة في فلسطين ، وفي الشرق . أو ليس من الطبيعي ان المسيح الذي قضى جُل عمره نجاراً ، يخلع على كلامه لباساً من وظيفته هذه ، فيمثل بالخشبة و بالقذى — الذي هو الذرّات الدقيقة المتطايرة من الخشب عند شقه بالمنشار؟ وهل في العالم بلاد يكثر فيها « التين » و« العنب » و« الاشواك » اكثر من تلك الارض التي تفيض لبناً وعسلا ؟ ولقد تغلغلت هذه الامثال في كتابات معلمي اليهود وأقوالهم مذ أن نطق بها المسيح ففاضت بها صفحات التلمود

أما يسقط الاثنان في حفرة ٤٠ ليس التلميذ أفضـل من معلمه بل كل من صار كاملا يكون مثل معلمه ٤١ لماذا تنظر القذى الذي في عين أخيك . وأما الخشبة التي في عينك فلا تفطن لها ٤٢ أو كيف تقدر أن تقول لأخيك يا أخي دعني أخرج القذى الذي في عينك وأنت لا تنظر الخشبة التي في عينك . يا مرائي أخـرج أولا الخشبة من عينك وحينئذ تبصر جيداً أن تخرج القذى الذي في عين أخيك

حقيقتان ترتكز عليهما هذه الامثال الثلاثة: (١) فحص النفس. (ب) واصلاح القلب، قبل أن يُقدِم الانسان على اصلاح عيوب الآخرين. لان المياه لا تعلو فوق منبعها الأصلي. فالاعمى لا يُفيد الاعمى شيئاً، والطبيب المريض ينبغي أن يعالج نفسه قبل أن يُقدم على شفاء المريض. وكل تلميذ اذا نجح في المعرفة يكون قياسه الاعلى معلمه الذي أخذ عنه العلم.

ان المحاولة التي يأتيها الانسان الملوم، رغبة في اصلاح غيره، لهي رذيلة أساسها « حب الذات . لان الانسان، من طبعه أن يضع خُرجاً من عيوب الناس أمام عينيه، ويلقي الخُـرج الفياض بعيوبه الخاصة خلف ظهره. فكأن للانسان منظارين ـ أحدهما مكبر: يلبسه اذا ما قصد أن يفحص عيوب الناس وحسنات نفسه. والثاني مصغر: وهذا يستخدمه في فحص حسنات الناس وعيوبه الخاصة. ان صوت الاعمال أعلى من صوت الاقوال، فاذا ما ارتفع صوت أقوالنا على صوت أفعالنا، فويل لنا.

٤٣ لانه ما من شجرة جيدة تثمر ثمراً ردياً . ولا شجرة ردية تثمر ثمراً
جيداً ٤٤ لان كل شجرة تُعرف من ثمرها . فانهم لا يجتنون من
الشوك تيناً ولا يقطفون من العليق عنباً ٤٥ الانسان الصالح من
كنز قلبه الصالح يخرج الصلاح . والانسان الشرير من كنز قلبه
الشرير يخرج الشر . فانه من فضلة القلب يتكلم فمه ٤٦ ولماذا تدعونني

ان شخصاً هذه صفاته، اذا هو حاول اصلاح الآخرين، أُعتُبِر في نظر المسيح « مرائياً ». والكلمة في اللغة الاصلية الفُصحى، كما استعملها شعراء الأغريق (اليونان) وكتّابه، معناها «المُمثّل»: الذي له ثوبان، ولغتان، وشكلان، وشخصيتان ـ إحداهما وقت التمثيل في ضوء الانوار الصناعية الخلاّبة الكاذبة، والثانية يلبسها في وضح الشمس في قلب النهار

ان الثمار التي يتحدث عنها المسيح في (عددي ٤٤و٤٥)، لهي ثمار مزدوجة ـ (ا) ثمار الحياة الداخلية الشخصية، (ب) والثمار التي يرجوها المعلم الملوم، وينتظرها محققة في حياة تلاميذه. وكما يشاهد المسافر في بلاد فلسطين « عنباً » يظلل « التين »، وكلاهما يلتف حوله « العَلَق » والاشواك، فلا يميز هذا من ذاك الاّ بثماره فقط، بصرف النظر عن التمازج الشكلي.

دعم المسيح هذه الامثال الثلاثة بكلمة من العهد القديم: « من فضلة القلب يتكلم اللسان » (امثال ١٢: ٧)

(٢) المثل الرابع (٤٦ ـ ٤٩) في هذا المثل الرابع، الذي هو خاتمة الموعظة كلها، يذكر المسيح ثلاثة شروط أساسية للتلمذة الحقة: (ا) الاتيان اليه :

يا رب يا رب وأنتم لا تفعلون ما اقوله ٤٧ كل من يأتي إليَّ ويسمع كلامي ويعمل به أريكم من يشبه ٤٨ يشبه انساناً بنى بيتاً وحفر وعمق ووضع الاساس على الصخر . فلما حدث سيل صدم النهر ذلك البيت فلم يقدر ان يزعزعه لانه كان مؤسساً على الصخر ٤٩ وأما الذي يسمع ولا يعمل فيشبه انساناً بنى بيته على الارض من دون اساس . فصدمه النهر فسقط حالاً وكان خراب ذلك البيت عظيماً

وهذا يتضمن ترك الماضي والالتجاء اليه بالتوبة والايمان. (ب) سمع كلامه : وهذا يتضمن التلمذة له والاعتراف بسلطانه ومحبته . (ج) العمل بموجب سمع كلامه : وهذا يتضمن التسليم التام، والطاعة له، من غير قيد ولا شرط وكل هذا يختلف عن الثمار الكاذبة التي تنطوي على:(١) ادعاء. (٢) رياء (٣) حياء كاذب— هذه هي المناداة الجوفاء بالمسيح « رباً » بينما الاعمال تنكر الاقوال

ان تلميذ المسيح الحقيقي، يبني من حياته وأخلاقه بيتاً ، متأصلاً ومؤسساً على الصخر— كالعنكبوت الذي يسكن في بيوتٍ منسوجةٍ من خيوط قلبه— وشتَّان بين بيت تلميذ المسيح و بين بيت العنكبوت في المتانة . فالصخر دليل الثبات ، والصبر ، والدوام . فاذا ما نزلت السيول المتكاثرة في تلك البقاع ، وصدمت ذلك البيت ، عجزت عن أن تزعزعه . ولكن التلميذ الاسميَّ ، يكون كباني بيتٍ على الارض الرخوة— على الرمل— من غير أساس هذا خرابه عاجلٌ ، محقق، اذ يطير اليه على أجنحة البرق . وقد يرمز السيل الى تجارب الحياة المنوَّعة ، التي هي أعظم محكٍ للاخلاق والحياة

الاصحاح السابع

١ ولما أكمل اقواله كلها في مسامع الشعب دخل كفر ناحوم

أول ثمرة ناضجة في بستان الامم (٧: ١ — ١٠)

« ولما أكمل يسوع اقواله » . بهذه الكلمات التي تصلح خاتمةً للاصحاح السادس ، واستهلالاً للاصحاح السابع، يفتح لنا لوقا باباً ، يرينا منه ناحيةً جديدة من نواحي خدمات المسيح المنوعة في كفر ناحوم ، التي اختارها لنفسه وطناً ثانياً ، بعد أن رُفض من الناصرة — وطنه الأول

قبلاً كان الشفاء مقصوراً على «خراف بيت اسرائيل الضالة»، لكننا الآن أمام ثمرةٍ ناضجةٍ شهيةٍ في بستان الامم. قبلاً كنا نشاهد معجزات المسيح تتم بحضوره، والآن نرانا أمام معجزاتٍ تتجلى فيها قوة المسيح البعيدة المدى، فتتغلب على المسافات ، وتتخطى الزمن ، وتصل الى بيت قائد المئة

يحمل « الراديو » الذي يُقال له « المذياع » تموجات الكلام ، من بلد الى آخر من غير كبير عناء _ هذا في دائرة الطبيعة . وفي ما وراء الطبيعة نرى قوة اللاهوت ، تحمل كلمة المسيح ، وتجتاز بها مسافةً بعيدة ، فتبلغ « العبد العزيز » المريض في بيت قائد المئة

أكرِم بقائد المئة هذا ! وأنعِم بكل قائد مئة ذُكرت سيرته في الانجيل، فكلهم طيّب، وكلهم مؤمنٌ بالمسيح. من ينسى قائد المئة الذي قطف وردةً ووضعها على هامة المسيح، يومَ كانت متوّجةً بالاشواك، اذ قال عنه «بالحقيقة

٢ وكان عبد لقائد مئة مريضاً مشرفاً على الموت وكان عزيزاً عنده
٣ فلما سمع عن يسوع أرسل اليه شيوخ اليهود

كان هذا الانسان باراً » (لو ٢٣:٤٧)؟ وهل ننسى كرنيليوس قائد المئة، الذي كان غرة مجيدة في جبين الكنيسة الاولى، اذ وصفه الكتاب بالقول «رجل بار وخائف الله مشهود له من كل امة اليهود» (اعمال ١٠:٢٢)؟ ومن الذي حذّر الحاكم الروماني، ومنعه من أن يسيء الى بولس الرسول سوى قائد مئة (اعمال ٢٢:٢٦)؟ أوَ لم يكن قائد مئة، ذاك الذي كان يريد أن يخلّص بولس اثناء سفره فى البحر الى روما (اعمال ٢٧ : ٤٣ ؟؟؟)

وهل نحن في حاجة الى إقامة الحجّة على الصفات الحميدة، التي كانت كالنجوم اللوامع تحلّي صدر ذلك القائد، وهي تفوق في لمعانها ومجدها، بريق « النجوم » والاوسمة، التي تقلدها ذلك القائد من امبراطور الرومان ؟؟؟

فلنتأمل في: (ا) انسانيته، عدد ٢ : لأن الأمر الذي أقامه وأقعده لم يكن مرض ابن له، بل مرض عبد كان عزيزاً عنده. ان جمال إنسانية ذلك الرجل يتجلى لنا، اذا انتقلنا بافكارنا الى تلك الايام، حين كان العبد فيها يباع ويشترى، ولكن ذلك القائد الروماني ارتفع فوق العجرفة والغطرسة والكبرياء، التي اتصف بها جنود الرومان، واتخذ من كتلة العبيد المهملة « عبداً عزيزاً »

(ب) حكمته، عدد ٣: « أرسل شيوخ اليهود » لأنه إذ علم أنه روماني، وان المسيح يهودي، اعتقد ان المسيح يكون اكثر إصغاء لنداء يأتيه من اليهود، منه لنداء يأتيه من أممي.

يسأله أن يأتي و يشفي عبده ٤ فلما جاءوا الى يسوع طلبوا اليه باجتهاد قائلين انه مستحق أن يُفعل له هذا ٥ لانه يحب أمتنا وهو بنى لنا المجمع ٦ فذهب يسوع معهم . واذ كان غير بعيد عن البيت أرسل اليه قائد المئة أصدقاء يقول له ياسيد لا تتعب .

(ج) شهامته ، عدد (٣): لانه كلف نفسه عناء التعب ، فأرسل يطلب الى المسيح أن يأتي و يشفي عبده

(د) اريحيته ومحبته، عدد (٥): لانه وهو روماني ، ومن واجبه أن يحكم اليهود بالقوة والسلطان . والحديد والنار ـ وروما وقتئذ لم تعوزها القوة والسلطان ـ لكنه على رغم ذلك ، أظهر أريحية شماء نحو اليهود . وعبّر عن محبته لأمتهم « بأن بنى لليهود المجمع » ، من غير ان تكون له في ذلك المجمع مصلحة زمنية شخصية . ولعل اليهود كانوا فقراء ، لانه لم يكن لهم في كفرناحوم سوى مجمع واحد . لذلك قيل عنه « المجمع »

(ه) سيرته ، عدد (٤): انأريحيته ومحبته اكسبتاه سمعة حسنة ، فحاز على شهادة شيوخ اليهود « بانه مستحق أن يُفعل له هذا »

(و) وداعته ، عدد (٦) : لما أجاب المسيحُ طلب الشيوخ ، وقرُب من بيت قائد المئة ، أكبرَ قائدُ المئة على يسوع ، أن يدخل تحت سقفه لان اليهود كانوا يأنفون من دخولهم بيت روماني وثني، لذلك أرسل الرجل وفداً آخر الى يسوع، يقول له : « لم أحسب نفسي أهلا » . هذه في الاصل كلمة عسكرية ، تقابلها عندنا كلمة «غير لائق». وكان هذا الشعور نتيجة احساسه

لاني لست مستحقاً أن تدخل تحت سقفي ٧ لذلك لم أحسب نفسي
أهلاً أن آتي اليك . لكن قل كلمة فيبرأ غلامي ٨ لاني أنا أيضاً انسان

الدقيق ، الرقيق ، بضعفاته ونقائصه . كل هذا على عكس شهادة الناس عنه انه « مستحق » . ولكنه باعترافه بعدم استحقاقه . قدم أعظم شهادة على انه « مستحق » فعلا ، لانَّ أول خطوة لاستحقاقنا هي شعورنا بعدم استحقاقنا

انه بذلك قد تخطى أمته ، و بلغ مقام يعقوب اسرائيل ، وشاركه في اعترافه : « صغير أنا عن جميع ألطافك وجميع الأمانة التي صنعت الى عبدك » (تك ٣٢ : ١٠) هذه أول درجة في السلم التي صعد عليها بولس رسول الأمم ، اذ قال عن نفسه انه « أول الخطاة » . فما أبعد الشبه بين هذا الرجل وبين الفريسيين الذين يحسبون أنفسهم « أهلاً » لكل شيء ، في وقت تتفق فيه شهادة الناس عنهم : انهم « غير مستحقين لشيء »

(ز) ثقته: عدد (٧). ان ثقته بالمسيح قد تعدت كل الحدود التي كانت معروفة عن قدرة المسيح وقتئذ . لأن ايمان اليهود بالمسيح ، كان قاصراً على الاعتقاد بقدرة المسيح على الشفاء متى كان قريباً من المريض . كذلك كان ايمان مريم ومرثا : ياسيد لو كنت ههنا لم يمت أخي » . لكن ذلك الضابط العسكري ، قد عبر عن ايمانه بكلمات عسكرية . مبرهناً بجلاء ، على انه لم يكن عسكرياً بل لاهوتياً ، وهو لا يدري . لانه بعين ايمانه استطاع أن يرى ان المسيح هو قائد الايمان الأعظم ، وانه رئيس الحياة الذي جاء لنصرة الحياة على الموت بموته ، وان كلماته جنود ، وارادته قوات ، وأوامره سلطات ، تجتاز المسافات

مرتب تحت سلطان . لي جند تحت يدي . واقول لهذا اذهب
فيذهب ولآخر ائت فيأتي ولعبدي افعل هذا فيفعل ٩ ولما سمع
يسوع هذا تعجب منه والتفت الى الجمع الذي يتبعه وقال أقول
لكم لم أجد ولا في اسرائيل ايماناً بمقدار هذا ١٠ ورجع المرسلون
الى البيت فوجدوا العبد المريض قد صح

والابعاد ، فتطعن جنود الموت في الصميم ، فتهب الصحة للمرضى ، وتعيد الحياة لسكان القبور !!

هذا اعتراف بان قوة المسيح ، حاضرة في كل زمان وفي كل مكان . ولا يفوتنا أن نذكر انه اعتراف ينطوي على شهادة علمية طبية بلاهوت المسيح لان كاتب هذه البشارة هو « لوقا الطبيب »

كان وقع كلمات قائد المئة عظيما على أذني المسيح : لانها أثارت في المسيح احساساً مزدوجاً : (أ) تعجباً واعجاباً بايمان الرجل. (ب) تأسفاً على عدم وجود مثل هذا الايمان في اسرائيل . لانه رأى في هذه « الزيتونة البرية » ثمراً لم يجده في الزيتونة الاصلية — اليهود . اما تعجب المسيح فهو تعبير انساني ، كالحزن والبكاء . وقد تعجب مرة اخرى في مرقس ٦:٦ « لعدم ايمان اليهود ».

ان ارادة المسيح الفعالة قد تجلت في ارسال جنود ارادته وقدرته ، الى المريض على فراشه « فرجع المرسلون ووجدوا العبد المريض قد صح »

١١ وفي اليوم التالي ذهب الى مدينة تدعى نايين وذهب معه
كثيرون من تلاميذه وجمع كثير ١٢ فلما اقترب الى باب المدينة اذا
ميت محمول ابن وحيد لأمه وهي أرملة ومعها جمع كثير من المدينة

كسر شوكة الموت (٧ : ١١ — ١٧)

الى هنا رأينا المسيح طبيباً شافياً لجميع الأمراض ، عن قُرب وعن بُعد. ولكننا نره الآن ظافراً بالموت ليعيد الحياة لأهل القبور

اذا كان المسيح قد شفى الابرص إجابة لطلب ذلك الابرص نفسه (لوقا ٥ : ٢٠) واذا كان قد شفى عبد قائد المئة اجابة لتوسل غيره نيابة عنه (لوقا ٧:٥) فقد أقام ابن أرملة نايين من غير طلب منها ، بل اجابة لداعي المروءة المتدفقة من قلبه « لانه تحنن عليها ». وليس بغريب أن ينفرد لوقا بذكر هذه الحادثة ، لان بشارته بشارة الرحمة بالأرامل والمعوزين وهي بشارة الرحمة التي أجراها المسيح من تلقاء نفسه ، من غير ما طلب من احد

يقول لوقا « وفي اليوم التالي ، ذهب الى مدينة تدعى نايين » هذه المدينة واقعة على هضبة ، جنوب غربي كفرناحوم، عند أقدام جبل حرمون، على بعد نصف ساعة من شونم، التي فيها استطاع اليشع أن يقيم من الاموات ابن المرأة الشونمية (٢ ملوك ٤ : ١٣ — ٢٥)

(١) اللقاء ١ و٢ : بعد أن شفى المسيح عبد قائد المئة في كفرناحوم ، تقدم مع كثيرين من تلاميذه وجمع كثير « صاعداً» الى نايين، فالتقى بأناس كثيرين يحملون ميتاً وكانوا « نازلين» من المدينة — والمسيح رئيس الحياة

١٣ فلما رآها الرب تحنن عليها وقال لها لا تبكي

دائماً في صعود، والموت على الدوام في هبوط ونزول — هنا التقى رب الحياة ، بذاك الذي له سلطان الموت ، في ذلك المنحدر . فلمن منهما تكون النصرة؟

كانت أم الصبي وراء النعش مباشرة ، بحكم العادات الشرقية ، « فرآها المسيح وتحنن عليها ». وهل في العالم منظر يذيب القلب مثل منظر تابوت، يحمل جثمان شاب وحيد لأرملة ؟ فما أدق أعمال العناية التي رتبت أن يمر موكب المشيعين في اللحظة التي يسير فيها المسيح في ذلك الطريق !!

(٢) رسالة المعجزة : ليست هذه المعجزة منبئة ايانا بقيامة الاموات في اليوم الأخير، وكفى . لكنها مرآة صافية تجلت لنا فيها نواح عدة ، وجديدة، من شخصية المسيح الفريدة ، التي جمعت كمال الناسوت في الحنو واللطف ، وجلال اللاهوت في القدرة التي ظفرت بالموت .

في هذه المعجزة نلمس : (ا) حنان المسيح العطوف : « فلما رآها الرب تحنن وقال لها « لا تبكي ». (ب) شجاعة المسيح المقدام: «تقدم ولمس النعش» . (ج) سلطان المسيح الملك « أيها الشاب لك أقول قم ». (د) إحسان المسيح جامع القلوب « فدفعه الى أمه » .

(ا) حنان المسيح العطوف (عدد ١٣): ان عطف المسيح كامل لا تشوبه شائبة محبة الذات ، التي تشوه كل عطف بشري . هذا هو العطف الذي يعيد الى الذاكرة عطف « يهوه » في العهد القديم . « كما يترأف الأب على البنين يترأف الرب على خائفيه » . فهو لا يرى الا ليعطف ، لأن في نظرته طهارة ،

١٤ ثم تقدم ولمس النعش فوقف الحاملون.

واشفاقاً ، ووقاراً . فما أجمل ثقة المسيح العطوف الذي قال للمرأة « لا تبكى »؟ لا شك في ان المرأة سمعت هذه الكلمة مراراً من غيره فامتلأت غيظاً ، لكنها سمعتها من فم المسيح بنغمة أخرى فامتلأت رجاء . اذ أحست بالثقة المتغلغلة في كلامه . فوثقت به « لان الثقة تلد نظيرها ». كانت هذه الخطوة الأولى في تهذيب المرأة في « مدرسة الايمان». لان «العيان» يقول — بعد مايقوم الميت — « لا تبكي » ، لكن الايمان يقول — والميت في التابوت — « لا تبكي ». هذه هي الثقة التي بعثت في المسيح الشكر وهو على قبر لعازر قبل إقامته ، بل هذا هو المنفذ الذي فتح منه المسيح للمرأة باب الرجاء اذ زرع في قلبها بزرة الانتظار

(ب) شجاعة المسيح المقدام (عدد ١٤): « تقدم ولمس النعش». من يستطيع أن يتقدم و يلمس النعش إلا الواثق بانه لا يرجع خائباً ، بل ظافراً بالموت ؟ أليس هذا هجوماً على الأسد في عرينه ؟ واذا لم يقوَ على هذه الخطوة هذا « الأسد » الذي من سبط يهوذا ، فمن غيره يستطيع ؟

«ولمس النعش» : أ كانت هذه اللمسة وسيلة مادية ، لتشجيع ايمان المرأة والمشيعين أم هي وسيلة لنا نتقدم بها الى المسيح الذي تجسد فأخذ يداً تتصل بنا ؟ أم هي المجرى الذي سرت فيه قوة اللاهوت ، فأغرقت ذلك النعش بالحياة أم هي أداة استوقف المسيح بها المشيعين ؟ أم قصد بهذه اللمسة أن يطالب

فقال أيها الشاب لك أقول قم

بملكيته لذلك الشاب الذي اغتصبه الموت لنفسه ؟ أم هي كل هذه معاً ؟

(ج) سلطان المسيح الملك (عدد ١٤): « أيها الشاب لك أقول قم ». هنا يتجلى لنا الفرق العظيم بين كلمة المسيح المجردة ، المصحوبة بسلطانه الفائق ، في إقامة الميت ، و بين مافعله اليشع في تضرعاته وصلواته ، وحركاته ؛ التي دلت على انه كان يستنزل رحمة الله في اظهار قدرته تعالى. لكن المسيح هو الله نفسه الذي يستخدم هذه القدرة مباشرة . كذلك يختلف المسيح في هذه المعجزة عن تلاميذه ورسله ، الذين كانوا يستعينون باسم المسيح على فعل المعجزات .

كان غيره يصنع المعجزات « باذن الله » لكن المسيح يفعلها باذنه هو، لانه هو الله . « أيها الشاب لك أقول قم » : وهل يستطيع الشاب الميت أن يسمع ؟ نعم . متى كانت كلمة المسيح له « روحاً وحياة »

أ كانت هذه الكلمة موجهة للموت ليفارق ذلك الجسد الذي احتله من غير حق شرعي؟ أم هي القدرة التي وهبها المسيح لذلك الشاب ليعينه على اطاعة هذا الامر المستحيل ؟ أم هي تلك الكلمة عينها التي سوف يسمعها الاموات يوم القيامة « والسامعون يحيون» ؟ أم هي رمز لكلمته الروحية التي يحيي بها موتى القلوب والنفوس؟ أم هي شهادة عملية للوصف الذي وصفه به قائد المئة بان له سلطاناً ؟ أم هي كل هذه معاً ؟ يغلب على ظننا ان الرأي الأخير هو الأرجح

كانت هذه الكلمة مرتبة بسلطان . « فجلس الميت وابتدأ يتكلم » .

١٥ فجلس الميت وابتدأ يتكلم فدفعه الى أمه ١٦ فأخذ الجميع خوف
ومجدوا الله قائلين قد قام فينا نبي عظيم وافتقد الله شعبه ١٧ وخرج هذا الخبر
عنه في كل اليهودية وفي جميع الكورة المحيطة

اليست هذه حجة دامغة ، لقدرة المسيح ، من لوقا الطبيب صاحب العقل العلمي الذي لم يداخله الشك مطلقاً في قيامة الشاب من الاموات بكلمة المسيح ؟

(د) احسان المسيح جامع القلوب (عدد١٥): ان خلاص المسيح تام. فلم يكتف باقامة الشاب من الموت بل دفعه الى أمه. فجمع بين القلبين اللذين ضرب الموت بينهما بسهم . إذ اعاد الشاب الى أمه . « وهو الذي يجمع أبناء الله المشتتين الى واحد ». لان في حضرته ينتفي الفراق . « والبحر » - رمز الانفصال - « لا يكون فيما بعد» أمامه . « لان امامه شبع سرور وفي يمينه نعم الى الأبد»

تأثير المعجزة (١٦و١٧): كان تأثير هذه المعجزة الفريدة عظيما جداً على المشاهدين . اذ أثارت فيهم خوفاً مقدساً : « فمجدوا الله » . مما يدل على ان قدرة المسيح كإله ، تمجد الله لا تهينه. فقال المشاهدون: «قد قام فينا نبي عظيم وافتقد الله شعبه » بعد قرون الصمت الطويلة التي توسطت بين العهدين . ومما يليق بنا أن نلاحظه : ان الكلمة المترجمة « افتقد » استعملت أصلاً بمعنى « زار ». وهي الكلمة التي تستعمل لزيارة الاطباء المرضى . وقد وصفوا المسيح بها لانه لم يقم نبي - لا قبله ولا بعده - يقيم الميت بكلمة

« وخرج هذا الخبر عنه » في الجليل، وتخطى الجليل الى « كل اليهودية ». « وانتشر في جميع الكورة المحيطة ». فكان كانتشار أشعة شمس الصباح !!

١٨ فاخبر يوحنــا تلاميذه بهذا كله ١٩ فدعا يوحنا اثنين من
تلاميذه وأرسل الى يسوع قائلاً أنت هو الآتي أم ننتظر آخر
٢٠ فلما جاء اليه الرجلان قالا يوحنا المعمدان قد أرسلنا اليك قائلاً

سؤال يوحنا وجواب المسيح (٧: ١٨—٣٥)

ينقسم هذا الفصل الى ثلاثة أقسام: (١) سؤال يوحنا المعمدان (١٨ـ٢٠) (٢) جواب المسيح (٢ـ٢٣): (٣) رأي المسيح: (ا) في يوحنا: من حيث مظهره (٢٤ـ٢٨). (ب) وتأثيره الخاص. (٢٩و٣٠). (ج) تأثيره العام: في أهل ذلك الجيل الذي خدمه المسيح ويوحنا (٣١ـ٣٥).

(١) سؤال يوحنا (١٨ـ ٢): انتشرت أخبار نجاح معجزات المسيح، في اليهودية، وحملها تلاميذ يوحنا المعمدان اليه في السجن. فدعا يوحنا اثنين من تلاميذه، وارسل الى يسوع قائلا «أنت هو الآتي أم ننتظر آخر؟» فهل قصد يوحنا بهذا السؤال أن يهيء فرصةً لتلميذيه لكي يسمعا بآذانهما شهادة من المسيح عن نفسه فيتقوى ايمانهما؟ أم قصد أن يستحثّ المسيح على بذل كل جهده، لكي يأتي ملكوت الله بالسرعة والصورة اللتين يريدهما يوحنا؟ أم ان ظلام السجن رافقه ظلام روحي في فكر يوحنا، فأوقعه في شراك الشك، لان يوحنا كغيره من البشر له ضعفات؟ قد تكون هذه الاسباب كلها مجتمعة معاً، وقد يكون الاخير هو الأصح

على ان الوجه المنير في كل هذا، ان يوحنا لم يشك، لا في شخصية المسيح ولا في رسالته. وكيف يُقدم على ذلك بعد أن رأى الروح القدس وقد

أنت هو الآتي ام ننتظر آخر ٢١ وفي تلك الساعة شفى كثيرين

حلّ على المسيح «بهيئةٍ جسميّةٍ كحمامةٍ» ، يوم المعمودية في الاردن؟ وكيف يتطرّق الشك الى قلب يوحنا ، في وقت سمع فيه بمعجزات المسيح من فم تلاميذه ؟ واذا كان الشك قد تطرّق الى فكر يوحنا من جهة شخصية المسيح .؟ فلماذا اذاً لم يستجوب شخصاً آخر غير المسيح ليعطيه الخبر اليقين عن المسيح؟ اذاً ليس هذا استجواب عدم الثقة، بل هو استجواب الرجاء واليقين. واذا كان لا بد لنا ان نسمي هذا شكاً ، فهو اذاً شك الايمان ! وقلق الرجاء واستجواب الانتظار !

كان ينتظر يوحنا ان يأتي المسيح للقضاء على البطل بكيفيةٍ عاجلةٍ ، قاطعةٍ ، مرعبة ، فيحمل رفش الدينونة في يد واحدة ، وفأس القضاء في اليد الأخرى. لكن المسيح لم يعمل ذلك. فجُرِحَ يوحنا في شعوره وخاب انتظاره لانه رأى ان هيرودس الشرير الظالم، لا يزال ينعم في قصره متمرغاً في شره، بينما يقاسي يوحنا آلام الضيق في غياهب السجون وظلماتها . ولعله ظن ان «مسيّا المنتظَر» يقوم بعمله شخصان ـ احدهما يزرع بذار الملكوت في القلوب بهدوء، والثاني يوطّد دعائم الملكوت المنتظَر ، بالقوة والجبروت والقضاء . هذا مستفادٌ من السؤال : « انت هو الآتي ـ للقضاء ـ أم ننتظر آخر ؟ »

(٢) جواب المسيح (٢١ـ٣٥) : كان جواب المسيح مثلثاً : (١) كلمة ليوحنا (٢١ـ٢٣). (ب) كلمة عن يوحنا (٢٤ـ٣٠) (ج) كلمة عن اهل ذلك الجيل (٣١ـ٣٥) .

من امراض وادواء وارواح شريرة ووهب البصر لعميان كثيرين
٢٢ فاجاب يسوع وقال لهما اذهبا وأخبرا يوحنا بما رأيتما وسمعتما
ان العمي يبصرون والعرج يمشون والبرص يُطهَّرون والصم
يسمعون والموتى يقومون والمساكين يُبشَّرون ٢٣ وطوبى لمن
لا يعثر فيَّ

(١) كان جواب المسيح عن سؤال يوحنا جواباً عملياً . فكان جواباً « بالفعل والحق » : بالفعل ، لأنه « في تلك الساعة شفى كثيرين من امراض وادواء وارواح شريرة». فأقام من هؤلاء المرضى الذين تمتعوا بالصحة تمثالاً حياً، ناطقاً بقدرته، وشاهداً بصدق رسالته. وكان جواب المسيح، بالحق، لأنه أعلن الحقيقة للرسولين: « اذهبا وأخبرا يوحنا بما رأيتما وسمعتما ان العمي يبصرون والعرج يمشون والبرص يطهَّرون والصمّ يسمعون والموتى يقومون والمساكين يبشَّرون». فاظهر المسيح بهذا انه هو هو المسيح الذي كتب عنه اشعياء (٦١: ١و٢)، وان خدمته هي خدمة رحمة وشفاء، لا خدمة دينونة وقضاء. لان أشعة الشمس في سكونها ، تعمل ما يعجز دونه البرق الخاطف . وان ما يعمله النسيم الهادىء تقصر عنه قوة الرعد القاصف . وان قوة المحبة تفوق قوة النار والحديد

لم تخلُ خاتمة جواب المسيح (عدد ٢٣) من تعنيف لطيف ، اذ قال « وطوبى لمن لا يعثر فيَّ» . أليس في هذا الكلام صدًى لقول سمعان « وُضع لسقوط وقيام كثيرين ؟ (لوقا ٢ : ٣٤)

٢٤ فلما مضى رسولا يوحنا ابتدأ يقول للجموع عن يوحنا . ماذا
خرجتم الى البرية لتنظروا . أقصبة تحركها الريح (٢٥)؟ بل ماذا خرجتم

(ب) كلام المسيح عن يوحنا (٢٤-٣٠) : وهذا يقع في قسمين: (١) كلام المسيح عن مظهر يوحنا (٢٤-٢٨): و (٢) كلامه عن تأثير يوحنا (٢٩و٣٠).

اذا تأملنا في كلام المسيح عن يوحنا رأينا امرين يستوقفان نظرنا ، اولهما – قوله هذه الكلمات بعد انصراف تلميذي يوحنا، لا في حضورهما : «لما مضى رسولا يوحنا » . فهل كانت هذه كلمة الرثاء التي رثى المسيح بها يوحنا قبل يوم دفنه وتكفينه ؟!!! هنا تبرز امامنا شجاعة المسيح وامانته ، في انه لم يمتدح يوحنا امام تلميذي يوحنا، لكي لا يكون مادحاً يوحنا في وجهه. وثانيهما ان هذه الكلمات جاءت على عكس انتظار الناس، الذين توقعوا ان يحدثهم المسيح عن ضعف يوحنا وشكوكه في هذه الفرصة التي ظهرت فيها ضعفات يوحنا وشكوكه. ولكن المسيح الذي ينظر دائماً الى الأفضل في كل انسان، والذي لاينسى «عمل الايمان . وتعب المحبة. وصبر الرجاء» ، لم ينسَ ليوحنا شهادته عنه على شاطىء الاردن : انه « حمل الله الذي يرفع خطية العالم » . فأفرغ المسيح كلامه في استعارتين– احداهما من البرية والخلاء، والثانية من الحضر اما استعارته الاولى فهي مستقاة من شاطىء نهر الاردن حيث يكثر «الغاب» فقال «ماذا خرجتم الى البرية لتنظروا؟ أقصبة– نوع من الغاب– تحركها الريح؟» مثبتاً بهذا ان يوحنا لم يكن بالضعيف المستسلم للأهواء، بل كان حديد الارادة صلبها ، فهو الرجل الذي لم يخشَ وجه رجل . والاستعارة الثانية مشتقة من

لتنظروا أإنساناً لابساً ثياباً ناعمة . هوذا الذين في اللباس الفاخر والتنعم هم في قصور الملوك ٢٦ بل ماذا خرجتم لتنظروا . أنبياً . نعم أقول لكم وافضل من نبي ٢٧ هذا هو الذي كُتِب عنه ها أنا ارسل أمام وجهك ملاكي الذي يهيء طريقك قدامك

الحضر لان المسيح البس كلامه لباساً من قصور الملوك، بقوله « بل ماذا خرجتم لتنظروا؟ أإنساناً لابساً ثياباً ناعمة »؟فاثبت بهذا، ترفّع يوحنا عن الدنيا وزخرفها. فهو الرجل الذي خرّت الدنيا ساجدة عند قدميه، لانه احتقرها. وهو الذي خافه الملوك، لانه لم يخش صولتهم، هذه شهادة مزدوجة لقوة اخلاق يوحنا وتضحيتة

من هذين الوصفين السّلبيّين، انتقل المسيح، فوصف يوحنا وصفاً ايجابياً، فوضعه في مصاف الانبياء، بل أعف وأرفع. «أنبياً؟ نعم اقول لكم وافضل من نبي » ووجه افضليته، ان الانبياء كانوا في المؤخرة وراء عربة الملك، لكن يوحنا كان في المعيّة الملكية نفسها- مع المسيح جنباً لجنب. ان اشعياء ، وارميا وموسى، رأوه من بعيد، لكن يوحنا رآه وجهاً لوجه «هذا هو الذي كتب عنه» في (ملاخي ٣: ١٠). « ها انا ارسل امام وجهك ملاكي الذي يهيء طريقك قدامك » . واذا ما رجعنا الى ملاخي ، ووجدنا « يهوه الله» اسرائيل يقول « ها انا ارسل ملاكي فيهيء الطريق أمامي » ، حكمنا بان هذا الاقتباس يتضمن شهادة صريحة من المسيح عن لاهوته . لان ماقاله «يهوه» الله اسرائيل عن نفسه، نَسَبَهُ المسيح الى نفسه ، بحق ، لانه « هو والله واحد» .. « لم يحسب خلسة ان يكون معادلاً لله » (فيلبي ٢ : ٦)

٢٨ لاني اقول لكم انه بين المولودين من النساء ليس نبي أعظم من يوحنا المعمدان . ولكن الأصغر في ملكوت الله أعظم منه ٢٩ وجميع الشعب اذ سمعوا والعشارون برروا الله معتمدين بعمودية

في عدد ٢٨ : صرح المسيح باعلان مزدوج : جانبه الأول عن يوحنا: « انه بين المولودين من النساء ليس نبي أعظم من يوحنا » . وجانبه الثاني عنا نحن أبناء الملكوت « ولكن الأصغر في ملكوت الله أعظم منه . من هذا نرى : (ا) ان المسيح جعل ملكوت الله أو « عهد النعمة » المقياس الأعلى للعظمة الحقيقية . (ب) ان الانسان يعظم و يصغر في مقامه وفي خدمته على قدر قربه تاريخياً من الملكوت وبُعده عنه. (ج) ان يوحنا المعمدان خاتمة أنبياء العهدالقديم .(د) ان يوحنا قريب تاريخياً من ملكوت النعمة ، لكنه ليس منه.(ه) انالأصغر فيالملكوت ـ تاريخيا واختباريا ـ أعظممن يوحنا ، وأعظم ممن سبقوا يوحنا لأن البركات ، والامتيازات والمعرفة ، والاختبارات الجيدة ، والتمتع بالشركة معالله ، تميزه وترفعه عمن عاشوا فيعهد الناموس العتيق ، لأن أصغرعظيم ، أعظم من أكبر صغير. وأصغر قطعة من الألماس أثمن من أكبر قطعة من الفحم. واصغر ابن، أعظم من أكبر عبد. والسر في هذا « ان الروح القدس لم يكن قد أعطي بعد » بشكل فياض ، دائم في العهد القديم « لأن يسوع لم يكن قد مُجّد بعد »(يوحنا ٧: ٣٩)

انعددي (٢٩و٣٠) يكوّنان جزءاً مهماً من كلام المسيح ، وهما حلقة اتصال بين ما قاله المسيح عن يوحنا ، و بين ما سيقوله عن الجيل الذي خدمه

يوحنا ٣٠ وأما الفريسيون والناموسيون فرفضوا مشورة الله من جهة أنفسهم غير معتمدين منه

يوحنا والمسيح . انهما لايصفان مبلغ تأثر الناس، من كلام المسيح عن يوحنا بل يصفان الناس من حيث تقديرهم لخدمة يوحنا ، يوم كان يوحنا بينهم حراً طليقاً وهو يعمّد وهذان العددان يضعان الناس في صفين تفصل بينهما كلمة «واما»: الصف الأول «الشعب والعشارون»، الذين برروا الله أي: (ا) قبلوا كلام الله عن أنفسهم. (ب) واعترفوا بخطاياهم. (ج) وشهدوا بان الله عادل وأقروا بانه صادق في أحكامه (مز٥٠: ٤) فأمّنوا على قول داود « لكي تتبرر في أقوالك وتزكو في قضائك » ومعنى هذا انهم اعترفوا بان الله بار لا انهم صيّروه باراً والصف الثاني: «الفريسيون والناموسيون وهؤلاء رفضوا مشورة الله من جهة أنفسهم غيرمعتمدين من يوحنا. انه من الأمور التي نفخر بها،ان الله قد وهب الانسان ارادة حرة ، ولكن من المحزن ان الانسان بارادته قد يرفض مشورة الله من جهة نفسه فيختار «المحتقر وقد قصد له الله «الحسن» ويرضى بالحسن» وقد رتب له الله «الأحسن .هوذا بنو اسرائيل قد اختاروا لأنفسهم الموت حين اراد لهم الله الحياة ، ورضيت أورشليم لنفسها بالاعدام بينما قصد المسيح « ان يجمع أولادها كما تجمع الدجاجة فراخها » فلم تُرِد . هوذا شمشون يستسلم لاهواء الهوان في وقت أقامه فيه لله زعيماً وقاضياً. فيقضى على نفسه بان يطحن في بيت الأعداء بعد أن فقد عينيه . وقد باع عيسو بكوريته لأجل أكلة واحدة. وكثيرون يبيعون سعادة الابد لاجل لذة وقتية،

٣١ ثم قال الرب فبمن اشبّه اناس هذا الجيل وماذا يشبهون
٣٢ يشبهون اولاداً جالسين في السوق ينادون بعضهم بعضاً

فيها تستحيل الورود الكاذبة امام عيونهم الى اشواك وقتاد . ولكن من المعزي لنا ان نتأكد انه مهما عمل الانسان بارادته فرفض مشورة الله من جهة نفسه ، الا أنه لن يقدر ان يرفض مشورة الله من جهة غيره

(ج) اهل ذلك الجيل (٣١-٣٥): انتهى المسيح (في الاعداد السابقة) من جوابه ليوحنا ومن كلامه عن يوحنا، و بدأ يصف الجيل الذي خدمه المسيح و يوحنا ولا شك في ان قلب المسيح كان يتوجع وهو يردد السؤالين الواردين في عدد ٣١ «فبمن اشبه هذا الجيل؟ وماذا يشبهون؟» وكأني بالمسيح، كانسان سدّد السهم وهو مشفق على الفريسة لكنه لم يجد بُدّاً من اطلاق السهم. فاذا كان قد استعمل في وصف يوحنا استعارتين ـ احداها من شاطىء الاردن والثانية من قصور الملوك ، فان الاستعارة التي امامنا مأخوذة من لعبة كان يتسلى بها الاولاد في الاسواق وقتئذ . فيها كان اللاعبون من الاولاد . يصطفون صفين متقابلين، فاذا بدت من احد الصفين حركة ، شاركه الصف الآخر، بما يتفق معها من الحركات ، والشعور ، والتعبير ـ إن بالحزن او بالسرور ، حسب مقتضيات الرواية التي يريدون تمثيلها ـ سواء أكانت جنازة مأتم ، او وليمة عُرس . والصورة التي امامنا تمثل لنا اولاداً متمرّدين ، لا تتجاوب حركاتهم مع نغمات الصف الذي يقابلهم ، لانهم زمروا لهم فلم يرقصوا، وناحوا لهم فلم يلطموا ولم يبكوا . هذه حالة غريبة لان الذي لا يلذ له البكاء، يلذ له

ويقولون زمّرنا لكم فلم ترقصوا . نحنا لكم فلم تبكوا ٣٣ لأنه جاء
يوحنا المعمدان لا يأكل خبزاً ولا يشرب خمراً فتقولون به شيطان
٣٤ جاء ابن الانسان يأكل ويشرب فتقولون هوذا انسان أكول
وشرّيب خمر . محب للعشارين والخطاة ٣٥ والحكمة تبررت من
جميع بنيها .

الابتسام ، ولكن الذي لا يجد لذةً لا في هذا ولا في ذاك هو متمرد « لا يعجبه العجب ولا يحلو له الصيام في رجب ». هذا هو الجيل الأعوج الشرير الذي سمع نغمة يوحنا المعمدان المحزنة ، فلم تحركه ولم تشجه ، فقالوا . « به شيطان » . وسمع نغمة المسيح المفرحة ، فلم يهتز لها طرباً بل قال فيه « انسان أكول وشريب خمر . محب للعشارين والخطاة »

في هذه الكلمات الأخيرة ، نقرأ انجيل الفريسيين الذي كتبوه بأيديهم، عن المسيح ، متطوعين . فكانوا بهذا أحكم من أنفسهم إذ صاروا في مقدمة المعجبين بالمسيح في وقت كانوا واهمين فيه انهم يهدمونه وينالون منه. هذا هو جوهر الانجيل الذي نادى به بولس رسول الأمم عن المسيح : انه محب « للخطاة الذين أولهم أنا »

أبناء الحكمة (عدد ٣٥) : ان الله لم يترك نفسه بلا شاهد «لأنه يعلم الذين هم له » . فاذا كان الفريسيون قد رفضوا مشورة الله من جهة أنفسهم فان للحكمة أبناءها ، وان لله رجاله الذين يبررونه واذا كان أعداء الحكمة يسفهونها فان أبناءها يبررونها

٣٦ وسأله واحد من الفريسيين أن يأكل معه فدخل بيت

المراة الخاطئة تشكر (٧: ٣٦ـ ٥٠)

ان موقع هذه الحادثة هنا ، يحسب تفسيراً عملياً لقول المسيح في آخر الفصل السابق « والحكمة تبرّرت من جميع بنيها » .

هذه وليمة ، أقيمت للمسيح في مدينة غير معروفة بالضبط ، يقول بعضهم انها « نايين » ويقول البعض الآخر انها كفر ناحوم ، وآخرون انها « مجدل » بلد مريم المجدلية . و بصرف النظر عن المكان الذي أقيمت فيه الوليمة ، فان المهم عندنا مكانتها ومقامها . لا مكانها ولا موقعها .

شتان بين هذه الوليمة و بين الوليمة التي ورد ذكرها في لوقا ٥:٢٨ ـ ٣٢ . تلك وليمة جمعت العشارين والخطاة ، فكانت وليمة المنبوذين ، لكن هذه وليمة الأشراف . تلك كانت في بيت عشار محتقر . وهذه في منزل فريسي محترم تلك كان المسيح محاطاً فيها بعيون المحبين والمعجبين ، وفي هذه الوليمة كانت تحدق فيه عيون المنتقدين . هذا دليل على أن المسيح جاء ليزيل الفواصل التي تفرّق بين الناس ـ ان صاعداً أو نازلاً . فهو لم يرفض دعوة متى العشار كما انه لم يمتنع عن قبول دعوة سمعان الفريسي .

أنفق صاحب الوليمة كثيراً من ماله على إضافة المسيح. لكنه لم ينفق مع ماله ، شيئاً من عواطف قلبه . نعم تعب ، وأجهد نفسه ، وأقام الوليمة هذه . لكن تعبه لم يكن تعب المحبة . كما أن عمله لم يكن عمل الايمان . ولعل ذلك المضيف لم يقصد من ضيافته ، تكريم ضيفه ، بل تمجيد نفسه . وكل وليمة

الفريسيّ واتكأ ٣٧ وإذا إمرأة في المدينة كانت خاطئة إذ علمت انه متكئ في بيت الفريسي جاءت بقارورة طيب

لاتمتزج فيها المحبة بأطعمتها ، لهي وليمة عقيمة ، وأطعمتها أطعمة سقيمة .

عمل المرأة (٣٨ و٣٨) : ان الجوّ المغتّم بالغيوم ، والمظلم بالضباب ، لا يُعدَم لحظة تشرق من خلالها أشعة الشمس. كما أن الصحراء القاحلة الجرداء لا تخلو من واحة نضيرة مثمرة . فاذا كان قلب صاحب الوليمة قد خلا من الحب ليسوع: (أ) لأن يسوع فقير . (ب) أو لأنه غير فريسي. (ج) أو لعدم تخرُّجه من مدارس راقية ، أو لهذه الأسباب معاً . ـ فجحَدَ عن أن يقدم ماءً لغسل رجليه ، وزيتاً طيباً لمسح رأسه . انه وإن يكن قد ضنّ على المسيح بقبلة التحية ، حسب مقتضيات الضيافة اليهودية ، لكن بيت الفريسي لم يُعدم شخصاً يقوم بخير من هذا الواجب نحو المسيح ـ ذلك الشخص هو امرأة ، لا نعلم من هي ، لكننا نعرف ما هي ـ انها خاطئة . هذا برهان جديد على أن بشارة لوقا هي بشارة الخطاة والمطرودين وعلى انها بشارة للمرأة الضعيفة . فاذا كانت الوليمة المادية في بيت سمعان ، فان الوليمة الروحية الحقيقية كانت في قلب هذه المرأة ، التي قدمت للمسيح ، أفضل مما ضنّ به عليه سمعان : قبلةً في جبينه لم يقبّله سمعان . أما هي فمنذ دخل المسيح لم تكف عن تقبيل رجليه . بزيت لم يدهن رأسَ المسيح ، أما هي فقد دهنت بالطيب رجليه . ماءً لم يقدم لغسل رجلي المسيح لكنها مسحت رجليه بما هو أطيب من الطيب ـ بدموعها ، ومسحتهما بشعر رأسها . فكانت دموعها رافعة نفسها

٣٨ ووقفت عند قدميه من ورائه باكية وابتدأت تبل قدميه بالدموع
وكانت تمسحهما بشعر رأسها وتقبل قدميه وتدهنهما بالطيب ٣٩ فلما
رأى الفريسي الذي دعاه ذلك تكلم في نفسه قائلاً لو كان هذا نبياً
لعلم من هذه المرأة التي تلمسه وما هي . انها خاطئة

اليه ، كما ارتفع الفلك على طوفان الماء الى العلاء . هذا دليل على :

(١) جرأتها : لأنها دخلت محفل الأشراف وهي خاطئة. (ب) حاجتها : لأنها عرفت نفسها من هي وما هي . (ج) حكمتها : لأنها عرفت المسيح الطاهر من هو ، فلم تقوَ على مواجهته بخطاياها . بل جاءت من ورائه ، وقبلت رجليه ، وهو متكيء على ذراعه حسب عادة الآكلين للطعام وقتئذٍ . (د) معرفتها : عرفت نفسها من هي فاتضعت وانكسرت ، وعرفت خطاياها كم هي فبكت واسترحمت . فسكبت في بكائها دمعتين ــ دمعة الحزن والتوبة على الخطية ، ودمعة الشكران على نوال الغفران . (ه) تضحيتها ، وعطيتها : لأنها كلفت نفسها فاشترت طيباً غالي الثمن وسكبته على قدميه . لأن ثمن الطيب كان يوازي مقدار وزنه من الفضة .

احتجاج صاحب الوليمة (٣٩) : كان عمل المرأة قذى ، بل «خشبة» في عيني سمعان الفريسي . فأدخل في قلبه الريبة من جهة شخصية المسيح . وتكلم في نفسه ــ اذ لم تكن له الشجاعة ليتكلم علانية ــ قائلا « لو كان هذا نبياً لعلم : (١) « من هذه المرأة» ــ أي اسمها وعائلتها. (ب) « وما هي » ــ أي أخلاقها وتاريخها ــ « انها خاطئة » . لأن سمعان كان ينتظر من المسيح النبي ،

٤٠ فأجاب يسوع وقال له يا سمعان عندي شيء أقوله لك . فقال قل يا معلم

أن يعلم الماضي ، وأن يرى الحاضر الغير المنظور . سيما لأن المرأة كانت تحل شعرها في مجتمع من الرجال وعلى مرأى منهم ، وهذا عمل لا تقدم عليه إمرأة وقور في نظر اليهود وقتئذ .

جواب المسيح (٤٠ ـ ٥٠) : كان جواب المسيح منطوياً على: (١) مثل ألقاه على سمعان (٤٠ ـ ٤٣) . (ب) تعنيف لطيف وجّهه اليه (٤٤ـ٤٧) . (ج) كلمة تشجيع للمرأة (٤٨ ـ ٥٠) .

مهد المسيح لكلامه بقوله له « يا سمعان عندي شيء أقوله لك » وكان هذا قبل أن يبدي سمعان كلمة يعبر بها عما يختلج في نفسه . فبرهن المسيح بهذا ، على انه نبي وأعظم من نبي . فكان أكثر مما ظن سمعان أو افتكر ، لأن المسيح لم يعرف تاريخ المرأة الخاطئة فقط ، لكنه عرف ما كان يدور بفكر سمعان نفسه . وبرهن على انه نبي ووديع . لأن كلماته لينة بشدتها ، جارحة بعذوبتها ، لطيفة بالحكمة المتدفقة منها . إذ وجه له الخطاب ذاكراً اسمه ، مفرغاً خطابه في صيغة سؤال ، ليربطه بخيوط يحبكها هو لنفسه ، فهيأ له الفرصة ليحكم على نفسه بنفسه . ان المداين هو « المسيح المخلص الفادي» والمديونين هما« سمعان والمرأة» . والخمسمئة دينار (وقيمتها نحو ٥٠جنيهاً مصرياً) هي حمل الخطايا الثقيل ، الذي شعرت به المرأة في نور نعمة المسيح المجانية . والخمسين ديناراً (وقيمتها ٥ جنيهات مصرية) تمثل شعور الفريسي بجرم خطاياه في نور

٤١ كان لمداين مديونان . على الواحد خمسمئة دينــار وعلى الآخر
خمسون ٤٢ وإذ لم يكن لهما ما يوفيان سامحهما جميعاً . فقل . أيهما

الناموس . لأنه كان في نظر الناموس متبرراً ـ تقريباً . لأن إحساسه بحاجته الى الغفران ، إحساس واهٍ يكاد يكون وهماً .

كان جواب الرجل حكماً صائباً أصدره على نفسه وهو لا يدري .

والمستفاد من هذا المثل :

(ا) ان كل خطية دَين علينا لدي الله . (ب) ان كل الجنس البشري واقع تحت حمل الدَّين مهما تفاوتت الديون في القلة والكثرة . (ج) ان كل مدين عاجز عن ايفاء ما عليه من الديون . (د) ان انجيل المسيح لا يضعف شعور الانسان بثقل خطاياه بل بالحري يعمّقه ويقويه . (ه) ان دم المسيح « محا الصك الذي كان علينا في الفرائض »

في تطبيق هذا المثل ألقى المسيح نظرة لها جانبان : أحدهما نحو المرأة. والثاني نحو سمعان . فقال له « أتنظر هذه المرأة ؟ وهنا بدأ قلب سمعان يخفق وأحسَّ في نفسه بحقارة وصغار ، إذ شعر بأن المسيح يقابل بينه في عظمته وغناه ، وجلاله ، وبين إمرأةٍ يعلم سمعان علم اليقين أنها خاطئة . وفي إمكاننا أن نعرف عمق تأثر سمعان متى عرفنا ان المرأة بوجهٍ عام ، لم يكن لها عند اليهود مقام سامٍ .

استطرد المسيح في كلامه فقابل بين عمل المرأة ، وعمل سمعان ، ذاكراً ان المرأة قامت بما قصرت عنه يد الرجل وقلبه . وظهرت أفضلية عملها على عمل سمعان في النوع والكمية ـ فالماء تقابلها الدموع : وقبلة واحدة من جانب

يكون اكثر حباً له ٤٣ فأجاب سمعان وقال أظن الذي سامحه بالأكثر .
فقال بالصواب حكمت ٤٤ ثم التفت الى المرأة وقال لسمعان أتنظر
هذه المرأة . اني دخلت بيتك وماء لأجل رجليَّ لم تعط . وأما
هي فقد غسلت رجليَّ بالدموع ومسحتهما بشعر رأسها ٤٥ قبلةً لم
تقبلني . وأما هي فمنذ دخلتُ لم تكفَّ عن تقبيل رجليَّ ٤٦ بزيت لم
تدهن رأسي . أما هي فقد دهنت بالطيب رجليَّ ٤٧ من أجل ذلك
أقول لك قد غُفرت خطاياها الكثيرة لأنها أحبت كثيراً . والذي

سمعان تقابلها من جانب المرأة قبلات متواليات متواصلة . وزيت للرأس يقابله طيب للرجلين . وختم هذه المقابلة بهذا الاعلان المجيد « من أجل ذلك أقول لك قد غُفرت لها خطاياها الكثيرة لأنها أحبت كثيراً » . والمراد بهذا ان محبتها هي برهان الغفران . فهي ليست علّته بل علامته . لان الغفران اختبار داخلي ، تعبر عنه أعمال المحبة الظاهرة . كأن يقال مثلاً « ان هذه المرأة في ضيقة كبرى لأنها تبكي كثيراً » فليس القصد من هذا ان دموعها أساس ضيقتها ، بل أن دموعها علامة تعبّر بها عن ضيقتها الخفيَّة . إذاً تكون كلمة « لأن » ، هنا ، « برهانية » ، وليست « سببية » . كما يعلم ذلك رجال النحو العربي ،، هذا يوافقه روح المثل ، الذي يرينا أن الذي غُفر له كثير يحب كثيراً . ويدعمه قول المسيح في نهاية عدد (٤٧) « والذي يُغفر له قليل يحب قليلاً » . ان المحبة والغفران كالنار والحرارة يتمازجان ويتبادلان . فالغفران

يُغفر له قليل يحب قليلا ٤٨ ثم قال لها مغفورة لكِ خطاياكِ
٤٩ فابتدأ المتكئون معه يقولون في أنفسهم مَن هذا الذي يغفر

يولّد المحبة ، والمحبة تعمق الشعور بالغفران . فاذا كان الغفران ثمرة الايمان فان المحبة ثمرة أيضاً من ثمار الايمان . لأن الايمان عامل بالمحبة (غل ٥:٦) ، والمحبة عاملة بالايمان . فالغفران والمحبة إذاً هما ثمرتان من شجرة واحدة ، فرعان من نهر واحد ، ونهران من نبع واحد . هو الايمان ! !

الختام (٤٨ ـ ٥٠) : في ختام هذه الحادثة المجيدة نرى:ـ

(ا) إعلاناً : « مغفورة لكِ خطاياكِ » وليس معنى هذا أن المرأة لم تكن خطاياها قد غفرت بعد ، بل ان هذا هو « إعلان » الغفران ، على مرأى ومسمع من المراقبين . كان في هذا الإعلان خير تشجيع للمرأة ، وأفضل توكيد لها بغفران خطاياها . (ب) ضماناً : « ايمانك قد خلصك » في هذا كشف المسيح القناع عن وسيلة الغفران ، وهو الايمان المخلّص . (ج) هبةً : « إذهبي بسلام » . لم تكن هذه مجرد كلمة « صرف » المسيح بها المرأة ، كقولنا « مع السلامة » . لكنها كانت بمثابة فتح باب يؤدي الى قصر ملكي ، فياض بالخزائن والخيرات . لأن ترجمتها الحرفية هي « إذهبي في سلام » . لأن المسيح ليس هبةً صغرى يسعها القلب ، لكنه خيمة مجد تظلل الانسان ، وتسعه هو وما يحيط به ، هو الجوّ الذي نعيش فيه ، ونتنفس هواءه ، ونستظل بظلاله ، هو « الذي يحفظ قلوبنا وأفكارنا » ، بدلاً من أن نحفظه قلوبنا وأفكارنا . هذا هو عربون تلك الكلمة التي ستسمعها

خطايا أيضاً ٥٠ فقال للمرأة ايمانك قد خلّصك . إذهبي بسلام .

المرأة يوم مكافأة الابرار « أدخلي الى فرح سيدك » واذا ما سمعنا القول « ايمانك قد خلصك » فلا نفهم منه ، ان الايمان هو ثمن الخلاص ، بل هو اليد التي تتناول هذا الخلاص . إذا رأيت متسولاً يمدّ يده ليأخذ عطية ما ، أفتحسب يده الممدودة أجرة استحقاقه ، أم هي الوسيلة التي بها يتناول هبتك وعطيتك ؟

كما أن نور الشمس يخرج الحشرات من مخابئها . كذلك كان نور هذا الاعلان مثيراً لاحتجاجات الموجودين ، وباعثاً على تساؤلهم في أنفسهم « مَنْ هذا الذي يغفر خطايا » ؟ فبدلاً من أن ينالوا الغفران نراهم يتساءلون ! ! ! وليست هذه أول مرة فيها يتساءلون. (راجع ص ٥ : ٢١)

الاصحاح الثامن

١ وعلى أثر ذلك كان يسير في مدينة وقرية يكرز ويبشر بملكوت
الله ومعه الاثنا عشر ٢ و بعض النساء كنّ قد شُفينَ

خدمة النساء ليسوع (٨ : ١ — ٣)

بعد وليمة سمعان ، ترك المسيح كفر ناحوم وقام بحملة تبشيرية ، في المدن والقرى ، منادياً بملكوت الله . وفي هذا يظهر الفرق بين تبشير المسيح و بين كرازة يوحنا المعمدان . كان يوحنا يكرز بالتوبة مُمهداً للملكوت ، لكن المسيح كان يبشر بالملكوت نفسه . جوهر رسالة يوحنا هو : « ملكوت الله قريب » ، وجوهر رسالة المسيح : « ها ملكوت الله داخلكم » .

رفاق المسيح . (عدد ١) : كان معه في هذه الرحلة التبشيرية ، رسله الاثنا عشر . وكان معهم نساء ، كنّ يخدمن المسيح من أموالهنّ وهذا بعض ما تفرّد لوقا بذكره في بشارته لأنه اهتم بتسجيل أعمال المرأة ليرفع مقامها .

ان هذه الاعداد تلقي نوراً ساطعاً على خدمة النساء ليسوع وبهذا النور نرى : (ا) الباعث على خدمتهن (عدد ٢) وهو إظهار شعورهن وتعبير امتنانهنّ ، على ما نلنه من الشفاء . « و بعض النساء كنّ قد شفين من أرواح شريرة وأمراض » . (ب) طبيعة خدمتهن (عدد ٣) : كانت خدمتهن من أموالهنّ . هذا هو الوتر الحساس ، الذي يُعتبر مقياساً صادقاً لدرجة الحرارة الروحية إذاً كانت خدمتهن مادية في ظاهرها ، روحية في حقيقتها وجوهرها.

من أرواح شريرة وأمراض . مريم التي تدعى المجدلية التي خرج منها سبعة شياطين ٣ ويونّا إمرأة خوزي وكيل هيرودس وسوسنة

(ج) أهمية خدمتهن : كانت خدمتهن في محلها لأنها ملأت فراغاً ، إذ كان المسيح وتلاميذه فقراء . فلم يكن للمسيح « مكان يسند اليه رأسه » . ولم يكن معه مال يدفع منه ضريبة الهيكل ، التي لم تزد على خمسة غروش مصرية (مت ١٧ : ٢٤) . لأنه « افتقر لأجلنا لكي نستغني نحن أيضاً بفقره » .

(د) دوام خدمتهن واستمرارها عدد (٣):لأن الكلمة « كنَّ يخدمنه» تفيد الدّوام المتوالي . وربما كان ذلك الى نهاية حياة المسيح على الأرض .

(ه) مدى خدمتهنّ (عدد ٢و٣) : هذا ظاهر من الدرجات المتفاوتة التي كانت عليها النساء اللواتي خدمنه ، فمنهن : « مريم المجدلية » المنتسبة الى مجدل التي معناها قلعة . هذه ظلت كوكباً ساطعاً كسف أمام لمعانه كواكب التلاميذ . ومنها قد أخرج الرب « سبعة شياطين » ـ إما على أدوار أو دفعة واحدة ـ ولم تكن هي بالضرورة تلك الخاطئة ، المذكورة في الاصحاح السابق ، لأن الامتلاء بالأرواح النجسة ليس خطية يحاسب عليها الانسان ، كما ان طبيعة مرضها هذا ، تُبعد عنها التهمة التي تبرّع لها بها الكثيرون جزافاً . ومنهن « يونّا » ـ معناها حمامة ـ «امرأة خوزي وكيل هيرودس» . هذه كانت من أشراف القوم وعليتهم ، مما يدلّ على أن انجيل المسيح قد ذاع وملأ الأسماع ، حتى بلغ سكان القصور ، كما بلغ آذان المصابين بالأرواح النجسة ، الملازمين للقبور . ومنهن : « سوسنة » . وان كنا لا نعلم شيئاً عن

وأُخر كثيرات كنّ يخدمنه من أموالهنّ ٤ فلما اجتمع جمع كثير أيضاً من الذين جاءوا اليه من كل مدينة قال بمثل

تاريخ هذه « السوسنة » الجميلة ، من أي تربةٍ نبتت ولا في أي بستان ترعرعت، لكنها كانت معطّرةَ البيئة التي منها نبتت. وفيها ترعرت

على أن هذه الاعداد ، وان كشفت لنا ، عن قلب النساء اللواتي خدمن يسوع لكنها تكشف لنا أيضاً شيئاً عن قلب المسيح ، الذي تنازل فرضيَ بأن تعوله هذه الأيادي الضعيفة ، مع أن معجزةً واحدة منه كانت تستدرّ عليه الخير الوفير والغنى الجزيل . ولكنه في اتضّاعه أخلى نفسه من استخدام قوات اللاهوت ضنّاً منه بقوات السماء التي يربأ بها من أن تُصرف وتسرف ، في الاتيان بحطام الأرض ، ورغبة منه في أن يُفسح مجالاً لمن يريد أن يعبّر عن محبته له ، بالتطوّع لخدمته .

مثل الزارع (٨ : ٥ ـــ ١٨)

نحن الآن أمام المسيح في بداية السنة الثانيـــة لخدمته الجهريّة ، وهو يستخدم في تعاليمه نوعاً جديداً من الوسائل. قبلاً كنا نعثر على أمثلة مقتضبة ، منثورةٍ هنا وهنالك في كلام المسيح ، كنجوم قليلة متناثرة في كبد السماء ، في ليلةٍ مقمرة. ولكننا منذ الآن ، نرى المسيح متكلماً في غالب الأوقات بأمثال.

ويمكننا ان نلاحظ من خلال هذا المثل: (ا) بساطة المسيح : لانه كان يستخدم في التعبير عن أفكاره تلك الأشياء البسيطة ، التي تتناولها وتتداولها طبقة الفقراء والعوّام . (ب) فلسفته : لأن أمثاله تحوي نوراً لمن يريد أن يرى ،

٥ خرج الزارع ليزرع زرعه . وفيما هو يزرع سقط بعض على
الطريق فانداس وأكلته طيور السماء ٦ وسقط آخر على الصخر فلما
نبت جفّ لأنه لم تكن له رطوبة ٧ وسقط آخر في وسط الشوك .
فنبت معه الشوك وخنقه ٨ وسقط آخر في الارض الصالحة فلما نبت
صنع ثمراً مئة ضعف . قال هذا ونادى : من له اذنان للسمع فليسمع
٩ فسأله تلاميذه قائلين ما عسى أن يكون هذا المثل ١٠ فقال .
لكم قد أعطي أن تعرفوا أسرار ملكوت الله . وأما للباقين فبأمثال
حتى أنهم مبصرين لا يبصرون وسامعين لا يفهمون ١١ وهذا هو

وتنطوي على غموض يزيد الظلام سواداً على من يريد أن يضع على عينيه غشاوة . فالمسيح عظيم في ما يعلن ، عظيم في ما يُخفي . انه باعلانه يضيف نوراً الى نور ، وباخفائه ، يحرّض الباحثين على النور لايجاده . اذاً كانت أمثاله فاصلةً بين الذين يتبعونه باخلاص ، فتربّي فيهم ملكة الاستقراء والاستنتاج ، وبين الذين يتبعونه لأغراض نفسانية ، فتعلّن فيهم هذه الغايات كعامود السحاب الذي رافق بني إسرائيل اربعين سنة ، كان يضيء على شعب الله تعالى ، وكان مظلماً على أعدائه . فالمثل هو إلباس الحقائق الروحية ، المعنوية ، لباساً مادياً لغوياً . ليبعدها عن العيون المادية ويُخفيها ، فتقترب من العيون الروحية لتراها هذه صورة ضئيلة لتجسد المسيح . لأن ناسوته أعلن لاهوته لكثيرين فآمنوا به ، وأخفاه عن غيرهم فاصطدموا به وتعثروا .
(ج) حكمته : لأنه كان يستعمل أمثالاً لتعاليم روحية ، لا لاشباع شوق أدبي ،

المثل . الزرع هو كلام الله ١٢ والذين على الطريق هم الذين يسمعون
ثم يأتي إبليس وينزع الكلمة من قلوبهم لئلا يؤمنوا فيخلصوا
١٣ والذين على الصخر هم الذين متى سمعوا يقبلون الكلمة بفرح .

ولا لاطفاء تعطش «الاستقصاء الفضولي» . فقد كانت أمثاله خالية من التعبيرات الخيالية ، التي تنسب النطق للحيوان ، والعقل للنبات ، والحركة للجماد . فهي أمثال فياضة بروح الوقار ، خالية من السخرية والهزل والسخف

اننا مدينون لتلاميذ المسيح بسؤالهم سيدهم أن يفسر لهم هذا المثل . لأن تفسيره لا يحتاج الى زيادة إيضاح . فيه أعلن لتلاميذه الأخصاء ، أسرار تدبير الفداء ، التي أخفيت عن الحكماء والفهماء

نطق الفادي بهذا المثل على شاطىء البحيرة . فاتخذ من قارب الصيد منبراً ، ومنه تحدث الى الجماهير المجتمعة على الشاطىء ، لكنه أوضحه لتلاميذه على انفراد في بيت . ومن هذا المثل نرى نوعاً واحداً من البذار ، زرع في أراضٍ منوعة ، فأنتج نتيجة تتفق مع نوع الارض التي زرع فيها . وهذه البذار تمثل لنا أربعة أنواع من الناس الذين يسمعون كلمة الله الواحدة ، فتكون النتيجة متفقة مع حالة القلب الذي تقع عليه

(١) فالتربة الأولى (عدد ٥ و ٦): هي «الطريق» المعروفة «بالمدق» أو «الجُرة» وهذه لا صلة اتصال بينها و بين البذار التي زرعت عليها . وهي تمثل القلب الجامد ، الذي يحصن نفسه بعدم المبالات أو البلاهة أو البلادة ضد كلمة الله . فلا يأخذ من الكلمة ولا يعطي . كتلك الطريق التي لا تأخذ من البذار

وهؤلاء ليس لهم أصل فيؤمنون إلى حين وفي وقت التجـــربة يرتدون ١٤ والذي سقط بين الشوك هم الذين يسمعون ثم يذهبون

ولا تعطي . فلا تجد الكلمة لها منفذاً تشق منه غلاف القلب . فتظل عارية حتى يأتي إبليس «و ينزع ما قد زرع » بذلك تظل كلمة الانجيل منفصلة عن السامعين الذين لم يفهموها ولم يحبوها

وقد يفيدنا أن نذكر ان هذه التربة التي صارت« طريقاً»، كانت أصلا تربة صالحة ، لكن مرور الحيوانات عليها —ذهاباً واياباً — جعلها طريقاً . وقد تكون هذه حالة القلب الذي إستولت عليه الحيوانية ، فأغلقته وحجرته

(ب) التربةالثانية(عدد٦و١٣): تربةصخريةغيرمنحرثةإلافي سطحها،اتصل غلافهاالسطحي بالبذار،فأخذت منها وأعطت، حتى نبتت بسرعةنادرة ، سببتها حرارة الشمس من فوق ، وحرارة الطبقة المتحجرة من أسفل . وفي طريق نموها لم تجد من الأرض الصخرية ، لا خصباً ولا مرونة ، ولا غذاء . فجفت ولفحتها الشمس فذبلت، وانزوت، وفي أكفانها طويت. وهى تمثل السامعين السطحيين — وما أكثرهم أيام النهضات وأوقات الانفعالات — الذين يقبلون الكلمة بعواطفهم ويفرحون حالا بقبولها ناسين مرارة التوبة التي تستلزمها، وقوة العزيمة التي تنميها ، فيغتر بفرحهم قلب الواعظ. لكن لعدم وجود عمق في الارادة ، ولانعدام الخصب من لباب قلوبهم ، يرتدون بنفس هذه السرعة. لان ما يلتهب بسرعة يبرد بنفس هذه السرعة . فاليقظة التي تنبت في يوم وليلة ، هي شبيهة بيقطينة يونان(٤:٧)« بنت ليلة كانت و بنت ليلة هلكت »

فيختنقون من هموم الحيـــاة وغناهـــا ولذاتها ولا ينضجون ثمراً
١٥ والذي في الأرض الجيـدة هم الذين يسمعون الـكلمة فيحفظونهـا

فينكسر هؤلاء أمام أية عاصفة ، ويذوبون أمام نار الضيق ، ويهربون من وجه الاضطهاد. وهنا نرى ان الشمس التي كانت السبب في سرعة النمو، أضحت هي بعينها سبب الذبول . فالشمس التي تنمي النبتة للتأصلة وتقويها ، هي بعينها التي تحرق النبتة السطحية وتلاشيها .

(ج) التربة الثالثة (عدد ٧و١٤): تربة زراعية غير مفلحة: لأنها كانت ممتلئة « بالأشواك » التي ربما كانت قد قُطعت موقتاً ، فعادت ونمت مع البذار . فالـكلمة المزرعة في هذه الأرض تمتزج بها ، فتنبت وتنمو . لكن الاشواك تخنقها ، لأن الشر أقوى وأسرع فعلا من الخير . فهي تمثل أناساً لهم إمكانيات عظمى ، تتأصل الـكلمة في قلوبهم ، لكن القلب ليس كله مخصصاً لها ، لأنه قلب مجزأ ، « مشغول » بالأشواك ، فتختنق البذار. (١) « هموم الحياة » هذه مصيبة الفقراء . (ب) « ومن غناها » : هـذه تجربة الاغنياء . (ج) « ومن لذاتها » هذه تجربة الجسدانيين المتنعمين . فلا تقوى على أن تُنتج ثمراً ، وإن انتجت فهي لا تنضجُهُ .

(د) التربة الرابعة (عدد ٨و١٥): تربة جيدة: تمثل اناساً لهم قلوب مستقيمة ، وغايات نبيلة . يمتازون عن النوع الاول ، في أنهم يمزجون الـكلمة بقلوبهم ، ويحفظونها . ويمتازون عن الصنف الثاني في أن قلبهم جيد عميق . ويفضلون النوع الثالث في طهارة قلوبهم ، وصلاحيتها لقبول الـكلمة ، «وبالصبر يثمرون

في قلب جيد صالح ويثمرون بالصبر

مئة ضعف » كما أثمرت زراعة اسحق (تك ٢٦ : ١٢) . ولعل كلمة « صبر » هي الكلمة الرئيسية في هذا المثل . « أما الذين بصبر في العمل الصالح » (رو٢:٧)

مع أننا نرى نوعاً واحداً ، قد أفلح ، مقابل ثلاثة أنواع لم تفلح فيها الكلمة ، ومع أن الاختبار يرينا أن أبناء الظلام اكثر من أبناء النور ، لكن المسيح لم يقصد بهذه الانواع ، لا الكمية ولا العدد ، بل النوعية . ففي التربة الأولى اختطفت البذار حالاً ، من غير أن تمتزج بالأرض . وفي الثانية نمو سريع وذبول عاجل . وفي الثالثة نمو النبات غير مصحوب لا بقوة ولا ثبات للاتيان بالثمر . وفي الرابعة صلاح ، وقوة ، وصبر ، وثمر صالح .

اختتم المسيح هذا المثل بكلمة عملية تطبيقية ، (عدد ٨) ، فقال « من له اذنان للسمع فليسمع » . فأعلن بهذا أن: (ا) الحق ملك للجميع . (ب) ان كل واحد حرّ في أن يقبل هذا الحق اذا أراد . (ج) ان في قبول الحق ميزة « من له اذنان للسمع » . ومسئولية ، « اذنان للسمع فليسمع » . (د) ان كل مزية تحمل معها مسئوليتها فلا يكون الانسان مسئولاً إلا على قدر ما له من الميزات . (هـ) ليس المهم في ما نسمع ، ولا في من نسمع ، بل كيف نسمع .

اذاً ليست المسئولية في هذه الحالات ، على البذار ، ولا على الزارع بل على الأرض . ومن الغريب أن هذه الأنواع لا تمثل فقط الذين سمعوا هذا من فم المسيح وقتئذٍ ، لكنها تمثل طبقات الذين سمعوه مدة خدمته على الارض . بل تمثل أعظم وأبعد من ذلك ، فتعني جميع طبقات المستمعين لكلمة الله على ممر الاجيال ـ فما أشبهها بالرموز لا « بالعيّنات » ! !

١٦ وليس أحد يوقد سراجاً ويغطيه باناء أو يضعه تحت سرير بل
يضعه على منارة لينظر الداخلون النور ١٧ لانه ليس خفي لا يظهر
ولا مكتوم لا يعلم ويعلن ١٨ فانظروا كيف تسمعون . لان من

تطبيق عملي في صورة مثل (٨ : ١٦ ـ ١٨)

ان المسيح بتوضيحه هذا المثل ، نشر نوراً ساطعاً من حقه المجيد على تلاميذه . فأوقفهم هذا النور تحت مسئولية (ا) اعلانه . (ب) واعلائه . وقد ألبس هذه المسئولية صورة مثل ، اذ قال « ليس أحد يوقد سراجاً ويغطيه » : (١) « باناء » ـ والاناء يمثل الاشتغال بالأمور المادية . (٢) أو « يضعه تحت السرير » ـ والسرير يمثل حب السلامة ، والتنعم ، والنوم والكسل . بل « يضعه على منارة » ـ والمنارة تمثل الخدمة . ومكانها (رؤ ١ : ٢٩) « لينظر الداخلون النور » . لانه من حق النور أن يظهر ولو أخفي الى حين . والكلام في الاخفاء والاظهار يشير الى النور . ولو ان التطبيق قد يتناول كل الذين يعيشون في الأرض بلسانين ، ووجهين ، وقلبين

عدد (١٨) : يصلح هذا العدد لأن يكون الآية الذهبية للمثل كله . لان المهم ليس في مانسمع ، ولا في من نسمع . لان من يطع النور يزدد له النور لمعاناً وضياءاً ، ومن يقاوم النور ينحدر بنفسه الى هوة الظلام السحيقة . ان من يستخدم ما عنده ، يستزيده ، ومن يحجز ماعنده ، فالذي عنده يتبخر ، واذ يعود اليه مؤملا أن يجده ، يراه قد ذهب وعبر . عندئذ يدرك انه كان منخدعاً

له سيعطى . ومن ليس له فالذي يظنه له يؤخذ منه ١٩ وجاء اليه أمه
و إخوته . ولم يقدروا أن يصلوا اليه لسبب الجمع ٢٠ فأخبروه قائلين

حين ظن ان قد بقي له شيء ، فيتحقق في الختام ، انها كانت أضغاث احلام.

مجيء امه واخوته اليه (٨ : ١٩-٢١)

انا مدينون لمرقس البشير بذكره الغاية من زيارة اخوة يسوع له في هذه المرة. فلقد جاءوا « ليمسكوه لانهم سمعوا انه مختل » ! (مر٣: ٢١و٢٢) لأن اشاعة راجت عنه انه ببعلزبول يخرج الشياطين « لان اخوته لم يكونوا قد آمنوا به بعد» (يوحنا٧: ٢٥) ولعل أمه جاءت معهم لتتدخل فيما اذا حدثت مشادة بينهم ، لتمنع وقوع أي أذى « بابنها البكر »

ولقد تضاربت الأقوال في حقيقة نسبة هؤلاء الاخوة اليه :(ا) فمن قائل انهم أبناء يوسف من زوجة كانت له قبل مريم. ووجه الضعف في هذا الرأي هو انه لو كان ليوسف أولاد أكبر من يسوع لما صار يسوع وارثه الشرعي في « كرسي بيت داود »، لان البكر هو الذي يرث العرش . ولان يسوع كان ابن يوسف البكر « على ما كان يُظَنّ » (ب) ومن قائل انهم أولاد أخت لمريم . أو أولاد أخ ليوسف ، وهؤلاء في عرف اليهود وفي لغتهم يحسبون «اخوة». وربما كان أساس هذه الفكرة : الاعتقاد بعصمة مريم و بتوليتها الدائمة وانعدام فكرة استحسان الرابطة الزَّوجيَّة .(ج) ومن قائل انهم اخوة يسوع من يوسف بعد تزوجه من مريم و بعد« ولادة ابنها البكر»، استناداً الى

أمك وأخوتك واقفون خارجاً يريدون أن يروك ٢١ فأجاب وقال
لهم أمي و إخوتي هم الذين يسمعون كلمة الله و يعملون بها ٢٢ وفي أحد الأيام

بعض الآيات : كالقول «لم يعرفها حتى ولدت ابنها البكر» والقول «ابنها البكر» (لو ٢ : ٧) ولكل رأيه . وأعتقد أنا ان مريم لم تتزوج قطعاً من يوسف

أين كان يوسف اذاً ؟ يستنتج بعضهم انه كان قد مات وقتئذ . «فوقفت مريم واخوته خارجاً وأرسلوا في طلب المسيح لكي يروه» . والكلمة « خارجاً » يفسرها لنا مرقس (مر ٣ : ١٩) لان المسيح كان « في بيت » وكانت الجماهير تزدحم حوله .

جواب المسيح (عدد ٢١) : لم يقصد المسيح ، ان يُظهر بجوابه ، احتقاره للروابط الجسدية والعائلية التي تربطه بمريم و باخوته ، لكنه أظهر ان فوق الروابط الجسدية روابط روحية أعلى ، وأبقى ، وأهم . ولا شك في أن المسيح وجد أماً بل أمهات في النساء اللواتي خدمنه عن شعور روحي عميق ، ووجد إخوةً في التلاميذ الذين فتح لهم قلبه وأعلن لهم أسرار الملكوت . ومن المهم أن نذكر أن المسيح لم يجعل لنفسه « آباء روحيين » لان له أباً واحداً تربطه به صلات روحية سرية لا تضارَع .

يسوعُ نائم في قلب العاصفة (٨ : ٢٢ — ٢٥)

في هذه الحادثة نرى سلطان المسيح على الطبيعة ـ الرياح والماء . وفي المعجزة التي تليها ـ شفاء المجنون ـ نرى سلطان المسيح على قوات الظلمة . وفي إقامته ابنة يايرس ، نرى سلطان المسيح على عالم الغيب ، ليسترجع من دار الخلود نفساً قد تثقّلت بالموت وقيوده .

دخل سفينة هو وتلاميذه . فقال لهم لنعبر الى عبر البحيرة . فأقلعوا
٢٣ وفيما هم سائرون نام . فنزل نوء ريح في البحيرة . وكانوا يمتلئون
ماء وصاروا في خطر .

« وفي أحد الأيام » ، قصد المسيح أن يبشر المدن الواقعة على الجانب الآخر من البحيرة ، التي منها ألقى مثل الزارع ، لكي يواجه قوات الظلمة المختبئة وراءها . فدخل سفينة ـ هو وتلاميذه ـ فقال لهم « لنجتز الى العبر » . كان النهار وقتئذ قد مال ، ودنا المساء ، فأقلعوا ، وكان الجو صافياً ، والنسيم عليلاً ، وفيما هم سائرون « نام من التعب » . هذه هي المرة الوحيدة التي استعملت فيها عن المسيح ، الكلمة « نام » . ومن الغريب انها مشتقة من مصدر معناه « استيقظ ». أكان المسيح اذاً نائماً وفي الوقت نفسه كان قلبه مستيقظاً ؟ أم هذا برهان على انه « إنسان تام » إذ نام، و برهان أيضاً على انه « إله تام » لانه مستيقظ ، في قلب العاصفة ، فأسكنها وأبكمها بقوة جبروته ؟ يا ترى أهـذا نوم التعب أم هو نوم الواثق المرتاح الضمير ـ على عكس نوم يونان ـ لانه لم يخشَ الرياح والمياه فهي جنده وعبيده ؟ أم هو نومٌ عميق لاختبار قدرة التلاميذ على الصبر والثبات أمام الزوابع؟ أم هذا ضمانٌ دائم لنا على ان المسيح موجودٌ وسط الكنيسة « ولو هبت الرياح » ؟ أم هذا هو النوم الذي يرمز الى تأجيلات محبته ، وابطائه ـ حسب الظاهر ـ في استجابة صلاتنا وسط الضيقات ؟ أم هذه كلها مجتمعة معاً ؟ ؟ ؟

أثناء نوم المسيح نزلت من قم جبل حرمون ، ريح على البحيرة ، فدخلت

٢٤ فتقدموا وأيقظوه قائلين يا معلم يا معلم إننا نهلك . فقام وانتهر الريح وتموّج الماء فانتهيا وصار هدوء

الماء في السفينة ، وكادت تغمر من فيها ، « فصاروا في خطر عظيم » .

في عددي (٢٤ و٢٥) يتجلّى لنا: (ا) ضعف البشر الظاهر في صراخ التلاميذ وانزعاجهم « فتقدموا وأيقظوه قائلين يا معلم يا معلم اننا نهلك » . وفي هذا دليل على أن العاصفة الطبيعية الخارجية ، رافقتها عاصفة روحية داخلية في قلوب التلاميذ ، فزعزعت ايمانهم . وهل يُعقل ان يهلكوا وهو معهم في قلب السفينة ؟ أليس الخطر الذي يتهددهم ، هو عين الخطر الذي يتهدده هو أيضاً ما دام هو معهم؟ (ب) قوة الله وحكمته: لأن المسيح لم ينتهر التلاميذ على انزعاجهم إلا بعد أن «انتهر الرياح وتموّج الماء» . والكلمة «انتهر» هي التي استُعملت عنه عندما شفى حماة بطرس من الحمى (لوقا ٤ : ٣٩) . فبرهن المسيح بذلك على حكمة فائقة في معالجة ضعفات البشر ، لأنه عوضاً عن أن يوبخ الباكي على بكائه ، يتقدم أولاً فيطيب قلب الباكي ويلاشي سبب البكاء . وبرهن أيضاً على أن له سلطاناً على البحار . وهو سلطان يفوق على الأقل سلطان موسى . لان موسى ضرب البحر بعصاً ، لكن المسيح أسكته بمجرد كلمة . ان كلمته صولجان ، وإرادته دستور ، ورأيهُ قضاء فهو «المتمنطق بالقدرة المهدئ عجيج البحار عجيج أمواجها وضجيج الأمم » (مز ٦٥ : ٧) لان الذي انتهر مياه بحر طبرية الآن ، هو الذي انتهر قديماً بحر سوف . وكما ان الخراف ، لا تعرف ولا تطيع إلا صوت راعيها ، كذلك لا تخضع الرياح والامواج إلا لصوت ربها و باريها .

٢٥ ثم قال لهم أين ايمانكم . فخافوا وتعجبوا قائلين فيما بينهم من هو هذا . فانه يأمر الرياح أيضاً والماء فتطيعه .

بعد ان أسكت المسيحُ الرياح ، انتهر التلاميذَ قائلاً لهم « أين ايمانكم ؟ ؟ » كأن ايمانهم كان معهم فأبعدته عنهم العاصفة ، أو شتتته وعبثت به ، فقصد بهذه الكلمة أن يعيده اليهم .

النتيجة (عدد ٢٥) : كانت النتيجة هدوء العاصفتين ـ العاصفة الطبيعية في البحر ، والعاصفة الروحية في قلب التلاميذ . ثمّ ثارت في قلوبهم عاصفة من نوع آخر ـ لعل رياحها كانت شمالية : هي رياح : (١) الخوف . (ب) والتعجب والاعجاب . لانهم « خافوا وتعجبوا قائلين فيما بينهم من هو هذا ؟ » . قبلا كانوا خائفين من العاصفة، والآن «خافوا المسيح» في قلوبهم. ان خوفهم من خطر عظيم أعقبه خوف من شخص أعظم . قبلا كانوا يعلمون ان للمسيح سلطاناً على الارواح النجسة ـ والروح والريح من مصدر واحد ـ أما الآن فقد أدركوا ان له سلطاناً « على الرياح أيضاً » .

ان خوفهم يُعزَى الى : (١) انهم لم يكونوا وحدهم بل كان معهم قوم آخرون (مر ٤ : ٣٦) . (ب) ان هذه أول مرة رأوا فيها سلطان المسيح يتجلّى ظافراً بالطبيعة. (ج) أن بعض اليهود كانوا يعتقدون أن البحر هو أحد أبواب الهاوية الثلاثة (وأورشليم بابها الثاني والبرية بابها الثالث) فلم يخطر لبالهم ان المسيح يقوى على مهاجمة الهاوية وقواتها .

٢٦ وساروا الى كورة الجدريين التي هي مقابل الجليل ٢٧ ولما
خرج الى الأرض استقبله رجل من المدينة كان فيه شيــــاطين منذ
زمان طويل وكان لا يلبس ثوباً ولا يقيم في بيت بل في القبور
٢٨ فلما رأى يسوع صرخ وخر له وقال بصوت عظيم ما لي ولك
يا يسوع ابن الله العلي . أطلب منك أن لا تعذبني ٢٩ لانه أمر
الروح النجس أن يخرج من الانسان . لأنه منــــذ زمان كثير كان

الشخصية المجزأة (٨ :٢٦ـ ٣٩)

انقضت تلك الليلة التاريخية، فخرج المسيح وتلاميذه الى الشاطيء الغربي من البحيرة ، وساروا الى كورة الجدريين ــ وهي في مقاطعة « بيرية » التي عاصمتها « جدره » المعروفة الآن باسم « ام قيس » الواقعة على الجنوب الشرقي من بحر طبرية. وفي الصباح باكراً جداً خرج يسوع وحده الى الجليل كعادته ليصلي واذ صعد قليلاً على التل ، استقبله من القبور شبح مفزع ، كان أقرب الى الوحوش منه الى البشر ــ هو رجل مجنون هائج مجرح ، عاري البدن ولعله من فرط جنونه قصد أن يهجم على المسيح ليؤذيه ، كما آذى غيره من قبل. ويقول متى « كان مع هذا المجنون مجنون آخر » لكن لوقا ومرقس قد حصرا الخبر في مجنون واحد ، هو أشهر الرجلين . وأوردا الخبر عنه مفصلاً ، سيما لأنَّ شفاءه كان نموذجاً لشفاء الاثنين . لان غرض معجزات المسيح وحي لا عددي

يخطفه . وقد ربط بسلاسل وقيود محروساً . وكان يقطع الربط
ويساق من الشيطان الى البراري ٣٠ فسأله يسوع قائلاً ما اسمك
فقال لجئون . لان شياطين كثيرة دخلت فيه ٣١ وطلب اليه أن

يُعتبر مرض ذلك الرجل صورة رمزية للخطية، فهي: (ا) تستولي على مشاعر الانسان وتحتل قلعة قلبه، وحياته، (ب) فتفقده قوة الحكم، وميزة الاختيار، (ج) فيختار القبور لا القصور، (د) ويؤذي نفسه ويجرحها (هـ) ويهاجم الآخرين المشفقين عليه ويؤذيهم، (و) ويتجنب معاشرة الأصدقاء الأصحاء، الأخيار. ويختار عشراءه من المجانين نظيره في البراري (ز) فتتجزأ شخصيته، ويتفوه بكلمات مشوهة، لا صلة ولا ارتباط بينها، ولا توافق فتارة يتكلم بلسان نفسه «لا تعذبني»، وطوراً يتكلم بكلمات هي لغة الشياطين الحالة فيه «ما لنا ولك»

في هذه الحادثة نرى أمامنا: (١) شخصية المسيح القوية، وسلطانه على الأرواح النجسة. (عدد ٢٩). لانه أمر الأرواح أن تخرج من ذلك المجنون فلم تقاومه. ولانه سأل الرجل عن اسمه (عدد ٣٠)، ليعيد اليه حالته الطبيعية «فيرده الى نفسه»

(٢) شخصية الشيطان الممثلة في: (ا) وحدة في تنوع وتنوع في وحدة. فالاسم واحد «لجئون» (عدد ٣٠) لكن العدد كثير لأن «لجئون» اسم فرقة عسكرية كبرى عند الرومان كان عدد جنودها ٦٠٠٠ هنا درس لأرباب الانقسام والتحزب فان الشيطان حريص على أن

لا يأمرهم بالذهاب الى الهاوية ٣٢ وكان هناك قطيع خنازير كثيرة
ترعى في الجبل . فطلبوا اليه أن يأذن لهم بالدخول فيها . فأذن لهم
٣٣ فخرجت الشياطين من الانسان ودخلت في الخنازير . فاندفع
القطيع من على الجرف الى البحيرة واختنق ٣٤ فلما رأى الرعاة ما
كان هربوا وذهبوا واخبروا في المدينة وفي الضياع

يحافظ على الوحدة في صفوفه . (ب) جُبن الشيطان الظاهر في تملقه للمسيح لانه سجد له واعترف بانه « ابن العلى » هذا مصداق لقول الملاك (لو ١: ٣٢) (ج) قسوة الشيطان واستبداده بالانسان : لانه احتل جسم ذلك الانسان وعقله منذ زمن طويل ، فأسكنه القبور وأمده بقوة ، تقطع السلاسل ، فهام على وجهه في البراري . (د) عجز الشيطان الذي ظهر في استرحامه المسيح « اطلب اليك أن لاتعذبني » (عدد ٢٨)، وفي استئذانه المسيح أن يسمح له بالدخول في الخنازير (عدد ٣٢) بدلا من الهاوية . لأن الهاوية هي سجن الأرواح الشريرة (رؤ ٢٠ : ١ و٢ و٣) وفي الترجمة السبعينية للعهد القديم وردت الكلمة «هاوية» بمعنى «بحر» وهو أحد أبواب الهاوية الثلاثة (يونان ٢:٢) . (هـ) طبيعة الشيطان : الظلام والنجاسة . لانه اختار أن يحل في الخنازير ، وهي أنجس الحيوانات في عُرف اليهود . « وشبيه الشيء منجذب اليه ». ولانه طلب من المسيح أن يبتعد عنه « مالي ولك » . لان النجاسة لا تقرب القداسة ، كما ان الظلام يهرب من وجه النور .

٣٥ فخرجوا ليروا ما جرى . وجاءوا الى يسوع فوجدوا الانسان الذي كانت الشياطين قد خرجت منه لابساً وعاقلاً جالساً عند

(٣) شخصية أهل تلك الكورة (٣٥-٣٧) (ا) كانوا أناساً ماديين . لا دينيين ، مع انهم يهود. لأن الشريعة الموسوية كانت تأبى عليهم أن يتّجروا بالحيوانات النجسة كالخنازير (ب) كانوا أناساً جامدين (عدد ٣٦)، لأن شفاء نفس مسكينة معذبة قد أغضبهم اذ كانوا اكثر حرصاً على الخنازير ، منهم على النفوس البشرية . (ج) كانوا أناساً جاحدين ، فبدلا من أن يشكروا المسيح على أفضاله عليهم ويمجدوا الله الذي افتقد مدينتهم ، طلبوا الى المسيح أن يخرج من مدينتهم (عدد ٣٧). فيا ترى أ كان هذا حقداً منهم عليه بسبب خنازيرهم التي خسروها ؟ أم كان هذا احتراساً منهم وتحفظاً ، لئلا يدخل المسيح مدينتهم ، وينظر قلوبهم ، ويوبّخ أعمالهم الشريرة ، فتضيع من أيديهم مكاسب أخرى غير شريفة ؟ أم هو جنون نفسي احتل عقولهم ، فردّدُوا به صراخ المجنون: « مالي ولك »؟ أم كان هذا شعوراً منهم بخطاياهم امام قداسة المسيح فردّدُوا صراخ بطرس : « اخرج من سفينتي يارب لاني رجل خاطىء؟ » أم هو الخوف العظيم الذي يطرح المحبة خارجاً ؟ أم كانت هذه كلها مجتمعة معاً ؟ »

(٤) شخصية الرجل المتجدد ، بعد تمتعه بالشفاء (عدد ٣٥) وهذا يظهر لنا من حاله: (ا) « لابساً » هذه بركة تمتع بها جسده بعد أن حرم منها زماناً طويلا . (ب) « عاقلا » هذه هبة زانت عقله بعد أن خلا منها مدة

قدمي يسوع . فخافوا ٣٦ فأخبروا أيضاً الذين رأوا كيف خلص
المجنون ٣٧ فطلب اليه كل جمهور كورة الجدريين أن يذهب عنهم
لانه اعتراهم خوف عظيم . فدخل السفينة ورجع ٣٨ اما الرجل الذي

مد يده .(ج) «جالساً عند قدمي يسوع ». هذه نعمة روحية بل هذا مكان النفس الحقيقي وموضع راحتها ـ « عند قدمي يسوع » لتسمعه ، وتمتثل له ، وترتاح اليه ، وتتمثل به ، وتعبده . لقد تمنى ذلك الرجل السعيد ـ بعد أن كان منكوباً ـ أن يتبع المسيح على الدوام (عدد ٣٨) مخافة أن « ترجع اليه الشياطين بعد أن خرجت منه . ورغبة منه في التمتع بالمسيح ، على خلاف طلبه منه في البداية أن يبتعد عنه . لانه أخذ من روح المسيح . « والروح مع الروح تتلاقى »

(٥) حكمة المسيح : في إجابته بعض هذه الطلبات المتباينة وفي رفضه البعض الآخر: (ا) رفض طلب المجنون القائل « لا تعذبني» (عدد ٢٨). لانه طلب غبي (ب) واستجاب طلب الشياطين : « فأذن لهم بالدخول في الخنازير (عدد ٣٢) لانه طلب طبيعي عادل . فالخنازير نجسة كالشياطين. (ج) واجاب طلب أهل كورة الجدريين فابتعد عنهم (عدد ٣٧) لانه لا يريد لنا إلا ما نريده نحن لأنفسنا ، سيما متى كنا عقلاء لا مجانين. وما أشقى الانسان عندما يستجيب له الله مثل هذا الطلب !!!. (د) ورفض طلب ذلك الرجل بعد شفائه (عددا ٣٨و ٣٩). لانه مع كون الطلب صالحاً في ذاته، إلا أنَّ المسيح يفضل الأصلح على الصالح . فكان تصرف المسيح

خرجت منه الشياطين فطلب منه أن يكون معه . ولكن يسوع
صرفه قائلا ٣٩ ارجع الى بيتك وحدث بكم صنع الله بك . فمضى
وهو ينادي في المدينة كلها بكم صنع به يسوع ٤٠ ولما رجع يسوع
قبله الجمع لانهم كانوا جميعهم ينتظرونه .

هذا لخير الرجل . لان مناداة الرجل بالمسيح تنفعه اكثر من تمتعه بالشفاء ، بلا خدمة ولا عمل . ولان المناداة بالمسيح تقرب المسيح اليه اكثر من الجلوس عند قدميه ، والسير وراء ظله . وكان هذا أيضاً لخير أهل تلك الكوره ، لأن المسيح وان كان قد ترك مدينتهم اجابة لطلبهم ، لكنه رحمة بهم ، اراد أن يترك لهم الرجل شهادة حية عنه ، مذكراً اياهم بقدرته ومحبته ، ولاهوته. هذه فرصتهم الثانية !

فما أحكم المسيح حين يستجيب طلباتنا ، وما أحكمه حين يرفضها . فهو صالح في ما يمنح ، صالح أيضاً في ما يمنع. فقد تكون استجابته حرماناً ، مثل إعطائه اسرائيل ملكا في غضبه. وقد يكون لنا من حرمانه خير إجابة. فلنخش دائماً ما نتمنى .

ما أجمل ان نرى الرجل الذي كان يسير في الطرقات ، مهاجماً الناس وقد اصبح رجلا عاقلا يناديهم « بكم صنع الرب به ورحمه ».

معجزة متداخلة في معجزة (٨: ٤٠—٤٥)

أجاب المسيح رغبة أهل كورة الجدريين ، فذهب عنهم ، ودخل السفينة «ورجع» الى كفرناحوم، وهناك قبلَه الجمع بترحيب عظيم . لانهم

٤١ وإذا رجل اسمه يايرس قد جاء . وكان رئيس المجمع . فوقع عند
قدمي يسوع وطلب اليه أن يدخل بيته .

كانوا بين شاكرين على أفضال منه قد سبقت ، وبين منتظر لأفضال آتية .

كان بين المرحّبين بالمسيح رجل اسمه « يايرس » . والكلمة « يايرس » هي الصيغة اليونانية للكلمة « يائيرا » العبرية ، التي معناها « يُنير » (قضاة ١٠ : ١٣) . كان هذا الرجل بحق منيراً باسمه ، كما كان منيراً بوظيفته ، لأنه كان رئيس المجمع . لكنّ سحابة مظلمةً خيَّمت على بيت يايرس ، وعلى قلبه ، فعكست ظلالا على وجهه ، إذ كانت له بنت وحيدة في الثانية عشرة من عمرها « وكانت في حال الموت » . ولعل يايرس هذا كان على رأس الوفد الذي بعث به قائد المئة الى المسيح ، طلباً في شفاء عبده الذي كان عزيزاً عنده (لو ٧ : ٢) .

« وقع الرجل عند قدمي المسيح» مدفوعاً ومتشجِّعاً بما رآه في الماضي من شفاء عبد قائد المئة ، وطلب الى المسيح أن يدخل بيته . فكان بعمله هذا ، عابداً مصلياً ، مؤمناً . لكن ايمانه ، وهو اسرائيلي مستحق الرحمة ، كان أضعف من ايمان القائد الأممي الذي حكم على نفسه بأنه « غير مستحق » . لم ينهَ المسيح هذا الرجل عن السجود له ، والصلاة اليه ، كما كان يجب عليه ، لو كان بَشراً مثلنا ، هذا اعتراف عملي من المسيح بأنه إله يقبل السجود له

أجاب المسيح على الفور طلب هذا الرجل وانطلق الى بيته مسرعاً ، « فزحمته الجموع » في طريقه . وكم كان يايرس متضايقاً من هذا الزحام ،

٤٢ لأنه كان له بنت وحيدة لها نحو اثنتي عشرة سنة وكانت في

مخافةان يكون عائقاً المسيح في طريقه ، فتطير منه تلك الدقائق المعدودات ، الباقية لابنته على قيد الحياة . ومع كل فقد كان الرجل سائراً ، ودقات قلبه تنبض بالسرعة التي كان الوقت يطير بها أمام عينيه ، لكن صبر الرجل قد نفد ، وطار عنه صوابه إذ رأى المسيح ، وقد وقف فجأة متسائلاً : « من لمسني ؟ ؟ » وكم كان ضجره عظيماً ، إذ علم أن هذا السؤال كان مقدمة لعزم المسيح على أن يشفي امرأة مسكينة أصابها مرض عضال ، منذ السنة التي وُلدت فيها ابنته ـ منذ اثنتى عشرة سنة . لان أقصى حد بلغ اليه ايمان الرجل ، هو أن المسيح يقدر أن يشفي المريض . ولكن لا حيلة اذا المريض مات . وكان كل ظنه أن إحسان المسيح لإنسان ما ، يستنفده ، فلا يُبقي منه بقية يُحسن بها لآخر ، وأنَّ ربح الواحد خسارة على غيره . وهو لا يدري أن في قلب المسيح متسعاً من المحبة يسع جميع المحتاجين و يكفيهم و يفضل عنهم ، وان في متناول قدرة المسيح أن يقيم الانسان الميت ، اذا لم يجده مريضاً على قيد الحياة .

أوَليس وقوف المسيح للعناية بهذه المرأة ، برهاناً جديداً على : (١) ثقته التامة بسلطانه الغير المحدود . (ب) وعلى اطمئنانه العميق الذي لا تزعزعه العواصف والأزمان . (ج) وعلى انه لا يحابي بالوجوه لأن عطفه على إمرأة بائسة لا يقل عن عطفه على إبنة رئيس المجمع العظيم . (د) وعلى أن الوقت الذي تخسره إحداهما في انتظار المسيح لهو ربح حلال للأخرى لأنها ستستمتع

حال الموت . ففيما هو منطلق زحمته الجموع ٤٣ وإمرأة بنزف دم منذ اثنتي عشرة سنة وقد أنفقت كل معيشتها للأطباء ولم تقدر أن تشفى من أحد

باختبار القيامة من الاموات ، بدلا من اختبار القيام من فراش المرض .

فلننظر الآن الى معجزة شفاء تلك المرأة التي جاءت في طريق معجزة إقامة إبنة يايرس ، كجملة معترضة ، تفسيرية ، وسط الكلام ، بل كملح وسط الطعام ! !

شفاء المرأة النازفة الدم (٨ : ٤٣ — ٤٨)

لا ندري من كانت هـذه المرأة ، لكننا نعلم ما هي - انها كانت مصابة بمرض خبيث ، عضال ، هو نزف الدم . وكان يصحب هذا الداء ، مرض نفسي ، هو شدة اليأس بسبب حالها وفقرها . « لأنها أنفقت كل معيشتها على الأطباء ولم تقدر أن تشفى من أحد » . وهنا نرى شجاعة لوقا الطبيب إذ رضى بأن يسجل هذا العجز على مهنته - ولكن بلطف . فلم يقل مع مرقس « بل صارت الى حال اردأ » لأنه يحترم مهنته .

كانت اعتقادات اليهود في الاطباء الدجالين وقتئذ ، غاية في الغرابة والشدة فمن أقوالهم « ان أحسن طبيب معد لجهنم » وجاء في التلمود : « يسرق اللص شيئاً من اثنين - إما مالك أو حياتك ، لكن الطبيب يستلبهما كليهما ! ! ! »

٤٤ جاءت من ورائه ولمست هدب ثوبه . ففي الحال وقف نزف
دمها ٤٥ فقال يسوع من الذي لمسني . وإذ كان الجميع ينكرون قال

لمسة المرأة: (عدد ٤٤) إن مرضها ، وإن أضعف ثقتها بالشفاء الطبيعي ، الا أنه لم يضعف ايمانها ولم يزعزع ثقتها بقدرة المسيح الشافية . لان ايمانها كان قوياً متيناً ، على رغم امتزاجه ببعض العناصر الخرافية التي كانت وليدة الجهل . فقد كانت تعتقد أن قوة المسيح الشافية مستقلة استقلالاً تاماً عن ارادته ، ومنفصلة انفصالاً ، لا شك فيه ، عن محبته فظنت ان في إمكانها أن تلمس هدب ثوبه ، وتستلب منه الشفاء – بوسيلة مادية لا بايمان روحي ، من غير أن يشعر أو يحس بها . لكنه على الرغم من ذلك كان ايماناً حقيقياً أصيلا . لانها كانت تعتقد أن قوة المسيح الشافية تفيض وتفضل عن شخصه وجسمه وتتعداهما فتمتد الى هدب ثيابه ، وانها قد تصل اليها بمجرد لمسة خفية . أوليس في ايمانها هذا شيء كثير من الاتضاع لانها أدركت حالها ، وعرفت أن مرضها عضال ، فلم تواجه المسيح بل تسللت بين الجموع التي تزحم المسيح ، « وجاءت من ورائه فلمست هدب ثوبه » ؟ ولعل خوفها كان منشأه الاعتقاد بأنها اذا لمست شخصاً ما وهي مريضة بهذا المرض ، نجسته (لاويين ١٥ : ١٩) .

سؤال المسيح وجواب تلاميذه (عدد ٤٥ و٤٦) : كان سؤال المسيح «من لمسني» ، باعثاً على الضجر في قلب يايرس ، وقد كان قلقاً على ابنته ، التي كانت تتطاير ذرات حياتها مع الدقائق القليلة الباقية ، وهي تولي سراعاً . وكان أيضاً باعثاً على تساؤل التلاميذ : « الجميع يزحمك وتقول من لمسني » ؟

بطرس والذين معه يامعلم الجموع يضيّقون عليك ويزحمونك وتقول من الذي لمسني ٤٦ فقال يسوع قد لمسني واحد لاني علمت ان قوة قد خرجت مني ٤٧ فلما رأت المرأة انها لم تختف جاءت مرتعدة وخرّت له وأخبرته قدام جميع الشعب لأي سبب لمسته وكيف برئت في الحال .

فلم يقصد المسيح بهذا السؤال أن يستعلم عما لا يعلم ، بل كان غرضه مزدوجاً: (ا) لكي يهيّيء المرأة لتنال الخلاص الروحي مع الشفاء الجسدي. فيؤكد لها ان شفاءها لم يؤخذ منه اغتصاباً ، بل اختياراً. وبذلك يطهر ايمانها من الجهل (ب) ولكي يظهر لتلاميذه الفرق العظيم بين من « يزحمونه » وبين من « يلمسونه » لان الذين يزحمونه لا ينالون منه خيراً . اذ أن صلتهم به كصلة البذار بالأرض المتحجرة. لانهم يزحمونه بمناكبهم، ولا يتصلون به بقلوبهم. ولكن الذين يلمسونه يكوّنون من لمستهم له مجرى روحياً، عميقاً، تسري فيه بركات المسيح اليهم . ان هذا النوع الأخير يتأثر من المسيح اذ ينال الشفاء ، ويتأثر المسيح منه لانه يشعر ان « قوةً قد خرجت منه » ــ والشفاء الذي لا يكلّف الطبيب شيئاً ، هو الشفاء الذي لا يفيد العليل فتيلا

مجيء المرأة الى المسيح (عدد ٤٧): لما لم يمكنها اخفاء نفسها صارت: (ا) خائفة: « مرتعدة ». (ب) عابدة: « وخرت له ». (ج) معترفة: « واخبرته قدام الجميع ».

رسالة المسيح لها (عدد ٤٨) لم يقصد المسيح بالمرأة شراً حين سأل هذا السؤال، بل قصد بها كل خير. فهو لم يقصد ان يحاسبها على لمستها له ، لكنه اراد أن

٤٨ فقال لها ثقي يا ابنة . ايمانك قد شفاك . اذهبي بسلام ٤٩ وبينما
هو يتكلم جاء واحد من دار رئيس المجمع قائلا له قد ماتت ابنتك

يكمل لها الشفاء بان يزيل ما في ايمانها من عيب، وان يفهمها انه نبع الطهارة، فلا تنجسه لمسة من مثلها وان يؤكد لها ان شفاءها تم بارادته لا باختلاسها. وان أساس شفائها هو ايمانها الروحي، لا لمستها المادية. ولكي يمنحها فوق هبة الشفاء ما هو أعظم وأبقى ـ « نعمة السلام » . فكانت كلمته هذه حاملة لها : (١) يقيناً ـ « ثقي » (ب) تبنياً « يا ابنة ». وهذه الكلمة لم يقلها قط لغيرها لانه ميزها بعطفه وحنانه. (ج) إعلاناً « ايمانك قد شفاك ». (د) وضماناً « قد » (هـ) سلاماً « اذهبي بسلام » أو « اذهبي في سلام ». انظر تفسير (لوقا ٧: ٥٠) هذه هبة مثلثة : جسدية ، وعقلية ، وروحية

تكملة المعجزة الأولى (٨: ٤٩ـ٥٥) تمتعت المرأة المسكينة بالشفاء ـ جسداً وعقلا وروحاً، لكن قلب يايرس كان يغلي في داخله غليان الماء في المرجل، لانه كان حريصاً على الدقائق الباقية لابنته على قيد الحياة، من أن تذهب ضياعاً. فيضيع معها صوابه ويطير لبه . وبينما هو غارق في هواجسه وأفكاره ، اذا بسهم القضاء قد نفذ. « وكان ماخاف الرجل أن يكون ». وجاءه نذير السوء قائلا : « قد ماتت ابنتك . لاتتعب المعلم ». كأن أقصى حد لايمانهم هو أن المسيح معلم لا انه إله قادر على كل شيء

لا يستطيع أن يقدر وقع تلك الكلمة على مسمع الرجل ، إلا من كان في ظرفه الخاص ، لان ابنته « الوحيدة » كانت له الولد، والصديق، والسند .

لا تتعب المعلم ٥٠ فسمع يسوع واجابه قائلا لا تخف آمن فقط
فهي تشفى ٥١ فلما جاء الى البيت لم يدع أحداً يدخل إلا بطرس
ويعقوب ويوحنا وأبا الصبية وأمها ٥٢ وكان الجميع يبكون عليها
ويلطمون . فقال لا تبكوا . لم تمت لكنها نائمة ٥٣ فضحكوا عليه

فهي تعزية آلامه، ورمز آماله. ولعل أفكاراً خامرته عن عدم مبالاة المسيح به. وبينما هو كذلك اذا بيسوع الذي سمعت أذناه ذلك الخبر ، قال للرجل «لا تخف» إذ لم تكن هذه قضية فتاة كانت مريضة فماتت ، بل كانت في نظر المسيح قضية طوائف ثلاث: (ا) قضية والدها الضعيف الايمان ، والقلق في الانتظار (ب) قضية النائحين والنائحات على مرّ الأجيال (ج) قضية المسيح نفسه ، مع الموت .

(ا) أما الرجل فقد قال له المسيح كلمة تشجيع « لا تخف . آمن فقط فهي تشفى »(عدد ٥٠) (ب) وللجمع النائح قال كلمة فيها اعلان مجيد« لم تمت الصبية لكنها نائمة »(عدد ٥٢) (ج) أما الموت فقد أمره المسيح أن يسترجع الفتاة ، وان يلفظها من فمه اذ نادى الفتاة قائلا « ياصبية قومي » (عدد ٥٤)

(ا) في كلمته للرجل نرى: (١) وعداً « لا تخف ». وأمراً « آمن فقط ». (٣) ورجاءً . والوعد والرجاء يرتكزان على القول « آمن فقط » .

(ب) في كلمته للجمع نرى اعلاناً جديداً عن ماهية الموت ـ انه « نوم » ـ وما اكثر أوجه الشبه بين النوم والموت : (١) فالانسان ينام ليستيقظ فيما بعد . كذلك للموت قيامة ويقظة. (٢) وينام الانسان ليستريح.

عارفين أنها ماتت ٥٤ فأخرج الجميع خارجاً وأمسك بيدها ونادى
قائلا ياصبية قومي ٥٥ فرجعت روحها وقامت في الحال . فأمر أن

كذلك يُعتبر موت المؤمنين راحة من الأتعاب (٣) وفي النوم يظل الانسان متمتعاً بالحياة . كذلك في موت المؤمنين حياة ، لا بل هو الحياة بعينها . فمتى كان الموت كذلك ، فمن حق المسيح أن يقول « لا تبكوا » . أو لم يقل هذه الكلمة أشخاص قبله . بلى . لكنهم قالوها من غير أن يلاشوا العلة الأصلية ، كقولهم للجائع « لا تجع » .

ان في مواجهة المسيح للجموع الباكية ، مظهراً كاشفاً لحقيقة شعورهم . لانهم اذ سمعوا كلام المسيح « ضحكوا » . وفي هذا مقياس وميزان لدرجة تأثرهم على الابنة المريضة . ويغلب على الظن انهم كانوا مأجورين في شعورهم وبكائهم .

(ج) وفي مناداة المسيح للفتاة نسمع : (١) كلمة حياة للفتاة . والكلمة « طليثة » (وفي مرقس ياصبية) كلمة أرامية معناها الحرفي « شاة » وهي تقال تعطفاً على الصبية (٢) نسمع كلمة زجرٍ للموت ليردّ له ما قد أخذ (٣) ونسمع « نبوة » لان كلمة المسيح لتلك الصبية هي أول مقطع لكلمته التي سينادى بها ساكني القبور يوم القيامة

ولكي يتم المسيح معجزته ، أمسك بيد الفتاة كما أمسك بنعش ابن أرملة نايين . « فعادت لها الحياة » قوية سليمة ، كما أمسك بنسل ابرهيم بعد سقوطهم . وبما ان المسيح ليس موجد الحياة فقط بل حافظها وحارسها ومنميها لذلك أمر

تُعطى لتأكل ٥٦ فبهت والداهـا . فأوصاهما أن لا يقولا لأحـد عما كان .

أن تعطى طعاماً لتأكل ، دليلاً على اكمال الصحة فيها وعلى ان عمل المسيح الخلاصى « تام الى المنتهى » . كل هذا لاحظه لوقا الطبيب

كان تأثير هذه المعجزة على والديها عميقاً لانهما بُهتا وبهت معهما الجميع. « فأوصاهما أن لا يقولا لأحدٍ عما كان » . راجع تفسير لوقا ٥ : ١٤ لمعرفة القصد من هذه الوصية .

الاصحاح التاسع

١ ودعا تلاميذه الاثني عشر وأعطاهم قوة وسلطاناً على جميع

رسالة الاثني عشر (٩ : ١ ـ ٦)

قاربت أيام خدمة المسيح في الجليل أن تكتمل ، وآذنت شمس حياته بالمغيب عن الجليل ، وراء أفق الصليب والقبر ، فدعا المسيح تلاميذه اليه ، وأرسلهم إلى قرى الجليل ، فيكون بارسالهم قد قال كلمته الاخيرة لأهل الجليل الذين صرف بينهم ستة شهور كاملة . وفي هذا تدريب لتلاميذه ورسله على الخدمة ، تمهيداً لالقائه رداء الخدمة عليهم بعد أن يصعد إلى السماء بعد قيامته

اذاً لم يكن المسيح مجرد كارز ، لكنه كان يهتم جد الاهتمام بتدريب الكارزين . وهذا عمل قد يزيد في اهميته على خدمة الكرازة نفسها ، ولقد كان من أهم معجزات المسيح ، أنه خلق من تلك « الطينة » رسلا

كان الوقت يمر سراعاً ، والمسيح يعلم انه لم يبق له سوى عام واحد ، يقضيه على الارض ، والحقول أمامه كثيرة ، متسعة ، ومبيضة للحصاد . والجموع مشتتة في الوديان « كغنم لا راعٍ لها »

« فدعا ... وأعطى سلطاناً » ان في دعوته وعداً ، وان في وعده سلطاناً ، وان في سلطانه دستوراً ملكياً عظيماً . فهو لا يكلفنا أمراً إلا بعد أن يكون قد أعدّ لنا الزاد . ولقد زوّد تلاميذه بخير زاد إذ أودعهم من : (ا) قوته (ب) ورسالته (ج) وروحه (د) وحكمته

الشياطين وشفاء أمراض ٢ وأرسلهم ليكرزوا بملكوت الله ويشفوا
المرضى ٣ وقال لهم لا تحملوا شيئاً للطريق لا عصاً ولا مزوداً ولا

(١) أودعهم من قوته، (عدد ١). لم يكن معه قضيب ملك ليسلمهم إياه، لكن كلمته المجردة، لم تكن مجردة عن السلطان، بل كانت خير قضيب ملك يتسلمونه. وتمتاز القوة عن السلطان في : ان القوة أساس، والسلطان هو المنفذ للقوة. القوة هبة روحية داخلية، والسلطان مظهر هذه القوة. القوة هي السلطان ساكناً، والسلطان هو القوة عاملة متحركة. وقد ورد استعمالها معاً في (١كو ١٥: ٢٤ واف ١: ٢١) وقد وهبوا « القوة والسلطان على جميع الشياطين وشفاء أمراض ». وكما اعتمد المسيح بالروح القدس في الاردن قبل خدمته، كذلك كانت هذه معموديتهم الروحية.

(ب) أودعهم رسالة عظمى (عدد٢) فائتمنهم على انجيله الكريم، وصيرهم بذلك « وكلاء سرائر الله »، « فأرسلهم ليكرزوا » اثناء شفائهم للأمراض، وان «يشفوا المرضى» وهم كارزون بذلك أودع فيهم سيدهم قوتين عظيمتين — احداهما لخدمة الروح « اكرزوا بملكوت الله » وهذه تختلف عن كرازة يوحنا. لان يوحنا كرز بقرب مجيء الملكوت، لكن موضوع كرازتهم ان ملكوت الله قد أتى أما القوة الثانية، فهي لخدمة الجسد « ويشفوا المرضى»

(ج) أودعهم المسيح نصيباً وافراً من روحه في القناعة، والزهد، والترفع عن العالم والماديات (عدد ٣) فحرم عليهم ماحلل لغيرهم من الناس وأوصاهم ان لايحملوا شيئاً للطريق. لا عصاً ولا مزوداً. ولاخبزاً، ولا فضة ولايكون

خبزاً ولا فضة ولا يكون للواحد ثوبان ٤ وأي بيت دخلتموه فهناك أقيموا ومن هناك اخرجوا

للواحد ثوبان» ، ليكونوا : (١) واثقين من عناية الرب بهم. (٢) متضعين في مظهرهم الخارجي. (٣) متشبهين بسيدهم الذي اعتزل العالم فصلب عن العالم وللعالم . (٤) وليكونوا بالحق ابناء العناية ، بل « معجزات العناية » (٥) لعل المسيح قصد بهذه الوصية أن يضع نصب عيونهم « قدسية الخدمة » . إذ كان محرماً على اليهود ، أن يصعدوا على جبل الهيكل المقدس ، وهم حاملون عصا ، أو حذاء، أومزوداً ، أو تراباً على أرجلهم اذاً هذا هو هيكل الخدمة المقدس لذلك أفهمهم المسيح ، انهم سائرون اثناء خدمتهم ، على ارض مقدسة .

(د) أودعهم من حكمته في التصرف مع من يقبلونهم ومع من يرفضونهم (عدد٤) فأوصاهم بأن يدخلوا البيت الذي يقبلهم،وان يقيموا فيه وألا يكثروا من التنقل . والحكمة في هذا : (١) ان كثرة تنقلاتهم بين البيوت توجد منافسات بين مضيفيهم،وتحرض على المبالغة في الضيافة حسب عادات الشرق فتفسد عليهم غرضهم الاسمى من خدمتهم ورسالتهم (٢) ولان بقاءهم في بيت واحد ، يزيل كلفة الضيافة ، فيأكلون من طعام البيت العادي . (٣) وفيه تركيز لخدمتهم و إعداد لذلك البيت ليكون نواة لكنيسة في المستقبل . فالبيت يتبارك بما يأخذه منهم ويتبارك بما يعطيهم إياه . والمراد بكلمة « من هناك أخرجوا » أي من ذلك البيت الذي تقيمون فيه ، اخرجوا رأساً إلى مدينة أخرى . أي لا تتنقلوا من بيت إلى بيت ما دمتم في المدينة الواحدة

٥ وكل من لا يقبلكم فاخرجوا من تلك المدينة وانفضوا الغبار أيضاً
عن أرجلكم شهادة عليهم ٦ فلما خرجوا كانوا يجتازون في كل قرية
يبشرون في كل موضع

(عدد ٥) أما الذين لا يقبلونهم، فليس من واجبهم أن يرغموهم على شيء — إذ لا اكراه في الدين — فما عليهم إلا أن يخرجوا من تلك المدينة وينفضوا الغبار عن أرجلهم هكذا فعل أيضاً برنابا وشاول، عند خروجهما من انطاكية (أعمال ١٢ : ٥١) وهكذا كان يفعل اليهود ، عند خروجهم من بلد وثنية بغضاً منهم ، وتأنفاً . لكن تلاميذ المسيح أوصوا بأن يمارسوا هذا الأمر بالنسبة لقوم رذلوا محبتهم فرذلوا أنفسهم ، ليكون هذا التصرف من جانب الرسل آخر سهم يوجه إلى ضمائر الناس في هذه الحياة ، وآخر شهادة تحفظ ضدهم إلى يوم القضاء ، من ثم يصيرون في نظر التلاميذ كالوثني والعشار .

(عدد ٦) : خرج التلاميذ من لدن المسيح ، ولم يكتفوا بذهابهم الى المدن الكبرى ، بل كانوا يجتازون في كل قرية يبشرون النفوس ، ويشفون الاجساد المريضة في كل مكان .

ضمير هيرودس يستيقظ فيتكلم (٩ : ٧ — ٩)

ذاعت أخبار المسيح ورسله ، وتعدت القرى ، فبلغت مسمع هيرودس الملك . وتم هذا بعد أن أمر هيرودس بقطع رأس يوحنا المعمدان ، فأيقظت هذه الاخبار ضميره، فتساءل عن قيام يوحنا المعمدان من الاموات. وكان في تساؤله فزعاً مضطرباً . ومن الغريب ان ضمير هيرودس المستيقظ ،

٧ فسمع هيرودس رئيس الربع بجميع ما كان منه وارتاب .
لأن قوماً كانوا يقولون إن يوحنا قد قام من الأموات ٨ وقوماً إن
إيليا ظهر . وآخرين إن نبياً من القدماء قام ٩ فقال هيرودس: يوحنا
أنا قطعت رأسه . فمن هو هذا الذي أسمع عنه مثل هـذا . وكان
يطلب أن يراه

أوقعه في مخاوف غير متفقة مع اعتقاداته . لأن هيرودس من الصدوقيين الذين ينكرون قيامة الأموات . ومن قول هيرودس نلاحظ : (١) تأنيب ضميره (عدد ٧و٨) الذي نام مدة طويلة. و بفعل هذا الضمير وقع هيرودس في ريبة ، وشك في شخصية هذا الانسان الذي سمع عنه. أهو يوحنا ، أم ايلياء ام نبي من القدماء — ولعله ارميا الذي كان يتوقع بعضهم ظهوره.(ب) اعترافه بذنبه (عدد ٩) إذ قال: «يوحنا.أنا قطعت رأسه».والتشديد في الأصل على كلمة «أنا» . لأن هيرودس — أمام حكم الضمير — لم يعتذر بأن السيَّاف قطع رأس يوحنا ، ولا ان هيروديا وابنتها كانتا السبب في قتله ، بل « انا » هيرودس . وكل انسان في ضميره بقية من الحياة . إذا ما رجع إلى عمق حياته ، أقر واعترف بخطاياه . (ج) محاولة هيرودس اسكات ضميره بطلبه أن يرى المسيح (عدد ٩) . فلم يفز بهذه الأمنية إلا قبل الصليب ، لكنه لم يظفر من المسيح بكلمة وقتئذ .

١٠ ولما رجع الرسل أخبروه بجميع ما فعلوا . فأخذهم وانصرف
منفرداً الى موضع خلاء لمدينة تسمى بيت صيدا ١١ فالجموع إذ علموا

معجزة اشباع الألوف (٩ : ١٠- ١٧)

حان وقت الفصح ، فرجع التلاميذ من مهمتهم ، وأخبروا المسيح بما فعلوا ، كما جاء بعض تلاميذ يوحنا وأخبروه بما فعل هيرودس بسيدهم ، « فأخذهم وانصرف منفرداً الى موضع خلاء لمدينة » ـ في الشرق ـ تسمى « بيت صيدا » ، ومعناها « بيت الصيد » . ولعلها كانت مسكناً لصيادي الاسماك ، وأطلق عليها فيلبس فيما بعد اسم ابنته «جوليا» اسم ابنة أغسطس رئيس الربع . بذلك خرج المسيح وتلاميذه من الدائرة التي كان هيرودس باسطاً نفوذه عليها . وهنالك على الشاطىء الشمالي لبحر الجليل ، وعلى ضفة الأردن الشرقية ، بين المدينة و بين البحيرة ، خلا المسيح بتلاميذه ليريحهم من العناء الذي تكبدوه في أول مرسلية لهم .

يحدثنا متى ومرقس ، ان المسيح وتلاميذه أخذوا قارباً ليصلوا به إلى غرضهم ، فكان من السهل على الجموع الحائرة المتعطشة ، أن تسبق المسيح سائرة على الأقدام الى الشاطىء . ومن هنالك تقدمهم يسوع وتلاميذه الى ذلك الخلاء الفسيح فتبعته الجموع. ونلاحظ في هذه المعجزة التي أجراها المسيح :

(١) زمانها ومكانها (عدد١١) : كان عيد الفصح على الأبواب (يوحنا ٦: ٤) وهو يجيء عادة في فصل الربيع ، فكانت الطبيعة وقتئذ قد خلعت ثوب الشتاء الأغبر ، واكتست بثوب الربيع الأخضر . فاتخذ المسيح ، رب

تبعوه . فقبلهم وكلمهم عن ملكوت الله . والمحتاجون الى الشفاء شفاهم ١٢ فابتدا النهار يميل . فتقدم الاثنا عشر وقالوا له اصرف الجمع ليذهبوا الى القرى والضياع حوالينا فيبيتوا ويجدوا طعاماً لأننا ههنا

الطبيعة من ذلك المكان الطبيعي ، بيتاً جميلاً ، أبسطته المروج السندسية الخضراء ، وانواره ضياء قمر العيد في كبد السماء ، وحراسه قمم الجبال المنتصبة كالجبابرة ، وزينته الزهور ، وموسيقاه أناشيد الطيور . وفي تلك «المضيفة» العظمى ، « قبل » المسيح ضيوفه العديدين ـ والكلمة « قبل » في الأصل معناها « رحب واستقبل » . ومع أن المسيح كان قد قصد الى ذلك المكان الفسيح ليستريح مع تلاميذه ، إلا أنه وجد راحته في إراحة التعابى . لأن الشخص الذي يريد أن يرى المسيح هو الشخص الذي يريد المسيح ان يراه، « ومن يقبل اليه لا يخرجه خارجاً » . فما أوسع قلب المسيح وما أرحبه ! !

(ب) الاستعداد المعجزة (١٢-١٥).قضى المسيح النهار في تبشير الجموع بملكوت الله ، وشفى المحتاجين الى الشفاء . وهذه الكلمة الأخيرة سجلها « لوقا الطبيب » فهي كلمة طبية ، تظهر لنا : (١) عجز البشر : « مرض » (٢) كفاية المسيح:« شفى » (٣) الواسطة التي تتصل بها قوة المسيح بضعف البشر وعجزهم : « الشعور بالحاجة ».فهو لم يشف جميع المرضى بل شفى جميع المحتاجين الى الشفاء . لأن المسيح لا يلقي عطاياه جزافاً .

فما اغنى قوة المسيح وما أعجبها .

(ج) سؤال الحكمة الالهية:(عدد ١٢) « بدأ النهار يميل»،فبدأت علائم

في موضع خلاء ٣ فقال لهم أعطوهم أنتم ليأكلوا . فقالوا ليس عندنا اكثر من خمسة أرغفة وسمكتين إلا أن نذهب ونبتاع طعاماً

الاهتمام والارتباك ، والجوع ، ترتسم على وجوه الجماهير . ويحدثنا يوحنا أن المسيح قصد أن يوجد تحريضاً لايمان التلاميذ بسؤال ألقاه على فيلبس : « من أين نبتاع خبزاً ليأكل هؤلاء » (يو ٦ : ٥) هذا هو سؤال الحكمة الالهية

(د) جواب الحكمة البشرية : (عدد ١٢) كان جواب فيلبس مبنياً على القواعد الحسابية الطبيعية « لا يكفيهم خبز بمئتي دينار ليأخذ كل واحد منهم شيئاً يسيراً » . وأمام هذه العقبة الكؤود رأى التلاميذ ان خير وسيلة هي ان يصرف المسيح الجمع « ليذهبوا الى القرى والضياع » ليبيتوا مع الذين جاءوا من البلاد البعيدة ليعيدوا عيد الفصح . وهنالك في الفنادق يجدون مبيتاً وطعاماً . فكان التلاميذ بقولهم هذا متكلمين بلسان الاختبار الذي يبني حسابه على المواردالمحدودة المنظورة للعيان .

(ﻫ) أمر السلطة الالهية: (عدد ١٣) . مرة أخرى قصد المسيح أن يصل بالتلاميذ الى منتهى عجزهم ، ومن هناك يرتفع بهم الى ذروة قدرته ، فأمرهم بأن يأتوا ما هو مستحيل عليهم، ومكن لديه فقال «اعطوهم أنتم ليأكلوا» و بأمره هذا قد أوقعهم في حيرة من جهة حاضرهم . وفي الوقت نفسه ، قد زرع في قلوبهم بذرة انتظار عمل عظيم سيأتيه هو فيما بعد .

(و) جواب العجز البشري: (عدد١٣): «فقالوا» ـ بلسان اندراوس ـ (يو ٦ : ٨) « ليس عندنا اكثر من خمسة ارغفة وسمكتين » وهذه كانت

لهذا الشعب كله ١٤ لانهم كانوا نحو خمسة آلاف رجل . فقال لتلاميذه أتكئوهم فرقاً فرقاً خمسين خمسين

مع غلام صغير فقير . ربما كان محتفظاً بها كطعام له ولأحد أقربائه ، لأن الشعير طعام الفقراء . كان اعتراف التلاميذ بعجز مواردهم الطبيعية ضرورياً جداً لاتمام هذه المعجزة ، لان المسيح لم يلتجيء الى استخدام القوات الخارقة للطبيعة إلا عند عجز القوات الطبيعية عن قيامها بما يريد . لانه لا داع للخروج من النافذة ما دام الباب مفتوحاً . ولأن في اعتراف التلاميذ بعجزهم ونفاد مواردهم الطبيعية حجة تقطع ألسنة القائلين ـ فيما بعد ـ انه كان هنالك طعام .

(ز) محك الايمان (عدد ١٤) . أصدر المسيح لتلاميذه أمراً كان (١) كسيف ذي حدين فحص به ايمان التلاميذ وايمان الجموع ، فكشف به مدى ايمانهم وطاعتهم فقال « أتكئوهم على الارض فرقاً » ـ وقد جرت عادتهم أن يتكيء كل منهم على ذراعه الأيسر سيما في الولائم ـ لأن كل شيء في المعجزة كان متوقفاً على الروح التي تبدو من التلاميذ وهم يتكئون الناس، وعلى الروح التي تظهرها الجموع وهم يتكئون (٢) وفي هذا الأمر الصادر من المسيح إظهار لطبيعته واعلان لقدرة لاهوته أما طبيعته فهي انه « إله ترتيب ونظام » . لان وقوف الخمسة الآلاف، والضجيج قائم بينهم لا يهيء الفرصة لاتمام هذه المعجزة . وأما قدرة لاهوته فقد ظهرت في قوته الخالقة لان المسيح في هذه المعجزة خلق من الكمية التي تقرب من العدم شيئاً كبيراً

١٥ ففعلوا هكذا واتكأوا الجميع ١٦ فأخذ الأرغفة الخمسة والسمكتين
ورفع نظره نحو السماء وباركهن ثم كسر وأعطى التلاميذ ليقدموا للجميع

أشبع به الكثيرين . وانه يذكرنا « بيهوه » الخالق الذي نظم الكون عند شروعه في خلق العالم الذي كان وقتئذٍ « خرباً خالياً » .

(ح) اتمام المعجزة:(عدد ١٥) قام التلاميذ بواجبهم فأطاعوا أمر المسيح واتكأوا الجميع . عندئذٍ قام المسيح بما عليه « فأخذ .. وبارك . وأعطى » . فهل تباركت الارغفة عند ما لمسها المسيح ؟ ام تباركت عند ما كسرها ؟ ام هي تباركت في التوزيع ؟ ام هي عملية مستمرة كانت تتزايد وتنمو وتتطور في كل دور من أدوار هذه المعجزة ؟

الحقيقة ان البركة حلت عند ما « رفع المسيح عينيه » كمن يستعيد اليه قوةً تخلى عنها إلى حين.ولكن البركة ظهرت وتجلت وهو يكسر ويوزع، لان الفعل « كسر » ، في الأصل ، فيه معنى الاستمرار .

اشبع المسيح بهذه المعجزة ، بطون الألوف الجائعة ، وفي الوقت نفسه أشبع ايمان التلاميذ وأشركهم في البركة،إذ أعطاهم فضل امتياز الشركة معه، ليوزعوا . « يوجد من يفرق فيزداد » .

فما اجلَّ نعمةَ المسيح علينا إذ يرضي باجتياز البركة من بين أيدينا إلى الناس كانها منا مع أنها منه ! وما أعمق تنازله ، لانه رضي أن يستخدم الاشياء القليلة التي لغلام فقير! وما أرهب الأشياء الصغيرة عند لمسة المسيح إياها ! « ومن يحتقر يوم الأمور الصغيرة ! ! »

١٧ فأكلوا وشبعوا جميعاً . ثم رُفع ما فضل عنهم من الكسر اثنتا عشرة قفة

(ط) بعد المعجزة: (عدد ١٧). في هذا العدد تتجلى لنا: (١) نفسية الجماهير: «اكلوا وشبعوا» ، ومن المؤسف أن بطونهم شبعت، ولكن قلوبهم بقيت جائعة خاوية. فقد أخفي عنهم أن ينظروا إلى ما وراء المعجزة فلم يروا يسوع «خبز الحياة» وعجزوا عن أن يروا فيه «يهوه» الذي اشبع اسرائيل طعاماً في البرية ، وفاتهم ان يكتشفوا في هذه المعجزة حقيقة «الفصح الجديد الروحي»، الذي يتلاشى أمامه الفصح العتيق ويندثر . (٢) حرص المسيح : لانه هو ملك البر والبحر ، لا يريد أن شيئاً من الفضلات يتلف. فطلب الى تلاميذه أن «يجمعوا الكسر الباقية الفاضلة» فجمعوا «اثنتي عشرة قفة». وفي الوقت نفسه نرى من هذه الكلمة مدى بركة المسيح. لان مافضل عن الآكلين زاد عن الطعام الأصلي قبل ان يباركه المسيح . هذا درس للتلاميذ ولنا، لان عدد السلال التي فضلت يتكافأ مع عدد التلاميذ — كأن كل واحد منهم نال قفة بعد نهاية المعجزة . فالبركة تحل دائماً على رأس الموزع والمعطي .

إننا اذا القينا نظرة عامة على هذه المعجزة رأينا فيها : —

(١) عطف المسيح (١) على التلاميذ . (ب) على الجموع .

(٢) فعل قوة المسيح (ا) في هدوء بلا تشويش (ب) في وداعة بلا مفاخرة (ج) في سخاء من غير إسراف ولا تبذير (د) في اقتصاد من غير شح ولا تقتير

١٨ وفيما هو يصلي على انفراد كان التلاميذ معه . فسألهم قائلاً من تقول الجموع اني أنا

ظل الصليب

بدء السنة الثالثة في خدمة المسيح

صليب المسيح وصليبنا (٩ : ١٨ — ٢٧)

قصد المسيح مرّتين أن يستريح ، وفي كلتيهما ضنّت عليه الجموع بالراحة التي طلبها : المرة الأولى في « صيدون » ، والثانية في « صيدا » ، في المرة الأولى استقبلته المرأة الأممية ، بطلباتها وصيحاتها . وفي المرة الثانية ازدحمت حوله « الجموع » فذهب الى قيصرية فيلبس ، حيث تصعد مياه الأردن لتُلامس أهداب جبل حرمون .

قصد المسيح أن يتلمّس أسباب الراحة فذهب « ليصلي على انفراد » لأنه يجد راحته في الصلاة . وفيما هو كذلك أقبل عليه التلاميذ . وربما اشتركوا معه في الصلاة . هذه إحدى المرّات التي يسجّل فيها لوقا صلوات المسيح .

نرى في هـذا الفصل : (١) شخصية المسيح (٩ : ١٨ — ٢٠) . (٢) المسيح المتألم (٩: ٢١ و ٢٢) . (٣) تلاميذ المسيح المتألم (٩: ٢٣ـ٢٧) .

(١) شخصية المسيح (٩ : ١٨ـ٢٠) : التجأ المسيح الى طريقة السؤال والجواب لينتزع من تلاميذه تصريحاً عن: (أ) صدق رسالته ، (ب) وحقيقته ،

١٩ فأجابوا وقالوا يوحنا المعمدان . وآخرون إيليا . وآخرون إن نبياً
من القدماء قام ٢٠ فقال لهم وأنتم من تقولون اني أنا . فأجاب

(ج) وشخصيته . سأل المسيح سؤالين كان أولهما تمهيداً للثاني ، وكان قصده منهما أن يُشعر التلاميذ بالتمييز العظيم الذي ميزتهم به النعمة عن غيرهم من بقية الناس . فكانت هذه خطوة ابتدائية أعدَّهم بها المسيح لكي يتمسكوا بهذا الاقرار « ثابتاً الى النهاية » حتى موت الصليب والعار . فكما تكون نهاية المعلم هكذا تكون نهاية التلميذ . لأن كل شيء في الخدمة يتوقف على اعتقاد الانسان في المسيح . ولن ننتفع بعقيدتنا في المسيح إلا إذا هبطت هذه العقيدة من العقل الى القلب فاستحالت حياة وقوة .

نظرت الجموع الى يسوع فأغفلته ، لأنها كانت قصيرة البصر ، فلم ترَ فيه إلا واحداً من مُمَهِّدي الطريق له ـ يوحنا أو إيليا أو نبياً من القدماء ، ولعله ارميا ـ إذاً كان هؤلاء القوم عائشين في الماضي وظلامه ، فاغمضوا عيونهم عن الحاضر وبهائه ، فلم يروا جمال « المُشرِق من العلاء » .

كان اعتقاد التلاميذ في المسيح غايةً في الحكمة واصالة الرأي . فلئن شهد يوحنا المعمدان للمسيح بأنه « حمل الله » إلاَّ أنَّ شهادة بطرس فاقت شهادة يوحنا المعمدان بكثير . إذ شهد فيه انه « المسيح ابن الله » و « مسيح الله » أي المعيَّن والمرسل من الله لاتمام قصد الله في الفداء . ان مسيح الله هو بلا شك المسيح الإله . هذه باكورة اعتراف التلاميذ برسالة المسيح .

سمع المسيح هذا الاقرار من لسان بطرس كليم الرسل ، فانتهر التلاميذ .

بطرس وقال مسيح الله ٢١ فانتهرهم وأوصى أن لا يقولوا ذلك لأحد
٢٢ قائلاً إنه ينبغي أن ابن الانسان يتألم كثيراً ويُرفض من الشيوخ

« وأوصاهم أن لا يقولوا ذلك لأحد » خوفاً من أن يثير هذا الكلام فتنةً في الشعب الغبي الذي لم يفهم معنى رسالة المسيح ، فيأخذوه عنوة ويجعلوه ملكاً (يو ١٢: ١٣) فلم يصرِّح التلاميذ باقرارهم هذا عن المسيح إلا بعد القيامة.

(٢) المسيح المتألم (عدد ٢١و٢٢) : كان اقرار التلاميذ «بمسيحية» المسيح أساساً لهذه الحقيقة التي صرّح بها عن آلامه وصلبه وقيامته . والكلمة التي تستوقف النظر في هذا التصريح هي كلمة «ينبغي» فلم يلق المسيح هذه الكلمة جزافاً ، كما ان هذه ليست المرة الوحيدة التي قالها فيها . فقد قالها أولاً وهو صبي في الهيكل « ينبغي أن أكون في ما لأبي » وقالها أيضاً بعد عمل معجزاته الأولى : « ينبغي ان اكرز بملكوت الله في المدن الأخرى.. » « ينبغي ان أعمل أعمال أبي ما دام نهار » . فلماذا تقترن كلمة « ينبغي » بعمل من أعمال المسيح ؟ أليس هو الاله الحرّ الذي يعمل ما يريد ، كما يريد ؟ إذاً لماذا يقيد نفسه بهذه الكلمة الشديدة «ينبغي» ؟ ليست هذه ضرورة قاهرة خارجة عنه ، لكنها واجب داخلي تستلزمه طبيعته الطاهرة ، الحرة المختارة فكما ان النور من طبيعته ان ينير ، وكما ان المحبة تجود بنفسها طوعاً للآخرين ، كذلك من طبيعة الفادي، الحرّ ، المختار ، ان يقبل تنفيذ ما سبق فقبله على نفسه من التزامات ــ هذه قيود الشرف، والامانة ، والبُنوّة، هذه خيوط من حرير، لا قيود من حديد !!

(عدد ٢٢) ان المسيح بقبوله هذه الالتزامات ، كان متمماً قضاء الله ،

ورؤساء الكهنة والكتبة ويُقتل وفي اليوم الثالث يقوم

الذي نطق به الأنبياء قديماً . فذكر لنا الخطوات التاريخية المتتابعة التي اجتازها الى الصليب في ثلاث كلمات ، معبراً بكل منها ، عن جانب خاص من الصليب : (ا) «يتألم» والاشارة هنا الى الآلام النفسية الكثيرة ، التي تحملها المسيح في نفسه بسبب الاهانات والتعييرات كما انها تشمل التعذيبات التي تبرع له بها بيلاطس ، ظناً منه انها تعوض عن الصلب. (ب) «يُرفض» : هذه الكلمة تُعيّن تصرف رؤساء اليهود نحو شخص المسيح ، عندما رفضوه في مجمع السنهدريم وأوعزوا الى الشعب ان ينادوا : لا نريد هذا ـ «اطلق لنا باراباس» . (ج) «يُقتَل» : هذه كلمة تعبّر عن نصيب جسده من الصلب. وفي الوقت نفسه تصور نفسيّة رؤساء اليهود أنهم مجرمون وقتلة .

فاذا كان الألم مُنصبّاً على نفس المسيح ، والرفض موجهاً الى شخصه ، فان القتل مصوّب الى جسده . وفي نفس هذا العدد (٢٢) يلصق المسيح جريمة صلبه بالثلاث الطبقات التي يتكون منها مجمع السنهدريم اليهودي (ا) «فالشيوخ» : هم رؤساء مجامع اليهود . (ب) «ورؤساء الكهنة» : هم الرؤساء المقامون على فِرَق الكهنة الأربعة والعشرين. (ج) «والكتبة: وهم العلماء اللاهوتيون في الشريعة اليهودية المدرّبون على حفظها ونسخها وتعليمها .

أليس من العجيب أن يلصق المسيح ، بهذه الطبقات «العالية» تهمة صلبه ، مع انهم كانوا أبعد الناس ـ حسب الظاهر ـ عن الاشتراك في هذا الصلب؟؟ هل مدوا أيديهم ودقوا المسامير في يديه أو رجليه ؟ كلا . هذا عمل أتاه الرومان !

٢٣ وقال للجميع إن أراد أحد أن يأتي ورائي

ولكن دق المسامير في يدي المسيح ورجليه ، كان أخف أعمال الصلب جرماً ، وربما لا تزيد مسئولية الجنود الذين نفذوا حكم الصلب ، عن مسئولية السكين التي تمسكها يد الجزار وتذبح بها الذبيحة . ان الرؤوس المدبرة وراء الستار ، والألسنة التي قضت بالصلب في الظلام ، هذه مسئوليتها أعظم . بل هذه تتحمل كل المسئولية . لم ينسَ المسيح ذكر القيامة وهو واقع في « ظل الصليب » بل هذا مما يجعل للصليب ظلاً ، لأن نور القيامة يسطع من خلفه . فضلاً عن هذا فان رجاء المسيح بالقيامة لم يكن رجاء مجوفاً ، بل كان يقيناً ، لأنه عيّن يوم القيامة « اليوم الثالث » .

(٣) تلاميذ المسيح المتألم (٩:٢٣-٢٧): نرى في هذه الأعداد: (ا) التزاماً (٢٣). (ب) واعلاناً (٢٤و٢٥). (ج) وتحذيراً (٢٦) (د) ورجاء (٢٠).

(ا) التزاماً (عدد ٢٣) : ان الضرورة التي كانت موضوعة على المسيح فلازمته حتى الصلب ، كانت تحمل معها ضرورة أخرى تختلف عنها في الدرجة لا في النوع - ضرورة تلازم تلاميذه في حياتهم وفي خدمتهم . لذلك « قال المسيح للجميع إن أراد أحد أن يأتي ورائي فلينكر نفسه و يحمل صليبه كل يوم و يتبعني » .

ان آثار قدمي المعلم ترسم طريق خطوات التلاميذ . لانه وان كان المسيح قد صُلب عنّا فقال في صلبه « قد أكمل » لكننا قد أصبحنا بحكم صلبه عنا تحت التزام شرعيّ لان نكون شركاء المسيح المتألم « لأعرفه

فلينكر نفسه ويحمل صليبه كل يوم ويتبعني

وقوة قيامته وشركة آلامه متشبهاً بموته: » هذه أمنية بولس رسول الأمم ، الذي قال مرّة عن المسيح « الذي أحبني وأسلم نفسه لأجلي » بعد أن قال: « مع المسيح صُلبت » . ان شركتنا الشرعيّة مع المسيح المصلوب ينبغي أن ترافقها وتدعمها شركة اختيارية فعليّة معه . ان صليب المسيح ، معناه « ماتَ عنا» ولكن صليب كل مؤمن معناه «موت النفس عن الانانية وحب الذات». وخلاصة هذه الذات هي «النفس» الامارة بالسوء ـ هي تلك الارادة المتمردة التي ينبغي أن نخضعها «ونـتأسرها لطاعة المسيح» فيقول كل واحد منّـا «ليس ما أريد أنا بل ما تريد أنت يا رب» . إن من أوجب واجبات كل مسيحي أن يحمل صليبه: (١) مختاراً طائعاً. لأن التعبير « يحمل صليبه » مستعار من العادة التي قضت بها الانظمة الرومانية على المحكوم عليهم بالصلب . (٢) وان يحمله « كل يوم » وهذه العبارة انفرد لوقا بذكرها . فهو صليب يتجدد كل يوم كما تجدَّدت الآمال والآلام في الحياة اليومية العملية . فلا بد إذاً لحمل الصليب من خطوة تسبقه وخطوة تعقبه . أما الخطوة السابقة له ، فهي «انكار النفس» بمعنى أن يقول تلميذ المسيح لنفسه الأمارة بالسوء ـ « لا » . لان حمل الصليب هو حمل العار مضافاً الى ألم الموت . وهو عمل يستلزم إنكار النفس لان الرومان لم ينفروا من الصليب فقط بل فزعوا من ظله أيضاً . كذلك كان شعور اليهود بأن حمل الصليب هو حمل اللّعنة . لانه مكتوب في ناموسهم « ملعون كل من علّق على خشبة » . والخطوة الملازمة لحمل الصليب

٢٤ فان من أراد أن يخلص نفسه يهلكها. ومن يهلك نفسه من أجلي
فهذا يخلصها ٢٥ لأنه ماذا ينتفع الانسان لو ربح العالم كله وأهلك

— بل الخطوات — هي اقتفاء آثار المسيح: «و يتبعني». إذاً ليس حمل صليبنا غاية لكنه وسيلة لهذه الغاية ، وهي اتباع المسيح حيث يمضي — إلى — جثسياني — الى الجلجثة — الى القبر — الى القيامة — الى عرش الله!!!

(ب) اعلاناً ، (عدد٢٤و٢٥): نطق المسيح بحكمة بالغة تسمو عن الحكمة البشرية، إذ قال «من اراد أن يخلص نفسه يهلكها ومن يهلك نفسه من أجلي فهذا يخلصها» . قد يكون في هذه الكلمات شيء من التناقض ، لكنه تناقض ظاهري . لان هذا مبدأ حق يدعمه الاختبار وتثبته النظم الطبيعية . من أراد ان يحتفظ بارادته طمعاً في تخليصها، وانقاذها من يد الله يكون بذلك قد استعبد لذاته، التي هي أشد ملكة متى حكمت ولكن من يضحي بارادته ليخضعها لارادة الله، فلهذا يخسرها الى حين، لكنه يكسبها الى حياة أبدية فتعود اليه نفسه الشريفة. بتضحية نفسه الشريرة . والنفس طبعاً أعز ما في الوجود . وكل جواهر العالم لا تساويها ، لأنه ما ينتفع مجرم من غنى جزيل يوضع في يده قبل اعدامه بلحظات ؟ !

يرينا المسيح بهذا التصريح: (١) ان مطالبيه لا تناقض العقل، بل بالحري توافقه. فهو مسيح معقول في مطالبيه ولو أن ادراك شخصه فوق العقل لا نه بقوله «ماذا ينتفع الانسان ؟» يريد ان يخاطب الى العقل الذي يزن الانسان به كل شيء. (٢) ان مطالبيه ليست لضرر الانسان بل لصالحه الحقيقي، و إن تعارضت

نفسه أو خسرها ٢٦ لان من استحى بي و بكلامي فبهذا يستحي ابن الانسان متى جاء بمجده ومجد الآب والملائكة القديسين ٢٧ حقاً أقول لكم

مع صالحه الزمني الى حين. لأنه يريدنا أن نوازن بعقولنا بين الربح والخسارة إذاً هل هذا دين النفعيين ؟ ؟ كلا . هذا دين النافعين بتضحيتهم ، الرابحين بخسارتهم ، العائشين بموتهم . فالتضحية والخسارة والصليب نصب عيونهم . ولكن النفع والربح ، والحياة ، تأتيهم من تلقاء ذواتها ، طائفة مختارة . هؤلاء ، هم الأموات الاحياء وغيرهم أحياء أموات ! !

(ج) تحذيراً (٢٦) : يضع المسيح في هذا العدد ، «الذات» في كفة ، وشخصه في كفة أخرى. فاما أن ينكر الانسان ذاته أو ان ينكر المسيح. أما ان يتوج الانسان نفسه على عرش القلب فيصلب المسيح ، أو ان يتوج المسيح فيصلب النفس و ينكرها . لأن في القلب عرشاً واحداً وصليباً واحداً . فمن ينكر المسيح و يستحي به الآن ، فلسوف يستحي به المسيح يوم مجيئه «بمجده ومجد الآب» والملائكة «القديسين» ـ تمييزاً لهم عن الملائكة الساقطين . اذاً من ينكر المسيح فقد أنكر نفسه الشريفة وحرمها امجاد المسيح الممجد في مجيئه الثاني .

ما أشد الارتباط الكائن بين الحلقات التي اجتازها المسيح !! فالصليب مرتبط بالقيامة ، فبالصعود ، فبالمجيء الثاني .

(د) رجاء (عدد ٢٧) : هذا رجاء محقق نطق به المسيح . فاستهله بالقول: «حقاً اقول لكم». هذه كلمة يكثر ورودها مكررة في بشارة يوحنا، بها اكد المسيح

إن من القيام ههنا قوماً لا يذوقون الموت حتى يروا ملكوت الله

ان من المستمعين لقوله: «قوماً لا يذوقون الموت حتى يروا ملكوت الله». وقد اختلف المفسرون في فهم يوم الملكوت هذا: (١) فمن قائل انه يوم التجلي - هذا رأي الآباء الأولين. (٢) ومن قائل انه يوم خراب أورشليم - هذا رأي الفورد. (٣) ومن قائل انه يوم القيامة والصعود - هذا رأي كلفن. (٤) ومن قائل انه يوم الخمسين - هذا رأي جودي. (٥) ومن قائل انه عصر المسيحية الذهبي - هذا رأي اراسموس. (٦) ومن قائل انه يوم مجيء المسيح الثاني. ويغلب على اعتقادنا أن ملكوت الله لا يحدّه يوم واحد بالذات، لكنه يأتي على أدوار، وفي أيام متتابعة، أشبه شيء بالحقب التاريخية، فلا يبعد أن يكون كل يوم من هذه الأيام التي عيّنها المفسرون، هو يوم الملكوت. واذا كان لا بد لنا أن نحكم برأي حاسم، فهو الرأي الخامس. وهو لا يختلف كثيراً عن الرأي الثاني. لأن خراب أورشليم كان معاصراً ليوم انتشار المسيحية بقوة وسلطان على القلوب. فهو يوم اندثار العتيق، وميلاد الجديد. هو يوم هدم الهيكل المصنوع من أحجار وإقامة الهيكل المصنوع من قلوب القديسين: «جسدكم هو هيكل لروح الله».

ومن قبيل التفكهة التفسيرية نقول ان بعض مفسري اليهود ارتأى أن هذا العدد يشير إلى «اليهودي التائه» الذي سيظل على قيد الحياة معذباً الى يوم مجيء المسيح ثانية !!!

٢٨ وبعد هذا الكلام

التجلي — (٩ : ٢٨ ـ ٣٦)

لنصعد الآن مع المسيح على هذا الجبل المقدس، الذي اضحى حداً فاصلا في خدمة المسيح على الأرض اذ بلغ المسيح عليه ذروة مجد خدمته، ومنه بدأت خطواته تولّى سراعاً الى وادي التضحية ، والألم، والموت، والعار. وفي صعودنا ينبغي أن نخلع نعالنا من أرجلنا لاننا سائرون على « أرض مقدسة » .

التجلي لغة، هو مصدر «تجلى» بمعنى كشف. وفي عرف الصوفيين هو « ظهور الوجود المسمى باسم النور وهو ظهور الحق بصور اسمائه في الاكوان التي هي صورها ذلك التجلي هو نفس الرحمن الذي يوجد به الكل» والتجلي عند السالكين عبارة عن «ظهور ذات الله وصفاته » وفي الانجيل «التجلي هو تغير هيئة المسيح على الجبل قدام التلاميذ » .

للتجلي أهمية خاصة ، لذلك قد أفاض البشيرون الثلاثة في وصفه، واشار اليه البشير الرابع بكلمة موجزة جامعة « ورأينا مجده » (يوحنا١ : ١٤) وقد ذكره بطرس أحد الشهود الثلاثة، كما يذكر السجين أيام حريته (٢ بطرس ٢ : ١٧ و ١٨) .

تاريخ التجلي (عدد٢٨) : يتفق البشيرون في تعيين تاريخ التجلي، اتفاقاً جوهرياً، وان اختلفوا ظاهرياً . يقول متى ومرقس: « بعد ستة ايام » (متى

بنحو ثمانية أيام

١٧: ١ ومرقس ٩ : ٢) ويقول لوقا « بعد نحو ثمانية أيام » لان متى ومرقس يحسبان الأيام التي مرت بين يوم التجلي ، و بين اليوم الذي قال فيه المسيح « ذلك الكلام » . بينما يحسب لوقا الستة الأيام و يضيف اليها هذين اليومين

وما هو هذا الكلام الذي حدث التجلي بعده بستة أيام ؟ هو حديث المسيح مع تلاميذه،في قيصرية فيلبس،عن صليبه وصليبنا (لو ٩:٢٣) ما أشد ظلام السحابة التي خيمت على عقول التلاميذ وقلوبهم بعد أن سمعوا من سيدهم ، حديثه علانية عن الصليب لأول مرة.فهدم بذلك الحديث قصورهم العالية التي كانوا قد بنوها في مخيلاتهم عن أمجاد المسيح المادية ، وأوقعهم في عزلة موحشة،تسود فيها كآبة عميقة ، مدة هذه الستة الأيام . فاشفق المسيح عليهم وافتقدهم في وحشتهم هذه ، بأن أخذ معه بطرس و يعقوب و يوحنا الى الجبل . فجاء ذلك الافتقاد في أوانه ، كظهور نجم في الافق امام انسان تائه في الصحراء فرأى التلاميذ من هذا التجلي أنوار المجد منعكسة على الصليب من قبل ، وأنوار القيامة والصعود تفيض عليه من بعد . هذه رسالة التجلي للتلاميذ الذين تغيرت هيئة سيدهم « قدامهم » .

ان للتجلي معنى أعمق يتصل بحياة المسيح و بخدمته . فهو (١) جزاء. (ب) وعربون . (ج) وصورة. (د) ونبوة. (هـ) وشهادة .

(١) جزاء: اذا كان الموت هو النهاية الطبيعية لحياة كل انسان خاطىء فان التجلي هو الخاتمة الطبيعية التي كان ينبغي أن تتوج بها حياة المسيح. فالموت

أخذ بطرس و يوحنا و يعقوب

أجرة تدفعها الخطية للخاطىء فيقبلها صاغراً ، والتجلي هو المكافأة الحقة التي يستحقها « الانسان الكامل». فهو النهاية الطبيعية التي كان ينبغي ان تختتم بها حياة المسيح لولا محبته الفدائية التي سكبها علينا نحن الخطاة. اذاً من ذلك الجبل الرفيع المقدس كان يحق للمسيح ـ اذا أراد ـ ان يصعد الى العلاء مع الزائرين الكريمين فيرتقي على هذه الدرجات التي لم يقع عليها ظل الموت بعد، لانها قربت السماء من الارض. بل هذه هي الدرجات التي كان من الممكن لآدم الأول أن يصعد عليها لولا انه «سقط فغوى» . على ان المسيح اختار ، فضلاً ، ان يصعد الى المجد عن طريق جبل «الجلجثة » ، لا عن طريق «جبل التجلي» .فنزل الى البشرية المريضة المنزعجة في هذه الهوة السحيقة ، المعروفة بالدنيا ، ليشفي سقامها.(ب) والتجلي هو ايضاً عربون المجد وقد ناله المسيح قبل الصلب، تمهيداً للمجد الاعظم الذي سيتمتع به بعد الصلب. هذا يؤيده قول المسيح، قبل الصلب، متخذاً من حبة الحنطة مثلاً : « ان لم تقع حبة الحنطة في الارض وتمت فهي تبقى وحدها، ولكن إن ماتت تأتي بثمر كثير » فسمع الصوت الاعلى قائلاً «مجدت وأمجد ايضاً» (يو ١٢: ٢٤و٢٨). (ج) والتجلي هو صورة ضئيلة للحالة المجيدة الدائمة التي كان ينبغي أن يظهر بها المسيح لولا حجاب الجسد الهيولي الذي ستر جمال مجده الالهي عن عيون البشر، إشفاقاً على العيون البشرية الضعيفة من أن يبهرها النور البهيج فلا ترى. بذلك كان يفصل هذا المجد، بين المسيح و بين البشرية ، فلا يكون حقاً «ابن الانسان. (د) والتجلي نبوة للحالة المجيدة

وصعد الى الجبل ليصلي

التي سوف تكون عليها البشرية المجدة والمفدية في المسيح « الذي سيغير شكل جسد تواضعنا ليكون على صورة جسد مجده ». (ه) والتجلي هو شهادة حقه للاهوت المسيح التام. لانه وان كانت السماء قد شهدت للمسيح من قبل عند المعمودية، لكن العلامات التي ظهرت وقت المعمودية كانت علامات وقتية خارجية. اما التجلي فهو علامة داخلية راسخة. لأن بهاء وجه المسيح كان منبعثاً من الداخل الى الخارج لا كلمعان وجه موسى قديماً. كان لمعان وجه موسى كنور القمر مكتسباً من الخارج، لكن بهاء وجه المسيح كان ذاتياً داخلياً كبهاء الشمس. هو نور الروح وقد تسلل فبرز، فعبّرت عنه بشرة الجسد هذه اذاً شهادة واضحة ناطقة، بلاهوت المسيح الذي هو «بهاء مجدالله» (عبرانيّين ١:٣).

مكانه: يتفق البشيرون أيضاً في تعيين المكان الذي حدث فيه التجلي — «على جبل» يقول متى ومرقس «جبل عالٍ» ويقول لوقا «جبل». وقد ذهب المفسرون قديماً الى ان ذلك الجبل هو «تابور». لكن جبل تابور كانت فيه قلعة حربية للرومان، فكان من الطبيعي أن يختار المسيح جبلاً غيره طلباً للعزلة لذلك أجمعت كلمة المفسرين في عصرنا، على ان ذلك الجبل العالي هو «حرمون» ومعناه «الجبل المقدس». هذا هو الجبل الذي اعتادت الطبيعة ان تتوج هامته على مر السنة باكاليل من الثلوج الفضية التي « كَسِفَ » بياضها أمام بهاء ثياب المسيح المتجلي. بل هذا هو الجبل الذي يليق ان يقال عنه « عالٍ »

٢٩ وفيما هو يصلي صارت هيئة وجهه متغيرة

لانه يرتفع ١٠٠٠٠ قدم عن سطح البحر . وهو المعروف في كتابات اليهود الشعرية « بالجبل » .

وقته : كان التجلي في المساء. (ا) لان لوقا يقول ان المسيح « صعد الى جبل ليصلي». (ب) ولان جميع مظاهر التجلي تُرى باكثر وضوح وجلاء في المساء. (ج) ولان التلاميذ كانوا قد تثقلوا بالنوم. (د) ولان المسيح وتلاميذه لم ينزلوا من على الجبل ، إلا في اليوم التالي . فمن الطبيعي ان نعتقد أنهم نزلوا بعد نهاية التجلي مباشرة .

إن أول خطوة للتجلي هي الصلاة (عدد٢٩): «وفيما هو يصلي». وهذه احدى المرات العديدة التي تفرّد فيها لوقا بتدوين صلوات المسيح .

حين صلى المسيح نزلت السماء فعانقت الارض وارتفعت الارض فعانقت السماء . كذلك — والقياس مع الفارق — عند ما يرفع المؤمن نفسه الى الله في الصلاة يجتاز حالة في التجلي نسبتها الى تجلي المسيح كنسبة القطرة الى البحر ، لكنه تجلٍّ على كل حال . لان التجلي هو تغيير الشكل الى الافضل. وقد وردت كلمة «تجلي» مرة أخرى في العهد الجديد (رومية١٢:٢) حيث يقول بولس رسول الامم: «فتغيروا عن شكلكم» وهذا يتم بشركة المؤمن مع الله في الصلاة. فعلى قدر ما نصلي نفتكر في الله ، وعلى قدر ما نفتكر فيه نسمو اليه ونتغير ، وعلى قدر ما نتغير نصير مثله ، وعلى قدر ما نصير مثله نفرح به. هذا قلب السعادة وسماء السماء ونعم النعيم .

ولباسه مبيضاً لامعاً ٣٠ وإذا رجلان يتكلمان معه

شخص المسيح : نأتي الآن الى قلب التجلي إذ نرفع عيوننا لنتفرس في المسيح المتجلي . ولنحذر لئلا نحدق ببصرنا فيه اكثر مما يجب . فيبهر عيوننا سنا سناه فيفوتنا مرأى سناه. « وكان لمعان كالنور. له من يده شعاع. وهناك استتار قدرته » (حبقوق ٣ : ٤) .

لنتأمل الوصف المثلث الذي يصف به البشيرون التجلي . يقول متى: «وتغيرت هيئته قدامهم وأضاء وجهه كالشمس . وصارت ثيابه بيضاء كالنور ». ويقول مرقس: « وصارت ثيابه تلمع، بيضاء جداً كالثلج لايقدر قصّار على الارض أن يبيّض مثل ذلك » ويقول لوقا: « صارت هيئة وجهه متغيرة ولباسه مبيضاً لامعاً ». وفي هذه الاوصاف وحدة متنوعة وتنوّع موحّد . يشبِّه متى التجلي بالنور ، و يشبِّهه مرقس بالثلج ، و يصفه لوقا باللمعان ممثلاً إياه بالبرق. إذاً فقد جمع التجلي في أوصافه بين النور في ضيائه ، والثلج في صفائه ، والبرق في بهائه . فما كان أشد تعجُّب التلاميذ و إعجابهم برؤية سيدهم المجّد . قبلاً كانوا يرون رجل الاحزان وعلى وجهه علائم الاهتمام ، وتجعُّدات الاحزان . لكنهم الآن ينظرون المسيح الممجّد ووجهه يفيض بهذا اللمعان البهيج ، الذي اضمحل أمامه بياض الثلج المنعكسة عليه أشعة النور .

رفاق المسيح على الجبل (٩: ٢٨ و ٣٠) : كان المسيح على الجبل في رفقة جمعت خلاصة رجال العهد الجديد بخلاصة رجال العهد القديم . وكان هو ـ كما لا يزال الآن ـ حلقة الاتصال بين العهدين . فمن رجال العهد الجديد : بطرس

وهما موسى و إيليا

و يعقوب و يوحنا . وهم المختارون من المختارين ، وقد أخذهم معه عند إقامة ابنة يايرس من الموت ، وفي بستان جسثيماني . ومن العجيب انهم كانوا في البستان وعلى الجبل مثقلين بالنوم ، كأنما الانسان لا يقوى بطبيعته الضعيفة على مواجهة عظائم الامور ، لفرط الحزن أو لمزيد السرور . فهل وجد المسيح في هؤلاء الثلاثة قابليّة تسع هذه الاعلانات المجيدة التي لا يسوغ للآخرين ان يطّلعوا عليها ، أم لان المسيح كان يريد أن يضع عليهم في مستقبل الحياة مسئوليات خطيرة ، لذلك زوّدهم بهذا الزاد الروحي ليكونوا اكثر استعداداً لحملها ؟ أم لانهم كانوا في مقدمة المحتجين على صليب المسيح وأرادهم أن يكونوا أول الموافقين ؟ أم لان المسيح كان قد أعد لهم صليباً في أواخر أيامهم فقصد ان يجعل هذا التجلي ذخر مجد لهم قبل وقت آلامهم ، فينير لبطرس طريق الالم يوم مات مصلوباً منكس الرأس ، وليعقوب يوم مات شهيداً بيد هيرودس ، وليوحنا يوم قضى منفياً في جزيرة بطمس ؟ ؟ ؟ أم أخذهم معه ليهيء للسماء وللارض فرصة لتقول كل منهما كلمتها للأخرى فتقول الارض مشيرة الى التلاميذ: « هؤلاء رجالي» وتقول السماء مشيرة الى ضيفيها: «هذان رجلان من رجالي» ثم تهتف السماء والارض معاً مشيرة الى المسيح هوذا: « ابن الانسان»!

أما رفيقا السماء فهما موسى و إيليا (عدد ٣٠) : وهذان يصفهما لوقا بالقول « رجلان » ولعله يريد أن يرينا ان الرسل عرفوهما كرجلين قبل ان يميزوا شخصيتهما. وهذا تعبير ينفي كونهما خياليّين، كما انه يحسب برهاناً جديداً عملياً

٣١ اللذان ظهرا بمجد

على خلود النفس وحفظ ذاتيتها . نحن لا ندري كيف عرف الرسل ان هذين الرجلين هما « موسى وايليا » فربما كان المسيح وسيط التعارف وربما كانت شخصية كل إنسان منطبعة على جبينه فنمّت عن حقيقته ودلّت على اسمه .

« موسى و إيليا » : الاول رجل الشريعة ، والثاني زعيم الأنبياء . والمسيح وسيط الطرفين هو « روح النبوة » و « غاية الناموس لكل من يؤمن » . أتى موسى بالشريعة للشعب ، وأتى ايليا بالشعب الى الشريعة ، والمسيح في الوسط نبع النعمة والحق . كلاهما انتهت حياته بطريقة عجيبة ، صعد إيليا الى السماء ، ومات موسى على الجبل بطريقة خفيت عن الناس . وكلٌ منهما مع المسيح صام اربعين يوماً .

كم كان موسى سعيداً في هذا الوقت على الجبل ! أليست هذه أول مرة وطئت فيها قدماه أرض الموعد ، التي سُمح له بأن يراها من بعيد من غير أن يدخلها ؟ إذاً قد حان الوقت الذي فيه استجاب الله صلاة موسى التي سبق فرفعها منذ ألفي عام . وأمام شخص المسيح قد غُفرت خطيته . من يستطيع أن يصف شعوره عندما تملّت عيناه برؤية هذا الشخص العجيب الذي سبق فتنبأ عنه قائلاً « ان نبياً مثلي سيقيم لكم الرب » وقد أضحى الصليب منه قاب قوسين أو أدنى ؟ !

أما إيليا فليست هذه أول مرة جاء فيها بلاد فلسطين . لأنه دخل تلك الأرض مراراً ، منادياً للناس بالحق ، وكم كان سروره عظيماً عندما رأى

وتكلما عن خروجه الذي كان عتيداً أن يكمله في أورشليم

الحق مجسماً ؟ ؟ من يستطيع أن يصف لنا شعور إيليا ، الناري ، عند التقائه بالمسيح الوديع الهادىء ! !

كان حديث إيليا وموسى ، أعجب من ظهورهما . لأنهما لم يتحدثا عن معجزات المسيح ، ولا عن معجزة ولادته ، ولا عن تعاليمه ، مع أن هذه كلها عجيبة في نظرهما لكنهما كانا يتكلمان عن « خروجه » الذي هو صليبه وقيامته . إذاً مركز المسيحية في صليب المسيح ، وفي قيامته لا في تعاليمه فقط .

موضوع حديثهما : « خروجه » ـ هذه الكلمة المسمى بها السفر الثاني من توراة موسى ـ « الخروج » . ولا شك في أن موسى كان يعلم قبل غيره ، أن كلمة « خروج » تحمل معها العبودية ، فالصراع ، فالاجتياز في الأغمار واللجج ، فالظفر ، فالحرية . هذه كلها كلمات تلقي نوراً جديداً على الصليب ، انه صراعٌ مع قوات الظلام ، فظفرٌ بها ، فقيامة ، فصعود . هذه هي شهادة الناموس والأنبياء لصحة الصليب « له يشهد جميع الانبياء » . الآن أدرك إيليا انه وان كان ارتفاعه الى السماء حياً يُحسَب صعوداً مجيداً ، لكن صعود المسيح الذي سبقه الصلب أمجد بكثير . الآن تيقن موسى انه وان كان موته « بقبلةٍ من الإله الأبدي » ـ كما يعتقد اليهود ـ يُحسَبْ موتاً شريفاً ، فان الموت لأجل الآخرين أشرف منه بكثير . هذا هو الصليب الذي قَبِل المسيح « ان يكمله » . لأنه وان كان المسيح قد صُلب على الجلجثة ، لكن حياته منذ المذود كانت صليباً دائماً ، وكان هو ذبيحةً حية . فقد قَبِل المسيح هذا الصليب

٣٢ وأما بطرس واللذان معه فكانوا قد تثقلوا بالنوم . فلما
استيقظوا رأوا مجده والرجلين الواقفين معه ٣٣ وفيما هما يفارقانه
قال بطرس ليسوع يا معلم جيد أن نكون ههنا . فلنصنع ثلاث
مظال . لك واحدة ولموسى واحدة ولايليا واحدة . وهو لا يعلم
ما يقول

من يد الله الآب مختاراً ، وهو الآن سائر في طريق تنفيذه ، ولا يرتاح حتى يتجرَّع آخر قطرة من هذه الكأس . وهل يليق بالمسيح الكامل أن يترك عملاً سلَّمه إياه الآب من غير أن يكمله ؟ ألم يقل وهو على الصليب «قد أُكمل»؟

حدث كل هذا والتلاميذ مثقلون بالنوم فلما قارب الحديث من نهايته استيقظوا « فرأوا مجد المسيح ، والرجلين الواقفين معه » وإذ همَّ الضيفان بالانصراف ، عزَّ هذا على بطرس ، فطفق يقول من غير انتباه : « يا معلم جيد أن نكون ههنا » وقد أجاد لوقا إذ وصفه بالقول : « وهو لا يعلم ما يقول » (١) لانه خاطب المسيح بقوله : « يا معلم » في هذه الساعة التي رأى فيها مجد لاهوته . (ب) لأنه طلب دوام هذا المنظر العجيب الذي لم يقصد به المسيح إلا أن يكون غذاء مقوياً لهم لمواجهة أعمال الحياة ومسئولياتها (ج) لانه ظن ان الباعث الاكبر الذي جعل موسى و إيليا ينطلقان الى السماء هو خوفهما من البرد . لذلك قصد أن يصنع لهما ثلاث مظال. كأنه أراد أن يُعيِّد عيد المظال معهما على الجبل ! ! وهل تظن يا بطرس أن موسى و إيليا يفضلان المظال التي تحبكها لهما يد الصياد ، على ذلك البيت السماوي العظيم المصنوع بغير يدين ! ؟

٣٤ وفيما هو يقول ذلك كانت سحابة فظللتهم . فخافوا عندما دخلوا
في السحابة ٣٥ وصار صوت من السحابة قائلاً هذا هو ابني الحبيب .

ما أوسع مراحم الله ! فانه جاد بأكثر مما طلب بطرس أو تمنى . تمنى بطرس أنَ يصنع ثلاث مظال من أغصان الأشجار الذابلة ، لكن السماء أجابت عليه بسحابة ، يصفها متى بالقول « نيِّرة » . وما الذي جعل هذه السحابة نيِّرة؟ أليس نور الله الحال فوقها ؟ إذاً كانت هذه السحابة بمثابة الغطاء في قدس الأقداس ، ومن فوقه « نار الشكينا » : أي نار سكن مجد الله وحضوره : هذا هو الحجاب الذي اتخذه الله لستر جلال مجده ، واعلان حضوره في البرية وفي الهيكل . ويقول لوقا ان هذه السحابة « ظللتهم » . أكانت هذه السحابةُ ، المجدَ مظللاً ، أم كانت هي الظلَّ مُمجَّداً . لعل هذه السحابة ألقت ظلاً عليهم ، لكي تخفت أصوات الأرض لتقول السماء كلمتها .

كانت هذه السحابة مثيرةً لخوف التلاميذ ورعبهم لأنها أشعرتهم بحضور الله . وبينما هم كذلك سُمع صوت الله من السحابة ، وقد نفذ في قلب هذا الصمت فقال الآب كلمته عن المسيح « هذا هو ابني الحبيب ... له اسمعوا » ليست هذه أول مرة نطق الله فيها بهذه الكلمة . لأنه سبق نطق بها وقت معمودية المسيح .

وفي هذه الكلمة نرى : (أ) تعييناً : « هذا هو ابني الحبيب » ـ بهذا يتميَّز المسيح عن موسى وعن إيليا لأنهما كانا خادمين لله . لكن المسيح ابنُ الله . (ب) إعلان استحسان على هذا التعيين : « الحبيب الذي به سررت » ـ

له اسمعوا ٣٦ ولما كان الصوت وُجد يسوع وحده .

كما يقول متى . (ج) نداء : « له اسمعوا » . لأن المسيح هو « كلمة الله» المتجسد ، الذي يحق له وحده أن يحدثنا عن كلمة الله الحية . وفي هذا ترديد للصوت الذي نادى به الله قديماً شعبَ اسرائيل عن لسان موسى: « له تسمعون » . هذا هو الصوت الذي توافقه مقدمة الرسالة الى العبرانيين « الله بعد ما كلم الآباء بالأنبياء قديماً بأنواع وطرق كثيرة . كلمنا في هذه الأيام الأخيرة في ابنه » .

هل هذا نداء للتلاميذ لكي يسمعوا للمسيح في ما قاله لهم عن الصليب في طريق قيصرية فيلبس ؟ أم هذا نداء لموسى وايليا ليعرفا به ان أصواتهما ضعيفة ، وان كلماتهما متقطعة ، وأن أيام كلامهما قد انقضت ، وان الكلمة الآن لصاحب الكلمة الذي هو «الكلمة» ؟ يغلب على اعتقادنا ان النداء كان للتلاميذ لأنه حالما انتهت آخر نبرة من ذلك الصوت وُجد « يسوع وحده »

« يسوع وحده » : هذا هو العنصر الوحيد الباقي في كل هذه الحادثة المجيدة . يسوع وحده ـ أمامه يختفي موسى وايليا كما يختفي نور الكواكب أمام الشمس ، وأمام الانجيل يضمحل الناموس ويكسفُ الانبياء ، وأمام المسيحية ترفع اليهودية جناحيها وتطير . يسوع وحده ـ فيه تمت نبوّات العهد القديم ومنه ينبعث رجاء العهد الجديد، هذا هو الشخص الباقي، إذا ما ذهبت عنهم السحابة ، هذا هو الصوت الدائم إذا ما خفت كل صوت ، هذا هو الصديق الدائم إذا ما انقرض الاصدقاء والمحبون ، بالموت أو الحياة ، فهو موت الموت وهو حياة الحياة .

وأما هم فسكتوا ولم يخبروا أحداً في تلك الايام بشي مما أبصروه
٣٧ وفي اليوم التالي إذ نزلوا من الجبل استقبله جمع كثير

كم كان مشجعاً ومعزياً لقلوب التلاميذ ، أن يلمسوا يد المسيح التي ألِفُوها من قبل ، وقد مُدَّت اليهم ولمستهم فسمعوا صوته يناديهم بحنوّه المعهود « قوموا لا تخافوا . . » « فرفعوا أعينهم ولم يروا أحداً إلا يسوع وحده »

النتيجة : « أما هم فسكتوا ولم يخبروا أحداً في تلك الأيام بما أبصروا وسمعوا » ، وكان صمتهم هذا إجابةً لطلب المسيح . لعله انه من المستحيل عليهم ان يضبطوا إحساسهم إذا تحدثوا عن هذا المنظر العجيب وهم مأخوذون بزهوته ، ولأن الروح القدس ، روح الالهام ، لم يكن قد أُعطي لهم بعد ، ولأن الأيام الباقية لسيدهم على الأرض ينبغي أن تصرف في التحدث عن صليبه وجهاده ، لا في الكلام عن التجلي وأمجاده .

المسيح في السهل — صورتان متناقضتان (٩ : ٣٧ — ٤٣)

لم يجب المسيح بطرس الى أمنيته : « جيد أن نكون ههنا » ، بل ترك الجبل مع أمجاده ، ونزل الى السهل وجهاده ، ليخفف ويلات الارض . وهنا على السهل ، نرى المسيح وأمامه الشاب المريض ، فنرى فيهما صورتين على طرفي نقيض : (١) المسيح ابنٌ يُسرّ به الآب ، والشاب ابنٌ يشكوه أبوه . (٣٨ و٣٩). (ب) المسيح يمثل البشرية في مجدها الكامل ، وفي هذا الشاب نرى البشرية في أتعس حالات شقاوتها . (ج) المسيح يتكلم فيسمعنا صوت الله ، والشاب مصاب بروح نجس (مر ٩: ١٧) . (د) المسيح يمثل البشرية

٣٨ واذا رجل من الجمع صرخ قائلاً يا معلم أطلب اليك . أُنظر الى
ابني . فانه وحيد لي ٣٩ وها روح يأخذه فيصرخ بغتة فيصرعه
مزْبداً وبالجهد يفارقه مرضضاً إياه ٤٠ وطلبت من تلاميذك أن
يخرجوه فلم يقدروا

المكملة وقد نزل من جبل المجد ، ليعالج أمراض البشرية المشوَّهة في السهل .

والشيء المحزن أن مرض ذلك الغلام الجسدي قد أزاح الستار عن مرض روحيٍّ كان التلاميذ مصابين به ـ هو مرض عدم الايمان .

نرى في هذه الحادثة: (١) طلباً عاجلاً (٩:٣٨ـ٤٠) . (٢) جواب المسيح عن هذا الطلب (٩:٤١ و٤٢) . (٣) تأثير هذه المعجزة (٩ : ٤٣) .

(١) أما طلب الرجل ففيه : (أ) استرحام (٣٨)، (ب) وشكوى (٣٩ و٤٠) . (أ) يرتكز استرحامه على حالة المريض ، وعلى قيمة ابنه عنده : « انه وحيد » وهذا الاسترحام مُفرَغٌ في الكلمة « انظر الى ابني » . عجيب إيمان ذلك الرجل فانه لم يُملِ على المسيح الطريقة التي يعالج بها مرض ابنه ، بل اكتفى بالقول : « انظر » لان مرض الولد في حالة خرسه ، وصرعه ، يتكلم في صمته بأبلغ كلام . أوَ ليست نظرة المسيح وحدها شافية ، كافية ؟ (ب) كانت شكوى الآب من أمرين ـ من مرض ابنه المؤلم ، ومن عجز تلاميذ المسيح عن أن يقدِّموا لابنه الشفاء . والاشارة هنا الى التلاميذ الذين لم يكونوا مع المسيح على جبل التجلي .

٤١ فأجاب يسوع وقال أيها الجيل غير المؤمن والملتوي . الى متى
أكون معكم واحتملكم . قدّم ابنك الى هنا

(٢) جواب المسيح على طلب الأب : أجاب المسيح طلب الرجل وشفى ابنه فمهّد لهذا الشفاء بكلمة مثلثة : (أ) جانبها الاول ، توبيخ لذلك الجيل : « أيها الجيل غير المؤمن والملتوي الى متى اكون معكم وأحتملكم » . يقول ماير أن هذا التوبيخ موجّه الى التلاميذ . ويقول كلفن انه موجّه للكتبة الذين كانوا موجودين وقتئذٍ ، كما يحدثنا مرقس . ويقول يوحنا « الذّهبيّ الفم » انه موجه لجمهور المشاهدين . ويغلب على اعتقادنا أنه يشمل كل هذه الطبقات معاً ، وان اختلف في درجته ، باختلاف استعداد كل طبقة . ويساعدنا على هذا الاعتقاد أن الكلمة « جيل » تعني جميع الموجودين . أليس في قول المسيح « هذا الجيل » شيء من المقابلة بين ساكني السماء الذين كانوا معه على الجبل ، وبين ساكني الأرض الذين التقى بهم في السهل ؟ ؟ أو ليست كلمته « الى متى أكون معكم » تنمّ عن حنينٍ في قلب المسيح الى ديار المجد ، وتفيد أنه بقي في السهل لأجل البشرية المعذبة ؟ (ب) وجانبها الثاني طلب موجه الى والد الفتى « قدم إبنك إليّ » (عدد ٤١) . هنا وضع المسيح على والد المريض واجباً وهو الإتيان بابنه الى يسوع ، لكي يقدم باطاعته برهاناً عملياً على صدق ادعائه ، بانه يؤمن بقوة المسيح الشافية . وكم هو واجب على كل والد أن يقدّم ابنه الى يسوع . لان نداء المسيح الى والد ذلك الفتى انما هو نداء لجميع الآباء على مرّ الأجيال .

٤٢ وبينما هو آتٍ مزقه الشيطان وصرعه . فانتهر يسوعُ الروحَ
النجس وشفى الصبي وسلمه الى أبيه ٤٣ فبُهت الجميع من عظمة الله

في طريق الولد الى المسيح ، مزقه الشيطان ، وصرعه — والكلمة في اللغة اليونانية تستعمل للمصارعة التي كان يمارسها الرومان في ألعابهم الرياضية. اذاً كان هذا آخر سهم في كنانة الروح النجس صوّبه على الفتى وبه أفرغ جعبته. فهو سهم اليأس صمّم أن يرميه به ثم يندحر وينتحر. (ج) والجانب الثالث منها ، كلمة انتهار للشيطان (عدد ٤٢) . كان هذا الانتهار عملياً ، اعدادياً ، قام به المسيح لطرد الروح النجس كما يُطرد عدو مغتصب ، من أرض احتلها ظلماً وعدواناً .

بعد ان مهد المسيح لهذا الشفاء بالانتهار ، تقدّم فشفى الصبي وسلّمه الى أبيه . فاذا كان انتهار الشيطان هو العمل السلبي الذي قام به المسيح ، فان شفاء الولد هو العمل الايجابي ، وتسليم الولد الى أبيه هو العمل التكميلي . ان المسيح الذي ابتدأ عملاً صالحاً لا بد ان يكمل ، فلم يقف المسيح عند حد ابراء الولد بل سلمه الى أبيه ، وفي هذا خير مكافأة لايمان والد الصبي . كما أن في هذا تقريراً لحقيقة أبدية راسخة — هي أن تقديم الأولاد للمسيح ، لا تنتج عنه خسارة، بل هو نعم الربح . لأن المسيح يعيد أولادنا الينا في جِدّة الحياة . هكذا عمل المسيح مع ابن أرملة نايين بعد ان اقامه من الموت (لوقا ٧: ٥)

تأثير المعجزة (٤٣) : بُهت الجميع من عظمة الله. والكلمة «عظمة» هي التي استعملها بطرس في وصف تجلي المسيح على الجبل (٢ بطرس ١: ١٦) «وكنا

واذ كان الجميع يتعجبون من كل ما فعل يسوع قال لتلاميذه
٤٤ ضعوا أنتم هذا الكلام في آذانكم . ان ابن الانسان سوف يسَّلمُ
الى ايدي الناس

معاينين عظمته » . هـذه هي العظمة التي تجلّت على الجبل ، في الشكل ، فظهرت في السهل بالفعل .

المسيح يتحدَّث ثانية عن صليبه (٩:٤٢-٤٥)

ان الصليب الذي كان موضوع حديث المسيح مع موسى وايليا على الجبل ، أضحى الآن موضوع حديثه مع تلاميذه . هذه هي المرة الثانية التي يتحدث فيها المسيح عن الصليب ، كما تعلمنا البشائر

يمكننا ان نستنتج من (متى ١٧:٢٢و٢٣) و (مرقس ٥:٣٠-٣٢) ، ان المسيح أفضى بهذا الحديث الثاني الى تلاميذه بعد رجوعه واياهم من قيصرية فيلبس الى كفر ناحوم . وكان لهذا الحديث المؤلم بعد اعجاب الجماهير به ، أثر فعَّال في كظم شعور التلاميذ ، بعد هذا النجاح الذي احرزه بابرائه الصبي كأنَّ المسيح اراد ان يحذر تلاميذه من الارتكان الى عواطف الجماهير المتقلبة مع الرياح

أوصى المسيح تلاميذه بان يضعوا هذا الكلام في آذانهم — أي في ذاكرتهم الواعيـة ـ سواءً أفهموا الكلام أم لم يفهموه ، ثم عاد فصرَّح لهم بانه سيسلَّمُ الى أيدي الناس ـ والتسليم هنا يشير الى قضاء الله المحتوم ، والى علمه السابق ، لا الى خيانة يهوذا

٤٥ وأما هم فلم يفهموا هذا القول وكان مُخفّى عنهم لكي لا يفهموه.
وخافوا أن يسألوه عن هذا القول ٤٦ وداخلهم فكر مَن عسى ان

لم ينتج هذا الاعلان نتيجة فعالة في قلوب التلاميذ ، لأنهم لم يفهموه . والكلمة «مُخفّى عنهم» تفيد أن هذا الاخفاء كان بترتيب الهي . ولعل العناية قد أشفقت عليهم فأخفت عنهم المعنى الدفين الذي انطوى عليه هذا التصريح ، لئلا يخوروا في نفوسهم قبل الميعاد . وكأني بالتلاميذ أمام هذا الاعلان ، كشخص يرى في طريقه شبحاً مخيفاً ، فيضطر أن يعرض عنه ، مخافة أن تكون وراءه مفاجأة مزعجة . وربما خافوا من أن يعيد المسيح عليهم توبيخه الشديد الذي صوبه الى بطرس وقت التصريح الاول، فسكتوا عن أن يسألوه . وكم من المرات يكون جهل الناس بأمر ما ، خير حصن يتقي به عذابات كثيرة ـ لو علم. فلنحمد الله على ما نعلم ولنشكره على ما لا نعلم

بعض نقائص التلاميذ (٩:٤٦ ـ ٥٠)

كما رسم لوقا بريشة المصور ، جلال المسيح على الجبل ، كذلك قد أجاد أيضاً في رسم بعض العيوب في التلاميذ ، على السهل . وبضدها تتميز الاشياء والاشخاص :—

(١) غرور النفس (٩:٤٦ـ٤٨) ان أول عيب صوّره لوقا في التلاميذ هو غرورهم بذواتهم ، الممتزج بحب الرياسة. فقد دار بينهم هذا الحديث في الطريق لكن كلام المسيح معهم كان في بيت ، كما يقول متى . وغالباً كان هذا بيت بطرس . أليس غريباً أن يداخلهم روح الغرور في وقت أعلن لهم فيه المسيح

يكون أعظم فيهم ٤٧ فعلم يسوع فكر قلبهم وأخذ ولداً وأقامه
عنده ٤٨ وقال لهم . من قبل هذا الولد باسمي يقبلني . ومن قبلني

استعداده للصلب ؟ . ربما كان الباعث على تساؤلهم عن الأعظم فيهم ، هو صعود ثلاثة منهم مع المسيح على الجبل

أمام هذا العيب المرتسم على شخصيات التلاميذ ، تتجلى لنا شخصية المسيح العجيبة في: (ا) علمه بكل شيء. (ب) وفي حكمته الفائقة . (ا) أما علمه ، فقد ظهر في معرفته بفكر قلوبهم . وهذا برهان آخر على انه اله تام . (ب) وتظهر حكمته ، في الطريقة التي عالج بها هذا الضعف ، فقد استخدم في معالجته ، لطفاً من غير ضعف ، وشدة من غير عنف ، اذ أخذ ولداً وأقامه عنده في مركز الكرامة والسلطان، فاقام منه درساً عملياً تمثيلياً على: (١) ان الاعظم فيهم هو أقربهم الى المسيح ، وان أقربهم اليه هو ذلك الولد في بساطته . (٢) وأنهم يكونون عظماء على قدر مايكون عندهم من البساطة والقابلية ، للترحيب بالبسطاء والضعفاء أمثال هذا الولد[1] . لأن الذي يقبل هذا الولد ، لأنه للمسيح ، يكون قد قبل المسيح نفسه ، ومن يقبل المسيح في بساطته المعهودة يقبل الله . «ومن يزدري يوم الامور الصغيرة !!؟ ويقول ألفورد أن المسيح قصد بهذا الكلام، أن يعلِّم التلاميذ أن روح الغرور ينبغي أن يكون بعيداً عنهم ، باعتبارهم حاملي اسم المسيح . وفي هذا الاسم «ضمان» لعظمتهم لأن من يقبلهم بهذا

(١) يقول تاريخ قديم ان هذا الولد هو القديس اغناطيوس ، اسقف انطاكية فيما بعد . ولكن هذا الرأي يفتقر الى الاثبات

يقبـــل الذي أرسلني . لأن الأصغر فيــكم جميعــاً هو يكون عظيماً
٤٩ فأجاب يوحنا وقال يا معلم رأينا واحداً يخرج الشياطين باسمك
فمنعناه لأنه ليس يتبع معنا ٥٠ فقال له يسوع لا تمنعوه . لأن مَن

الاعتبار يقبل الله نفسه . إذاً وهم في وداعتهم هذه ، يحملون معهم عظمة الله ، ما داموا يحملون « اسم المسيح » وهم لا يعلمون . ولــكن الرأي الأول أقرب الى الحقيقة حسب اعتقادنا .

(٢) التعصب المذهبي (٩ : ٤٩ و٥٠): العيب الثاني الذي سجله لوقا على التلاميذ هو التعصُّب المذهبي . وهذا ظاهر من سؤال يوحنا وجواب المسيح . ان الأهمية التي ركزها المسيح على حمل اسمه المجيد ، في كلامه السابق ، قد أيقظت ضمير يوحنا الرسول ، وأوقعت في قلبه ريبة من جهة تصرفه مع اناس كانوا يخرجون الشياطين باسم المسيح ، فمنعهم ، فاستفتى سيده فيما إذا كان قد أصاب في عمله هذا أم أساء .

لاحظ المسيح أن في حرص التلاميذ على شرف اسمه شيئاً كثيراً من حب الاحتكار ، الذي لا يوافق عليه المسيح . وهل يُحتــكر نور الشمس ؟ أم هل تقوى حفنة واحدة على أن تقبض على كل مياه البحر ؟ كان جواب المسيح لهم « من ليس علينا فهو معنا » . وواضح ان هذا التصريح لا يناقض التصريح الوارد في لوقا ١١:٢٣ ـ « من ليس معي فهو عليَّ» . قصد المسيح بالقول الثاني أن يجعل منه مقياساً ، يفحص به الانسان نفسه فيما إذا كان مع المسيح أم بعيداً عنه . لــكنه قصد أن يجعل من التصريح الأول ، قانوناً

ليس علينا فهو معنا ٥١ وحين تمت الأيام لارتفاعه

سمحاً ، رحباً يميز به الانسان الآخرين . ومن التصريحين نستنتج اننا في حكمنا على أنفسنا ينبغي أن نكون قساة ما سمحت لنا القسوة ، ولكنَّا في حكمنا على الآخرين ، ينبغي أن نكون متسامحين كلَّ التسامح . ان الكلمة المركزية في التصريح الثاني هي « معي » - أي ان شخص المسيح الروحي هو الحكَم في الايمان به والمحبة له . والكلمة الرئيسية في التصريح الأول هي كلمة « معنا » أي مع زمرة التلاميذ المنظورين - بمعنى أن هذه الدائرة الضيقة ، لا تسع كل أتباع المسيح .

فما أحوجنا كأتباع للمسيح، الى أن نفكر في حسنات غيرنا وفي سيآتنا نحن ، بدلاً من أن نقضي وقتنا في نبش قبور الآخرين والفرج على جثثهم ! !

الى قرية للسامريين (٩ : ٥١ — ٥٦)

ان لهذا الفصل أهميةً خاصة لانه بداية فصول عدَّة اختص لوقا بذكر معظمها (٩ : ٥١ — ١٨ : ٤١) ولأنه يتقدم بنا الى دائرة جديدة في خدمة المسيح في الجليل . ومنذ الآن سنراه خادماً في بيرية الواقعة شرق الاردن .

كانت خاتمة الفصل السابق في التسامح المسيحي خير توطئة للدخول الى هذا الفصل الجديد. لان المسيح قدم خير برهانٍ للتسامح بارساله رسلاً من تلاميذه الى قرية من قرى السامريين حتى يمهدوا الطريق لزيارته للسامرة ، على رغم كونه يهودياً « واليهود لا يعاملون السامريين » .

ومن عجائب الاتفاق أن المسيح الذي قوبل بالرفض من أهل الناصرة

ثبت وجهه لينطلق الى اورشليم

في مستهل خدمته في الجليل (٤:١٦-٣٠) قد قوبل بالرفض أيضاً من السامريين في مستهل خدمته في هذه الدائرة الجديدة . كأن البشرية قد آلت على نفسها أن تستقبل فاديها بالجحود والعقوق !!

يحدثنا هذا الفصل عن : (١) مقدمة عامة (٥١) . (٢) ارسال المسيح تلاميذه (٥٢) . (٣) رفض السامريين إياه (٥٣) . (٤) طلب يعقوب و يوحنا (٥٤). (٥) جواب المسيح (٥٥ و ٥٦)

(١) مقدمة عامة (٥١): «وحين تمت الايام لارتفاعه» والمعنى الحرفي هو «ولما كانت أيام ارتفاعه آخذة في التمام» . أي انها لم تكتمل فعلاً بل كادت . وقد ورد الفعل «تمّ» مرة اخرى في العهد الجديد بهذه الصيغة في (لوقا ٨:٢٣) وتُرجِمَتْ « يمتلئون» بصيغة الاستمرار. والمراد بارتفاعه، الصليب وما يعقبه من قيامة وصعود ومجد (يو ١٢:٣٢و٣٣). والكلمة «تمت» تشير الى ايام مرتبة بقضاء الهي ، وتسير بترتيب مُعين ليتم بها قصد مرتب ، منذ الازل . في هذا الحين «ثبَّت المسيح وجهه» لينطلق الى اورشليم. والكلمة «ثبَّت وجهه» تعبير عبري (حز ٦:٢ وإر ٢١:١٠ وخر ٣٣:٤) يُستعمل للدلالة على عزيمة قويّة تلقاء صعوبات قائمة . وقد استعملت هنا لتصف لنا عزيمة المسيح في مواجهة الآلام التي كان يعلم بها حق العلم . فما أمتن الاتفاق بين فكر الله في السماء و بين إرادة المسيح على الارض !! والكلمة «ينطلق» تنم عن الشجاعة والاقدام ،

٥٢ وأرسل أمام وجهه رسلا . فذهبوا ودخلوا قرية للسامريين
حتى يعدوا له ٥٣ فلم يقبلوه لان وجهه كان متجهاً نحو اورشليم
٥٤ فلما رأى ذلك تلميذاه يعقوب و يوحنا قالا يا رب أتريد أن

والسرور ، التي ملأت قلب المسيح اذ ذاك .

هنا دخل المسيح فعلاً في المنطقة المعروفة «بظل الصليب»

(٢) ارسال المسيح تلاميذه (٥٢): قصد المسيح أن يختار أقرب طريق الى اورشليم فيجتاز السامرة . وأول قرية سامرية تلاقيه هي «عين جنيم» ومعناها « بئر البساتين » وكانت قديماً معروفة «بيت البستان» (٢ مل ٩: ٢٧) ولما كانت البيوت لا تُدخل إلا من أبوابها ، أرسل المسيح مندوبين عنه لكي يهيئوا لما يلزم لهذه الزيارة

(٣) رفض السامريين إيّاه (٥٣). لكن أهل القرية رفضوا قبول المسيح. وهذه أول مرة يرد فيها ذكر السامرة في انجيل لوقا . ولعل هذا الرفض يُعزى إلى: (أ) ان شعور العداء المستحكم بين اليهود والسامريين يتجدد كل عيد . ونحن الآن قريبون من عيد الفصح . (ب) لان اتجاه وجه المسيح نحو اورشليم يجرح كرامة السامريين ويطعنهم في كبريائهم الدينية اذ كانوا يفاخرون بجبل جرزيم على اورشليم . وهذا هو السبب المفهوم من كلمات لوقا . (ج) لأن المسيح لم يكن وحده بل كان معه جمهور . ومرور هذا الجمهور في العيد يُحسب مظاهرة دينية يهودية لا يهضمها التعصب السامري

(٤) طلب يعقوب و يوحنا (٥٤) : أهاج هذا الرفض يعقوبَ و يوحنا .

تقول أن تنزل نار من السماء فتفنيهم كما فعل إيليا أيضاً ٥٥ فالتفت وانتهرهما وقال لستما تعلمان من أي روح أنتما

فأرادا أن يتشبها بإيليا (٢ ملوك ١: ١٠) سيما وان شخص إيليا كان حاضراً أمامهما على جبل التجلي ، فطلبا الى يسوع أن يأذن لهما بطلب نار من السماء لتفني أهل القرية . فاذاً كان الرسولان أشد تعصباً من أهل السامرة . وهكذا قضت الطبيعة البشرية على الانسان أن يلوم الآخرين إذا اضطهدوه وألاّ يلوم نفسه إذا هو طلب إهلاك الآخرين ! ! ولكن ألا يُعتبر من معجزات المسيحية ان « ابني الرعد » ـ يعقوب ويوحنا ـ تغيّرا فيما بعد فصار أحدهما رسول المحبة وأُرسل في مأمورية الى السامرة (أعمال ٨: ١٤) ؟

(٤) جواب المسيح على طلب الرسولين (٥٥ و٥٦) : ما ألطف جواب المسيح في إشارته ضمناً إلى إيليا . وما أشده تأنيبه لتلميذيه ! إذ ذكّرهما بأن روح المسيح يختلف عن روح ذاك : في ان روحه هو ، روح المحبة والإحياء والفداء ، لا روح النقمة والافناء . فالفرق عظيم بين جبل الكرمل الذي وقف عليه إيليا و بين جبل الجلجثة الذي رُفع عليه المسيح .

يقول أغسطينوس ان المسيح كان بهذا الكلام منتهراً تلميذيه بشدة لأنه أفهمهما أنهما بهذا الطلب يقدمان نفسيهما معولاً للهدم في يد عدو الخير وهما لا يشعران ، بينما قد قصد بهما المسيح أن يكونا أداة خير و بناء . و يقول كالفن ان هذا التفسير يوافق روح الكلمة : « انتهرهما » .

(عدد ٥٦) هنا يتوج المسيح جوابه بكلمة تضمنت خلاصة الانجيل ،

٥٦ لان ابن الانسان لم يأتِ ليهلك أنفس الناس بل ليخلص . فمضوا
الى قرية أخرى ٥٧ وفيما هم سائرون في الطريق قال له واحد

فيها نرى: (ا) شخصية المسيح : « ابن الانسان » . (ب) رسالته ـ سلبياً « لم يأتِ ليهلك » ، ايجابياً « بل ليخلص » (لوقا ١٨ : ١٠) .

ان الله لم يترك نفسه بلا شاهد فاذا رفضتِ المسيحَ قرية للسامريين فقد قبلته « أخرى » . والكلمة « أخرى » لا تصفها من حيث جنسيتها بل من حيث مكارم اخلاق أهلها .

ثلاثة طلاب (٩ : ٥٧ — ٦٢)

أمامنا ثلاثة طلاب للتلمذة المسيحية : الأول والثالث تطوعا لهذه التلمذة ، والثالث دعاه المسيح اليها . عيب الأول أنه كان ذا شعور من غير تفكير ، وعيب الثاني أن كان عنده فكر من غير شعور ، وعيب الثالث أن كان عنده فكر ، وشعور ، وبقي متردداً بينهما لا يدري كيف يسير .

كان الأول قصير البصر فلم يرَ ظل الصليب ، وكان الثاني بعيد النظر اكثر مما يجب فأجّل اتّباع المسيح الى ما بعد دفن أبيه . وكانت للثالث نظرة مزدوجة ـ نظرة الى الماضي فربط نفسه بروابط البيت ، ونظرة الى المستقبل فأراد أن يكون مع المسيح ـ فظلّ متحيراً بين الماضي والمستقبل .

عيب الأول يتركّز في كلمة : « أينما » فهو لم يقدّر مدى هذه الكلمة غير المحدودة بل سار مندفعاً وراء عاطفةٍ ثارت الى حين ، وهو لا يدري أن كلمة « أينما » تعني جثسيماني ، والجلجثة ، والقبر . ونسي أن العاطفة التي تلتهب

يا سيـــد أتبعك أينما تمضي ٥٨ فقال له يسوع للثعالب أوجرة ولطيور السماء أوكار . وأما ابن الإنسان فليس له أين يسند رأسه

سريعاً تنطفىء أيضاً بنفس هذه السرعة . ما أشبه قوله بقول بطرس للمسيح « اني أضع نفسي عنك » ـ كأنه قصد أن يكون فادِيَ الفادي ، و بعد ساعاتٍ أنكره قبل الجميع .

عيب الثاني يتركَّز في كلمة: « أولاً » . لأن المسيح لا يريدنا أن نقدّم أباً أو أماً عليه ، كما أنه لا يريد منا خدمة موقوفة على شرط معيَّن .

عيب الثالث في كلمة : « ولـكن » . ما أجمل كلمة « أتبعك يا سيد » ـ هذاهو بناء العزيمة القويّة . « ولـكن » ـ هذا هو المعول الذي هدم البناء لم يكن السبب ، الذي توسل به الطالب الثاني سبباً حقيقياً ، لـكنه كان عذراً منتحلاً ، لأنه لو كان أبوه قد مات ، إذاً لماذا لم يكن في هذه اللحظة ملازماً لجثة أبيه . الحقيقة انه قصد ان يُحيل أمر اتباعه المسيح على الزمن حتى يموت والده الشيخ ، ومن يدري متى ! وهو لا يعلم ان المسيح سيسلم الروح بعد قليل .

اننا مدينون لهؤلاء الطلاَّب الثلاثة بالاجوبة السديدة التي أجاب بها المسيح على كلٍّ منهم . كان جواب الفادي على الطالب الأول « للثعالب أوجرة . . . » كأنه قال له : احسب حساب النفقة . فاذا كنت طامعاً في ملـكوت مادي فقد اخطأت لأن عرشي صليب، وصولجاني قصبة مرضوضة . وتاجي « اكليلُ شوك » . لم يقل المسيح هذه الـكلمات آسفاً بل قالها واثقاً

٥٩ وقال لآخر اتبعني . فقال يا سيد ائذن لي أن امضي أولاً
وأدفن أبي ٦٠ فقال له يسوع دع الموتى يدفنون موتاهم وأما أنت
فاذهب وناد بملكوت الله ٦١ وقال آخر أيضاً اتبعك يا سيد ولكن
ائذن لي أولاً أن أودّع الذين في بيتي ٦٢ فقال له يسوع ليس أحد
يضع يده على المحراث وينظر الى الوراء يصلح لملكوت الله

مطمئناً . فهل نحسد العصافير على أوكارها ؟ كلا لأن الأوكار هي كل نصيبها في الوجود وهي كافية لان تبعث فيها الفرح والرضى . « أما ابن الانسان » الكبير القلب والنفس ، فمن الطبيعي ألا تشبعه الأرض لأن السماء موطنه ، فلا عجب إذا كانت الأرض لا تجود عليه بمكان يسند اليه رأسه . لأن لرأسه تاج السماء .

كان جواب المسيح على الطالب الثاني منطوياً على شيء من الشدة . ومعناه « دع الموتى روحياً يدفنون الموتى جسدياً » . فلا تعش في الماضي بل كن ابن المستقبل ، بل ابن الحياة . هل قصد المسيح أن يكون تابعهُ في مقام «النذير» فلا يختلط بالميت ؟؟ (طالع لاويين ٢١ : ١١ ، عدد ٦ : ٦ و٧) .

كان جواب المسيح على الطالب الثالث غايةً في الحكمة. فقد أصبح « القانون الذهبي » للخدمة . لان الخدمة تدعو الى تركيز كل القوى فيها .

ما أجمل ثقة المسيح بنفسه . لأنه واثق من ان فيه الكفاية ليعوض عن خسارة الأب والأقارب وأهل البيت . وان الخسارة في سبيله هي خير ربح .

الاصحاح العاشر

١ وبعد ذلك عيَّن الرب سبعين آخرين أيضاً وأرسلهم اثنين

ارسال السبعين (١٠ : ١ — ١٦)

كان المسيح يجول من قرية الى أخرى . صانعاً خيراً ، لكن أيامه على الأرض أضحت معدودات ، ولا بد من إرسال رسل من عنده لكي يعدوا له الطريق ويهيئوا القلوب لمجيئه . « وبعد ذلك » أي بعد تركه الجليل نهائياً ، عيَّن الرب سبعين آخرين، والقول: « آخرين » يميزهم عن الاثنى عشر الذين سبق المسيح فأرسلهم من قبل (لوقا ٩ : ١) . كانت وصية المسيح للاثنى عشر ان يحصروا خدمتهم في اليهودية ، إذ قال لهم « الى طريق أمم لا تمضوا والى مدينة للسامريين لا تدخلوا بل اذهبوا بالحري الى خراف بيت اسرائيل الضالة » لكن السبعين كانوا مطلقي التصرُّف من حيث المكان الذي يذهبون اليه — « الى كل مدينة وموضع حيث كان هو مزمعاً أن يأتي » . والمعروف أن أغلب سكان بيرية التي ذهب المسيح اليها بعد الجليل ، اميُّون . فاذا كان الاثنا عشر هم رسل المسيح لليهود ، فان السبعين هم رسله الى العالم أجمع . فلا عجب إذا رأينا متى ، بشير اليهود ، يكتفي بذكر إرسال الاثنى عشر ، بينما لوقا — بشير العالم أجمع ، يختص بذكر إرسال السبعين وليس ببعيد أن لوقا . كان واحداً منهم . فالعدد « ١٢ » — عند اليهود — يمثل ملء اليهود . والعدد « ٧٠ » يمثل ملء الامم فاذا كان المسيح قد اختار الاثنى عشر رسولاً مقابل أسباط اسرائيل

اثنين أمام وجهه الى كل مدينة وموضع حيث هو كان مزمعاً أن يأتي

الاثنى عشر ، فلا غرابة إذا « عيَّن » ـ والكلمة تفيد الفرز العلني الالهي ـ سبعين رسولاً مقابل الأمم السبعين التي تفرَّعت من عائلة نوح (تكوين ١٠): منها ١٤ أمَّة من يافث و٣٠ من حام و٢٦ من سام .

هل اختار المسيحُ السبعين رسولاً مقابل السبعين شيخاً الذين اختارهم موسى ؟ (سفر العدد ١١ :١٦ـ٢٥) ؟ أم اختارهم سبعين مقابل السبعين عضواً الذين كان يتألف منهم مجمع السنهدريم عند اليهود ، ليقيم من رسله « سنهدريماً » جديداً عاملاً ، مقابل السنهدريم اليهودي المائت ؟ أم اختارهم سبعين بمناسبة عيد المظال اليهودي الذي كان على الأبواب وفيه يقدم اليهود ٧٠ ذبيحة تمثل أمم الأرض السبعين (انظر إدرشيم في كتابه «الهيكل» صفحة ٢٤٠) فيكون المسيح بذلك قد أعد من كلٍّ منهم ذبيحة ، حية ، مقدسة ، مقدَّمةً على مذبح التضحية والخدمة في سبيـــل تبشير أمم الأرض قاطبة ؟ ؟

لا ندري شيئاً عن أعمال هؤلاء السبعين ، ولا نعرف أسماءهم بالضبط ـ ولو ان يوسابيوس المؤرخ يقول ان منهم برنابا ، وسوستانيس ، ومتياس ، ويوسف بارسابا ، وفيلبس المبشر ، ولوقا الطبيب . لكن أقواله تفتقر الى الاثبات . ولئن نسيت الأرض خدمتهم فقد سجلتها السماء . ومهما يكن من أمرهم ، فاذا كوَّن الاثنا عشر رسولاً ، اثني عشر نبعاً ، فان السبعين صاروا أشبه شيء بالسبعين نخلة في ايليم الجديدة (خروج ١٥ : ٢٧) ولعل بعضاً منهم كان مع المئة والعشرين الذين اجتمعوا يوم الخمسين (أعمال ١ : ٥) .

٢ فقال لهم ان الحصاد كثير ولـكن الفعلة قليلون . فاطلبوا من رب

أرسل المسيح هؤلاء السبعين « اثنين اثنين » ليكون كل منهما مكملاً لأخيه ، ليقدما معاً شهادة قوية في تبليغ الرسالة « لأنه على فم شاهدين أو ثلاثة تقوم كل حجة » .

يقع الـكلام عن إرسالية السبعين في قسمين ـ أولهما ارشادات المسيح للسبعين (١٠: ٢ ـ ٢) . وثانيهما تحذيراته لمدن الجليل (١٠: ١٣ — ١٦) .

يوضح المسيح في هذه التعليمات : (١) علة إرسال السبعين (عـدد ٢) . (٢) المسلك الذي يسلكونه في: (ا) سفرهم (٣ و ٤) . (ب) ساعة بلوغهم المدينة التي يريدون تبشيرها (٥ و ٦) (ج) في أثناء مكوثهم في المدينة التي تقبلهم (٧ — ٩) . (د) تصرفهم تلقاء القرية التي ترفضهم (١٠ — ١٢) .

(١) علة إرسال هؤلاء السبعين . قصد المسيح أن يفوه بالعلة التي دعته الى إرسال رسالة ، فاستمد من الطبيعة استعارة توسَّل بها الى تبليغ فكره لتلاميذه . فأوضح لهم: (١) سعة مجال حقل الخدمة ـ «العالم» . (ب) استعداد العـالم لقبول خدمتهم ـ « الحصاد » الناضج . (ج) قلة العمال المكرَّسين للخدمة « الفَعلة قليلون » « والحصاد كثير » . (د) مدبر الخدَّام لهذا الحقل « رب الحصاد » : (هـ) طبيعة خدمتهم « فعلة » « وحصاد » . (و) وسيلة الاتيان بالفعلة المطلوبين ـ « الصلاة » اطلبوا من رب الحصاد .

دخل الاثنا عشر الخدمة نتيجة صلاة المسيح على الجبل ـ « وفي تلك الايام خرج الى الجبل ليصلي . . . ولما كان النهار دعا تلاميذه » (لوقا ٦: ١٢

الحصاد أن يرسل فعلة الى حصاده ٣ اذهبوا . ها أنا ارسلكم مثل

و١٣) ولعل السبعين دخلوا الخدمة نتيجة صلوات الاثنى عشر . ومن يدري كم عدد الذين دخلوا الخدمة نتيجة صلوات هؤلاء السبعين ؟ !

(عدد ٣) : ولئلا يفهم السبعون من كلمة «الحصاد» ان القلوب سترحب بهم قبل البيوت وانهم سيسيرون في طريق الخدمة والناس تنثر عليهم الورود والرياحين ، أراد المسيح ان يريهم بوضوع وجلاء مخاطر الخدمة ـ « حملان بين ذئاب » وهل من كلمة تحمل معها وداعة الخدم ، وبساطته ، وانقياده وضعفه مثل كلمة « حملان » ؟ أو ليست كلمة « ذئاب » منطوية على ما في أولئك المخدومين من وحشية ، ونكران للجميل ، وتعطش للدماء ؟؟ أليس الصليب الذي انتهت اليه حياة المسيح ، أقوى حجة على دقة هذا الوصف ؟

إننا نلمح من هذه الكلمات: (ا) سلطان المسيح القاهر ، على حياة البشر . (ب) حقه المطلق في طلب هذه الضحايا على مذبح الخدمة . (ج) المسئولية التي قبلها المسيح على نفسه لأنه أقام نفسه كفيلا بكل رعاية وعناية لازمة لهؤلاء الحملان .

ان كل مسئولية تحمل معها امتيازها الحق ، وان كل واجب يحمل معه مكافأته الخاصة وضمانه الدائم . فاذا ما ذكرنا قوله « ها أنا أرسلكم كحملان بين ذئاب » فلنذكر أيضاً وعده « لا تخف أيها القطيع الصغير لأن أباكم قد سُرَّ أن يعطيكم الملكوت » (لو ١٢ : ٣٢) . ولا ننسَ القول المجيد « لان الحمل الذي في وسط العرش يرعاهم و يقتادهم الى ينابيع ماء حية و يمسح الله كل دمعة

حملان بين ذئاب ٤ لا تحملوا كيساً ولا مزوداً ولا أحـــذية ولا تسلموا على أحد في الطريق ٥ وأي بيت دخلتموه فقولوا أولاً

من عيونهم » (رؤيا ٧ : ١٧) . فاذا ماوجدنا في كلمات المسيح هذه ، تصريحاً خطيراً عن مخاطر الخدمة ، فان فيها أيضاً تصريحاً جليلا عن مقدار الثقة التي ينبغي أن تكون متوفرة لنا في فادينا . لان الآية التي تُختتم بالقول « حملان بين ذئاب » ، تُفتتح بالقول « ها أنا أرسلكم » *

تعليمات المسيح للسبعين (١٠ : ٤ ـ ١١) : راجع تفسير ٩ : ٢ ـ ٥). قصد للمسيح بمنعهم عن التسليم على الناس ، ألا يصرفوا الوقت في التحيات المجوّفة والمجاملات الكاذبة المملة التي اقضتها العادات الشرقية وقتئذ ، مخافة أن تجرهم هذه التحيات غير المنتجة الى تغيير خط السير الذي رسمه لهم الفادي . والعبارة « ابن السلام » عبرية في مبناها يراد بها الشخص الذي يحسب أهلاً لسلامهم فيقبله ، وإلا فسلامهم يرجع اليهم لانه يحمل معه مكافأة نفسه . فهو ليس كالماء المهراق الذي يذهب ضياعاً ، لكنه كالحمامة الوديعة تعود وفي فمها غصن الزيتون .

* يقول كليمانضس ان بطرس كان حاضراً وحين نطق المسيح بهذا التصريح فقال للمسيح: ولكن ماذا تعمل الحملان اذا مزقتها أنياب الذئاب؟ فكان جواب السيد « وماذا تخشاه الحملان بعد أن تكون الذئاب قد مزقتها ؟ لا تخافوا من الذين يقتلون الجسد » (متى ١٠ : ٢٨) ولكن هذا يفتقر الى الاثبات .

سلام لهذا البيت فان كان هناك ابن السلام يحل سلامكم عليه
وإلا فيرجع اليكم ٧ وأقيموا في ذلك البيت آكلين وشاربين مما
عندهم . لأن الفاعل مستحق أجرته . لا تنتقلوا من بيت الى بيت
٨ وأية مدينة دخلتموها وقبلوكم فكلوا مما يقدم لكم ٩ واشفوا

ان من قبل سلام هؤلاء الرسل فقد صار له سلاماً وبركة ، ومن رفضه فقد حرم نفسه من هذه البركة وردها الى الرسل بركة مضاعفة : بركة المعطي وبركة الرافض . ألسنا نرى من هذه الكلمات شيئاً عن طبيعة خدمة رسل المسيح انها خدمة مصالحة وسلام ؟ بلى . فهي خدمة مقتطعة من خدمة فاديهم الذي صنع بصليبه سلاماً بين السماء والارض وبين الناس والناس وبين الانسان ونفسه .

وفي قوله « أقيموا ... آكلين وشاربين ... لأن الفاعل مستحق أجرته »، قصد المسيح أن يحذر تلاميذه من: (ا) عادات الكتبة والفريسيين الذين كانوا يطوفون وقتئذٍ من بيت الى بيت ومظاهر العظمة تحيطهم وأبواق الدعاية الخادعة تتقدمهم. (ب) الحياء الكاذب. لان الفاعل مستحق أجرته وان ما يعطونه للناس ، اكثر بكثير مما يأخذونه منهم .

وقد نبه المسيح أذهان تلاميذه الى هذه الحقيقة . ان الذين رفضوهم لا ينجون من القصاص العادل وان تغافلوا عنه مثلهم مثل النعامة التي تدفن وجهها في الرمل عندما تلمح الصياد عن بعد ، اعتقاداً منها انها مادامت لا تراه

للرضى الذين فيها . وقولوا لهم قد اقترب منكم ملكوت الله ١٠ وأية مدينة
دخلتموها ولم يقبلوكم فاخرجوا الى شوارعها وقولوا ١١ حتى الغبار الذي
لصق بنا من مدينتكم ننفضه لكم . ولكن اعلموا هذا انه قد اقترب منكم
ملكوت الله . ١٢ واقول لكم انه يكون لسدوم في ذلك اليوم حالة
اكثر احتمالاً مما لتلك المدينة

فهو لا يراها . « حتى الغبار ننفضه » . ولكن اعلموا هذا انه قد اقترب منكم ملكوت الله . فان لم يقترب منهم الملكوت للعزاء ، فقد أقبل عليهم للقضاء

(عدد ١٢) يختم المسيح هذا التصريح بمقابلة بين سدوم و بين المدينة التي ترفض رسالة الانجيل . وقد ذُكرت سدوم لانها المثل الاعلى ـ أو الادنى ـ للشر والفساد في زمانها . وهي مع ذلك أخف حالا من المدنة التي ترفض انجيل المسيح . لانه على قدر سمو الامتيازات تثقل المسئوليات ، و بمقدار قوة النور تكون شدة الظلال . أخطأت سدوم ضد عدالة الله ، لكن المدينة التي ترفض الانجيل تخطىء ضد الرحمة ، رفضت سدوم رسالة ملاك الله لكن المدينة العصرية رفضت ابن الله . فكيف ننجو نحن أهملنا خلاصاً هذا مقداره ؟

ان « اليوم » المقصود هنا هو : إما (أ) يوم خراب أورشليم . (ب) أو يوم القضاء . سواء أكان في هذه الحياة ـ يوم يفتقد الله كل أمة ، أو يوم الدين حين يحاسب الله كل فرد .

١٣ ويل لك يا كورزين . ويل لك يا بيت صيدا . لانه لو صنعت في صور وصيداء القوات المصنوعة فيكما لتابتا قديماً جالستين في المسوح والرماد ١٤ ولكن صور وصيداء يكون لهما في الدين حالة أكثر احتمالا مما لكما ١٥ وأنت ياكفرناحوم المرتفعة الى

ويلات المدن التي رفضت الانجيل (١٠: ١٣ـ١٦): ليس بغريب أن المسيح الوديع الهادىء ، رب السلام وسيد السلام ، ينادي بالويل. فلايوجد لهيب أحر من لهيب الزيت الهادىء اذا اتقد . ان مسيح الفداء هو حمل الله الوديع ، ومسيح القضاء هو الأسد الخارج من سبط يهوذا . أفرغ المسيح ويلاته على ثلاثة بلاد : (١) كورزين وهي تبعد ١٢ ميلا عن كفرناحوم. لم يرد ذكر هذه المدينة إلا مرة اخرى في العهدين القديم والجديد (متى ١١: ٢١) وهذا ممايدلنا على صدق قول يوحنا البشير (يوحنا ٢١: ٣٠).(٢) بيت صيدا هذه قد صنع فيها المسيح معجزة اشباع الألوف الجائعة وشفى فيها مرضى كثيرين. (٣) وكفرناحوم هي التي أجرى فيها المسيح جلّ معجزاته والقول « المرتفعة الى السماء » قد يشير الى: (١) رفعة جغرافية لان كفرناحوم كانت مبنية على تل رفيع . أو الى (ب) رفعة مادية لأنها كانت عظيمة بتجارتها . أوالى: (ج) رفعة دينية لان المسيح أقام فيها مدة طويلة أجرى فيها معجزات كان وطنه محروماً منها.وقد يجوز أن نجمع هذه المعاني معاً. فعلى قدر ارتفاع درجات سموها كانت دركات انحطاطها وسقوطها « و بقدر الصعود يكون الهبوط » « والهبوط الى الهاوية » هو الهبوط الذي لا قيام لها من بعده . والتاريخ

السماء ستهبطين الى الهاوية ١٦ الذي يسمع منكم يسمع مني . والذي يرذلكم
يرذلني والذي يرذلني يرذل الذي أرسلني
١٧ فرجع السبعون بفـــرح قائلين يارب حتى الشياطين تخضع

نفسه أصدق برهان ، لأن هذه البلاد الثلاثة قد اندثرت معالمها ، وأمحت أسماؤها ، ولم تبق مكانها سوى اطلال بالية تحمل هذه الأسماء البالية « بيت كرزه » .. « وتل حوم » ...

هذه هي البلاد الثلاثة التي أضحى مصيرها أتعس من مصير صور وصيداء ، اللتين كانتا مضرب الأمثال في الفجور ، فتكلم عنهما الأنبياء قديماً بالويل والثبور ، وعظائم الأمور (اشعياء ٢٣ ، ارميا ٢٥ : ٢٢ ، ٤٧ : ٤ ، حزقيال ٣٦ : ٣-٧ ، ٨ : ٢٢)

يتوج المسيح هذا الفصل بتصريح عجيب يرينا مقدار ثقته العظمى بنفسه وشعوره بعظمة شخصيته ، لأن وراء أشخاص الرسل الضعاف ، شخصه العجيب ، ووراء شخصه العجيب يستتر اللاهوت بكماله . إذاً من رفض المسيح فقد رفض كل شيء وحكم على نفسه بالانعزال والسجن في ظلام تسوده وحشة ، ويخيم عليه الموت . هذا ادعاء عجيب ولكن أعجب منه انه قول حق صادر من الله « الحق » . فماذا أنت فاعل ؟ ؟

فرح التلاميذ الجزيل (١٠ : ١٧-٢٠) : أرسل المسيح رجاله السبعين وزودهم بقوة لشفاء الأمراض . لكنهم أثناء مأموريتهم وجدوا اكثر مما كانوا ينتظرون « حتى الشياطين تخضع لنا باسمك » . فلما حان وقت عودتهم ،

لنا باسمك ١٨ فقال لهم رأيت الشيطان ساقطاً مثل البرق من السماء

رجعوا الى السيد بفرح عظيم وقالوا بنغمة يمازجها الاعجاب والتعجب: «حتى الشياطين تخضع لنا». فكانوا ينتظرون، بحسب ما أوحت اليهم طباعهم الصبيانية غير المهذبة، أن يشاطرهم المسيح هذا التعجب: لكن المسيح طبيب الأرواح، قد صب ماء بارداً على عاطفة الفخر الثائرة فيهم، فأخمدها. لعله أن عنصراً خطراً قد اندس الى قلوبهم في هذا الفرح — هو «الفخر بالذات وتهنئتها بالنجاح الظاهر» فأفهمهم المسيح انه على علم وثيق بأخبار نجاحهم على التوالي مذ كانوا يخدمون لانه رأى الشيطان ساقطاً مثل البرق من السماء. وفي كلمات المسيح هذه نرى (١) اعلاناً (١٠: ١٨). (٢) وعداً (١٠: ١٩). (٣) وتحذيراً (١٠: ٢٠). ولقد تضاربت أقوال المفسرين في تحديد الوقت الذي رأى المسيح فيه الشيطان ساقطاً. فمن قائل (ا) ان المسيح الأزلي يتكلم عن رؤيا سقوط الشيطان الاول منذ الخليقة. (ب) ومن قائل ان المسيح في البرية رأى الشيطان ساقطاً بعد التجربة التي حاول بها اسقاط المسيح. (ج) ومن قائل ان المسيح في مجده على الجبل رأى الشيطان ساقطاً أمام مجد التجلي (د) ومن قائل ان المسيح رأى الشيطان ساقطاً وقتما كان تلاميذه يبشرون، كأن معركة فاصلة قامت بين رئيس المبشرين — يسوع، وبين رئيس الشياطين — إبليس، فصرع فيها الشيطان وولّت جنوده. ولا عيب في هذه الأقوال كلها وان كان الأخير أقربها. وهو قول مجازي على كل حال. فقط يهمنا أن نذكر أن سقوط الشيطان يتكرر ويتجدد فيكون سقوطه في كل مرة عربوناً لسقوطه النهائي عند انقضاء الدهور. وتشبيه الشيطان بالبرق في «سقوطه من السماء» تعبير

١٩ ها أنا أعطيكم سلطاناً لتدوسوا الحيات والعقارب وكل قوة العدو ولا يضركم شيء ٢٠ ولكن لا تفرحوا بهذا ان الارواح تخضع

غاية في الدقة والحكمة . فالسماء لا يراد بها مكان الرفعة والسلطان لان الشيطان هو « رئيس سلطان الهواء » (أفسس ٦ : ١٢) « والبرق » يمثل قوة الشيطان الخادعة الخلابة اللامعة التي تظهر ببهاء — الى حين — ثم تنطفىء الى الأبد

في عدد ١٩ يعد المسيح تلاميذه بالانتصار على الحيّات والعقارب — وهذه حشرات أرضية ترمز في مكرها وأذاها وفعل سمومها في الاجسام ، الى فعل الشيطان في دائرة الروح . وقد تم هذا الوعد حرفياً في أعمال ٢٨: ٣-٥ ان خادم الله خالد حتى تتم مأموريته .

ولان المسيح كان حريصاً على التلاميذ ، لئلا تأخذهم نشوة الطرب بالنجاح فينسوا خلاص أنفسهم ، لذلك حذرهم قائلا « لا تفرحوا بهذا ... بل افرحوا بالحري أي لا تفرحوا بالنجاح في الخدمة بل افرحوا بالحري بخلاص أنفسكم . لان النجاح لايدوم لكن كتابة الاسماء في سفر الحياة لن تمحى. ولان كثيرين من الذين يُخرجون الشياطين باسمه يقول لهم في اليوم الأخير «اذهبوا عني ماأعرفكم ». ومن يستطيع أن يحصي عدد الشياطين التي أخرجها يهوذا الأسخريوطي؟؟« فماذا ينتفع الانسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه ؟؟ والكلمة « بالحري » تفيد ان المسيح لم يمنع عن التلاميذ فرحهم بالنجاح في الخدمة لكنه نبه أذهانهم الى فرح أعمق . ان الفرح بالنجاح فيه شيء من عبادة النفس لكن الفرح بالخلاص ، فيه عبادة الله والشكر له تعالى

لكم بل افرحوا بالحري ان أسماءكم كتبت في السموات
٢١ وفي تلك الساعة تهلل يسوع بالروح وقال أحمدك أيها
الآب رب السماء والأرض لأنك أخفيت هذه عن الحكماء والفهماء

فضلاً عن هذا فان النجاح الظاهري في الخدمة لا يُعتبر مقياساً للنجاح الحقيقي . فكم من خادم يقضي حياته في مجاهل البلاد المظلمة بين أناس هم أقرب الى الوحوش منهم الى البشر ، فيختتم حياته بالاستشهاد . هذا في نظر الله أوفر نجاحاً من انسان ينام على الفراش الوثير وتسمعه الجماهير متعطشة متهللة. ان الله لا يحاسبنا على قدر نجاحنا بل على قدر أمانتنا . « نعمّا أيها العبد الصالح والامين ». والعبارة « كتابة الاسماء في سفر الحياة » مستعارة من لغة العهد القديم ، يراد بها سجل قضاء الله الغير المتغير (خروج ٣٢:٣٢و٣٣ ، اشعياء ٤: ٣ ، دانيال ١٢: ١ ، مزمور ٦٩: ٢ ، استير ١٠: ٢)

إذاً ليست المسيحية ديانة الحزن والكآبة بل هي ديانة الفرح والبهجة فلنحترس لانفسنا كيف نفرح و بماذا نفرح « لاتفرحوا بهذا ... بل افرحوا بالحري ».

فرح المسيح الفياض (١٠: ٢١ـ٢٤) : إذا كان المسيح رجل الاحزان فهو أيضاً رجل الابتهاج كما تحدثنا عنه هذه الآيات

ينفذ شعاع من النور ، الى قطعة من البلور ، فيتشعّ منها بلمعان دونه بهاء البرق الخاطف . كذلك قد تسامى فرح التلاميذ بنجاحهم فارتفع الى قلب المسيح الكبير الطهور ، فأضحى تهليلا « في تلك الساعة تهلل يسوع بالروح »

وأعلنتها للاطفال . نعم أيها الآب لأن هكذا صارت المسرة أمامك

يقول « بلومر » ان « الروح » هنا هو الروح القدس. فكما رجع المسيح من الاردن ممتلئاً « بالروح » وكما كان يُقتاد « بالروح » في البرية ، كذلك فرح في هذه المرة « بالروح ». ويقول « جودي » ان الاشارة هنا الى الروح الانسانية التي في المسيح بوصف كونه انساناً كاملا له جسد وروح ، بخلاف اللاهوت الحال فيه ، فتفيد العبارة « تهلل بالروح » انه ابتهج من أعماق قلبه . والكلمة « تهلل » قوية في استعمالها في الأصل اليوناني وهي تفيد طفرة السرور. هذا هو احساس السرور الذي ملأ قلب المسيح هنا ، كما أهاجه احساس الألم في (يوحنا ١١ : ٣٨ و ٤٣)

ونميل نحن الى الرأي الثاني

ان المسيح في تهلله نطق بمزمور جديد لان المزامير والتهليلات من أصل « هلل » . وفي هذا المزمور الجديد نرى : (ا) حمداً — « أحمدك أيها الآب رب السماء والارض » ان يسوع هنا ، بناسوته ، يوجه خطاب الحمد لله في صيغتين — احداهما مستمدة من صلة الله بالمسيح شخصياً — « الآب » وهذه صلة المحبة والوحدانية . والثانية صلة الله بالمخلوقات قاطبة « رب السماء والارض » ــ وهذه صلة القدرة والخلق. (ب) موضوع الحمد : تدبير الله الفدائي في اعلان حقائق الانجيل السامية ، العميقة ، لتلاميذه الذين يشبهون الاطفال فى بساطتهم ، وتسليمهم ، كما أخفاها عن الحكماء والفهماء في أعين أنفسهم. وواضح ان الله يستحق الحمد على ما أخفاه وعلى ما أعلنه . والمجد يرجع اليه تعالى في كلا الحالين « لسكي لا يفتخر كل ذي جسد أمامه » « حتى كما هو

٢٢ والتفت الى تلاميذه وقال كل شيء قد دفع الىّ من أبي . وليس أحد يعرف من هو الابن إلا الآب ولا من هو الآب إلا الابن ومن أراد الابن أن يعلن له

مكتوب من افتخر فليفتخر بالرب». هذا هو الاله الحقيقي الذي لا يُحمد على كلّ شيء سواه . (ج) تسليم المسيح ، ورضاه ، وسروره بارادة الآب الذي سُرّ بهذا أليس من الطبيعي أن تُسر ارادة الله بهذا ؟؟ وهل جزاء الكبرياء العقلية إلا الحرمان ، وهل مكافأة الوداعة الروحية سوى العرفان ؟

لم يفرغ المسيح من هذه التسبحة حتى وجه الى التلاميذ نظرتين — احداها الى التلاميذ عامة فكانت كسهم من النور ، كشف لهم مقدار قوته ومداها: (ا) «كل شيء قد دفع الىّ من أبي » ــ هذا وصفٌ جامع. (ب) «وليس أحد يعرف من هو الآب » هذا وصف مانع . لان بيده مفتاح الطريق الى الله لا بل هو الطريق نفسه الذي لا طريق سواه فليس بأحد غيره الخلاص. وهنا يرينا المسيح الفرق بينه و بين الذين يعرفون الآب عن طريقه. إن معرفته بالاب معرفة مباشرة، عميقة ، فوق الطبيعية ، غير محدودة، يستوحيها ما بين الاب والابن من صلة وتفاهم . ولكن معرفة الذين يعرفون الله عن طريق المسيح تقيدها إرادة للمسيح «ومن أراد الابن أن يعلن له » اذاً أشخاصهم ، ودرجة معرفتهم ، ونوعها ، معلّقة كلها على إرادة المسيح. فهو الطريق والحق والحياة. غير المسيح ، علّم الناس عن أقرب طريق الى الله. لكن المسيح قال « أنا هو الطريق ». سأل بيلاطس مستفهماً أو معترضاً «ما هو الحق »؟ لكن المسيح قال « أنا هو الحق ». قد يحدثنا

٢٣ والتفت الى تلاميذه على انفراد وقال طوبى للعيون التي تنظر
ما تنظرونه ٢٤ لاني أقول لكم ان أنبياء كثيرين وملوكاً أرادوا أن
ينظروا ما أنتم تنظرون ولم ينظروا وأن يسمعوا ما أنتم تسمعون ولم
يسمعوا ٢٥ واذا ناموسيّ قام يجربه

الفلاسفة عن أسرار الحياة ، لكن المسيح قال « أنا هو الحياة »

أما نظرته الثانية فقد القاها على تلاميذه الاخصاء « على انفراد » وشفعها بكلمة تهنئة لهم على العصر الذهبي الذي هم فيه وعلى ما رأته عيونهم من أمجاد كان يحلم بها أنبياء وملوك فلم تتحقق أحلامهم . ولعل الاشارة هنا الى داود وسليمان وغيرهم . وهنا يختتم متى هذا الفصل المجيد بقول المسيح « تعالوا اليّ ياجميع المتعبين والثقيلي الاحمال وأنا أريحكم »

فهل كان التلاميذ لهذه الأقوال مقدرين ؟ !

السامري الصالح (١٠:٢٥—٣٧)

نأتي الآن الى المثل الذي صار في نظر الأجيال « المثل الأعلى للتدين العملي » .

الظروف التي قيل فيها المثل (١٠:٢٥-٢٨): ان القادر أن يخلق نوراً من ظلمة والذي أخرج من الآكل أكلاً ومن الجافي حلاوة ، استطاع أن يخلق من « تجربة » الناموسي، فرصة القى فيها هذا الدرس الخالد على العالم أجمع . وكم من مرات تكون فيها قوات الظلام خادمة للنور وهي لاتدري !

قائلا يامعلم ماذا أعمل

كانت تجربة الناموسى وليدة الحسد الذي أكل قلوب الكتبة والفريسيين إذ رأوا المسيح وقد حاز نجاحاً باهراً ونال شهادة من الشعب انه « معلّم » في الناموس من غير أن يدخل « مدرسة المدراش » اليهودية . فنظروا الى هذا المعلم الجديد نظرتهم الى غريب اقتحم صفوفهم من غير استئذان

لا نستطيع أن نعين بالضبط الذي قيل فيه هذا المثل ولا زمانه . فهو كزيتونة برية ، أو كزنبقة نابتة في قلب الصحراء ، تستوحي جمالها من انفرادها بالجمال في قلب الرمال

كان المسيح كعادته يجول بين الناس صانعاً خيراً « واذا ناموسى قام يجربه » . والناموسى هو أستاذ في الشريعة حائز على درجة « العالمية » . يختلف عن « الكاتب » في ان الكاتب ينسخ الشريعة ولكن الناموسى يقوم بتفسيرها وتعليمها للناس

« قام ليجربه » كلمتان متناقضتان ! فيهما نرى صورة مصغرة لاخلاق الكتبة المتناقضة : « قام » ــ هذا أدب اجتماعي وحياء صناعي . « يجربه » ــ هذا خداع داخلي ينم عن قلب فاسد . والكلمة « يجربه » وردت مرة عن الشيطان في (لوقا ٤ : ١٢) فما أحقهم بهذا الوصف « لهم صورة التقوى لكنهم ينكرون قوتها »

وضع ذلك الناموسى « فخاً » علمياً أمام المسيح ليختبره من جهة معرفته واستعمل كل أنواع التأدب في القاء هذا الشرك فقال « يامعلم ماذا اعمل.. »

لارث الحيوة الأبدية ٢٦ فقال له ماهو مكتوب في الناموس

فأظهر بسؤاله هذا انه: (ا) يريد المزيد من النور: « ماذا ..». (ب) انه رجل عملي لا نظري: «ماذا أعمل». وكم هو صعب على معلم أن يقول «ماذا اعمل» وقد تعوّد بحكم وظيفته أن يقول ماذا أعلمْ وماذا « أعلّم». ألا ينم هذا السؤال عن حقيقة تسللت من بين طيات كلمات الناموسى وهو لا يدري ؟ وهي ان الدين اليهودي بكل مافيه من تعاليم وأنظمة قد ترك الانسان في شك تام من جهة خلاص نفسه، فأمسى قلقاً على نصيبه من ميراث الحياة الابدية ؟ يهيم الهندي المتصوف في غياهب طرقاته قائلا «أين الطريق»؟ ويجول الروماني تائهاً في مجاهل الافكار قائلا « أين الحق » ؟ ويتخبط اليهودي غارقاً في بحر من دماء ذبائحه وهو يقول «أين الحياة الأبدية»؟ وفي ملء الزمان جاء المسيح قائلاً للشرقي المتصوف، وللروماني، ولليهودي « أنا هو الطريق والحق والحياة »

ان القول « لأرث الحياة الأبدية » يدلنا على أن فكرة الناموسى في الحياة كانت فكرة جسدية مادية مشبعة بميراث كنعان الارضى . هذه كانت — ولا تزال — أمنية اليهودي . فهى رمز تمتعه بموعد الحياة الأبدية، الروحية في السماء .

لو كان الناموسى مخلصاً في سؤاله لأجابه المسيح جواباً صريحاً . ولكن علاّم الغيوب، وفاحص الكلى والقلوب، أجاب عن سؤال الناموسى بسؤال آخر فرد سهم ذلك المجرب الى صدره ـ حساً ومعنى ـ لان المسيح وجّه نظر الناموسى الى المكتوب في الناموس، والى الآية المقدسة المكتوبة على

كيف تقرأ . ٢٧ فاجاب وقال تحب الرب إلهك من كل قلبك
ومن كل نفسك ومن كل قدرتك ومن كل فكرك وقريبك

صُدرة ثوبه — وثوب كل نامومى آخر . وهي بمثابة الفاتحة عند المسلمين والصلاة الربانية عند المسيحيين : « اسمع يا اسرائيل الرب إلهنا رب واحد فتحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل قدرتك ومن كل فكرك (تثنية ٦ : ٥) أما الجزء الثاني فهو « وقريبك مثل نفسك » (لاويين ١٩ : ١٨) فلا يبعد أن يكون المسيح قد استدرج ذلك الناموسى بأساليب منوعة ، أوحت اليه أن يُردف الجزء الاول بالجزء الثاني فيجعلهما جواباً واحداً (متى٢٢ :٣٨ ومرقس١٣ : ٣٠) بهاتين الوصيتين يكمل الناموس والانبياء . فهما وصيتان متكاملتان بل هما مظهران لحقيقة واحدة ، وتعبيران لمبدأ واحد ـ المحبة : لله وللناس . كذلك كان لوحا الشريعة . فالمحبة لله هي نبع المحبة للناس والمحبة للناس. هي برهان المحبة لله

يتضمن الجزء الأول من الجواب (١٠:٢٧) أربع كلمات رئيسية مسبوقة كل منها بكلمة : كل : « من كل قلبك ... كل نفسك . كل قدرتك كل فكرك » . وهذه الكلمات تعيّن درجة المحبة وشدتها فالقلب هو النقطة المركزية في حياة الانسان التي منها تتفرع قواه الأدبية المثلثة : النفس هي مركز الاحساس والتأثر والقدرة هي مركز الارادة المؤثرة والمديرة. والفكر هو مركز القوة العاقلة المفكرة. فكأنما القلب أشبه شيء بساق شجرة ، منه تتفرع الاغصان. أو هو كجرم الشمس، منه تشع أنوارها. هذه هي المعاني التي تؤديها هذه الكلمات

مثل نفسك ٢٨ فقال له بالصواب أجبت . إفعل هذا فتحيا

للعقل اليهودي . فالقلب يحب الله ، فتحول النفس هذه المحبة الى عبادة ، فتحولها الارادة الى طاعة ، فيصيرها الفكر تأملاً واعجاباً وايماناً حياً

ما أجل الحكمة التي تسلح بها المسيح في رد سهم ذلك المجرب . كان سؤال الناموسى « ماذا أعمل لأرث الحياة » فكان مغزى جواب المسيح : ان العمل الذي يخلّص هو المحبة العاملة بالايمان وهو الايمان العامل بالمحبة . خلاصة قول المسيح : أحب فتحيا، لان المحبة والحياة تتبادلان القوة والتعاون ، كالحرارة والنور . فالحياة أصل المحبة ونبعها وتاجها ، والمحبة هي قلب الحياة وحياة الحياة . هنا يلتقي الناموس بالانجيل (رومية ٩ : ٣ و١٠ : ٥)

الكلمة المركزية في كلام الناموسى هي كلمة « أعمل » والكلمة المركزية في جواب المسيح هي « هذا »

وجد الناموسى في جواب المسيح مرآة صافية رأى فيها ذاته وقد وقع في الفخ الذي « نصبه » ليوقع فيه المسيح . لانه اقتنع ان سؤاله كان في غير موضعه. ولعل ضميره أنبه على تقصيره في القيام بهذه المطاليب أو بعضها . لذلك قصد أن يخرج من هذا المأزق الحرج بسؤال القاه على المسيح ليذري به رماداً يستتر وراءه فشله و يبرر به نفسه . ور بما كان يطمع في أن يقيم من سؤاله هذا فخاً جديداً يوقع فيه المسيح . لان اليهود كانوا يفهمون من كلمة «قريب» غير مايفهمه المسيح . «فالقريب واليهودي» عندهم كلمتان مترادفتان. أما كل ما عدا ذلك ، ككلمة السامري ، أو البربري ، أو اليوناني فهي كلمات متنافرة مع كلمة «قريب» . تنافر الماء مع النار .

٢٩ وأما هو فاذ أراد أن يبرر نفسه قال ليسوع ومن هو قريبي
٣٠ فاجاب يسوع وقال . انسان كان نازلاً من أورشليم الى أريحا

ما أبعد الاخلاص عن قلب ذلك الناموسي . لانه لو كان مخلصاً لاكتفى عند هذا الحد بالصمت . أو طلب من المسيح قدرة تمكنه من أن يحب الله والناس . لكنه بسؤاله هذا قد أساء الى المحبة نفسها لانه قصد أن يجعل للمحبة قيوداً لا تتعداها ، بقوله « فمن هو قريبي » . وقد فاته ان المحبة حرة طليقة كاشعة النور

واذا كان ذلك الناموسي قد أساء الى المحبة والى نفسه ، الا أنه بطريق غير مباشر ، قد أحسن الينا وهو لا يدري . فنحن مدينون له بسؤاله الذي أجرى هذا المثل الخالد على لسان المسيح

ما أقرب هذا المثل الى الحقيقة لان الاوصاف التي فيه أقرب الى الحقائق التاريخية الواقعية ، منها الى الاوصاف الوضعية الخيالية

الانسان المنكود (١٠ : ٣٠): فاجاب يسوع وقال « انسان » . عظيم هذا الفرق بين المسيح و بين الناموسي . فالناموسي يجعل شغله الشاغل كثرة التساؤل . « ماذا » ؟ « ولماذا » ؟ « ومن » ؟ لكن قلب المسيح مشتغل بالانسانية المعذبة فكانت أول كلمة في جوابه ـ « انسان » ! ! !

لم يذكر المسيح جنسية هذا الانسان . والمفهوم انه يهودي كان نازلا من أورشليم الى أريحا . « والنزول » هنا جغرافي ، لان أورشليم تعلو فوق سطح أريحا بمقدار ١٥٠٠ قدم: فضلاً عن ذلك فان الذهاب الى أورشليم يعبر عنه

فوقع بين لصوص فعرّوه وجرّحوه ومضوا وتركوه بين حي وميت
٣١ فعرض ان كاهناً نزل في تلك الطريق

دائماً بالصعود (أعمال ١٨ :٢٢) ومعنى «أريحا» المكان المطّر، وهي مدينة النخيل (تثنية ٣٤ :٣) واسمها الآن «ريحا» وهي تبعد عن أورشليم ١٩ ميلاً ويقول المؤرخون ان الطريق بين أريحا وأورشليم كان محفوفاً بالخطر حتى لُقب «بطريق الدماء». وكان من الطبيعي ان يكثر عدد اللصوص وقتئذ لأن أربعين ألف عامل من الذين كانوا يشتغلون في بناء الهيكل أيام هيرودس، أمسوا الآن عاطلين بغير عمل.

وقوع ذلك الرجل بين لصوص : (أ) «فعرّوه» ـ هذا اعتداء على ماله. (ب) «جرّحوه» ـ هذا اعتداء على شخصه. (ج) «مضوا وتركوه بين حي وميت» ـ هذا عدم اكتراث بحياته ونفسه.

ما عمله الكاهن عدد ٣١ : ـ كان الانسان الجريح على هذه الحال، فاتفق ان كاهناً كان نازلاً في تلك الطريق، وكان في الغالب ذاهباً الى بيته، لأن أريحا كانت موطن الكهنة حيث كان يسكن فيها اثنا عشر الفاً منهم، أيام المسيح. كانت أمام الكاهن فرصة سماوية ليعمل الخير لأن عرضيات الأرض توفيقات السماء. لكن هذه الفرصة الثمينة ولّت عنه وعبرت، ففاته ان يوفق بين الدين النظري والدين العملي. لانه كان يعتقد ان الدين والرحمة شيئان منفصلان. وقد فاته ان الدين هو الرحمة متعبِّدة وان الرحمة هي الدين خادماً

ما اكثر الأصوات التي كانت تناديه لإغاثة هذا المسكين، وما أقواها :

فرآه وجاز مقابله ٣٢ وكذلك لاوي* أيضاً إذ صار عند المكان

(ا) صوت الوطن كان يناديه لأن ذلك الانسان الجريح كان من جنسه .
(ب) صوت الرحمة كان يناجيه لأن ذلك الجريح كان مضرجاً بدمائه .
(ج) صوت الله كان يدعوه : « اني أريد رحمة لا ذبيحة » . (د) صوت الناموس كان يقرع أذنيه « لا تنظر حمار أخيك أو ثوره واقعاً في الطريق وتتغافل عنه » (تثنية ٢٢ : ٤) . لكنه صمّ أذنيه عن كل هذه الاصوات فلم يسمع صوت الانسانية لأن صوت الانانية كان أعلى . وربما أرضى ضميره بالقول انه أتمّ واجبه الديني في الهيكل ، وانتهت نوبة فرقته ، وقد نسي ان واجبه ملازم له ملازمة الظل ، وان ذلك الطريق هيكل ، واغاثة الملهوف عبادة . ولعله خاف من اللصوص لئلا يصيبه منهم ما أصاب ذلك الانسان ، او خاف أن يوقع نفسه في تهمة الاعتداء على ذلك الجريح إذا وجده الناس على مقربة منه ، أو حسب ان المساعدة لا تجدي الآن نفعاً بعد أن أشرف الجريح على الموت . قد يكون له بعض العذر في تصرفه هذا ، في نظر العالم ، لكنه بلا عذر أمام صليب المسيح الذي علّم الناس كيف تكون الرحمة .

مسكين ذلك الكاهن لأنه وهو كاهن رأى فعبر . فلو لم يرَ لم تكن له الخطية . وكم من المسئوليات توقعين علينا أيتها العين ؟ !

ما عمله اللاوي (عدد ٣٢) : كانت وظيفة اللاوي تنقص درجة عن وظيفة الكاهن . وكان ينتظر من اللاوي المتعود على خدمة الهيكل أن يكون قلبه عامراً بالرحمة فيقوم بخدمة لهذا البائس . لكن كل ما عمله ذلك

جاء ونظر وجاز مقابله ٣٣ ولكن سامرياً مسافراً جاء اليه ولما رآه تحنن ٣٤ فتقدم وضمد جراحاته وصب عليهما زيتاً وخمراً وأركبه

اللاوي انه « جاء ونظر » . ولعله كان سائراً على الجانب الآخر من الطريق فعبر الطريق وجاء ليرى . هـذا كل المجهود الذي قام به ـ ولكن لأجل نفسه . لكي يشبع غريزة « الاستقصاء الفضولي » المتمكنة منه . ويا ليته لم يخطُ هذه الخطوات التي حمّلته بالمسئوليات .

ما عمله السامري « ولكن سامرياً » (١٠:٣٣—٣٥) : نطق المسيح بهاتين الكلمتين ، فأبرقت عينا الناموسي وانفتحت أذناه عله يسمع ما يريد المسيح أن يقول عن ذلك الغريب المحتقر . وما كان أشد تعجُّبه حين رأى الدرجة الممتازة التي وضع المسيحُ فيها ذلك السامري . فلقد صور المسيح ذلك الرجل في صورة: (١) البطل المقدام : لأنه لم يخشَ أن تلتصق به تهمة الاعتداء على ذلك الجريح . فلو كان هنالك مجال للخوف من الوجود بجانب الجريح ، فراراً من الوقوع في تهمة الاعتداء عليه ، لوَجد ذلك الخوف مرتعاً خصيباً في قلب السامري . لأن الجريح يهودي وتهمة الاعتداء عليه ، تكون للسامري العدوّ اكثرَ ملابسة منها لأي شخص آخر . (ب) المحسن العطوف : لأنه حالما رأى الجريح « تحنن » . فكأنه قد جاد عليه بقطعة من قلبه قبل أن يجود عليه بماله . وكل من لا يسكب قلبه مع عطاياه ، يسيء الى نفسه والى عطاياه والى الله . وكل من لا يشفع عواطف قلبه بتقدمة من جيبه تصبح عواطفه هباء . (ج) رجل المروءة والشهامة : فلم يكتف بأن « تحنن » بل « تقدم » . ان

على دابته وأتى به الى فندق وأعتنى به ٣٥ وفي الغد لما مضى أخرج
دينارين وأعطاهما لصاحب الفندق وقال اعتن به ومهما أنفقت اكثر
فعند رجوعي أوفيك ٣٦ فأي هؤلاء الثلثة ترى صار قريباً للذي
وقع بين اللصوص

الذي يجود بحنان قلبه ، ويخاطر بحياته ، من السهل عليه أن يجود بما عنده . (د) الطبيب البصير : قام السامري بعمل الطبيب ، وقتئذ ، إذ صبّ « زيتا » ليرطب الجرح . « وخمراً » لتطهيره . هاتان هما المادتان اللتان كان يحملهما معه المسافر الى بلاد بعيدة ، ليكون له منهما ، غذاء ودواء . (هـ) العائل المدبر : « أتى به الى فندق واعتنى به » . ولم يفته أن يهتم بالتفصيلات الدقيقة لأنه قدم دينارين ــ أجرة عامل مدة يومين. (و) الكفيل الضامن : لأنه أوصى صاحب الفندق بان يعتني بالجريح مدة غيابه وعند رجوعه يوفيه كل ما أنفق عليه . (ز) المحب تفضّلاً : يمكننا ان نتحقق من هذا متى ذكرنا الصلة التي كانت ــ ولا تزال ــ بين اليهودي والسامرة . فاليهودي يكره السامري ويحتقره لدرجة انه كان يصلي الى الله أن لا يجمعه مع السامري في يوم الدين . وكان يحسب أن معاشرته للسامري تجرّ على رأسه وعلى ذريته الويلات والدمار . وكان يحسب إن أكل لقمة من رغيف السامري ، كأكل قطعة من لحم خنزير .

عدد ٣٦ أردف المسيح هذا المثل بسؤال « فأي هؤلاء الثلاثة ترى صار قريباً للذي وقع بين اللصوص ؟ » فكان بسؤاله هذا مقدماً أحسن جواب عن سؤال الفريسي « من هو قريبي » ؟ وكان أيضاً مهذباً لذلك السائل .

٣٧ فقال الذي صنع معه الرحمة .

لان السائل كان متمظاً ، يريد أن يعرف من هو قريبه ليحسن اليـه ، فجرحه المسيح في كبريائه . وكأنه قال له : هذا هو القريب الذي أحسن اليك باحسانه الى أحد أبناء جنسك .

جواب الفريسي (عدد ٣٧) : يظهر من جواب الفريسي انه لم ينزل بعد عن عرش عظمته وكبريائه . وكأن هذا المثل لم ينزع من قلبه بغضه للسامريين. لأننا كنا نرجو ان يجيب الناموسي عن سؤال المسيح بالقول « هو السامري » لأن هذا هو الجواب الطبيعي . لكنه عزَّ عليه أن ينجس شفتيه الطاهرتين !! بالنطق بهذه الكلمة: «السامري» فهرب منها وقال « الذي صنع معه الرحمة »

رسالة المثل : لم يوبخه المسيح على كبريائه الممتزجة بالحقد لـكنه اكتفى بأن نصح له بأن يذهب هو الآخر ويفعل هكذا . هذه صورة أخرى للقانون الذهبي القائل « كما تريدون أن يفعل الناس بكم افعلوا أنتم أيضاً بهم هكذا » . هذه هي رسالة المثل لجميع الناس على مرّ الأجيال . « ان علمتم هذا فطوباكم إن عملتموه » . لذلك قد أقام المسيح من ذلك السامري ، المثل الأعلى ، في المعروف ، والرحمة والاحسان .

مغزى المثل : توسع كثيرون من رجال القرون الأولى في تفسير هـذا المثل . وجاراهم في العصر الماضي الاسقف « ترنش » . وان يكن في تفسيرهم شيء من الاغراق لـكنه لا يخلو من الجمال واللذة والطرافة

قالوا ان الانسان المسافر هو البشرية الممثلة في آدم رأسها . هذا ترك

فقال له يسوع إذهب

أورشليم المدينة المقدسة السماوية . «ونزل فسقط» الى أريحا المدينة الامية المحكوم عليها باللعنة (يشوع ٦ : ٢٦ ، ١ملوك١٦ : ٣٤) وسرعان ما ترك المكان الرفيع الذي أوجده الله فيه حتى وقع في أسر الشيطان وجنوده . هؤلاء هم اللصوص القتلة (يوحنا ٨: ٤٤) الذين جرّدوه من ثوب البر الذي ألبسه الله إياه في الجنة . «فجرّحوه وتركوه بين حي وميت». حي: لأن له ضميراً يشعر وميت: لأنه غارق في الاوحال والشرور فلا يقوى على تخليص نفسه . أو هو حي بالجسد وميت بالروح. فجاءه الكاهن الذي يشير الى موسى ممثل الناموس ، لكن الناموس عجز عن تخليصه (غلاطية ٣: ٢١) وجاء اللاوي الذي هو من نسل هرون ممثل الفرائض الطقسية ، والذبائح ، فعجز عن تخليصه . الى أن جاء المسيح ، مسافراً ، غريباً في أرضنا. «فتحنن» على الانسان «الساقط» وأسعفه ، «بالزيت» الذي يمثل عمل الروح القدس، و « الخمر » رمز التضحية . والفندق يرمز الى الكنيسة، وصاحب الفندق يمثّل خدّام الكنيسة . ولما انتهت أيام سفر المسيح على الأرض ، ترك دينارين ـ أي الفريضتين: المعمودية والعشاء الرباني. الى أن يجيء هو في مجيئه الثاني الى الأرض فيحاسب خدامه ويجزل للأمناء منهم خير العطاء .

سواء أكان هذا مراد المسيح من هذا المثل أم لا ـ والغالب لا ـ فان هذا المثل يقدم للعالم درسين مهمين : أحدهما ان الانسانية لا تتجزأ في نظر الله وفي نظر المحبة ، ولو تفرقت الى أجناس وطبقات في نظر الناس . فاذا ما أثارت هذه الفوارق عاصفة المنافسة والمنازعة ، إلا ان وحدة الجنس البشري

أنت أيضاً واصنع هكذا

تُضرم وتُثير عاطفة المحبة المتبادلة بين البشر . ان هذه الفوارق الجنسية أشبه شيء بالفواصل التي تقوم حداً ونداً بين الجداول الصغيرة . لكن هذه الفوارق الضئيلة تغمرها مياه النهر عند فيضانه . ومهما ارتفعت هذه الفواصل فناطحت السحب ، لكنها لن تعلو الى السماء . لأن السماء تضحك من الفوارق الكثيرة التي يقيمها البشر لمصالح عالمية نفسانية ان للبشرية مخلصاً واحداً عنده تلتقي - هو المسيح الذي التقت عند صليبه لغات العالم الثلاث في ذلك الوقت . فاذا كانت « اسيا » في شخص اليهود قد « دبرت » فكرة الصليب، فان « اوربا » في شخص الرومان قد نفذته . وان أفريقا - في شخص سمعان القيرواني - حملته

الدرس الثاني : ان أعمال التضحية خالدة . نسي ذلك السامري نفسه ، فذكره العالم ، نزل عن دابته واعتنى بالانسان المسكين ، فرفعه العالم فوق عروش القلوب . ونحن وان كنا نجهل اسمه ، لكن لقبه وشخصه حاضران أمام الناس، وكم من مستشفيات وملاجيء شيّدها مثل ذلك السامري الصالح ! فما أحوجنا الى أن نرى في كل انسان قريباً ، وفي كل قريب أخاً ، فتتدرّب عيوننا على اكتشاف حاجات البشر وتعمى عن كشف عيوبهم . ان من يساعد انساناً على رفع حمله ، ومن يضمد جرحاً دامياً ، ومن ينشر شعاعاً من النور على حياة أظلمها المرض والحزن والخطية - هذا هو رجل الانسانية بل هذا هو رجل الله .

هـذا هو سر جمال المسيحية . كانت روما تفاخر العالم بفلسفتها

٣٨ وفيما هم سائرون دخل قرية فقبلته امرأة اسمها مرثا

لكنك لو عشت في ذلك العصر وجُلت من نهر الفرات الى المحيط الاطلسي ما وجدت في كل هذه المسافة الشاسعة ملجأ للعجزة ولا مستشفى للبائسين بل كنتَ تقابل في طريقك حصوناً وقلاعاً . لكن المسيح الذي جال في الجليل واليهودية مدة وجوده على الأرض بالجسد ، والذي تمشت آثارهُ في كل العالم ، قد أنبتت قدماه دور الرحمة والشفقة والحنان .

مريم ومرثا (لوقا ١٠ : ٣٨ — ٤٢)

نحن الآن في بيت مرثا ومريم ، في قرية « بيت عنيا » ومعناها بيت الألم والتعزية . وهي واقعة على منحدر جبل الزيتون ، شرقاً . هذه هي المرة التي زار فيها المسيح هذه القرية في عيد التجديد اليهودي ، الذي يقع عادة في الشتاء (ديسمبر) يوحنا ١٠ : ٢٢ و٢٣ .

ما أنسب موقع هذه الحادثة بالنسبة لما قبلها وما بعدها . فهي واقعة بعد الدرس الذي ألقاه المسيح على التلاميذ في العمل الطيب ، الذي اتخذ السامري الصالحَ مثلاً أعلى له، وقبل الدرس الذي ألقاه المسيح على تلاميذه في الصلاة والتعبد (لوقا ١١:١—١٢) . فكأن هاتين الاختين ـ مرثا ومريم ، قد أصبحتا حلقة اتصال بين العمل الطيب و بين الصلاة والتعبد ، فمرثا تمثل الخدمة والعمل الطيب بينما تمثل مريم التعبد والصلاة : الأولى تمثل المحبة خادمةً ، والثانية تمثل المحبة وادعة مطمئنة .

في بيتها ٣٩ وكانت لهذه أخت تدعى مريم التي جلست عند قدمي يسوع وكانت تسمع كلامه ٤٠ وأما مرثا فكانت مرتبكة في خدمة

(عدد ٣٨ و ٣٩) تمهيد. كانت مرثا - كما يستفاد من ذكر اسمها أولاً - ربة البيت. ومعنى مرثا «المرأة». فقبلت المسيح ورحبت به، وقد ظنها بعضهم - على غير أساس متين - انها كانت زوجة سمعان الأبرص (مت ٢٦: ٦ ومر ١٤: ٣) وان لعازر، ومريم - ومعناها الرفيعة - كانا يعيشان معها في البيت

يستفاد من كلمة: «التي جلست» الواردة في عدد ٣٩، ان مريم بدأت تعد الطعام اللائق بكرامة هذا الضيف الكريم، في ذلك العيد اليهودي. واذ عرفت مريم ان ما أعدته يكفي لهذا الضيف الابيّ النفس الذي لا يهتم بتناول «الطعام البائد» اهتمامه بتقديم الطعام الباقي للآخرين، جاءت وجلست عند قدمي المسيح لانها عرفت الحد الذي عنده تنتهي خدمة اليد، فتبتدىء خدمة القلب. هذا هو المكان الذي يتخذه التلميذ في حضرة معلمه بل هذه هي مكافأة الخدمة بعد إتمامها - الجلوس عند قدمي المسيح

(عدد ٤٠) كلام مرثا: كانت مرثا مرتبكة بأعصابها و بفكرها، في خدمة كثيرة، ور بما كان اشتغالها باظهار قيمة خدمتها والاعلان عن نفسها أعظم من اشتغالها بالخدمة نفسها، فتوقفت عن خدمتها، وخاطبت المسيح بكلام مرتبك ينطوي على: (ا) تعنيف لطيف للمسيح: «أما تبالي». (ب) شكوى من أختها: «حتى تركتني». (ج) اعلان عن خدمتها هي: «أخدم وحدي» (د) توسل: «فقل لها أن تعينني»

كثيرة . فوقفت وقالت يارب أما تبالي بان أختي قد تركتني أخدم
وحدي . فقل لها أن تعينني ٤١ فأجاب يسوع وقال لها مرثا مرثا
أنت تهتمين وتضطربين لأجل أمور كثيرة ٤٢ ولكن الحاجة الى

جواب المسيح (عدد٤١و٤٢) : خاطب المسيح مرثا ، فردد اسمها مثنى ، على مسمعها، ليستعيد اليها اطمئنانها. فاظهر لها: (ا) حقيقة خدمتها. انها خدمة اضطراب وارتباك « أنت تهتمين وتضطربين » والخدمة التي تُفقد الانسان اطمئنانه ، فلا يرتاح اليها ، هي الخدمة المزعجة التي يجب أن يتولّى عنها ! (ب) دائرة خدمتها : « لأجل أمور كثيرة » هذه خدمة زادت عن حدها وكل شيء زاد عن حده انقلب الى ضده. (ج) نموذج الخدمة المطلوبة: «الحاجة الى واحد » : وقد تكون الاشارة مبدئياً الى الماديات ، بمعنى ان أقل زاد يكفي . لكن كلمات المسيح هذه كالسهم الناري الذي ينفذ الى المدى البعيد : وهي تعني حقيقة روحية ممتازة وتشير الى الشيء الواحد الذي يطلبه الله وهو التعبد عند قدميه. (د) عمل مريم : «اختارت مريم النصيب الصالح الذي لن ينزع منها » ـ اختارت مريم نصيبها كما اختار موسى نصيبه (عب ١١ : ٢٥)، وكما اختار يشوع نصيبه (يشوع ٢٤: ٢٥)، فمع ان الله يوزع الأنصبة الاَّ أنَّـهُ لا يرغم أحداً على أخذها بل يترك له حرية الاختيار

والكلمة « صالح » لا تميز النصيب الصالح عن النصيب الرديء لكنها تميزه عن النصيب العادي. باعتبار كونه اكثر صلاحيَّة منه. ان خدمة المسيح أمر حسن في نفسه لكن الاستماع له، نصيب صالح. أن يجود الانسان للمسيح

واحد . فاختارت مريم النصيب الصالح الذي لن ينزع منها

بكد يديه ، هذا عمل جميل في ذاته . لكن قبول المسيح في القلب نصيب صالح . ان نصيب مرثا قد تُنزع منها لأن خدمتها تموت بموتها ، لكن نصيب مريم روحي خالد . كانت مرثا مخلصة في قصدها لكن مريم بلغت مرتبة أفضل منها لانها طبعت نصيبها بطابع الخلود

ما أحوج المسيحية الى مريم والى مرثا معاً.فكل واحدة منهما لها عملها الخاص . ان كنيسة كلها مريمات لا تقل في نقصها عن كنيسة كلها مرثات .

من رأي بعض المفسرين ان مرثا تمثل الديانة اليهودية القائمة على أعمال الناموس، فعجزت عن أن ترضي الله ، وان مريم تحمل نبوءة رمزية للمسيحية القائمة على الايمان بالله والطاعة لوصاياه والتسليم له . وفي هذا كل رضاه .

الاصحاح الحادي عشر

واذ كان يصلي في موضع

الصلاة (لوقا ١١ : ١ ـ ١٣)

(١) نموذج الصلاة (لوقا ١١:١ — ٤) . (٢) كيف تكون الصلاة (لوقا ١١ : ٥ — ١٣) :—

(أ) الصديق في نصف الليل (لوقا ١١ : ٥ — ٨) . (ب) المثابرة في الصلاة (لوقا ١١ : ٩ — ١٤) .

(١) نموذج الصلاة (لوقا ١ — ٤)

«واذ كان يصلي في موضع» . ليس في آداب اللغات أبرع من هذا الاستهلال الذي يفتتح به لوقا هذا الفصل المقدس الذي لقبته الأجيال بـ «هيكل الصلاة»

لماذا لا يحدثنا لوقا عن الزمان والمكان المتعلقين بهذه الصلاة ؟؟ وهل من مكان أو زمان يستطيع أن يحدد هيكل الصلاة ؟؟ الصلاة غير محدودة في علوها وفي عمقها وفي طولها وفي عرضها : فهي في علوها تسمو الى عرش الله الرفيع في السماء ، وفي عمقها تتصل بحاجات البشر الساقطين في مهاوي الأرض ومهادها ، وفي طولها تمتد مع الزمن وتسابق الأجيال وتسبقها ، وفي عرضها تتسع وتنبسط فتسجل دقات القلوب الكثيرة المنوعة المشارب والنزعات

يذكر لوقا الباعث الذي دفع التلاميذ الى أن يطلبوا الى المسيح — بلسان أحدهم — أن يعلمهم كيف يصلّون . كانت صلاة المسيح ناراً ألهبت

لما فرغ قال واحد من تلاميذه يارب علمنا أن نصلي

في قلوب تلاميذه الشوق الى التشبه بفاديهم وسيدهم في الصلاة . فاتخذوا من تدريب يوحنا تلاميذه على الصلاة ، وسيلة تقدَّموا بها الى معلمهم قائلين : « يارب علمنا أن نصلي كما علم يوحنا أيضاً تلاميذه ». اذاً قد حانت الساعة ليلقي المعلم العظيم درسه ، لان التلاميذ أضحوا متعطشين الى التعلُّم : «يارب علمنا » هذا اعتراف جديد منهم بلاهوته : « يارب » ، و بشريته : « علمنا كما علم يوحنا »

ربما كان التلاميذ يطمعون في أن يضع لهم سيدهم صورة، مرتبة،يتلونها في أوقات منظمة ، مرات معينة ، كتلاميذ يوحنا (لو ٥ : ٣٣) لـكن المسيح بـيَّن لهم ان الصلاة حالة اكثر منها صورة ، وانها روح اكثر منها كلمات . فليس المهمّ في ماذا يصلون بل « كيف يصلون »

لايحدثنا المسيح عن فلسفة الصلاة، ولايوضح لنا كيف يسمع الله الصلاة، ولا يكلمنا عن زمان الصلاة ولا عن مكانها لـكنه صلى وعلمنا أن نصلي . فوضع في يدنا مفتاح السماء اذ أعلن لنا أبوة الله

لم يقصد المسيح بهذه الصلاة أن تـكون قالباً حديدياً تفرغ فيه صلواتنا فتتحجر وتتجمد ، بل قصد بها أن تكون نواة ، منها تنبت صلواتنا وتتفرَّع. فكما ان البزرة تحوي كل امكانيات الشجرة ، كذلك تضم هذه الصلاة كل حاجات البشر على توالي السنين . إن نسبة هذه الصلاة الى الصلوات جميعها كنسبة النموذج الى البيت . فالبيت في بنائه كامن في خطوط تصميم النموذج ، والنموذج يتكمل و يظهر في البيت المشيَّد

كما علم يوحنا أيضاً تلاميذه

لُقِّبت هذه الصلاة «بالصلاة الربانية» نسبه الى الرب الذي وضعها . ويجوز أن تسمَّى بصلاة التلاميذ نسبةً الى الذين وضعت لهم

تتضمن هذه الصلاة مقدمة وطلبات (عدد ٣و٤): والطلبات فيها قسمان: أولها خاص بالله، يشاركنا في رفعه القديسون في السماء (عدد ٢) والثاني خاص بحاجات البشر فلا يصلح إلا لسكان الأرض . وفي هذا درس للانسان لكي يضحي بمصالح الارض في سبيل خدمة السماء . كذلك كان الناموس الموسوي قديماً — جانبه الاول خاص بواجبات الانسان نحو الله - هذه هي الوصايا المكتوبة على اللوح الأول. وجانبه الثاني خاص بواجبات الانسان نحو الانسان

في كل مقطع من هذه الصلاة يتمشى ضمير المتكلم الجمع — «نا»: «أبانا... خبزنا .. اغفر لنا» وفي هذا درس آخر للانسان لكي يضحي بنفسه في سبيل الآخرين . كل هذا على خلاف اتجاه قلب الانسان الطبيعي الذي يطلب الأرض قبل السماء ويقدم الآخرين على مذبح الأنانية والذاتية . فكثيراً ما نكون في صلواتنا كالعصافير التي تحوم في دائرة ضيقة حول خاصتها ثم تعود فتهبط الى عشها ، من حيث ابتدأت

ومن المهم أن نلاحظ الروح الذي تفيض به هذه الصلاة :

(ا) روح البنوة : «أبانا». (ب) روح الاخوة: «أبانا» (ج) روح المهابة: «الذي في السموات». (د) روح القداسة: «ليتقدس اسمك» (هـ) روح الكرازة والتكريس: «ليأت ملكوتك». (و) روح التسليم: «لتكن مشيئتك» (ز) روح

٢ فقال لهم متى صليتم فقولوا : أبانا الذي في السموات.

الاتكال : « خبزنا ... أعطنا » . (ح) روح القناعة : « خبزنا كفافنا » . (ظ) روح الاستغفار: «اغفر لنا ذنوبنا». (ي) روح الحذر: «لا تدخلنا في تجربة».

المقدمة (عدد ٢): « فقال لهم متى صليتم فقولوا أبانا الذي في السموات ». بهذا تقترب السماء من الأرض فتصير الأرض سماء . كان اليونان يلقبون الانسان «بصاحب النظرة العلوية» لاعتقادهم ان الانسان خُلق ليرفع عينيه وقلبه الى السماء. لكن ديانات الرومان والأمم عجزت عن أن ترفع الانسان الى الله لانها نادت بآلهة كثيرة . وما عجزت عنه ديانات الرومان والوثنيين من قبلهم، جاءت الديانة اليهودية فأتمته. لانها قضت على فكرة تعدد الآلهة فاعلنت للبشر وجود إله واحد « اسمع يااسرائيل الرب إلهنا رب واحد ». واليهودية في دورها فشلت في غرضها لانها صوَّرت الله للعالم في شكل الحاكم المطلق ، المخوف، المهوب، المتكلم من وراء السحاب ، والمتسربل بالضباب ، والمتسلح « بلهيب سيف متقلب لحراسة طريق الحياة ». وما عجزت الديانة اليهودية عنه جاء المسيح وأعلنه لنا مظهراً لنا اننا لسنا لله مجرد عبيد لكننا له أبناء : «أبانا»

قد نعثر في العهد القديم على آيات متناثرة تدلنا على ان الله آب لشعب اسرائيل كمجموع (تكوين ٣٢ :٦ واشعياء ٦٣ :١٦ وارميا ٤٣ :١٩ وملاخي ١ :٦ و ٢ :١٠) لكننا لا نجد في العهد القديم كلمة واحدة تُرينا ان الله آب للفرد . هذا هو الاعلان الجديد الذي جاء به المسيح فأعلنه لنا بتجسده ، وختمه بدم صليبه (يوحنا ١ :١٢ وغلاطية ٣ :٢١)

ليتقدس اسمك . ليأت ملكوتك .

في دعائنا الى الله بالقول : «أبانا الذي في السموات» نقر بأربعة أشياء على الأقل :(ا) قرب الله منا وثقتنا به: «ابانا».(ب) سمو الله عنا وطاعتنا له.. « الذي في السموات ». (ج) حبنا وامتثالنا له : «أبانا». (د) اخوَّة البشر . لاننا اذا كنا لله أبناء فاننا لبعضنا اخوة.

الطلبة الأولى :« ليتقدس اسمك ». يراد « باسم » الله بوجه عام كل ما تنطوي عليه شخصيته تعالى ، في الذات والصفات والتجليات . وكثيراً ما يستعيض اليهود بلفظة « الاسم » « هالشيم » عن النطق باسم الجلالة ، تخشعاً واحتراماً . لكن اسم الله هنا لايعني جوهر الله وذاته وصفاته من حيث هي، بل يشير الى مايعتقد به البشر ويتصورونه عن الله . لان اسم الله مقدس في ذاته لايحتاج الى تقديسه فيصلواتنا . ان غاية هذه الطلبة هي أن يقدس البشر هذا الاسم في قلوبهم وعلى ألسنتهم وفي حياتهم وتصوراتهم (لاويين ٢٢ : ٢و٣ واشعياء ٢٩:٢٣ وحزقيال ٢١:٣٦-٢٣).

ان المسيح هو الشخص الأوحد الذي انعكس عليه نور الله انعكاساً صافياً من غير ظل فقيل عنه « لان اسمي فيه »(خروج ٢٣ ٢٤)

امام نور هذه الطلبة ترفع الوثنية أجنحتها وتطير هاربة

الطلبة الثانية :« ليأت ملكوتك » . هذه هي النتيجة الطبيعية للطلبة الأولى. لأنه متى صار اسم الله مقدساً فيقلوبالبشر وعلى ألسنتهم فان سلطانه يمتد ونفوذه يُنشر على العالم أجمع

لتكن مشيئتك كما في السماء كذلك على الأرض ٣ خبزنا كفافنا

يراد بامتداد ملكوت الله ، بسط سلطانه على المجتمع . وهذا نتيجة نشر نوره في القلوب وتسلطه عليها. ان لهذه الطلبة معنيين . (أ) أحدهما انتشار كلمة الله وسلطانه في هذه الحياة : «ها ملكوت الله داخلكم»—هذا هو المعنى الأساسي . (ب) والثاني خاص بمجيء ملكوت الله عند اتمام مقاصده حيث نرى السماء الجديدة والأرض الجديدة . قابل (زكريا ١٤: ٩ مع رؤيا ١١: ١٥ ، ١٢: ١٠) .

يقول التلمود ان كل بركة تخلو من ذكر الملكوت لا تحسب بركة على الاطلاق.

الطلبة الثالثة « لتكن مشيئتك كما في السماء كذلك على الأرض » .

متى امتد ملك الله على الأرض وتأيد ، فان ارادته لا محالة سائدة . لأن البحر يصطبغ بزرقة الجلد الذي يشرف عليه . وقد ردد التلاميذ هذه الصلاة مرات عديدة : منها ما جاء في اعمال ٢١: ١٤ .

ان القول « لتكن مشيئتك » ينطوي على القول « لا ارادتي انا » وفي هذا حمل الصليب .

من الطلبات الخاصة بمجد الله ننتقل الى الطلبات الخاصة بالبشر . وهذه أيضاً مثلثة : الأولى خاصة بحاجات الجسد : «خبزنا كفافنا أعطنا اليوم»— هذه تتناول الحاضر . والثانية خاصة بخطايانا وغفرانها ـ «واغفر لنا خطايانا» هذه تتناول الماضي . والثالثة روحية أيضاً خاصة بالتجارب وابتعادنا عنها : « لا تدخلنا في تجربة » ـ هذه تتناول المستقبل .

اعطنا كل يوم ٤ واغفر لنا خطايانا لأننا نحن أيضاً نغفر لكل

غاية الطلبة الأولى ان يُعطَى الجسد حقه الواجب من الحياة لكي يتمكن الانسان من القيام بواجباته الروحية: «خبزنا كفافنا» والاشارة هنا الى غذاء الجسد ثم الى غذاء الروح فيما بعد ، عن طريق التطبيق . والمراد بالكفاف ما يكفّ عن الناس ويغني . هذا تعبير عبري تُرجم في سفر الأمثال « خبز فريضتي » اي الخبز الذي فرضه لي الله في الحياة لأحيا به . وفي اللغة الأصلية « خبز حقي » اي الخبز الذي هو حقي من الله في الحياة (قابل امثال ٣٠:٨ مع أيوب ١٢:٢٣) . وقد ترجمت ايضاً الى : «خبز الغد» اعطنا اليوم . على اعتبار انها صلاة مسائية

والكلمة « اعطنا » تفيد الاستمرار المتجدد . أو ليس من صالحنا ان نطلب من الله خبز كل يوم بيومه ليكون «جديداً» كل صباح. أليس لخيرنا ان يتجدد كل يوم خبزنا ؟ فيتجدد معه ايماننا كل صباح ؟ (خر ١٦:٢٤) .

الطلبتان : الثانية والثالثة : ان شعور الانسان بعجزه عن سد مطاليب جسده يشفعه شعور عميق بثقل خطاياه واحساس بجرمها وسلطانها . فالطلبة الثانية تعالج جرم الخطية «اغفر لنا خطايانا» والكلمة «خطية» يعبر عنها متى «بالدّين » لان كل خطية هي تعدٍ على شريعة الله وكل تعدٍ يجلب علينا ديناً له تعالى ومن يقدر ان يكفّر عن هذا الدين سوى الله الذي اليه أذنبنا واليه وحده نحتكم . والكلمة « اغفر » من اصل عبري « كفر » اي غطى وستر . وقد استعملت لأول مرة في سفر التكوين ١٤:٦ بمعنى « طلى » وتدرجت في المعنى

من يذنب الينا . ولا تدخلنا في تجربة لكن نجنا من الشرير

حتى اشتُقت منها كلمة « الغطاء » في قدس الاقداس. ومنها الكفارة وهي ستر الخطايا بدم المسيح.فالصلاة الربانية اذاً عامرة بروح الصليب و بقوته وان كانت خالية من ذكره لفظاً . والكلمة «لاننا» لا تفيد ان غفراننا لذنوب الآخرين هو علة غفران الله لخطايانا ، بل هي حجته. ومقياسه ــ مع الفارق . كأننا نقول لله : اذا كنا ونحن اشرار نشعر بميل ، ولو ضئيل ، فينا ، لأن نغفر للآخرين الذين يذنبون الينا،فكم يكون ميلك اللهمّ الى مغفرة ذنوبنا، وأنت الكامل في ذاتك وفي صفاتك،لان الشعاع الضئيل الذي فينا مستمد من نور سناك . قد استخدم المسيح هذه الحجة في عدد ١٣ .

والطلبة الثالثة تعالج الخطية في قوتها التي تجتذبنا بها الى التجربة . فالغفران الحقيقي يقود الى التقديس الحقيقي . ان لهذه الطلبة جانبين:احدهما سلبي : « لا تدخلنا » وهذا ــ طبعاً ــ لا يتعارض مع القول « احسبوه كل فرح يا اخوتي حينما تقعون في تجارب متنوعة» (يعقوب١ :٢).لان التجربة التي يشير اليها يعقوب هي التمحيص والاختبار كالوقوع في:(١) فقر من جهة الحكمة (يعقوب ١:٥) . (ب) أو فقر في المادّة (يعقوب ١:٩). (ج) او الوقوع في اضطهاد . (يعقوب ٢:٦و٧) . وجانبها الثاني إيجابي:«لكن نجنا من الشرير» اي الشيطان المجرّب. هذه طلبة تحمل معها التزامها الخاص،لان الذي يطلب من الله ألاّ يدخله في تجربة ينبغي ان يكون هو أول الهاربين منها . « والقادر ان يحفظكم ... احفظوا انفسكم» (يهوذا ٢٤و٢٢) .

ثم قال لهم من منكم يكون له صديق ويمضي اليه نصفَ الليل ويقول له يا صديق اقرضني ثلثة أرغفة ٦ لان صديقاً لي جاءني من

كيف تكون الصلاة (لو ١١:٥—١٣)

بعد أن رسم المسيح للتلاميذ نموذج الصلاة انتقل بهم الى درس آخر فأراهم كيف تكون الصلاة ـ في التعطش والتشوق. واوضح لهم هذا الدرس (١) بمثل الصديق اللحوح (١١:٥ ـ ١٠). وثبَّته: (٢) بحجة مستمدة من الحنان الأبوي البشري (١١:١١و١٢) ودعمه: (٣) بالاستشهاد بجودة «الآب الذي من السماء» : (١١:١٣).

(١) مَثل الصديق اللحوح (١١:٥ ـ ٨) ان موقف هذا الصديق مما لا يُحسد عليه. فقد رأى نفسه بين صديقين ـ الصديق الأول لم يعرف حدود الصداقة ـ وهل للصداقة حدود ؟ فجاءه في وقت متأخر من الليل، وواجب الضيافة الشرقية السمحاء يقضي عليه بأن يُعد لضيفه ما لا طاقة له به، الآن. فلا طعام في البيت والحوانيت مغلقة والصديق الثاني لا يرعى حرمة الصداقة. فهو رجل مطمئن في بيته، ناعم في فراشه مع أولاده، على جانب من النعيم واليسار، غارق في بحر من حب الذات والانانية والترَف.

مسكين ذلك الرجل الذي وقع نصيبه بين هذين الصديقين. فتراه بينهما متسلحاً بسلاحين: احدهما سلاح اللجاجة وقد اضطره لحمله ضيف الظلام. وثانيهما سلاح الثقة. بهذين السلاحين، تقدم الى صديقه الناعم البال وحجته في هذا: (أ) انه مضيف، لا مستدين ولا هو طالب ما لنفسه. (ب) وانه يلتجيء

سـفر وليس لي ما أقدم له ٧ فيجيب ذلك من داخل ويقول لا
تزعجني . البـاب مغلق الآن واولادي معي في الفراش . لا اقدر ان
أقوم وأعطيك ٨ أقول لـكم وان كان لا يقوم ويعطيه لـكونه صديقه

الى صديق ليكرم صديقاً آخر . (ج) وانه يطلب الـكفاف : «ثلاثة ارغفة». وهذا اقل ما يقدم لضيف ـ رغيف منها ، يوضع امام الضيف والثاني امام المضيف ، والثالث «للملاك المائدة» كما كان يعتقد بعض التلموديين .

ومن الغريب ان الصديق اللحوح يقول للصديق الغني « يا صديق » لـكن الغني يبخل عليه بهذا اللقب ويكتفي بان يقول ـ من داخل ـ « لا تزعجني » . فالاغنياء يحسبهم جميع الناس اصدقاء ، والفقير قلما يجد من يتبرع له بهذه النسبة . وكم من صديق له ، بسبب فقد المال قد عاداه . واذا استطاع الصديق الثاني ان يتغاضى عن الصداقة ومطاليبها،فلن يستطيع ان يصم اذنيه عن اللجاجة وضروراتها . والـكلمة المترجمة « لجاجته » قوية في تعبيرها في اللغة الاصلية . ولم يرد ذكرها في العهد الجديد غير هذه المرة . هذه هي اللجاجة التي اقتدرت على الصديق الناعم البال فأقامته من فراشه . فـكيف لا تقتدر مع الآب الذي لا ينعس ولا ينام ، الذي هو اكثر رغبة في العطاء ، مِنّـا في الأخذ ؟ فاللجاجة اذاً لا تستعطفه ليعطينا لـكنها تجهزنا لنوال بركات الله العظمى والثمينة لان بركاته اشبه الأشياء بالثمار ، لها أوانها الخاص ، ومتى حل اوانها فان الرب يسرع بها .

يوجد فرق بين تـكرار الـكلام باطلاً في الصلاة . و بين اللجاجة التي تأبى

فانه من أجل لجاجته يقوم و يعطيه قدر ما يحتاج ٩ وأنا اقول لكم
اسألوا تعطوا . اطلبوا تجدوا اقرعوا يفتح لكم ١٠ لان كل من
يسأل يأخذ . ومن يطلب يجد . ومن يقرع يفتح له ١١ فمن منكم

ان تسمع كلمة «لا» ، فترفض الرفض ، وتنفي النفي ، وتأبى الإباء !!!

تطبيق عملي (٩و١٠) ما اجمل الوصية المثلثة التي استمدها المسيح من ذلك المثل (عدد ٩و١٠) ! (ا) «اسألوا». (ب) «اطلبوا». (ج) «اقرعوا.». هذه الثلاث الكلمات اشبه الأشياء بدرجات سلم نرتقي عليه في الصلاة (ا) «فالسؤال» هو مجرد التعبير عن رغباتنا بالكلام ـ هذه صلاة العقل. (ب) « اطلبوا » هذا هو الطلب المصحوب بتشوّق والمشفوع باجتهاد ـ ولعل الاشارة هنا الى البحث عن بيت الصديق في الظلام . ومن يطلب الله في ظلمة الخطية لا بد ان ينال العون في حينه ـ هذه صلاة الرغبة والعاطفة . (ج) « اقرعوا » : هذه هي صلاة التعطش المصحوب بعزيمة قوية صادقة ـ فهي صلاة العزيمة والارادة ، هي الصلاة التي تخرج معها من الانسان قوة ، هي الصلاة التي تستنزل على الانسان كل هبات السماء .

ان كل درجة من هذه الدرجات المثلثة تحمل معها جوابها . « اسألوا تعطوا. اطلبوا تجدوا اقرعوا يفتح لكم» . من حق كل فم مفتوح ان يُملأ وان يُملأ على قدر ما يُفتح. «أفغر فاك فأملاه». «يقوم و يعطيه قدر ما يحتاج»

(٢) حجة مستمدة من الحنان الابوي البشري (١١: ١١و١٢) قصد المسيح ان يستمد من معاملة الآباء الارضيين لاولادهم ، قياساً ـ مع الفارق ـ لمعاملة

وهو أب يسأله ابنه خبزاً أفيعطيه حجراً . أو سمكة أفيعطيه حية بدل السمكة ١٢ أو اذا سأله بيضة أفيعطيه عقرباً ١٣ فان كنتم وأنتم

«الآب الذي من السماء» لأبنائه الروحيين . فاذا كان الاب الارضي يجيب طلبات اولاده الضرورية،فان الآب الذي من السماء يفعل ما هو افضل وأبقى. «فالخبز» . «والسمك» .. «والبيضة» هي طعام الرجل العادي.ومتى طلبها ابن من أبيه الجسدي فان الاب : (١) لا يخدع ــ مع ان هذا في امكانه لان الحجر المستدير يشبه الرغيف المستدير (لوقا ٤:٣) ولا فرق في الشكل الخارجي بين حيَّات البحر التي هي نوع من السمك ، و بين حيَّات البر المؤذية بسمومها. والعقرب متى انطوت صارت في هيئتها قريبة من البيضة.(ب)وهو لا يُعطي ما لا ينفع . فهو لا يعطي الحجر بدلا من الخبز (ج) وهو لا يعطي ما يؤذي و يلسع «أفيعطيه عقرباً» .

وكم من ولد جاهل يرفض الخبز الذي بين يديه فيشتهي الحجر البعيد عنه و يطلب من أبيه ان يستعيض عن هذا بذاك ! لكن الاب احكم من ان يجيب هذا الطلب السخيف. فهو يعطي الابن ما يحتاج ولو منع عنه ما يطلب .

(٣) حجة مستمدة من جودة الآب السماوي (١١: ١٣) «فان كنتم.. فكم بالحري الآب الذي من السماء» ــ بهذا يقدم لنا المسيح ضماناً باستجابة صلاتنا مستنداً في ذلك الى :

(١) سمو الآب الذي «من السماء» على الاباء الارضيين ، (ب) فضل هبات الله السماوي على هبات الاباء الارضيِّين.لان هبات الارضيين زائلة،

أشرار تعرفون أن تعطوا أولادكم عطايا جيدة فكم بالحري الآب الذي من السماء يعطي الروح القدس للذين يسألونه .

١٤ وكان يخرج شيطاناً وكان ذلك أخرس . فلما أخرج الشيطان تكلم الأخرس فتعجب الجموع ١٥ وأما قوم منهم فقالوا ببعلزبول

تنتهي عند شبع البنين لكن الله يُعطي « الروح القدس » . هذا هو عطية العطايا وقلب الهبات ونبع الخيرات (مت ٧: ١١) .

هذه إحدى المرات التي اختص فيها لوقا بذكر « الروح القدس » .

الفريسيون المجدفون (لوقا ١١: ٢٤ ـ ٢٦)

شعاعٌ من النور ، تراه عين مسافر ، فتبتهج به،لانه ينير أمامها سبيلها . وتراه عين مريضة ، فتنزعج وتضطرب ، لانه يهيج ما كمن فيها من ألم . كذلك معجزات المسيح .

أمامنا انسان أخرس مجنون (متى ٩: ٣٢) . أخرج المسيح منه الشيطان ، فتكلم الأخرس،فأثارت هذه المعجزة: (ا) تعجب الجموع (عدد ١٤) ـ هذا إحساس سطحي أجوف ، كسحابة الصيف السريعة الزوال. لكنه على رغم ذلك إحساس بريءٌ من عوامل الحسد والبغضاء . وأثارت أيضاً (ب) عداء قوم آخرين قد أكل الحقد قلوبهم،فلما أعيتهم الحيلة وعجزوا عن إنكار معجزات المسيح،لم يعدموا وسيلة بها يسيئون تعليل هذه المعجزات . فقالوا انه « ببعلزبول رئيس الشياطين يخرج الشياطين» هذا هو سلاحهم الدنيُّ الذي قصدوا به

رئيس الشياطين يخرج الشياطين ١٦ وآخرون طلبوا منه آية من

ان ينالوا من المسيح. فلم يكتفوا بان يقولوا ان له سلطاناً على بعلزبول ليخرج به الشياطين—مع ان هذه تهمة شنيعة في ذاتها. لكن العبارة، في الأصل، تفيد انهم عزوا الفوز والانتصار الى بعلزبول الساكن فيه. كأنهم حسبوا «قدوس الله» آلة في يد رئيس الشياطين! هذه هي الصورة المشوهة التي رسموها للناس عن شخص المسيح «الذي حل فيه كل ملء اللاهوت جسدياً». هذه هي خطية التجديف على الروح القدس والكلمة «بعلزبول» معناها «إله المزابل» أو «إله المساكن» وهي الصيغة الأرامية للكلمة «بعل زبوب» إله الذباب عند العقرونيين (٢ مل ١: ٣) وهو الاله الذي كانوا قديماً يعتقدون ان فيه القدرة على طرد الذباب من المنازل. قد أثارت أيضاً هذه المعجزة: (ج) ميلاً شيطانياً في قوم آخرين. فقاموا ليجربوه. والكلمة «يجربونه» التي قيلت هنا عن هؤلاء القوم، قيلت أيضاً — في الأصل — عن ابليس (لوقا ٤: ١٣).

طلب هؤلاء «الآخرون» من المسيح «آية من السماء» ولعلهم كانوا متفقين مع سابقيهم في دعواهم، ان معجزات المسيح كانت تتم بقوة من أسفل. لذلك طلبوا آية من «السماء» أي تستمد سلطانها ومصدرها ومظهرها من السماء. كالنار التي أتى بها إيليا قديماً من السماء. و يفهم أهل التلمود من «الآية التي من السماء» معجزة خارقة، لم يقو موسى ولا أي زعيم أرضي أن يأتي بمثلها

هذه صورة جديدة للتجربة الثالثة التي صادفت المسيح في البرية. كأن الناس في محاولتهم ان يلصقوا بالمسيح تهمة دنيئة، أوقعوا أنفسهم في ما هو أدهى وأشر

السماء يجربونه ١٧ فعلم أفكارهم وقال لهم كل مملكة منقسمة على ذاتها
تخرب . وبيت منقسم على بيت يسقط ١٨ فان كان الشيطان أيضاً
ينقسم على ذاته فكيف تثبت مملكته . لانكم تقولون اني ببعلزبول

اذ جعلوا انفسهم آلة في يد الشيطان ، وبُوقاً في فمه . فردَّدُوا به على المسيح صدى التجربة الثالثة في البرية .

لم يجبهم المسيح الى طلبهم ، لاعتقاده ان القلوب المتسلحة بنيَّة عدم الايمان لا تجديها المعجزات نفعاً : بل تتراكم عليها المسئوليات (لو ١٦ : ٣١) . فضلا عن ذلك فان المسيح لم يعمل قط معجزة ليرضي بها «المتفرجين» ، ولا ليسوق بها الناس الى الايمان به سوقاً وقسراً ، لكنه كان يجتذب الناس اليه بقوة اللطف ، واللين ، والمحبة ، والاقناع .

جواب المسيح (١١ : ١٧ — ٣٢) يقع جواب المسيح في دورين مهمين : احدهما (١١ : ١٧ — ٢٦) . وثانيهما : (١١ : ٢٩ — ٣٢) .

(١) كان جوابه في الدور الاول : (ا) ناقضاً لافترآتهم هادماً لاوهامهم (١٢ : ١٧ ـ ١٩) . (ب) ومعلناً لهم سر قوته (١١ : ٢٠ ـ ٢٦) .

(ا) علم علام الغيوب أفكار قلوبهم الخبيثة فقدَّم لهم جواباً حكيماً ، معقولاً ، متيناً ، مبنياً على الاستقراء والاستنتاج ، مستنداً الى المنطق الصحيح : إذ أثبت لهم : (ا) أن الشيطان وان يكن شريراً لكنه ليس بجاهل . (ب) ان الشيطان وان كان يزرع بذار الخصام في صفوف غيره ليخربها ، لكنه حريص على زرع عوامل الاتحاد في صفوفه . لان الانقسام انتحار أدبي .

أخرج الشياطين ١٩ فان كنت أنا ببعلزبول أخرج الشياطين فأبناؤكم
بمن يخرجون. لذلك هم يكونون قضاتكم. ٢٠ ولكن ان كنت

«كل مملكة منقسمة على ذاتها تخرب. و بيت منقسم على بيت يسقط. فان كان الشيطان أيضاً ينقسم على ذاته فكيف تثبت مملكته. لانكم تقولون اني ببعلزبول أخرج الشياطين».

لا شك أنهم نخسوا في قلوبهم حين وجه المسيح اليهم هذا السهم: «فان كنت أنا ببعلزبول أخرج الشياطين فابناؤكم بمن يخرجون لذلك هم يكونون قضاتكم». هذا سؤال جارح بلطفه، جامع بحكمته. لانه أوقف أبناءهم موقف المتهمين: «بمن يخرجون»؟ وموقف القضاة ـ «هم يكونون قضاتكم» أي الآن، وفي يوم الدين (لوقا ١١: ٣١و٣٢).

يقول يوسيفوس المؤرخ اليهودي أن سحرةً كثيرين كانوا يعيشون في ذلك الوقت. هؤلاء هم الذين يعنيهم المسيح بقوله «أبناؤكم». والكلمة «يخرجون» لا تفيد أن المسيح مسلّم بأن لابنائهم قدرةً على إخراج الشياطين، لكنّه استمدّ من زعمهم حجةً عليهم.

(ب) إعلان سر قوة المسيح: (١١: ٢٠—٢٦): يترتب على الدور الأول من جواب المسيح نتيجتان منطقيتان: احداهما ان المسيح يخرج الشياطين بروح أعلى—هذا هو الروح القدس (متى ١٢: ١٨). والكلمة «اصبع» تفيد السهولة التي بها يخرج المسيحُ الشياطين. لأن هذا العمل ليس بالعظيم الذي تُستخدم فيه ذراع الله، ولا يد الله، بل أصبع الله تعالى. والنتيجة الثانية

بأصبع الله أخرج الشياطين فقد أقبل عليكم ملكوت الله ٢١ حينما يحفظ القوي داره متسلحاً تكون أمواله في أمان

واقعة عليهم لأنهم برفضهم المسيح،قد حرموا أنفسهم من بركات ملكوت الله قصيروا أنفسهم من ضحاياه: «فقد أقبل عليكم ملكوت الله» لأن المسيح باخراجه الشياطين قد هدم ملكوت إبليس وأقام على أنقاضه ملكوت الله. فمن قبل المسيح فقد أضحى من أبناء الملكوت، وأصبح له الملكوت نوراً (يوحنا ١: ١٤) ومن رفض المسيح، فقد أمسى من أعداء الملكوت، فصار عليه الملكوت ناراً آكلة، للدينونة والقضاء (عبرانيين ١٠: ٢٧).

ان مواكب الملكوت تسير مسرعة لتنفيذ قضاء الله. والويل كل الويل لمن يقف في طريقها.

أوضح المسيح حقيقة معجزاته، وأعلن سرها إذ نطق بكلمتين أفرغهما في قالب مثلين. فالمثل الأول (١١: ٢٠ ــ ٢٢) يصور لنا الخلاص الكامل الذي يقدّمه المسيح،بكسره شوكة الشيطان «القويّ» وتجريده من أسلحته. والمثل الثاني (١١: ٢٤ ــ ٢٦) يصوّر الشفاء الناقص،أو شبه الخلاص،النصفي، والسلبي، الذي يقوم به أبناء الفريسيين ومن على شاكلتهم. و بين المثلين فاه المسيح بكلمة حكيمة مجيدة هي حلقة اتصال تربط المثلين معاً (١١: ٢٣).

المثل الأول (١١: ٢٠ ــ ٢٢) يصور لنا قوياً متسلحاً في داره. فهجم عليه «من هو أقوى منه وغلبه ونزع سلاحه ووزّع غنائمه» فالشيطان هو هذا «القوي»، والعالم، «داره». و حيله الخبيثة، وأساليبه المنوّعة، هي «سلاحه

٢٢ ولكن متى جاء من هو أقوى منه فانه يغلبه وينزع سلاحه الكامل
الذي اتكل عليه ويوزع غنائمه ٢٣ من ليس معي فهو عليّ .

الكامل » والنفوس المغلوبة على أمرها في البشرية الساقطة ، هي « أمواله »
والمسيح هو هذا « الأقوى » الذي غلب الشيطان ونزع منه أسلحته ، وردّ مكايده في البرية . فكان ظفره به في البرية ، عربون نصرته النهائية ، حين تصير ممالك العالم للرب ولمسيحه . والنفوس التي شفاها المسيح هي « الغنائم ».
قابل هذا المثل بما جاء في (إشعياء ٥٩ : ٢٤و٢٥)

نرى من هذا المثل : (ا) أن المسيح عدوّ الشيطان لا حليفه . (ب) أن المسيح أقوى منه . (ج) أنه كسر شوكة الشيطان . وفوق العالي أعلى .

(عدد ٢٣) ان هذا الصراع العنيف القائم بين المسيح و بين الشيطان ، قد أقام حداً فاصلاً بين ملكوت النور وملكوت الظلام . فلم يترك بينهما «منطقة حياد» وكما أن الطبيعة لا تعرف الفراغ ولا ترضاه ، كذلك لا حياد في الدين ، فاما أن يكون الانسان مع المسيح أو أن يكون عليه . إما أن يكون في جانب «راعي الرعاة العظيم» فيجمع الخراف المشتتة ، الى الحظيرة الواحدة أو ان يكون ضده فيشتت الخراف و يجعلها مطعماً للذئاب . هذا مبدأ عام . ينطبق على أبناء الملكوت المنظورين وعلى غيرهم .

إذاً يصلح هذا العدد (٢٣) لأن يكون خاتمة للمثل الأول، وفاتحة للمثل الثاني . ولا يفوتنا أن نذكر أن هذا المبدأ لا يتناقض مع تصريح المسيح في (لوقا ٩ : ٥٠) ، لأن أولئك الذين يعنيهم المسيح في (لوقا ٩ : ٥٠) ، كانوا يخرجون

ومن لا يجمع معي فهو يفرق ٢٤ متى خرج الروح النجس من
الانسان يجتاز في أماكن ليس فيها ماء يطلب راحة . وإذ لا يجد
يقول أرجع إلى بيتي الذي خرجت منه ٢٥ فيأتي ويجده مكنوساً
مزيناً ٢٦ ثم يذهب ويأخذ سبعة أرواح أخر أشر منه فتدخل

الشياطين باسم المسيح. ولكن هؤلاء كانوا يخرجون الشياطين باسم الشياطين (راجع التفسير هنالك لوقا ٩:٥).

يعتبر (عدد ٢٣) خاتمة مثل القوي المغلوب ، وفاتحة لمثل جديد ، منه نرى خطر العمل السلبي الناقص الذي يقوم به أبناء الفريسيين (عدد ١٩) في محاولتهم إخراج الشياطين . هذا هو الخلاص السلبي الذي لا يستحق أن تطلق عليه كلمة « خلاص » لانه تفريغ من غير ملء . أن أبناء الفريسيين بعملهم هذا، يحسبون على المسيح لا معه لانهم لا يخرجون الشياطين فعلاً بل يهيئون لهذه الشياطين فرصة الرجوع بقوة أكمل . فاذا ما هرب أمامهم الروح النجس، إلى حين، فما ذلك إلا لأنه أراد أن « يتمسكن لكي يتمكن » من الرجوع ومعه « سبعة » أرواح أخر أشر منه ـ إشارة إلى كمال العدد ونضوج الفساد والامتلاك النهائي ـ ليسكنوا « بيتهم » الذي ظل محفوظاً لهم، والويل كل الويل لمن يقع ضحية أولئك السحرة « لأن أواخره تصير شراً من أوائله » .
« والأماكن التي ليس فيها ماء » هي البرية ، حيث كان يعتقد اليهود أن هناك تسكن الأرواح النجسة . والقول « يطلب راحة ولا يجد » يفيد أن لا راحة للارواح النجسة إلا في احتلال أجسام البشر المساكين. وربما كانت

وتسكن هناك . فتصير أواخر ذلك الانسان أشر من أوائله
٢٧ وفيما هو يتكلم بهذا رفعت امرأة صوتها من الجمع وقالت له

هذه الجملة متداولة على ألسنة أبناء الفريسيين ، يستخدمونها في «تعزياتهم» ورقاهم ، فذكرها المسيح إظهاراً لمقدار سخفهم وجهلهم واستخفافهم بعقول الناس .

هتاف الاعجاب وجواب المسيح (١١ : ٢٧ و ٢٨) : لا يخلو الجو المقتم بغيومه، من لحظة تلمح فيها العيونُ بصيصاً من نور الشمس ، ولا تخلو الليلة الظلماء من ساعة يلمع فيها وميض البرق ، كذلك لم يخلُ هذا الجمع الذي كان يخاطبه المسيح ، من انسان يهتف له هتاف الاعجاب — هذا الانسان هو امرأة . هذه مرة أخرى يسجل فيها لوقا أعمال المرأة الشريفة ، وربما كانت هذه المرأة ضمن الذين تمتعوا ببركة المسيح الشافية . فلم تتمالك نفسها من أن تهتف للمسيح ، مقاطعة إياه في كلامه : « وفيما هو يتكلم بهذا » .

(٢٧) أن عملها هذا يُحسَبُ نموذجاً صحيحاً : (ا) لقوة شعور المرأة «رفعت صوتها من الجمع» وهذا على خلاف المألوف عند اليهود . (ب) ولطبيعة شعورها : وهذا يُرى من تعبيرها عن شعورها ، لأنها وهي تقصد تكريم المسيح ، نادت بتطويب أمه . ولا عجب فهي امرأة تميل بطبعها إلى تطويب امرأة . والكلمات التي عبَّرت بها هذه المرأة عن شعورها ، وردت في التلمود .

هذه إحدى المرات التي تم فيها قول مريم « هوذا منذ الآن جميع الأجيال تطوبني » (لوقا ١ : ٤٨) .

طوبى للبطن الذي حملك والثديين اللذين رضعتهما ٢٨ أما هو فقال
بل طوبى للذين يسمعون كلام الله ويحفظونه ٢٩ وفيما كان الجموع
مزدحمين ابتدأ يقول . هـذا الجيل شرير . يطلب آية ولا تعطى له آية
إلا آية يونان النبي .

ألا يحسبُ من ترتيبات العناية الممتازة ، أن هتاف المرأة تطويب مريم العذراء،جاء متفقاً مع الوقت الذي وصلت فيه مريم إلى هذا المكان؟؟ (متى ١٢:٤٦)

جواب المسيح على هذا الهتاف (عدد ٢٨) . (ا) لم يرذل المسيح هذا الهتاف ولم يردّه . (ب) كما أنه لم يوافق عليه من غير قيد ولا شرط . (ج) لكنّه هذَّبه ، ورفَّعَهُ ، وعمّمه لأنه جعله من حق كل السامعين العاملين. بذلك قد عمّتنا هذه السعادة فشملتنا نحن الذين انتهت الينا أواخر الدهور ، إذا كنا لأقوال الله حافظين ، ولارادته منفّذين .

ليست هذه «الطوبى» ـ السعادة ـ أجراً منفصلاً ،ومستقلاً عن حفظ كلام الله ، لكنها سعادة كامنة في طبيعة العمل بوصايا الله . يقول الكتاب « في حفظها ثواب عظيم » ولا يقول « لأجر حفظها ثواب عظيم » .

(٢) الدور الثاني من جواب المسيح على طلب «بعضهم» آية من السماء (١١:٢٩ ـ ٣٦). يقع هذا الدور في قسمين:أولهما (١١:٢٩ ـ ٣٢) يذكر فيه العلامة الوحيدة التي تعطى لهم من السماء . والقسم الثاني(١١:٣٣ ـ ٣٦)فيه يؤكد كفاية هذه العلامة لاقناع كل من له عين ترى باخلاص ووضوح .

٣٠ لأنه كما كان يونان آية لأهل نينوى كذلك يكون ابن الانسان
أيضاً لهذا الجيل ٣١ ملكة التيمن ستقوم في الدين مع رجال هذا

القسم الأول من هذا الدور (١١: ٢٩—٣٢) العلامة التي من السماء : «وفيما كان الجموع مزدحمين ابتدأ» — بعد هتاف المرأة — أن يتم كلامه في إجابته على طلب المجربين (عدد ١٦)، فاعتبرهم ممثلين لذلك «الجيل الشرير» و بيّن لهم أن «الآية» أي المعجزة الوحيدة التي تُعطى لهم من السماء هي شخصه، كما كان شخص يونان آية لأهل نينوى — مع الفارق . أن يونان نجا من جوف الحوت ، فقام شبه قيامة من شبه موت . لكن المسيح قام من القبر ، قيامة حقيقية ، ظافراً بالموت الحقيقي .

مسئولية ذلك الجيل (٣١ و ٣٢) : أمامنا في هذين العددين ، درجتان للمسئولية ، تتفاوت الدرجة الثانية منهما عن الأولى ، وتزداد ، وتثقل . (١) في الدرجة الأولى نرى امرأة وثنية تقوم يوم الدين لتخجل بايمانها شكوك رجال «هذا الجيل» الذي عاش فيه المسيح وكم كان جارحاً لكبرياء أولئك الرجال اليهود أن يسمعوا أن امرأة، وثنية «ستكشفهم» في اليوم الأخير . كأن المسيح قصد أن يقول لهم : لا حق لكم أن تطلبوا آية بعد أن سمعتم كلامي ، لأن كلامي هو آية الآيات ومعجزة المعجزات ، لو كنتم تعلمون . لأن ملكة التيمن — بلاد اليمن : (ا) اكتفت بحكمة سليمان واعتبرتها معجزة، ولم تطلب منها المزيد من الاعجاز . (ب) ولأن ملكة التيمن جاءت من بلاد بعيد لتسمع حكمة سليمان ، لكن المسيح ههنا في وسطكم أعظم من سليمان .

الجيل وتدينهم . لأنها أتت من أقاصي الأرض لتسمع حكمة سليمان وهوذا أعظم من سليمان ههنا ٣٢ رجال نينوى سيقومون في الدين مع هذا الجيل ويدينونه . لأنهم تابوا بمناداة يونان .

تسمو حكمة المسيح على سليمان في ما يأتي : ـــ

(ا) كان سليمان حكيماً ، لكن المسيح هو الحكمة مجسَّمة (١ كو ١: ٢٤).

(ب) كان سليمان ملكاً وانتهت أيام ملكه ، أما المسيح فليس لملكه انقضاء .

(ج) عاش سليمان إلى حين ، لكنه انحرف وراء الاجنبيات ، أمَّا المسيح فهو كال الكمال .

(د) جاء سليمان بامثال الحياة العملية للناس ، لكن المسيح جاء بانجيل الحياة الحاضرة والأبدية للبشر .

(هـ) سليمان ابن داود ، لكن المسيح هو ابن الله .

والدرجة الثانية من المسئولية ترينا يهود هذا الجيل الذي عاش فيه المسيح وإذا بهم كاسفون أمام أهل نينوى في يوم الدين. لأن يهود «هذا الجيل» لم يقبلوا المسيح بعد أن قُدمتْ لهم آية قيامته . لكن أهل نينوى تابوا بمناداة يونان بعد ان رأوا آية نجاته من جوف الحوت . تاب أهل نينوى بكرزة يونان ــ ومعناه حمامة ــ لأنهم قبلوا نجاته من شبه الموت ــ آية لهم . لكن أهل «هذا الجيل» رفضوا « حَمَل الله » بعد أن قدم لهم آية قيامته الحقة من بين مخالب الموت الحقيقي . وهوذا أعظم من يونان في وسطهم « ههنا » .

وهوذا أعظم من يونان ههنا ٣٣ ليس أحد يوقد سراجاً ويضعه في خفية ولا تحت المكيال بل على المنارة لكي ينظر الداخلون النور

تظهر عظمة المسيح على يونان فيما يأتي :

(ا) كان يونان نبياً عاصياً ، هارباً من مسئولياته ، لكن المسيح أطاع حتى الموت ـ موت الصليب .

(ب) خاف يونان من رحمة الله فغضب وتمرد ، لكن المسيح هو رحمة الله المتجسدة وهو يُسَرّ بالرأفة .

(ج) كان اجتياز يونان في لجج الهاوية ، قصاصاً على عصيانه . لكن المسيح مات على الصليب لأجل عصيان غيره .

وهكذا ، كلما عظم المسيح على سليمان وعلى يونان ، ثقلت مسئولية الذين يرفضون صوته الحق .

ما أعظم شجاعة المسيح،وما أكبر ثقته بنفسه! فلقد تجرأ على مقام سليمان ويونان !! ان هذه الجرأة تفسرها لنا ثقته الدائمة بنفسه وعلمه اليقيني بأنه هو الاله الحق ، وأنه رب سليمان ، ورب يونان ! ! !

البصيرة الباطنيّة (١١: ٣٣ ـ ٣٦) استطرد المسيح في رده على طالبي الآية التي من السماء ، فأوضح لهم ، بمَثَل العين والجسد ، أن الذين لا يطمس التعصُّب قلوبهم،يقنعون بالمسيح، فلا يحتاجون معه إلى آية من السماء . لأنه لم يأتِ مختفياً بل جاء علانيةً . هذا هو نور العالم ، فكل من يخطىء اليه

٣٤ سراج الجسد هو العين فمتى كانت عينك بسيطة فجسدك كله
يكون نيراً . ومتى كانت شريرة فجسدك يكون مظلماً ٣٥ أنظر

يخطىء إلى النور ، و بالتالي يسيء إلى نفسه هذا هو نور الله الذي رُفعَ عالياً أمام عيون الجميع ، بقيامته وصعوده .

وكما أن السراج لا يوضَع «في خفية» ولا تحت المكيال، بل على المنارة كذلك جاء المسيح علانية، وفي الخفاء لم يكلم أحداً. وهل تختفي الشمس؟؟

من الكلام عن العين والجسد ، انتقل المسيح في عدد ٣٥ إلى الكلام عن العين الباطنيّة التي هي البصيرة أو الضمير . أن تمتع الناس بالنور لا يتوقف على طبيعة النور ، ولا على قوته فحسب . لكنه يتوقف بالأولى : (أ) على حالة العين . لأن النور هو الوسيلة الخارجية التي تعين الانسان على النظر . لكن العين هي الأداة الداخلية التي تنظر . (ب) على الكيفية التي بها يستخدم الناس هذه العين فاذا كانت العين بسيطة ، سليمة ، لدرجة تقوى فيها على رؤية الأشباح بوضوح ، فان الجسد الذي يسترشد بها يسير في أمان ، واثقاً من كل خطوة يخطوها . وكما أن العين الطبيعية تنير الطريق أمام الجسد ، و بالتالي تنير الجسد نفسه ــ والكلمة «نيّر» معناها مستنير لا منير ــ كذلك الضمير السليم للانسان .

و إذا كانت عين الانسان شريرة، بحيث ترى الأشباح مزدوجة أمامها، وتختلط عليها الألوان ، فانها تُضل الجسد وراءها . كذلك الضمير الشرير يضلّل الانسان .

اذاً لئلا يكون النور الذي فيك ظلمة ٣٦ فان كان جسدك كله نيراً

فاذا ما كان الضمير سليماً ، رأى الحقائق كما هي ، واقتاد الانسان إلى النور الاكمل. ومتى كان الضمير معوجاً،بالبغضاء، وحب الذات،والكبرياء، والحقد والتعصب. فانه يستخدم النور الذي عنده للاغراء والاغواء . وبالتالي يصير النور للانسان ظلاماً. عندئذٍ يُمسي الانسان حكيماً في عيني نفسه (امثال ١٢:١٦) فتظهر له الطريق مستقيمة . ويُخفى عنه — باختياره — أن عاقبتها طرق الموت. (امثال ٢٥:١٦) من ثمَّ يصير له النور ظلاماً والظلام نوراً (اش ٢٠:٥و٢١) فيضطهد الناس باسم التعبد لله ، ويقتل الناس زعماً منه أنه يقدم خدمةً لله ، وباسم الحرية يهاجم حريات الناس . فما أكثر المظالم التي ارتكبت في التاريخ باسم الحرية وما أكثر الدماء التي أريقت باسم الحب لله .

ما أكبر مسئولية الانسان في استخدامه الضمير ، وفي تدريبه على الاستماع لصوت الله ليكون «دائماً بلا عثرة من نحو الله والناس» ! فكما أن نور الصباح وهو يضيء بقوته ، يسطع بلمعان مجيد على الجسم الذي يستضيء به ، فينيره كله ، كذلك تتجلى النفس التقيّة ، فتضيء ببهاء مجيد يشع عليها من نور الضمير المطمئن الساكن فيها. أن قداسة «الانسان الباطني» تعكس نوراً ساطعاً على « الانسان الخارجي » فتكسبه لمعاناً وبهاء ووقاراً . هذا هو التجلي في اختبارات المؤمنين .

ان الحياة المستنيرة ، في تقدم دائم لانها كلما خضعت للنور ، اتسعت

ليس فيه جزء مظلم يكون نيراً كله كما حينما يضيء لك السراج بلمعانه
٣٧ وفيما هو يتكلم سأله فريسي أن يتغدى عنده . فدخل واتكأ

للمنطقة التي يحتلها النور منها ، إلى أن تصبح «نيّرة كلها كما حينما يضيء لها النور بلمعانه» فتصير في النهاية نوراً مجسماً (أنظر ٢ كو ٣:١٨ ورو ٨:٢٩)

الغداء في بيت فريسي (لوقا ١١ :٣٧ ـــ ٤٠)

(١) ظروف الحال (١١ :٣٧ و ٣٨). (٢) كلام المسيح الموجه إلى الفريسيين (١١ :٣٩ ـ ٤٤). (٣) كلام المسيح الموجه إلى الناموسيين (الكتبة) (١١ :٤٥ ـ ٥٤)

(١) ظروف الحال (١١ :٣٧ و ٣٨): في أثناء خطاب المسيح السابق، تقدم اليه فريسي ودعاه إلى تناول الغداء عنده . ولعل هذا الفريسي أحد الذين أثاروا عاصفة الاعتراض على المسيح وجربوه بطلبهم منه «آية من السماء» . ومن المحقق أن دعوته للمسيح لم تكن صادرة عن عاطفة حب و إخلاص ، لكنه قصد أن «ينصب» من وليمته «شركاً» يوقع فيه المسيح، واستعان على ذلك بان دعا جماعة من الفريسيين رفقائه، لتتحد كلمتهم على هذا «المعلم» الجديد

تغاضى المسيح عن نية الرجل في دعوته له، ولبّى الدعوة «فدخل» بيت الفريسي «واتكأ» من غير أن يغتسل قبل الطعام حسب مقتضيات عادات الفريسيين .

لا شك أن غسل اليد قبل الطعام ، أمر مرغوب فيه ، وفوائده الصحية لا ينكرها أحد ، وليس من إنسان يمانع في هذا الأمر إذا نُظر اليه بهذا النور

٣٨ وأما الفريسي فلما رأى ذلك تعجب أنه لم يغتسل أولاً قبل الغداء

أو إذا مارسه الفريسيون على هذا الأساس . ولـكن أن تُعتـبر الغسلات تطهيرات ، وأن تقوم تنقية اليدين مقام تقديس القلب ، وأن ينحصر الدين في اليدين لا في الضمير والكليتين ، هذا أمر يمانع فيه المسيح كل الممانعة .

امتنع المسيحُ علاّم الغيوب،وفاحص القلوب،عن مشاركة الفريسيين في هذه العادة ، في هذا الظرف ، ليفتح للرجل منفذاً ، تظهر منه نيّـات قلبه الدقيقة . فـكان للرجل ما أراد ، وهنأ نفسه على سنوح هذه الفرصة ، اعتقاداً منه أن الفريسة وقعت في الفخ وعـبّر الرجل عن كل هذا بأن « تعجب لأن المسيح لم يغتسل أولاً قبل الغداء » .

كنا نرجو أن يتجه نظر ذلك الفريسي إلى وجه المسيح الذي هو «ابرع جمالا من كل بني البشر» فيرى فيه « مشتهى جميع الأمم » الذي اشتهى كثيرون من الملوك والانبياء أن يروا يوماً واحداً من أيامه فلم يروا.وكم وددنا لو فُتحت عين ذلك الفريسي فتعجب لانه رأى «العجيب المشير الاله القدير الاب الابدي رئيس السلام»ولكن ما الحيلة وعين الفريسي الشريرة قد صـيّرت النور ظلاماً ! ؟ أن تلك العين الشريرة المنتقدة تلذذت لانها رأت في المسيح ما حسبته عيباً وهو عدم الاغتسال قبل الغداء . وقد فات تلك العين أن ترى في المسيح ، ذلك «الينبوع المفتوح لبيت داود ولسكان أورشليم لغسل الخطية والنجاسة » وأنّـه هو « النور » الذي « لا ظلمة فيه البتة » وأنّـه قد صار لـكثيرين « حكمة من الله و براً وقداسة وفداء » .

٣٩ فقال له الرب انتم الآن أيها الفريسيون تنقون خارج الكأس
والقصعة وأما باطنكم فمملوء اختطافاً وخبثاً ٤٠ يا أغبياء أليس الذي

(عدد ٣٩) قرأ الرب أفكار صاحب الوليمة، لانه لا يعلم أفكار القلوب سوى خالق القلوب وربها، فخاطب الفريسي، موجهاً الكلام إلى رفقائه من الفريسيين، وو بخهم على:

(ا) ريائهم (١١: ٣٩ - ٤٢): قصد الله في العهد القديم أن تكون الغسلات الطقسية وسيلة مؤدية إلى الطهارة القلبية. لكن الفريسيين اكثروا منها، واضافوا كثيراً عليها، لعلهم يستعيضون بها عن المطاليب التي يفرضها صوت الضمير والحق. فقلبوا الحقائق وجعلوا الغاية وسيلة، والوسيلة غاية، وابدلوا اللباب بالقشور، و بدّلوا اللؤلؤة بالاصداف واهتموا بخارج الكأس — أي الجسد، ضار بين صفحاً عن داخل الكأس — أي القلب.

(عدد ٤٠): خاطبهم المسيح بالقول «يا أغبياء» فكانت هذه الكلمة جارحة لأولئك «الحكماء في أعين انفسهم». وقد وردت كلمة «أغبياء» مرات عديدة في كتابات لوقا و بولس (لوقا ١٢: ٢٠ ورومية ٢: ٢٠ و١ كورنثوس ١٥: ٣٦ وأفسس ٥: ١٧).

كم كان مؤلماً لهم أن يسمعوا من حمل الله الوديع كلمة «و يل لكم» وهم يزعمون أن في أيديهم مفاتيح السعادة وأنهم أبرياء. ولكن ليس من الغريب أن نسمع الحمل الوديع مو بخاً «أعمال الظلمة غير المثمرة»، فهو الأسد الخارج من سبط يهوذا. ان الزيت يرطّب الجروح و يسكن الهياج، لكن ما أحلبه

صنع الخارج صنع الداخل أيضاً ٤١ بل أعطوا ما عندكم صدقة فهوذا
كل شيء يكون نقياً لكم ٤٢ ولكن ويل لكم أيها الفريسيون

اشتعل بالنار . وما أرهب المسيح الوديع حين يغار غيرةً للحق ، فما الغيرة سوى المحبة ملتهبةً ومشتعلة .

(ب) حب الذات (١١ : ٤١) : عرف المسيح أن شعار حياة أولئك الفريسيين هو «هات . هات» وان الخمور التي فاضت بها كأسهم ، لم تكن من عصير العنب بل من عصير دماء المساكين وخلاصة لحوم البائسين ، لذلك عرفهم أن تطهير خارج الكأس لا يكفي ، انما الذي ينقيها هو تطهير ما في داخلها ، وان ما في داخلها لا يطهره ويزكيه سوى البذل والعطاء والسخاء لذلك سمي العطاء زكاة ، لأنه مشتقّ من التزكية والتنقية . لأن ما نعطيه يزكّي ويصفي الباقي . أن حق اليتيم معروف عند اليهود «بالمحرّم» أي ما يحرّم على الانسان أخذه لأنه ليس من حقه فلا يمكن أن يتنقى ويتصفى الداخل —والدّخل — إلا إذا انتُزع منه هذا « المحرّم » وصرفت منه الزكاة .

أن تنقية القلب تقوم بسكب محبته خالصة لأجل الآخرين ، وتصفية الحياة تقوم ببذلها رخيصة على مذبح التضحية والخدمة .

قابل أقوال المسيح هنا بقول يوحنا المعمدان في (لوقا ٣ : ١١—١٣) .

(ج) اعوجاج الضمير (١١ : ٤٢) : وبّخ المسيح أولئك الفريسيين على اعوجاج ضمائرهم ، والتواء قلوبهم لأنهم كانوا ينظرون إلى الأمور بمنظارين : أحدهما مصغّر للكبائر ومكبّر للصغائر . فمن تكبير الصغائر ، « تعشير النعنع

لانكم تعشرون النعنع والسذاب وكل بقل وتتجاوزون عن الحق
ومحبة الله . كان ينبغي أن تعملوا هذه ولا تتركوا تلك ٤٣ ويل لكم
أيها الفريسيون لانكم تحبون المجلس الاول في المجامع والتحيات في

والسذاب وكل بقل». السذاب «شجرة من فصيلة «النجمة» تنمو في بساتين الارض المقدسة وهي ذات خواص طبيّة». ومن تصغير الكبائر ، «تجاوزهم عن الحق ومحبة الله» . أن امرهم غريب حقاً. لان الذي يفزع من حق الله وعدالته قد يجد لذة في محبة الله ورحمته. ولكن ما العمل في انسان يتجاوز عن الحق والمحبة، فلا يلذّ له المكوث عند جبل سيناء ليستمع لصوت الحق العادل، ولا يهنأ له السجود عند موطىء قدمي الجلجثة ليستمتع بصوت حنان الله ومحبته. هؤلاء قوم يتطبق عليهم القول «لا يعجبهم العجب ولا يحلو لهم الصيام في رجب»!!

يريد المسيح من أتباعه ان يضعوا الاشياء في موضعها الحق، وأن يحفظوا لكل شيء نسبته غير ناسين صغائر الأشياء ولا بمفرطين في التمسك بعظائم الأمور «كان ينبغي أن تعملوا هذه ولا تتركوا تلك» .

(د) حب الظهور (١١:٤٣): ليس بغريب على الذين يتجاوزون عن محبة الله أن يتمسكوا بأهداب «محبة المجلس الأول في المجامع والتحيات في الأسواق» لانه متى خلا القلب من حب الله العرش، امتلأ بحب «الكراسي» الارضية المتقلقلة . ومَن بَعُد عن ابتسامة الله ، وسلامه ورضاه ، أمسى شغله الشاغل، التقاط فتات التحيات الجوفاء في الاسواق . حقاً أن دينهم كان «تجارياً» فلم يبالوا بمقامهم في نظر الله بل كان جل همهم ارتفاع مقامهم في «الاسواق».

الاسواق ٤٤ ويل لكم ايها الكتبة والفريسيون المراؤون لأنكم مثل القبور المختفية والذين يمشون عليها لا يعلمون

لم يهتموا بتقديم انفسهم لله للفحص والتكريس ، بل كانوا يتهافتون على « عرض » أنفسهم مع بضاعة الأسواق فترتفع «أسهمهم» وتنخفض .

(هـ) الخُلُق الفاسد (١١ : ٤٤) : الى هنا كان توبيخ المسيح موجهاً الى الفريسيين وحدهم، والآن نراه يوبخ الكتبة وإيّاهم، فيصفهم جميعاً «بالمرائين» ويمكننا أن ندرك معنى هذا القول إذا ذكرنا أن الشريعة اليهودية كانت تقضي بأن كل من يمس قبراً، يُحسب نجساً مدة سبعة أيام (سفر العدد ٦:٧) من أجل ذلك كان يضع اليهود على قبورهم علامة، ليراها كل عابر فيبعد عنها لئلا يقربها فيتدنس. ولكن أولئك الفريسيين والكتبة كانوا كالقبور المختفية، التي تكون سقوفها في مستوى سطح الارض، فيسير العابر عليها و يتدنس بها وهو لا يدري لذلك نبههم المسيح الى حقيقة مهمة وهي أن الذين يكرمونهم انما يفعلون ذلك لانهم يجهلون الشر الذي في قلوبهم ، كما يجهل العابر تلك القبور المختفية في طريقه. اذاً لم يكن أولئك القوم دنسين وكفى، لكنهم كانوا ايضاً مدنّسين لغيرهم، ينطبق عليهم القول «أخطأوا وجعلوا الناس يخطئون».

ان هذا التشبيه يتخذ صورة أخرى في (متى ٢٣ : ٢٧) هنالك وبخهم المسيح لانهم كانوا كالقبور المبيضة من الخارج وهي تحوي عظاماً في الداخل. لكن وجه الشَّبه في كل من التشبيهين واحد ـ وهو عدم توافق الخارج مع الداخل . هذا هو الرياء بعينه الذي هو خميرة الفريسيين (لوقا ١٢ : ١) .

٤٥ فاجاب واحد من الناموسيِّين وقال له يا معلم حين تقول
هذا تشتمنا نحن أيضاً ٤٦ فقال وويل لكم أنتم أيها الناموسيون
لانكم تحمّلون الناس أحمالا عسرة الحمل وأنتم لا تمسون الاحمال
باحدى اصابعكم ٤٧ ويل لكم لانكم تبنون قبور الانبياء

(و) توبيخ المسيح للكتبة (١١:٤٥ ـ ٥٤): سمع الكتبة هذه الكلمات الاخيرة فاحتجّ احدهم احتجاجاً ضعيفاً قائلاً «يا معلم حين تقول هذا تشتمنا نحن ايضاً» ويظهر ان الكتبة كانوا طائفة مأجورة، تتصدّر الزعامة في التعاليم الدينية، بينما كان الفريسيون شيعة دينية معتزلة عن الناس. فكان هذا الاحتجاج مثيراً لكلمات كانت كامنة في صدر المسيح، فصبّ عليهم جامات سخطه وامطرهم وابلاً من الوعيد، موبّخاً إياهم على ثلاث خطايا : ـ

(١) خطية التمسك بالحرف دون الروح (عدد ٤٦) : وهذه تقابل الخطية الاولى التي وبّخ الفريسيين عليها. لان الكتبة أقاموا من حبة الناموس قبة، ووضعوا لكل حرف منه معاني عدة، وفرضوا له مطاليب متكاثرة، فصارت الشريعة على الناس حملاً ثقيلا. وفي الوقت نفسه خلقوا لانفسهم «نوافذ» في الشريعة ليتهرّبوا منها. فاصبحت المعرفة عندهم بديلة العمل الطيب المقدس

(٢) خطية قتل الانبياء (١١:٤٧ ـ ٥١) : اتهم المسيح أولئك الكتبة بتهمة القتل. وقد سلّط على خطيتهم هذه نوراً ساطعاً من قداسته وعدالته فصوّر لهم هذه الخطية في صورة سوداء مظلمة لانها موجهة للانبياء. ان القتل في حد ذاته جريمة كبرى ولكن ما أكبر جرم خطية قتل الانبياء !

وآباؤكم قتلوهم ٤٨ إذاً تشهدون وترضون بأعمال آبائكم .
لانهم هم قتلوهم وأنتم تبنون قبورهم ٤٩ لذلك أيضاً قالت حكمة الله
اني ارسل اليهم أنبياء ورسلاً فيقتلون منهم ويطردون ٥٠ لكي

مع ان الكتبة الذين عاشوا في عصر المسيح لم يقتلوا الأنبياء بالفعل. لكنهم ألبسوا أنفسهم جريمة القتل برضاهم على ما عمل اجدادهم فأثبتوا بهذا انهم حقاً «ابناء آبائهم» (تثنية ٢٧:١٧ وأعمال ٥٨:٧) . كسر آباؤهم حرف الناموس لكن هؤلاء الابناء قد قتلوا روح الناموس ، فعظمت خطيتهم على خطية آبائهم على قدر عظمة الروح على الحرف . ومما زاد الطين بلة والمريض علة ، انهم حاولوا ستر خطاياهم بستار الرياء الذي ينمّ عما تحته ، إذ أظهروا كرامة جوفاء للانبياء القدماء ، وفي الوقت نفسه بيّنوا كل عداء وجفاء للانبياء الأحياء . فصاروا بذلك أعداء حاضرهم ، وأصدقاء ـ حسب الظاهر ـ لماضيهم، وهم في كل وقت اعداء انفسهم واعداء الحق واعداء الله. لذلك قد القى المسيح نوراً جديداً على عملهم الذي قاموا به نحو أنبياء العهد القديم ، فصارحهم القول وخاطبهم بشجاعته المعهودة، موضحاً لهم أن بناء قبور الأنبياء الذين قتلهم آباؤهم، لا يُعتبر تكريماً منهم لأجساد الأنبياء بل يُحسب عملاً تكميلياً لعمل الآباء . قتل الآباء أولئك الأنبياء و بنى الأبناء قبور الأنبياء لتكون الجريمة كاملة ـ من القتل الى الدفن الى بناء القبر .

كان من الطبيعي أن يكلمهم المسيح بهذه الكلمات لانهم كانوا على مقربة من وادي قدرون ، مكان قبور الأنبياء .

يُطلب من هذا الجيل دم جميع الأنبياء المهرق منذ إنشاء العالم ٥١ من دم هابيل إلى دم زكريا الذي أُهلك بين المذبح والبيت . نعم أقول

كانت كلمات المسيح هذه مصحوبة بنغمة مؤلمة جارحة ، لأنها تناولت الماضي والحاضر والمستقبل معاً. فكما أشار إلى أنبياء العهد القديم أشار أيضاً الى شخصه الجليل الذي انتهت اليه نبوات الأنبياء، وعند قدميه يلتقي جميع المرسلين. إذاً كانت هذه كلمات مشبعة بروح النبوة لأن عينيه كانتا متجهتين الى الصليب

ان ارتباط الاجيال بعضها ببعض يجعل الكتبة شركاء آبائهم في مسئولية قتل جميع الانبياء الذين استشهدوا في سبيل الله - من هابيل إلى زكريا .

أولهم : هابيل- مذكورةٌ سيرته في أول أسفار الكتاب المقدس (تكوين ٤:١٠) وآخرهم زكريا بن يهوياداع ، الذي قتله يوآش الملك كما يحدثنا آخر أسفار العهد القديم، حسب الترتيب العبري (أيام الثاني ٢٤: ٢٠و٢١) إن هذا الكلام لا يتناقض مع ما جاء في (متى ٢٣:٣٥) أنه «زكريا بن برخيا» لأن عمر يهوياداع كان وقتئذ ١٣٠ عاماً فلعله كان جد زكريا كما كان برخيا أباه . وربما أغفل سفر أخبار الأيام ذكر برخيا لأنه مات مبكراً فقام الجد مقام الأب .

لما كانت المجازاة الالهية تتناول الافكار كما تتناول الأفعال أيضاً، وتحيط بالنيات كما تشمل التدبيرات والأعمال، لذلك يُحسب الابناء مجرمين كآبائهم مع أنهم لم يقتلوا بالفعل كما قتل آباؤهم لأنه لو هيئت لهم فرصة القتل، لما ترددو عن ارتكاب أعظم الجرائم .

لـكم انه يُطلب من هذا الجيل ٥٢ ويل لـكم أيها الناموسيون لانـكم أخذتم مفتاح المعرفة . ما دخلتم أنتم والداخلون منعتموهم

المراد «بحكمة الله» (عدد ٣٩) المسيح نفسه . لان الكلمات المنسوبة إلى «حكمة الله» ، هي عين الـكلمات التي نطق بها المسيح في متى ٢٣ : ٣٤ . فهو الحـكمة المتجسدة .

يلقب اليهود سفر الأمثال بكتاب الحـكمة لانه مكتوب فيه «الحـكمة تنادي في الخارج . لاني دعوت فابيتم . بل رفضتم كل مشورتي» (أمثال ٨ : ٢٢) . لكن لو فتحت عيون اليهود لرأوا في هذا المنادي ، الذي رفضه رؤساؤهم ، خير شخص ينطبق عليه كل ما قيل عن الحـكمة فهو «الذي صار لنا حكمة من الله و براً وقداسة وفداء»

(٣) الخطية الثالثة في احتـكار المعرفة عدد (٥٢) : كان الناموسيون متصدّرين زعامة الشعب في التعليم وجرت العادة قديماً أن يُعطى كل ناموسي مفتاحاً عند تعيينه وفرزه للخدمة ، وذلك عند بلوغه سن الثلاثين : دلالة على أنه مُلزم بفتح كنوز الحـكمة الالهية لهذا الشعب الذي ينتظر خدماته بصبر . فـكانت كلمات المسيح لهم غاية في الدقة إذ قال «ويل لـكم أيها الناموسيون لانـكم أخذتم «مفتاح» المعرفة . وفي هذا القول - يُشبّه المسيح المعرفة «بهيكل» تصدّر الناموسيون في بابه ولم يدخلوا . والداخلون منعوهم» .

كانت نتيجة عملهم هذا أنهم : (أ) ألحقوا ضرراً بالبسطاء . (ب) حمّلوا أنفسهم بالمسئوليات . لان من يعرف أن يعمل حسناً ولا يعمل فذلك خطية له . (ج) حجزوا الحق بالاثم (رومية ١ : ١٨) .

٥٣ وفيما هو يكلمهم بهذا ابتدأ الكتبة والفريسيون يحنقون
جداً و يصادرونه على أمور كثيرة ٥٤ وهم يراقبونه طالبين أن

خاتمة تاريخية (لوقا ١١:٥٣ و ٥٤)

أن هذين العددين يصوران لنا قلوب الكتبة والفريسيين بما امتلأت به من حنق وحقد على المسيح . وهذه التعبيرات ، التي لا مثيل لها فى تاريخ حياة المسيح ، إلا عند الصليب ، تدلنا على الحقد المثلث ـ والثلاثة عدد كامل عند اليهود ـ الذي ملك قلب اليهود وملأهم من جهة المسيح : ـ

(ا) « حقد » : هذا هو شعور القلب وقد أظهروه نحو ما قاله المسيح ـ هذا شعورهم من جهة الماضي .

(ب) « يصادرونه » : هذا عمل الارادة وقد وجهوه نحو ما كان يبدو من المسيح في الحاضر . والمصادرة هنا ليست مادية لكنها معنوية . وهي كلمة قضائية تمارسها بعض السلطات سيما عند استخدام الأحكام العرفية .

(ج) « يراقبونه » : هذا عمل العقل موجه إلى ما يبدو من المسيح في المستقبل . لأنهم رغبوا في أن يصطادوه بكلمة تخرج من فمه.ووجه الشبه بين عملهم وعمل الصيادين هو إخفاء الفخّ.هؤلاء هم القوم الذين لا همّ لهم إلا أن يتصيدوا في الماء العكر ، شتان بينهم و بين تلاميذ المسيح الذين أُطلق عليهم هذا اللقب «صيادو الناس» . ان الكتبة والفريسيين يتصيدون « بشراك»

يصطادوا شيئاً من فمه لكي يشتكوا عليه .

الشر والخداع،وغايتهم الاهلاك . لكن تلاميذ المسيح يصطادون « بشباك » الانجيل ، وغايتهم التخليص والاحياء .

ما أشر نيات أولئك الكتبة والفريسيين ، لانهم لم يراعوا واجب الضيافة — وهم شرقيون — إذ اتخذوا من الطعام الذي قدّموه للمسيح ، « طُعماً » له ليصطادوه به .

لا حدود لدركات الهُوَّة السحيقة التي تهبط اليها النفس بعد انحطاطها. ولا حدود للدرجات السماوية التي ترتفع اليها النفس المفديّة المخلَّصة .

الاصحاح الثانى عشر

١ وفي أثناء ذلك إذ اجتمع ربوات الشعب حتى كان بعضهم

تشجيع المسيح لتلاميذه (لوقا ١٢:١ - ١٢)

إذا ما أحاطت الغيوم بالقمر، ظللته، فلا تعود ترى منه إلا وجهاً شاحباً، لكن إذا ما احاطت به هالة من الصفاء، أمكنك أن ترى منه وجهاً باسماً في ضيائه، مضيئاً في بهائه، مهياً في صفائه.

ذكرنا هذا تعليلاً للفرق العظيم الكائن بين الكلمات التي يُختتم بها الاصحاح الحادي عشر، وبين الكلمات التي بها يُستهلُّ الاصحاح الثاني عشر. تلك ويلات الوعيد، وهذه تشجيعاتٌ ووعود. تلك سهام ناريّة مصوّبة إلى قلب المرائين، وهذه سهام نورانية انبعثت إلى قلوب تلاميذ المسيح وأتباعه.

أن «الأسد الخارج من سبط يهوذا» هو حمل الله الوديع، ففي الاصحاح الحادي عشر نسمع الأسد يزأر زئيراً مفزعاً، لكنا في هذه الاعداد نحس بقلب الحمل الوديع وهو ينبض نبضات العطف والحنان. ونسمع فمه الوديع يخاطب التلاميذ قائلاً «يا أحبائي». هنالك رأينا بركاناً ثائراً، صُبت منه جامات الغضب، وهنا نرى نبع النعمة يتدفق بكلمات طيبات للتلاميذ والاتباع قائلاً «يا أحبائي».

في هذه الاعداد نسمع المسيح لاول مرة في هذه البشارة يخاطب التلاميذ

يدوس بعضاً ابتدأ يقول لتلاميذه أولاً تحرزوا لأنفسكم من خمير

بالقول «يا أحبائي» مع أن جوانب بشارة يوحنا تفيض بهذه الكلمة (يوحنا ١١:١١ و ١٥:١٣ و ١٤ و ١٥).

نحن لا نعلم بالضبط ما هي البيئة التي القى فيها المسيح هذه الكلمات على تلاميذه. ولعله نطق بها بعد ما حط رحاله في إحدى القرى، أثناء تجواله في برية.

تتضمن هذه الكلمات: (١) تحذيراً (١:١٢–٣). (٢) ضماناً وتأميناً (٤:١٢ – ٧). (٣) وعداً ووعيداً (٨:١٢ – ١٠). (٤) اعلاناً وتشجيعاً (١١:١٢ و ١٢).

(١) التحذير (١:١٢ – ٣): ان الله لم يترك نفسه بلا شاهد. فاذا كان الكتبة قد حنقوا على المسيح، فان الناس الذين لم تعبث بهم مكايد الكتبة وحيلهم قد اجتمعوا حوله ربوات، فتم فيهم القول: «من هؤلاء الطائرون كسحاب وكالحمام إلى بيوتها» (اشعياء ٨:٦٠).

(١) موضوع التحذير (عدد ١): جاء هذا الشعب إلى المسيح ربوات، حتى كان بعضهم يدوس بعضاً. فلما اجتمعوا ابتدأ المسيح يحذر تلاميذه من خمير الفريسيين، الذي هو الرياء. وأوجه الشبه بين الخمير والرياء هي: أن لكليهما تأثيراً خفياً، فاسداً، مفسداً، سريع الانتشار فالشريعة الرومانية الوثنية كانت تحرم على الحاكم أن يمس خميراً. وكانت تقضي الشريعة اليهودية، بتطهير المنزل من الخمير قبل العيد وطوال أيام عيد الفصح، وأوصت المسيحية بنزع خمير الفساد من الحياة (١ كورنثوس ٧:٥) – والكلام هنا مجازي.

الفريسيين الذي هو الرياء ٢ فليس مكتوم لن يستعلن ولا خفي لن يُعرف ٣ لذلك كل ما قلتموه في الظلمة يُسمع في النور وما كلمتم به الأذن في المخادع يُنادى به على السطوح ٤ ولكن أقول لكم يا أحبائي لا تخافوا من الذين يقتلون الجسد وبعد ذلك ليس لهم ما يفعلون

إنّ الكلمة « أولاً » التي توسطت بين كلمة « لتلاميذه » وبين كلمة « تحرزوا » تعود على الثانية لا على الأولى . أي أن واجبهم الأوّلي هو أن يتحرّزوا من خمير الرياء .

(ب) علة هذا التحذير (١٢ : ٢و٣) : يذكر المسيح علّتين لهذا التحذير . أولاهما أن الرياء لا فائدة منه، لأن ثوبه ينم عما تحته، وكل من يلتحف به فهو بلا شك عار . «فليس مكتوم لن يستعلن ولا خفي لن يُعرف». والعلة الثانية مبنية على المفاجآت ، والتورّط ، والارتباكات ، التي يقع فيها المرائي حين تعلن حقيقة أمره . « طير السماء ينقل الصوت . وذو الجناح يخبر بالأمر » . فقد يُكشف بعض الخطايا في هذه الحياة كخطية يهوذا وحنانيا وسفيرة . والبعض الآخر في اليوم الأخير (جامعة ١٢ : ١٤ ورومية ٢ : ١٦) .

(٢) الضمان والتأمين (١٢ : ٤ ـ ٧) : قدم المسيح لتلاميذه ضماناً بالتأمين على حياتهم في «سوكرتاه» الأبدية فشجعهم على نبذ الخوف. وأفهمهم أن الجسد ليس هو الانسان الحقيقي، إنما النفس هي خلاصة الانسان. الجسد هو الصدفة لكن النفس هي اللؤلؤة . الجسد هو خشب القيثارة، والنفس هي أوتارها. فقد تقع الصدفة في أيدي الناس ليعبثوا بها أنّى شاءوا ، لكن اللؤلؤة في حرز

اكثر ٥ بل أريكم ممن تخافون . خافوا من الذي بعد ما يقتل له سلطان أن يلقي في جهنم . نعم أقول لكم من هذا خافوا ٦ أليست

حريّ ، لأنها في يد الله . هذا هو الاله الحق المتسلط الذي يجب أن يخشاه الناس جميعاً لأن له سلطاناً على الجسد والنفس معاً .

الكلمة «جهنم» عبرية ، معناها «وادي ابن هنوم» (يشوع ١٥:٨) . كان هذا المكان في البداءة بستاناً خصيباً لكنه فيما بعد صار «مقاماً» للاله مُولك ليقدَّم فيه الأولاد والبنات محرقات على ذراعي ذلك الاله لذلك أطلق الملك يوشيا الصالح ، على ذلك المكان ، هذا اللقب : «وادي الرجاسات» . وعلى مَرّ الأيام صار ذلك المكان وادياً تُرمَى فيه الأقذار فكثر فيه الدود ، وكانت تحرق فيه فضلات الذبائح فكثرت فيه النار . لذلك صار رمزاً لجهنم التي لا تُطفأ نارها ، ولا ينام دودها .

لم يَعِد المسيح تلاميذه بالمحافظة على حياتهم ، لكنه اكد لهم أنه إذا نال حياتهم أذىً ، فلن يكون ذلك إلا باذنٍ منه . فلكل أجل كتاب ، وكل إنسان مخلدٌ حتى يبلغ الكتاب مداه .

أن الحياة الحاضرة حلوة ، والموت مرّ . لكن الحياة الأبدية اكثر حلاوة ، والموت الأبدي أمر .

في عددي (٦و٧) قدّم المسيحُ لتلاميذه برهاناً على عناية الله الضامنة لهم ، والكفيلة بهم ، فافرغ كلامه كعادته في صيغة مَثل . يقول المسيح هنا في

خمسة عصافير تباع بفلسين . وواحد منها ليس منسياً امام الله ٧ بل
شعور رؤوسكم ايضاً جميعها محصاة . فلا تخافوا . انتم أفضل من

بشارة لوقا «أليست خمسة عصافير تباع بفلسين» ويقول في بشارة متى (متى ١٠: ٢٩) أليس عصفوران يباعان بفلس، وواحد منهما لا يسقط على الارض بدون أبيكم» وبوضع هذين القولين معاً نرى أنه إذا كان العصفوران يباعان بفلس واحد،فان الخمسة العصافير كان ينبغي أن تباع بفلسين ونصف،باعتبار أن ثمن العصفور الواحد نصف فلس . لكنهم في الاسواق يبيعون الخمسة العصافير ـ لا الاربعة ـ بفلسين.ومعنى هذا أن عصفوراً واحداً يعطى «على البيعة» اذاً من الممكن أن عصفوراً واحداً «يسقط» في تقدير الاسواق التجارية ويباع بغير ثمن . لكن هذا ـ والحمد لله ـ لن يتم في حساب العناية الالهية . «لان واحداً من تلك العصافير ليس منسياً امام الله» واذا كان هذا مبلغ عناية الله بالعصافير الحقيرة فكم بالحري تكون عنايته بأبنائه ! انها ولا شك عناية جليلة دقيقة لانها تحيط بادقّ ما لنا «بل شعور رؤوسكم أيضاً جميعها محصاة» .

ما ألذ وقع كلمة «أيضاً» على الاسماع !! انها كنانة تحمل في قلبها سهماً يطعن شيطان الشكوك في الصميم ، أنها مصباح يحمل في جوفه سراجاً ينبعث منه نور وضاء ينير سبل السالكين في برية هذا الوجود . فاذا كانت شعور رؤوسنا «أيضاً» محصاة ، فان كل ما عداها محصىً أيضاً ، وبالتالي تكون دموعنا كلها محفوظة في «زقّ» الله .

يا لعمق غنى الله وحكمته وعلمه ! إن علمه يتناول :

عصافير كثيرة ٨ واقول لكم كل من اعترف بي قدام الناس يعترف
به ابن الانسان قدام ملائكة الله

---

(١) احقر الطيور ـ العصافير . (ب) أحقر ما في الانسان ـ الشعور . (ج) ما لا يشعر به الانسان . لان عدداً كبيراً من شعور الرأس البالغ قدرها نحو ١٤٠٦٠٠٠ يسقط من غير أن يشعر به الانسان .

ختم المسيح هذا الضمان بالقول «لا تخافوا» كما استهله أيضاً بالقول «لا تخافوا» (عدد ٤) لانكم أفضل من عصافير كثيرة. وأوجه الافضليه ظاهرة في : (١) إن الانسان مخلوق عاقل . (ب) إن الانسان خالد . (ج) إن الانسان مفتدى بدم المسيح الكريم . (د) أن الانسان مخلوق على صورة الله في البر والقداسة.(ه) إن الانسان حر مختار . فالشمس تشرق وتغرب ، والنجوم تسير في افلاكها ، والارض تدور ، والرعد يرعد ، والبرق يبرق ، لان لها مواعيد لا تتعداها ، وقوانين لا تتخطاها ، لكن الانسان يعمل ما يعمل لانه يريد ، ويريد ما يريد لانه حر مختار . قد يقول له الله « أطع » فيتمرد ويعصى . ويقول له « استقم » فينحرف ويغوى .

(٣) الوعد بالثواب الذي ينتظرهم ، والوعيد بالعقاب الذي ينتظر سواهم (لوقا ١٢: ٨ ـ ١٠):أما ثوابهم فهو اعتراف المسيح بهم قدام ملائكة الله في يوم مجيئه الثاني (راجع تفسير لوقا ٩: ٢٦) . جاء في بشارة متى هذا القول « قدام ابي الذي في السموات » (متى ١٠: ٣٢و٣٣) وهنا يقول لوقا « قدام ملائكة الله » إنهما تعبيران لحقيقة واحدة . لانه حيث يكون الله فهناك

٩ ومن انكرني قدام الناس يُنكَر قدام ملائكة الله ١٠ وكل من
قال كلمة على ابن الانسان يُغفر له . واما من جدف على الروح القدس

الملائكة.اما عقاب غيرهم فهو أنهم «يُنكَرون قدام ملائكة الله»ولا يفوتنا أن نلاحظ أن الاعتراف بالانسان جاء بصيغة المبني للمعلوم—وفاعله المسيح. لكن الانكار جاء بصيغة المبني للمجهول ، وفاعله غير مذكور . فما أحنّ قلب المسيح . لأنه يسرّ باثابة المؤمنين وينسب هذه الاثابة إلى نفسه.لكنه يأبى أن يتحدث عن العقاب فيستر اسمه عند ذكره .

بين هذه التشجيعات الكثيرة،نطق المسيح بكلمة في (عدد ١٠) صارت سبباً في إزعاج ضمائر الكثيرين على مرّ الاجيال . لانه كشف بها القناع عن الخطيئة التي لا تغتفر . وهي خطية التجديف على الروح القدس . وقد ورد الكلام عنها في (متى ١٢:٣١و٣٢ ومرقس ٣:٢٨ و ٢٩) بمناسبة إخراجه الارواح النجسة بقوة الروح القدس. «من قال كلمة على ابن الانسان يُغفر له وأما من جدف على الروح القدس فلا يغفر له » ليس المراد بهذا القول أن الروح القدس أعظم من المسيح. بل المراد به أن من يتفوّه بكلمة تحقير على المسيح فان خطيته تغفر لانه فعل ذلك بجهل في عدم إيمان . لكن التجديف على الروح القدس هو إساءة إلى نور روح الله الذي سكبه في قلب الانسان . إن الاساءة إلى ابن الانسان،في اتضاعه،هي إساءة من الانسان موجهة إلى شخص خارج عن نفسه،وقد تلتمس الرحمة للانسان عذراً في الكلمة التي قيلت عن ابن الانسان،الذي ستره ثوب التجسّد عن عيوب الناظرين،فلم يروا فيه إلا

فلا يغفر له ١١ ومتى قدموكم الى المجامع والرؤساء والسلاطين فلا
تهتموا كيف او بما تحتجون او بما تقولون ١٢ لان الروح القدس
يعلمكم في تلك الساعة ما يجب ان تقولوه

انساناً . لكن الاساءة الى الروح القدس هي إساءة الى النور الباطني الحالّ في قلب الانسان نفسه . فهي إذاً حكم من الانسان على نفسه .

هذه هي الخطية التي لا تُغتفر ، لا لأنّ رحمة الله أضيق من أن تسع من يقع في هذه الخطية، بل لأنّ الذي يقع في هذه الخطيئة ، يبلغ درجة من العناد والقسوة والفجور ، يصعب عليه معها طلب الغفران ، فيموت في خطيته « محكوماً عليه من نفسه » .

ان من يخطىء ضد المسيح، يبكته روح الله. لكن الذي يجدف على الروح القدس، فمن يبكته على هذه الخطية ؟ لم يكن يوم صلب المسيح ، يوم دينونة العالم ، بل كان يوم الخلاص — ويقول التقليد ان أول من آمن بالمسيح يوم الحسين هو الجندي الذي طعن المسيح بالحربة — انما يوم الدينونة هو يوم المجازاة على مقاومة الروح القدس (أعمال ٧:٥١)

(٤) الاعلان والتشجيع بشركة الروح القدس (١٢:١١و١٢) ان الروح القدس الذي يقاومه غير المؤمنين ، هو خير نصير ومعين للمؤمنين . فقد سُمّي بالمعزّي « البراكليت » . أي الشفيع الذي يقوم للنصرة والمعونة . هذا هو ملقّن التلاميذ ومُعين الرسل إذا ما وقفوا أمام: (أ) «المجامع» ـ أي المجالس المدنية اليهودية. (ب) «والرؤساء» هؤلاء هم رجال الدين أعضاء مجمع السنهدريم.

٣ وقال له واحد من الجمع يا معلم قل لأخي أن يقاسمني الميراث

(ج) «والسلاطين» ـ هؤلاء هم الحكام الرومانيّون أنظر بطرس واسطفانوس أمام السنهدريم (أعمال ٤و٧) وتفرّس في بولس أمام فيلكس وأغريباس (أعمال ٢٤و ٢٦).

موقف المؤمن ازاء حطام الدنيا — (لوقا ١٢:١٣ ـ ٥٩)

يتضمن هذا الفصل: (١) مقدمة تاريخية (١٢:١٣و١٤). (٢) خطاب المسيح للجموع عن قيمة الغنى (١٢:١٥ ـ ٢١). (٣) خطاب المسيح للتلاميذ بنوع خاص عن موقفهم الممتاز ازاء حطام الدنيا (١٢:٢٢ ـ ٤٠) (٤) خطاب المسيح لتلاميذه الأخصاء عن تقديرهم للأشياء المادية (١٢:٤١ ـ ٥٣). (٥) تحذير من المسيح للجموع (١٢:٥٤ ـ ٥٩).

(١) مقدمة تاريخية (١٢:١٣و ١٤): صمت المسيح عن الكلام هنيهة، فانتهز أحد الحاضرين فرصة هذا الصمت، ورفع فيها عن قلبه حملاً كان قد أثقله. فقال للمسيح «يا معلم.قل لأخي أن يقاسمني الميراث»! ولعل أخاه كان البكر، الذي يقضي له الناموس بنصيب اثنين في الميراث، و يفرض عليه أن يقسم لاخوته ما يتبقى، طبق أحكام الشريعة الموسوية.

أن القاء هذا السؤال المادي في أثناء كلام المسيح الروحي، يُعتبر كصب مياه باردة على حديد ملتهب، أو كوضع صخرة جامدة في طريق جدول صافية مياهه، لتحول المياه عن مجراها الطبيعي. ولكن المسيح الحكيم اتخذ من كلمات الرجل المادية فرصة ليتابع بها كلماته الروحية ويتوجها. كأنّ

١٤ فقال له يا انسان من أقامني عليكما قاضياً أو مقسماً

الاعتراضات التي صادفت المسيح لم تكن سوى ممهدات لما هو أسمى .

كان جواب المسيح متضمناً: (١) نداءً: «يا إنسان» ـ وفي هذه الكلمة تذكير للسائل بمقام الانسان المتسامي عن المادة، وفيها أيضاً تحذير له من النزول عن هذا المقام السامي إلى حضيض المادة (ب) سؤالاً . «من أقامني عليكما قاضياً» ـ للحكم، «أو مقسماً» ـ للتنفيذ؟ كأن المسيح يعني بهذا السؤال «أن لا اله ولا إنسان أقامني على هذا العمل المادي. لاني ما جئت لأقضي ولا لأدين بل لأخلص. ما جئت «مقسماً» للماديات بين الأبناء المتخاصمين، بل جئت «جامعاً» لأبناء الله المشتتين، إلى واحد .

لاحظ المسيح أن ذلك السائل لم يكن متكلماً عن نفسه فقط، بل كان مترجماً عن أفكار الكثيرين أمثاله . لذلك وجه الخطاب إلى الجمع قائلاً «أنظروا وتحفظوا من الطمع» ـ كأنما الطمع هو إحدى الخطايا التي يؤخذ بها الانسان وهو لا يدري. «فليست حياة الانسان» مستمدة من أمواله ولا هي قائمة بها. ان السعادة لا تُختزَنُ في الخزائن ولا تكال بمكيال الذهب. فاي إنسانٍ وُلد وفي يده قطعةٌ من الذهب؟ أو أي إنسان مات وفي يده «تحويل» على الآخرة؟! وكأني بالمسيح يقول للرجل: «ليست العلة في أخيك بل فيك» !

إذاً لم يكن المسيح قاضياً بينهما، لكنه كان طبيباً، كَشَفَ سر الداء الدفين الذي كان علة هذا النزاع ـ وهو الطمع . بذلك صار المسيح قاضياً عليهما لا قاضياً بينهما . أغفل المسيح ذكر المال الذي كانوا يتقاضون عليه، ونفذ ببصره إلى قلب المتقاضين . فهو إله القلوب لا قاضي الجيوب !

١٥ وقال لهم أنظروا وتحفظوا من الطمع . فانه متى كان لاحد كثير
فليست حياته من أمواله ١٦ وضرب لهم مثلاً قائلا : إنسان غني
أخصبت كورته ١٧ ففكر في نفسه قائلاً ماذا أعمل لأن ليس لي
موضع أجمع فيه أثماري ١٨ وقال أعمل هذا . أهدم مخازني وأبني

(٢) مثل الغني الغبي (لوقا ١٢: ١٥ ـ ١٧): من تلك الحكمة الجيدة التي فاه المسيح بها لذلك السائل، انتقل بفكره إلى الجمع وضرب لهم مثل الغني الغبي.

تظهر غباوة ذلك الغني من كونه: (١) انشغل بكورته التي أخصبت، عن نفسه التي أجدبت. ففكر في جمع أثماره إلى مخازن ولم يفكر في ضم نفسه إلى الله (لوقا ١٣: ١٨ مع أعمال ١١: ٢٤). (ب) تغافل عن طعام النفس الحقيقي « يا نفسي الك خيرات كثيرة » (عدد ١٩) وقد نسى ان هذه الخيرات الكثيرة هي طعام الجسد الفاني « وأنه ليس بالخبز وحده يحيا الانسان بل بكل كلمة من الله » (لوقا ٤: ٤). (ج) تغافل عن قصر الحياة فقال: «لسنين كثيرة» . وقد ناداه الصوت : «في هذه الليلة» . (د) كان أنانياً محباً لذاته دون محبة الله . فلم ينسب الغنى لله بل لنفسه . وهذا ظاهر من إكثاره من ضمير المفرد المتكلم. «أثماري ... مخازني ... غلاتي ... خيراتي». (هـ) كان غافلاً عن معنى السعادة الحقة . فظن أن سعادة النفس في راحتها . فقال « استريحي » . وقد فاته أن سعادة النفس هي في عبادة الله وفي خدمة الناس .

كان ذلك الرجل ناعماً في غفلته ، وغافلاً في تنعمه ، وهو لا يدري أن

أعظم وأجمع هناك جميع غلاتي وخيراتي ١٩ وأقول لنفسي يا نفس لك خيرات كثيرة موضوعة لسنين كثيرة. استريحي وكلي واشربي وافرحي ٢٠ فقال له الله يا غبي هذه الليلة تطلب نفسك منك. فهذه التي أعددتها لمن تكون ٢١ هكذا الذي يكنز لنفسه وليس هو

القضاء يسخر منه. فكان كحالم حلماً لذيذاً. ولم يدر بخلده أن الأحلام اللذيذة تنتهي باليقظة المريعة. فجاءه صوت الحق يحمل اليه: (أ) خطاباً: «يا غبي» (عدد ٢٠). ما أمرّ وقع هذه الكلمة على مسمع غنيٍ كان يتزلف اليه أهل جيله، حاسبين إيّاه أحكم الحكماء. (ب) عقاباً: «هذه الليلة تُطلب نفسك منك». ما كان أسرع مجيء «عقاب» القضاء! فلقد جاءه أسرع من «عُقاب» الهواء! كان كل شيء مرتّباً في حساب ذلك الرجل، إلا هذه الحقيقة – «هذه الليلة»! ولا عجب لأن كل إنسان يعتقد أن جميع البشر ذاهبون الا هو. (ج) حساباً: «فهذه التي أعددتها لمن تكون؟؟» إننا لا ندري لمن كانت. ولكننا نعلم شيئاً واحداً وهو أنها لم تكن له. ربما آلت تلك الثروة إلى أناس عاشو محرومين طوال حياة ذلك الغني. وأن مالاً يُجمع بالظلم لا بد أن يوزّع بالعدل.

عند موت ذلك الرجل الغني، نادت الناس «ماذا ترك»؟ فقالت الملائكة «وماذا قدّم». نادت الأرض في تلك الليلة قائلة «وكم ترك»؟ فأجابتها السماء «ترك كل شيء».

(عدد ٢١) بكلمة واحدة رثى المسيح ذلك الرجل، فرثى له. «كان يكنز

غنياً لله . ٢٢ وقال لتلاميذه من أجل هذا

لنفسه وليس هو غنياً لله». هذا كل ما بقي للرجل بعد مماته ـ سيرة مؤلمة ـ والنَّاسُ سِيَر.

لم يكن ذلك الرجل قاتلاً ،ولا كاسراً لاحدى وصايا الناموس الموسوي. لكنه كان كاسراً لناموس المحبة. وهذا يكفي. كانت كل خطاياه متجمّعة في هذه الكلمة: «يكنز لنفسه» ـ هذا هو «البحر الميت» الذي يأخذ ولا يعطي.

(٣) موقف التلاميذ ازاء حطام الدنيا (لوقا ١٢: ٢٢ ـ ٣١): كان مثَل الغني موجهاً إلى الجموع ، لكن المسيح في هذه الأعداد يسوق الحديث إلى التلاميذ بوجه عام . «من أجل هذا أقول لكم» . ولعل التلاميذ قد ظنوا ـ بعد أن سمعوا مثل الغني الغبي ـ أن تجربة حب المال بعيدة عنهم لأنهم كانوا فقراء . «من أجل ذلك» قصد المسيح أن يحدثهم عن «تجربة الفقراء» .فاذا كانت تجربة الغني ، هي في كثرة التفكير في جمع المال وخزنه ، فان تجربة الفقير هي في القلق والاهتمام بالحصول على المال .

يقع الغني في حبّ المال لانه متمتع به . ويقع الفقير في هذا الفخّ عينه لانه محروم منه . تجربة الغني تولّدها الوفرة ، وتجربة الفقير يُنشئها الحرمان. قد يكون أحد الناس مريضاً بارتفاع ضغط الدم، كما يمرض أحدهم بانخفاض الضغط . وكلاهما مرض مخطر مميت . وقد يكون تعلق الفقير بالمال البعيد عنه ، أقوى من تعلق الغني بالمال الذي بين يديه .

يعيّن المسيح موقف التلاميذ ازاء حطام الدنيا في كلمتين: إحداهما ـ سلبية:

أقول لكم لا تهتموا لحياتكم بما تأكلون ولا للجسد بما تلبسون
٢٣ الحيوة أفضل من الطعام

« لا تهتموا » (١٢: ٢٢ ـ ٣٠) . والثانية ايجابية : «اطلبوا» (١٢: ٣١) . والكلمتان تفصل بينهما كلمة « بل » .

الكلمة السلبية « لا تهتموا » (١٢: ٢٢ ـ ٣٠) : لم يقصد المسيح بعدم الاهتمام أن نلقي الحبل على الغارب في أمر معيشتنا . ولم يرد أن يشجع الذين « بلا ترتيب » ، على الكسل والتواكل ، بل قصد أن يدرب الناس على الايمان والتوكُّل . يقول المسيح بلغة بولس رسوله « ان كان أحد لا يريد أن يشتغل فلا يأكل أيضاً (٢ تسالونيكي ٣: ١٠) .

ان الاهتمام الذي ينهي عنه المسيح هو الاضطراب الذي يُولد مع الشك، ويتربى على أحضان عدم الايمان ، ويقترن بالارتباك ، فيلد القلق . هذا هو الاهتمام الذي إذا ملك قلب انسان ما ، صيره كريشة في مهب الرياح ، أو كنجمة تائهة في الفضاء ، أو كسفينة تلعب بها الأمواج ، وتعبث بها الأنواء

وضع المسيح في هذه الأعداد أربعة مبادىء وأوضحها ببعض الأمثلة :

(١) المبدأ الأول «لا تهتموا» لان الله جواد محسن (عدد ٢٣) . فان الله أنعم عليكم بالحياة ـ وهي الافضل ـ فهو لا يبخل عليكم بالطعام الذي تتطلبه هذه الحياة. والكلمة اليونانية المترجمة: «حياة» في هذا العدد، هي بعينها المترجمة «نفس» في (عدد ٢٠). وهي لا تعني الحياة الروحية بل الحياة الطبيعية. كأنما المسيح يقول : ان الذي وهبكم الاجساد ، لا يبخل عليكم بستر هذه الاجساد

والجسد أفضل من اللباس ٢٤ تأملوا الغربان. أنها لا تزرع ولا تحصد. وليس لها مخدع ولا مخزن والله يُقيتها. كم أنتم بالحري أفضل من الطيور ٢٥ ومن منكم إذا اهتم

بالكساء. والذي خلق فما لا بدّ أن يملأه ويشبعه. إذاً كل هبة منحنا الله إياها هي بمثابة وعد بهبات أخرى أفضل منها وأعمّ، أفلا يليق بنا أن نضيف الآن هذه الحجة الخالدة التي لم يكن قد جاء وقتها بعد: «الذي لم يشفق على ابنه بل بذله لاجلنا أجمعين، كيف لا يهبنا أيضاً معه كل شيء» ؟؟

توضيح هذا المبدأ: (عدد ٢٤) قصد المسيح أن يوضح هذا المبدأ بمثل. فأقام من الغربان حجة على جودة الله وعنايته العامة بالمخلوقات.

ما أكثر وداعة المسيح وما أجلّ حكمته، فانه لم يحتقر هذه الطيور التي كانت محسوبة نجسة في نظر اليهود، بل اتخذ منها أساتذة للتلاميذ ولغيرهم. ليلقي عليهم دروساً في الاتكال على الله في تدبير القوت الضروري. وفوق ذلك فان الله لم يكتف بان يُقيت هذه الغربان، بل شرّفها مرة، في التاريخ اليهودي، بان جعلها واسطة في إعالة نبيّ من كبار أنبيائه (١ ملوك ١٧: ٤ - ٧).

ان الغربان التي لا تملك مخازن، تخجل ذلك الغني الغبي صاحب المخازن

ما أحوجنا إلى التأمل في قيمة نفوسنا في نظر الله كلما جُرّبنا بان ننظر إلى ذواتنا نظرة الاحتقار والازدراء «فكم أنتم بالحري أفضل من الطيور» ؟

(ب) المبدأ الثاني: (عدد ٢٤ - ٢٨): «لا تهتموا» لان اهتمامكم لا يجديكم نفعاً - «من منكم إذا اهتم يقدر أن يزيد على قامته ذراعاً واحدة».

يقدر أن يزيد على قامته ذراعاً واحدة ٢٦ فان كنتم لا تقدرون ولا على الاصغر فلماذا تهتمون بالبواقي ٢٧ تأملوا الزنابق كيف تنمو. لا تتعب ولا تغزل. ولكن أقول لكم انه ولا سليمان في كل مجده

والاشارة هنا ليست الى القامة المادية فقط، لكنها تشمل العُمر نفسه. والمراد بها «من منكم اذا اهتم يقدر أن يطيل عمره شيئاً يسيراً»: لان الكلمة المترجمة «قامة» في هذا العدد، مترجمة «سن» في (يوحنا ٩: ٢١ و ٢٣) «هو كامل السن».

(عدد ٢٦): «فاذا كنتم لا تقدرون ولا على الاصغر» أي على زيادة القامة، «فلماذا تهتمون بالبواقي»؟ أي بالأمور الأخرى التي لها شأن أكبر في الحياة

المثال (عدد ٢) استمد المسيح من عالم الطير مثالاً لتعزيز المبدأ الأول، واستمد من عالم النبات مثالا لتعزيز المبدأ الثاني. قال المسيح، في تعزيز المبدأ الأول: «تأملوا الغربان»، وفي تعزيز المبدأ الثاني قال «تأملوا زنابق الحقل»

شتان بين الزنابق في جمالها ونقاوتها، و بين الغربان في قبحها ونجاستها. ولكن ما أحوج الانسان إلى أن يتعلم من كل شيء!». ان في قطرة الندى درساً، وفي أشعة الشمس أمثولة، وفي غيوم السماء موعظة، وفي فحمة الليل آية. وطوبى لمن يفتح عينيه ليرى، ولمن يوسع عقله ليتأمل.

يراد بالزنابق تلك الزهور البديعة، ذات الكؤوس القرمزية الدامية، التي يزداد جمالها و يزدان، كلما سكبت عليها أشعة الشمس محلولاً من ذوائب التبر.

هذه الزنابق يمتاز جمالها عن لباس «سليمان في كل مجده».

يقول التلمود: ان عبيد سليمان كانوا يلبسون ملابس أرجوانية حمراء،

كان يلبس كواحدة منها ٢٨ فان كان العشب الذي يوجد اليوم في الحقل ويطرح غداً في التنور يلبسه الله هكذا فكم بالحري يلبسكم أنتم يا قليلي الايمان ٢٩ فلا تطلبوا أنتم ما تأكلون وما تشربون ولا تقلقوا ٣٠ فان هذه كلها تطلبها أمم العالم. وأما أنتم فابوكم يعلم انكم تحتاجون الى هذه

وتنثر على شعور رؤوسهم برادة الذهب، كلما وقفوا ليخدموا مليكهم في المساء

وضع المسيح على لسان الزنابق أنشوده رائعة ذات مقطعين : أحدهما «ان الله ينميها» — هذا درس لعلماء النبات. وثانيهما: «ان الله يلبسها ويجملها» — هذا درس للشعراء .

في عدد ٢٨ يذكر المسيح النتيجة التي يتوج بها التمثيل بالزنابق . وهي ان الانسان الخالد أفضل من العشب الذى مآله إلى النار .

(ج) المبدأ الثالث (عدد ٢٩ و ٣٠) «لا تهتموا . ولا تقلقوا» : فالاهتمام لا يليق بكم . لانه من شأن أمم العالم الغير المؤمنين الذين لا ثقة فيهم بالله، ولا مطمح لهم في الوجود ، إلا أن يأكلوا ويشربوا وغداً يموتون . لأن الأفق ينتهي أمامهم عند نهاية أعمارهم . والكلمة «قلق» تصور لنا سفينة تخبطها الرياح وتدفعها

هذه هي المرة الوحيدة التي استعملت فيها، في الأصل، كلمة «قلق» في العهد الجديد

(د) المبدأ الرابع «لا تهتموا» لأن الله أبوكم (عدد ٣٠) : ومن طبيعته كآب أن يعلم ما تحتاجون اليه قبل أن تسألوه . إذاً والحالة هذه ، يكون اهتمامكم إهانة لأبيكم ، واقراراً منكم بضعف ثقتكم به .

٣١ بل اطلبوا ملكوت الله وهذه كلها تزاد لكم ٣٢ لا تخف أيها
القطيع الصغير لأن أباكم قد سُرَّ أن يعطيكم الملكوت

الكلمة الايجابية : «بل اطلبوا ملكوت الله وهذه كلها تزاد لكم» (عدد ٣١) .

نرى في هذا القول: (ا) واجباً : «أطلبوا» . والطلب يتضمن السعي ، والجهاد ، والصلاة . (ب) ترتيباً : «ملكوت الله» وكل ما عداه يُحسب من الفضلات التي تزد . ملكوت الله هو الجوهر وكل الماديات هي العرَض . ملكوت الله ينبغي أن يكون أولا في قلوبنا، وفي أشواقنا. وكل شيء سواه يطلبنا إذا نحن طلبنا الملكوت أولاً . ان حطام الدنيا يجري أمام الذين يجرون وراءه ، لكنه يجري وراء الذين يغضون الطرف عنه و يتجاهلونه .

اتجاه حياة المؤمنين (١٢: ٣٢ — ٤٠) : بين عواصف الحياة الثائرة،و بين زدحام مطالبها المتكاثرة ، أشرف المسيح على تلاميذه والقى عليهم نظرة هادئة مطمئنة ، وشفع هذه النظرة : (ا) بتشجيع . (ب) ونصيحة .

(ا) أما التشجيع فقد تضمن: (١) لقباً «أيها القطيع الصغير» ـ بمقابلتهم بجمهور الذئاب المفترسة المحيطة بهم. (٢) وعداً: «لا تخف» . أليس هذا ترديداً لصوت «يهوه» القائل في القديم لشعبه اسرائيل «لا تخف يا دودة يعقوب يا شرذمة اسرائيل» (اشعياء ٤١: ١٤).(٣) بنوّة: «لأن اباكم» : هذه ميزة عظمى لا يقدّرها إلا من عرف جلال الله وعظمته . (٤) إعلاناً : «قد سُر أن يُعطيكم الملكوت» . ما أعجب هذه المسرة الربانية الأبوية التي سُرّت بأن تعطي

٣٣ بيعوا ما لكم واعطوا صدقة . اعملوا لكم اكياساً لا تفنى وكنزاً لا ينفد في السموات حيث لا يقرب سارق ولا يُبلي سوس ٣٤ لأنه حيث يكون كنزكم هناك يكون قلبكم أيضاً

الملكوت ، الذي هو بر وسلام وفرح في الرّوح القدس . لهذه الفئة الضعيفة ، هذه هي وليمة القلب الدائمة .

إذا كان الآب قد سُرّ أن يعطينا الملكوت أفلا يُحسب عقوقاً منا، أن ننسى هذه الهبة المجيدة ، وأن نقلق من جهة ما نأكل وما نلبس ؟؟

(ب) أما النصيحة فقد تضمنت وصية لهم بألاّ يسمحوا لشيء ما،أن يقف عائقاً في سبيل خدمتهم لسيدهم ، وحوت إشارةً عليهم بأن يوجهوا مجرى حياتهم لى جهتين: الجهة الأولى—هي الجهة العلويّة : «فيالسموات» (عدد ٣٣)— هناك ينبغي أن يكنزوا كنوزهم،حيث لا يقرب «سارق» من الخارج ، ولا يُبْلي « سوس » من الداخل . هذه هي الجهة التي يجب أن نوجه اليها عواطفنا .

في سبيل كنز كنوزهم في السموات ينبغي عليهم: (ا) «ان يبيعوا» — هذه زهرة الحياة المسيحية — التضحية ، وقد يكون هذا صليبهم . هذا هو الدرس الاوّلي الذي تعلمته الكنيسة الأولى ومارسته ، وبحث فيه ، (اعمال ٢: ٤٤ و ٤: ٣٢) . (ب) «وأن يُعطوا صدقة» —هذا هو ثمر الحياة المسيحية. (ج) «وأن يعملوا اكياساً لا تفنى» —هذا هو روح المحبة.فاذا كان الواجبان الاولان سلبيّين، فان هذا الواجب إيجابي. والكلام هنا مجازي يراد به أن

٣٥ لتكن احقاؤكم ممنطقة وسرجكم موقدة ٣٦ وانتم مثل أناس
ينتظرون سيدهم متى يرجع من العرس حتى إذا جاء وقرع يفتحون
له للوقت ٣٧ طوبى لاولئك العبيد الذين إذا جاء سيدهم يجدهم
ساهرين . الحق أقول لكم أنه يتمنطق ويتكئهم ويتقدم ويخدمهم

يعيشوا للسماء مع أنهم على الارض وأن يبيعوا الارضيات ويأخذوا بها « تحويلاً » على الآخرة . لان « عملة » الأرض لا « تصرف » في السماء .

والجهة الثانية ، هي الجهة الافقية— «إلى الامام» إلى يوم مجيء المسيح الثاني (١٢: ٣٥—٣٩) : «لتكن أحقاؤكم ممنطقة وسُرُجكم موقدة» . هذه هي الجهة التي يجب أن نصوّب اليها جهودنا . أن الكلام هنا مجازي: معناه أن يكونوا مستعدين للعمل والخدمة ، منصرفين عن أمور العالم ، فلا تعرقلهم أهداب ثيابهم الطويلة، ولا تزعجهم سرجهم المنطفئة، لئلا يصيبهم ما أصاب العذارى الجاهلات (متى ٢٥: ١—١٣) .

ذكر المسيح بعض البواعث على هذا الاستعداد (١٢: ٣٦و٣٧) فمنها : (ا) حسن الثواب المذخر لمن ينتظرونه ساهرين وخادمين: «طوبى لاولئك العبيد الذين إذا جاء سيدهم يجدهم ساهرين» :ومن العجب العُجاب أن سيّد أولئك العبيد الامناء ، يصير لهم في النهاية خادماً ، ويصيرون هم له أخوة ، وأحباء ، وشركاء ، فيجلسهم في عرشه (رؤيا ٣: ٢١)، كذلك صار المسيح لتلاميذه فغسل أرجلهم في هذه الحياة (يوحنا ١٣: ١—١١).(ب) شر العقاب الذي ينتظر غير الامناء . وهذا مستمد من مباغتة يوم مجيئه : « وان أتى في

٣٨ وان أتى في المزيع الثاني أو أتى في المزيع الثالث ووجدهم هكذا فطوبى لاولئك العبيد ٣٩ وانما اعلموا هذا أنه لو عرف رب البيت في أية ساعة يأتي السارق لسهر ولم يدع بيته ينقب ٤٠ فكونوا أنتم

المزيع الثاني أو أتى في المزيع الثالث» .

كان الليل مقسما وقتئذ — في عُرف الرومان — إلى أربع فترات يُعرف كل منها «بالمزيع» فالمزيع الأول من الساعة ٦ — ٩ مساء ، والثاني من ٩ — ١٢ (نصف الليل) ، والثالث من ١٢ — ٣ صباحاً ، والرابع من ٣ — ٦ صباحاً . وساعات السهر تستنفدُ مدة المزيع الثاني والثالث . وهي المعروفة بساعات انتظار العريس وفي نهايتها يأتي العريس .

قد أقام المسيح تلاميذه وخدامه حراساً على شعبه وكنيسته التي هي بيته . لذلك أوصاهم بالاستعداد الدائم لانه في ساعة لا يظنها أحد، يأتي ابن الانسان

ان عقل المسيح الخصيب كان يتنقل بسامعيه من صورة إلى صورة، ففي الأعداد السالفة ، يصوّر لنا سيّداً يباغت عبيده . فيأتيهم على غُرّة ، وفي هذا العدد (٣٩) رسم لنا لصاً يفاجيء رب البيت ويداهمه. أن مجيء السيّد منتظر لكنّه غير معيّن بالضبط، أما مجيء اللص فهو غير منتظر البتة. كأنّ المسيح رأى أن مثلاً واحداً لا يكفي لتوضيح الغرض الذي أمامه ، لذلك استخدم مثلاً آخر ليكون كل منهما موضحاً وجهةً خاصة لمجيئه .

يوم واحد له وجهان : كعمود النار في القديم ، وجهه الأول مبهج منير للمؤمنين المنتظرين — هذا هو يوم العريس . ووجهه الثاني مظلم قاتم

اذاً مستعدين لانه في ساعة لا تظنون يأتي ابن الانسان ٤١ فقال له
بطرس يا رب ألنا تقول هذا المثل أم للجميع أيضاً . ٤٢ فقال الرب
فمن هو الوكيل الأمين الحكيم الذي يقيمه سيده على خدمه ليعطيهم
العلوفة في حينها ٤٣ طوبى لذلك العبد الذي إذا جاء

لغير المنتظرين اللاّهين ، هذا هو يوم « السارق » الذي يعبث بكل آمالهم المتعالية ويهدم قصورهم التي بنوها في مخيلاتهم . ويسلبهم راحتهم التي اطمئنوا اليها .

هذا هو يوم مجيء المسيح الثاني . وقد يراد به — من قبيل التطبيق — يوم افتقاد المسيح لكل انسان على انفراد ، ساعة الموت .

(٤) كلام المسيح للتلاميذ الأخصّاء (١٢: ٤١—٥٣): ان كلام المسيح عن حسن الثواب المعدّ للذين ينتظرونه ، قد أهاج في نفس بُطرس — كليم الرسل — انتظارات مجيدة . ولعله هنأ نفسه مقدّماً ، بالشرف العظيم الذي سيوليه إياه سيده ، لكنه خاف من أن يكون واهماً في انتظاراته ، لذلك قصد أن يستجلي حقيقة الأمر ، بسؤال القاه على المسيح « يا رب . ألنا » — أي للاُثني عشر — « تقول هذا المثل » — الخاص برب البيت « أم للجميع أيضاً » . كأن بطرس المسكين ، خاف من أن تكون عطايا المسيح غير كافية له ، وللجميع أيضاً . ولعل سؤاله هذا يتمشى مع سؤاله في متى ١٩: ٢٧

مرّ المسيح بسؤال بطرس ، مرّ الكرام ، فلم يجب عنه بصراحة مع أنه أجاب عنه ضمناً بمثل أفرغه في صيغة سؤال ، ثم طرحه على بُطرس ليُلقي

سيده يجده يفعل هكذا ٤٤ بالحق أقول لكم انه يقيمه على جميع أمواله ٤٥ ولكن ان قال ذلك العبد في قلبه سيدي يبطىء قدومه . فيبتدىء يضرب الغلمان والجواري ويأكل ويشرب ويسكر ٤٦ يأتي سيد ذلك العبد في يوم لا ينتظره وفي ساعة لا

عليه مسئولية الجواب . يستفاد من هذا المثل أن المكافأة ستكون من حق الوكيل الأمين الحكيم الذي يُعطي النصيب اليومي من الطعام للخدم الذين وضعهم سيده تحت سلطته. كما كان يوسف وكيلاً في بيت فوطيفار ، واليعازر الدمشقي في بيت ابراهيم .

(عدد ٤٤) انمكافأة هذا العبد الأمين مثلّثة:(ا) سعادة : «طوبى». (ب) ترقية : «يقيمه على جميع أمواله» . (ج) المزيد من المسئولية : «على جميع أمواله» . ان مكافأة الخدمة الصغيرة هي خدمة أعلى وأعظم .

(في عدد ٤٥) نرى صورة العبد الخائن.وفي (عدد ٤٦) نقرأ عن قصاصه. أما صورة ذلك العبد الخائن فهي : (ا) ضمير ميت : «يقول في قلبه» . (ب) تصرّف متهاون: «سيّدي يبطىء قدومه».(ج) إرادةمستبدّة: «يضرب الغلمان والجواري».والويل للناسمن عبد إذا ملك! (د) ميل حيواني: «يأكل ويشرب ويسكر» . أما قصاص هذا العبد فهو «القطع» . وهل في الوجود كلمة أحدّ من هذه الكلمة القاطعة بشدّتها ، المرعبة بحدّتها ؟!

قد يكون «القطع» حكماً أدبياً، يُقصد به حرمان العبد من ميراث البيت

يعرفها فيقطعه ويجعل نصيبه مع الخائنين ٤٧ وأما ذلك العبد الذي
يعلم إرادة سيده ولا يستعد ولا يفعل بحسب إرادته فيُضرب كثيراً
٤٨ ولكن الذي لا يعلم ويفعل ما يستحق ضربات يضرب قليلا .
فكل من أعطي كثيراً يطالب منه كثير ومن يودعونه كثيراً
يطالبونه باكثر ٤٩ جئت لألقي ناراً على الأرض .

واهليته ، وقد يراد به الاعدام . وقد كان هذا العقاب الثاني نافذاً ، تعمل به أمم كثيرة . (أنظر ٢ صموئيل ١٢: ٣١ ودانيال ٢: ٥) .

في (عددي ٤٧ و ٤٨) يضع المسيح مبدأ عاماً به يحدد مسئوليتنا أمام الله. فكلما ازدادت الهبات، ثقلت المسئوليات وعظمت. ان الأقذار لا تُرى على سطح الفحم الأسود ، لكن ذرات الغبار الدقيقة ، تشوه جمال المرآة النقية الصافية . قد تكون خطية موسى صغيرة في ذاتها . لكنها اعتُبرت خطية عظمى ، لأنها صدرت عن موسى العظيم . فلنحذر . لأنه «مخيف هو الوقوع بين يدي الله الحي » .

لا يريد المسيح بهذه الأقوال ان يشجع الجهل ، لكنه أراد أن يحذرنا من العلم القاتل .

طلائع تأثير رسالة المسيح في العالم (١٢: ٤٩ — ٥٣): أراد المسيح أن يوضح التأثير الأولي الذي سيكون لمجيئه في العالم. فاستخدم في كلامه استعارتين — أولاهما « النار » — هذه ترينا فعل رسالته في العالم . والثانية « الصبغة » أو

فماذا أريد لو اضطرمت ٥٠ ولي صبغة أصطبغها وكيف انحصر

المعمودية — وهذه تحدثنا عن فعل رسالته في نفسه ، أنهـا اصطباغ بدم الصليب والـكفارة .

(١) ان « النار » التي جاء المسيح ليلقيها على الأرض ، هي النار التي أنبأ بها يوحنا المعمدان : «بالروح القدس ونار» (لوقا ٣ : ١٦) — هذه نار : (ا) الإحياء والتطهير ، والالهاب ، للمؤمنين . (ب) وهي نار الاحراق ، والتدمير ، والتعذيب ، لغير المؤمنين . (ج) وهي بالتالي نار الانقسام الناشيء عن اصطدام قوات الظلام بقوات النور .

لم يبتدىء عصر الروح القدس الفيّاض ، إلا بعد أن اصطبغ المسيح بدم الصليب ، وصعد إلى السماء حياً (يوحنا ٧ : ٣٩) . لذلك كان من المحتم ان يجتاز المسيح منطقة «الصليب» ، ويَعْـبُرَ «نهر الدماء» الذي كان ينتظره ، قبل أن تضطرم نار الروح القدس في العالم ويمكننا أن ندرك معنى القول «ماذا أريد لو اضطرمت» ، إذا اعتبرنا « لو » مصدرية فتكون هي وصلتها في محل مفعول به لمحذوف ، تقديره «أريد اضطرامها» وكلة «انحصر» قد وردت أيضاً في (٢ كورنثوس ٥ : ١٤) «لان محبة المسيح تحصرنا» وهي من قبيل قوله عن نفسه «ينبغي أن يُرفع ابن الانسان» . «ينبغي أن يتألم» . «ينبغي أن أبشر المدن» فهي التزام أدبي ، داخلي ، قَبِله على نفسه إذ قبل الصليب مختاراً .

أن التعبيرات التي استخدمها المسيح هنا ، غاية في الدقة . ومنها نرى : (ا) معرفته التامة بآلام الصليب . (ب) شجاعته الـكاملة في مواجهته تلك

حتى تُكمل ٥١ أتظنون اني جئت لأعطي سلاماً على الأرض.
كلا أقول لكم. بل انقساماً ٥٢ لانه يكون من الآن خمسة في بيت
واحد منقسمين ثلاثة على اثنين واثنان على ثلاثة ٥٣ ينقسم الاب على

الآلام التي كانت تنتظره. (ج) شوقه إلى خوض غمار هذه الآلام ليتمّ بها عهداً قبله على نفسه، وينجز بها فداء قد جاء إلى عالمنا لاجله، وينفذ بها وصية قد قبلها من الآب السماوي لاجلنا.

(عدد ٥١) كان اليهود في عصر المسيح «يظنون» خطأ أن «مسيّا» المنتظر سيأتي لنشر راية السلام الاجتماعي، والسياسي، على ربوع العالم في لمح البصر، لذلك قصد المسيح أن يصلح هذا الخطأ بقوله «أتظنون اني جئت لألقي سلاماً؟» . كلاّ اني لم آتِ لالقي سلاماً سطحياً، من نوع السلام الذي تتوقعونه. ان سلامي الحقيقي لا يأتي إلا بعد العاصفة. والاتحاد الروحي الحقيقي الذي جئت إلى العالم لاجله، لا يأتي إلا نتيجة انفصام عُرى الصلات الجسدية المزّيفة، فينقسم الابن على الأب، والأب على الابن، «وأعداء الانسان أهل بيته» (ميخا ٧: ١٢ وحزقيال ٤٨: ٦٩).

يقول تقليد قديم انه حالما آمن بولس بالمسيح، قلب له والده ظهر المجنّ.

نرى في عددي ٥٢و٥٣، صورة لعائلة يهودية تفشّى فيها الانقسام، لان بعضاً منها آمن بالمسيح، والبعض الآخر لم يؤمن به بعد. وقد يظن القارىء لاول وهلة، أن المسيح يذكر خمسة أشخاص في عدد ٥٢، وستة أشخاص في عدد ٥٣. والحقيقة أنهم خمسة أشخاص في كلا العددين. لان أمّ الابن هي

الابن والابن على الأب . والأم على البنت والبنت على الأم . والحماة على
كنتها والكنّة على حماتها ٥٤ ثم قال أيضاً للجموع . إذا رأيتم السحاب
تطلع من المغارب فللوقت تقولون أنه يأتي مطر فيكون هكذا ٥٥ وإذا
رأيتم ريح الجنوب تهب تقولون انه سيكون حر . فيكون ٥٦ يا مراؤون
تعرفون أن تميزوا وجه الارض والسماء وأما هذا الزمان فكيف
لا تميزونه ٥٧ ولماذا لا تحكمون بالحق من قِبَل نفوسكم

بعينها حماة الكنة. فالعائلة هذه تتكون من الأب والابن والأم والبنت وزوجة الابن. ومن المحتمل أن الأب والأم وقفا معاً في جانب، وفي الجانب الثاني وقف الابن وزوجته وأخته . هذا يفسر القول «ثلاثة على اثنين واثنان على ثلاثة»

(٢) تحذير يسوع للجموع (١٢: ٥٤ — ٥٩): بدأ المسيح كلامه للجموع، ثم انصرف إلى التلاميذ وخاطبهم ، وأخيراً عاد كما بدأ . ووجه الخطاب الى الجموع و بينهم الكتبة والفريسيون . نلاحظ في هذه الأعداد :—

(١) توبيخاً لليهود (١٢: ٥٤ — ٥٩): لانهم تعلموا كيف يميزون علامات الجوّ الطبيعي في وقتٍ جهلوا فيه — أو تجاهلوا — حقيقة المسيح ، إذ أماتوا ضمائرهم، مع أنهم لو استمعوا لصوت ضمائرهم، لتحققوا من تلقاء أنفسهم أن المسيح هو « الحق » . لكنهم علموا من رسالة يوحنا المعمدان الذي جاءهم منادياً «بالحق» .. مساكين أولئك القوم — ومَن على شاكلتهم — لانهم عرفوا وجه السماء والأرض، الطبيعي، أما وجه المسيح فقد ستروا عنه وجوههم واحتقروه فلم يعتدوا به . كذلك كانت مصيبة أورشليم التي «لم تعرف زمان افتقادها»

٥٨ حينما تذهب مع خصمك إلى الحاكم ابذل الجهد وأنت في الطريق لتتخلص منه . لئلا يجرك إلى القاضي و يسلمك القاضي إلى الحاكم فيلقيك الحاكم في السجن ٥٩ أقول لك لا تخرج من هناك حتى توفي الفلس الأخير

(ب) نصحاً لهم (١٢: ٥٨ و ٥٩) : أخلص المسيح لهم النصح فأوصاهم بضرورة المصالحة،قبل التقدم للقضاء . والكلام في العدد الاخير موجه للفرد لا للمجموع ، لاننا ندان أفراداً لا جماعات .

يقول التلمود «إذا دبّ الخلاف بين الانسان و بين الله فان يوم الكفارة كفيل بازالة هذا الخلاف.لكن إذا شجر الخلاف بين الانسان و بين جاره، فان يوم الكفارة لا يزيل هذا الخلاف إلا إذا تراضيا كلاهما معاً قبل يوم الكفارة»

أن الكلام هنا مجازي،يراد به أن ينتهز اليهود فرصة وجود المسيح على الارض — يوم النعمة — و يتصالحوا معه،فهو أخوهم حسب الجسد،وهم خاصته، واليهم قد جاء مخلّصاً،قبل أن يأتي في مجيئه الثاني مطالباً بدمه الثمين. «اطلبوا الرب ما دام يوجد ادعوه وهو قريب» (أشعياء ٥٥: ٦ ومزمور ٣٢: ٦) .

يقول «جودي» «ان الله هو الخصم والقاضي والحاكم فهو بقدرته خصم، و بعدالته قاض ،و بسلطته حاكم».وذهب بعض المفسرين في تفسير هذا المثل مذهباً آخر ، فقالوا «إن الخصم هو الله،والقاضي هو المسيح،وملاك النقمة هو الحاكم» (متى ١٣: ٤١) ونحن نميل إلى الرأي الأول.وقد يكون من المفيد أن نذكر أن متى وضع هذا المثل في سياق الموعظة على الجبل (متى ٥: ٢٥ و ٢٦) والمراد بهذا المثل هنالك ، هو أن مصالحتنا مع الناس شرط أساسي لمصالحتنا مع الله

الاصحاح الثالث عشر

١ وكان حاضراً في ذلك الوقت قوم يخبرونه عن الجليليين الذين خلط

إنذار وتحذير (لوقا ١٣: ١ — ٥)

ما أشبه كلمات المسيح بعقد من اللآلىء الدُّريَّة ، يتصل بعضها ببعض اتصالاً حيوياً ، لا يفصمها عن بعضها اعتراض من الناس ولا يفككها استجواب .

تكلم المسيح في الاصحاح السابق عن القضاء والدينونة ،«وكان حاضراً في ذلك الوقت قوم يخبرونه عن الجليليّين الذين خلط بيلاطس دمهم بذبائحهم» وربما كان غرض أولئك المخبرين : (ا) أن يشكوا لملك اليهود المنتظَر ، استبداد بيلاطس الحاكم الروماني الأجنبي . (ب) او أن يجعلوا من أولئك الجليليين المساكين موضوعاً للحديث عن الدينونة والعقاب . وبذلك يصرفون كلمات المسيح عن أنفسهم ويوجهونها نحو هدف آخر . (ج) أو أن يوقفوا المسيح أمام تلك المشكلة القديمة المجددة — مشكلة الألم في الحياة . سيما وأن أولئك الجليليين قُتلوا وهم يقدّمون الذبائح في الهيكل .

كان من الطبيعي أن تثور ثائرة أولئك القوم على بيلاطس،لانه انتهك حرمة الهيكل المقدس فأدخل اليه جنوده الوثنيين ليطاردوا أولئك الجليليين الذين فرّوا من وجه بيلاطس ليمسكوا بقرون المذبح،فلم يكفّ جنود بيلاطس عن مطاردتهم ، مراعاةً لحرمة الهيكل . لكن بيلاطس وجنوده داهموهم ،

بيلاطس دمهم بذبائحهم ٢ فأجاب يسوع وقال لهم أتظنون أن هؤلاء

وقتلوهم ، فأريقت دماؤهم واختلطت بدماء ذبائحهم ، ولا ذنب لهم سوى أنهم امتنعوا عن دفع الضريبة التي فرضها عليهم الرومان ويقول التاريخ إن معاملة بيلاطس لهؤلاء الناس — وهم جليليون من رعايا هيرودس — كانت علة العداء بين هذين الحاكمين (لوقا ٢٣ : ١٢) . ويقول بعض المؤرخين إن « باراباس » قُبض عليه بسبب هذه الفتنة (لوقا ٢٣ : ١٩) .

جواب المسيح (عدد ٢) : لم يتحوّل المسيح عن مجرى حديثه في خطابه السابق ، لكنه سدّد سهام كلامه إلى قلوب أولئك «المخبرين» فكان في جوابه : (١) محذراً إياهم من الوقوع في الخطأ الذي كان سائداً وقتئذ على عقول الكثيرين: وهو أن المصائب توزّع على الناس بنسبة شرورهم. فقال لهم: « أتظنون أن هؤلاء الجليليين كانوا خطاة أكثر من كل الجليليين لأنهم كابدوا مثل هذا ؟ [1] » ومن الملاحظ أن المسيح لم يبرر أولئك الجليليين المنكوبين، لكنه حذّر المخبرين من أن يحكموا على الآخرين بظواهر الامور: — (١) لان البلايا قد لا تدل على خطايا خصوصية . (٢) لان الذين لا يأتيهم العقاب سريعاً ، لا يعفون منه إلا وقتياً . (٣) لان كثيرين من الاشرار موفقون في زمنياتهم بينما يقاسي كثيرون من الاتقياء أشد أنواع البلاء .

(١) لم يكن هذا اعتقاد أولئك المخبرين وحدهم ، لكنه كان أيضاً اعتقاد أصحاب أيوب (أيوب ٢٢ : ٥ - ٣٠) كذلك حكم أهل مليطة على بولس (اعمال ٢٨ : ٤) .

الجليليين كانوا خطاة اكثر من كل الجليليين لانهم كابدوا مثل هذا .
٣ كلا أقول لكم . بل إن لم تتوبوا فجميعكم كذلك تهلكون ٤ أو
أولئك الثمانية عشر الذين سقط عليهم البرج في سلوام وقتلهم أتظنون
أن هؤلاء كانوا مذنبين اكثر من جميع الناس الساكنين في أورشليم
٥ كلا أقول لكم . بل إن لم تتوبوا فجميعكم كذلك تهلكون

(٤) الذي يكشف حقيقة الانسان هو « الطريقة » التي بها يعيش لا « الطريقة » التي بها يموت .

(ب) كان المسيح في جوابه أيضاً منذراً ، إذ فاجأهم بالقول «إن لم تتوبوا فجميعكم كذلك تهلكون» فبيّن لهم بشجاعته التي تمازجها المحبة والاشفاق: (١) أنهم بسبب خطاياهم واقعون تحت طائلة الهلاك (٢) ان الوسيلة الوحيدة للنجاة من الهلاك هي التوبة : « ان لم تتوبوا » . (٣) ان الله لا يحابي بالوجوه : « فجميعكم كذلك » .

أردف المسيح حادثة الجليليين، بحادثة أخرى — هي مأساة الثمانية عشرة الذين سقط عليهم البرج في سلوام ، وهم في جوار الهيكل المقدس . والفرق بين الحادثتين هو أن الحادثة الأولى تمّت مباشرةً بفعل حاكم روماني . أما الثانية فقد تمّت بالعناية الالهية ولا دخل ليد بشرية فيها . الحادثة الأولى أصابت الجليليين فكانت إنذاراً لكل الجليليين ، والحادثة الثانية أصابت سكان أورشليم فكانت إنذاراً لأورشليم عاصمة اليهودية. غير أن الحادثتين لهما رسالة واحدة وهي : « ان لم تتوبوا فجميعكم كذلك تهلكون » .

٦ وقال هذا المثل . كانت لواحد شجرة تين مغروسة في كرمه .
فأتى يطلب فيها ثمراً ولم يجد ٧ فقال للكرام هوذا ثلاث سنين آتي

الكلمة المترجمة « مذنبين » معناها الحرفي «مدينين» ولعلّها تحمل اشارة إلى خاتمة الاصحاح الثاني عشر .

صدق المسيح العظيم ! لأنه بعد مرور أربعين عاماً، تكبّد أهل أورشليم كل أنواع العذاب .

مثل التينة غير المثمرة (لوقا ١٣: ٦—٩)

مرت بنا حادثتان : احداهما ذكرها المخبرون الجليليون، والثانية ذكرها المسيح نفسه . وها نحن الآن أمام مثل التينة غير المثمرة .

معنى هذا المثل : «الواحد» هو الاله الواحد الأحد . « والكرم » هو ملكوت الله على الارض. «والتينة» هي شعب اسرائيل. هذه استعارة كثيرٌ ورودها في العهد القديم (اشعياء ٥: ١—٧) «والكرام» هو المسيح. «والثلاث سنوات» هي المدة الكافية لنمو التينة ونضوجها واتيانها بثمر. فهي مدة كاملة، كافية لاتمام عملية الفحص . أو هي «فرصة وسائط النعمة الكاملة» . ولعلها تشير إلى مدة الثلاث سنوات التي قضاها المسيح على الارض . وربما كانت تنطوي على اشارة ضمنية إلى الثلاثة العصور التي مرت بشعب اسرائيل: عصر القضاة ، وعصر الملوك ، وعصر الكهنة .

يعتقد بعض المفسرين أن «الثلاث سنوات» هي عصر موسى ، وعصر

أطلب ثمراً في هذه التينة ولم أجد . اقطعها . لماذا تبطل الارض ايضاً
٨ فأجاب وقال له يا سيد اتركها هذه السنة أيضاً حتى أنقب حولها
وأضع زبلاً ٩ فان صنعت ثمراً وإلا

الأنبياء ، وعصر المسيح . ويميل البعض الآخر إلى القول إنها ترمز إلى : يوم الشريعة الطبيعيّة ويوم الشريعة المعلنة ، ويوم النعمة والحق .

الـكلمة «اقطعها» هي صوت القضاء العادل . لأن التينة ، فضلاً عن كونها عجزت عن أن تجود بثمر ، قد جاءت بضرر . لانها امتصت عصارة الأرض وافسدتها، فعطّلتها عن أن تمدّ شجرةً غيرها بالغذاء — كالأم مثلاً . والقول « اتركها هذه السنة أيضاً » هو صوت المسيح الشفيع الوحيد الذي استمهل القضاء مرة أخرى : «هذه السنة أيضاً» — تلك كانت كلمة رمزية تشير إلى مدة النعمة . كان طول هذه المدة ، أربعين سنة في تاريخ الأمة اليهودية ، لأن أورشليم أُخربت بعد مرور اربعين عاماً على هـذه الأقوال الصادقة الأمينة . وقد تكون أربعين يوماً فقط في حياة قوم آخرين . وقد تكون أربعين ساعة، أو دقيقة واحدة في حياتك أنت والقول «أنقب حولها وأضع زبلاً » يشير إلى خدمة عصر الانجيل كالصليب وهبة الروح القدس .

ان قطع هذه التينة ليس من عمل المسيح بل من صنع هذا « الواحد » صاحب الـكرم هذا مصداق لقول المسيح «لم يرسل الله ابنه إلى العالم ليدين العالم بل ليخلص به العالم» (يوحنا ٣: ١٧) .

ان الاستزادة من وسائط النعمة. تحمل معها عقاباً خاصاً للذين لا ينتفعون

فقيما بعد تقطعها ١٠ وكان يعلم في أحد المجامع في السبت

بهذه الوسائط . فعلى قدر النور الذي عندنا ، يزداد ظلام دينونتنا إذا لم نستفد من هذا النور .

قد يكون لبعض الأشجار شيء من الفائدة إذا فاتها أن تأتي بثمر. ولكن ما نفع التينة إذا كانت بغير ثمر ؟؟ ان عدم الاتيان بثمر ، هو شر ، لا يقل عن شر الاتيان بثمر رديء .

امتداد ملكوت المسيح (لوقا ١٣ : ١٠ — ٢١)

اعتاد المسيح ان يعرج على أحد مجامع اليهود من وقت إلى آخر ليعلّم هناك. وهذه إحدى المرات القليلة التي فيها علّم المسيح في المجمع، في السبت، في هذا الدور الأخير من خدمته. وفيما بعد لا نعود نسمع بذهابه إلى المجمع ليعلّم

نجد في هذا الفصل : (١) معجزة شفاء المرأة التي بها روح ضعف (١٣ : ١٠ — ١٣) . (٢) احتجاج رئيس المجمع وتعبيره عن تغيّظه (١٣ : ١٤). (٣) جواب المسيح (١٣ : ١٥ — ٢١) .

(١) شفاء المرأة المنحنية (١٣ : ١٠ — ١٣) : لحكمةٍ وضع الوحي هذه المعجزة بعد مثل التينة غير المثمرة ، فاذا اعتبرنا التينة رمزاً للأمة اليهودية التي ضاعت فيها وسائل الاصلاح ، فان المرأة التي بها روح ضعف تذكرنا بالمسيحية التي ظهرت للعالم بمظهر الضعيفة المنحنية ، فصارت على مر الأجيال «مشرقة مثل الصباح، جميلة كالقمر، طاهرة كالشمس، مرهبة كجيش بألوية» . رُفضت اليهودية فرذلت ، ثمّ ترعرعت المسيحية على أحضان النعمة .

١١ واذا امرأة كان بها روح ضعف ثماني عشرة سنة وكانت منحنية ولم تقدر أن تنتصب البتة ١٢ فلما رآها يسوع دعاها

هذه إحدى المعجزات التي تبرع المسيح بها من تلقاء نفسه اجابة لعاطفة الرحمة التي كانت تتدفق من قلبه ، تدفقَ مياة النيل وقت الفيضان . أو كما تنبعث طوعاً أشعة الشمس فتحمل للناس شفاء ونوراً . هذه حادثة أخرى اختص لوقا بذكرها جرياً على عادته في التفرد بتسجيل المعجزات التي أجراها المسيح ، اجابة لعاطفة الحنان التي تجيش في صدره .

ليس في الوجود مكان أنسب من «بيت الله» — المجمع، ولا زمان افضل من «يوم الرّاحة» — السبت، لعمل معجزات الشفاء . ان عبادتنا لله تكون أتم وأوفى اذا ترجمت عنها خدمتنا للبشر المحتاجين ، وان خدمتنا للبشر تتقدس وتتمجد اذا قمنا بها ونحنُ مشبّعون بروح التعبد لله .

نلاحظ في هذه المعجزة: (١) الداء (١٣: ١١ و ١٢). (ب) الدواء (١٣: ٣). (ج) نتيجة الشفاء (١٣: ١٣) .

(١) الداء (١٣: ١١) : — (١) طبيعته : أوضح المسيح معنى كلمة «روح ضعف» اذ عزا مرضها الى الشيطان الذي ربط ابنة ابرهيم هذه . ان في هذا دليلاً على أن الشيطان — بسماح من الله — كان مستولياً على جسدها لكنه لم يصل إلى نفسها التي ظلّت صحيحة نشيطة تستمتع بالعبادة مع جمهرة العابدين في المجمع . (٢) شدّة الداء : كان مرضها مزمناً لأنه لازمها مدة ١٨ سنة. قد يكون من السهل كتابة هذه المدة «١٨ سنة» ، وأسهل من ذلك النطق بها،

وقال لها يا امرأة إنك محلولة من ضعفك ١٣ ووضع عليها يديه ففي الحال استقامت ومجدت الله

لكنها «أبدية صغيرة» مملة على المريض التاعس (٣) أعراض الداء: يصف لوقا الطبيب أعراض هذا المرض بكلمتين: أولاهما تصف حال المرأة «منحنية» — وكم كان مؤلماً على سيدة خلقها الله على صورته لترفع وجهها الى فوق وتمتد ببصرها الى الامام، أن تصاب بمرض يضطرها الى النظر الى أسفل ! والكلمة الثانية تصف عجزها التام «لم تقدر أن تنتصب البتة» — هذا ضعف جسدي يقابله في عالم النفس، ضعف الارادة. وكم من كثيرين يطمحون الى العلاء وهم في الأوحال يتمرغون.

(٢) الشفاء (١٣: ١٢و١٣): — (ا) علة الشفاء: حنان المسيح. «فلما رآها يسوع». فهو الذي رآها ودعاها اليه، بدلاً من أن تتقدم من تلقاء نفسها اليه. ان عين المسيح ترى الشر وتوبخه. وترى الضعف فتعطف عليه. (ب) إعلان الشفاء: شفى المسيح هذه المرأة بارادته، وأعلن لها الشفاء بكلمته. فقال لها: «يا امرأة إنك محلولة من ضعفك». ان كلمة المسيح هذه لا تنبيء بشيء سيحدث لكنها تعلن حقيقة قد تمت: «انك محلولة». (ج) إتمام العلاج: لكي يتم لها المسيح الشفاء «وضع عليها يديه». ما أرق يد المسيح عندما تلمس مريضاً. وما أشدها عند ما تضرب عنيداً جباراً (اعمال ١٢: ١٣). (د) علامات الشفاء: «ففي الحال استقامت» — هذه صحة البدن. «ومجدت الله» — هذه صحة الروح. (ه) سرعة الشفاء: «ففي الحال» — ليس هذا الشفاء طبيعياً لكنه تم بمعجزة. لأن الوسائط

١٤ فأجاب رئيس المجمع وهو مغتاظ لان يسوع أبرأ في السبت وقال للجمع هي ستة أيام ينبغي فيها العمل ففي هذه ائتوا واستشفوا وليس في يوم السبت

الطبيعة لا تبطل في لحظة واحدة ما عمله المرض في ثماني عشر سنة

(٣) احتجاج رئيس المجمع (عدد ١٤) ان منظر المرأة وقد استقامت بعد انحناء، وان سماع صوتها وهي تمجد الله بعد أن ذهب عنها البؤس والشقاء، وان تجلّي قوة المسيح التي ظفرت برئيس سلطان الهواء، كل هذا يبعث في القلب الانساني تمجيداً لله، وشكراً، وتعظيماً. ولـكن ما العمل في القلوب المتحجرة التي اغلقت احشاءها ضد عمل النعمة، فاتخذت من المعجزة وسيلة للتغيّظ والحقد. هكذا يكون حضور المسيح، للنفس المؤمنة خير نعيم، وللنفس الشرّيرة شر جحيم

كان قلب رئيس المجمع يغلي بالضغينة ضد المسيح. لذلك قصد أن يتخذ من عمل الرحمة الذي أتاه المسيح، باباً ليتحدث به عن أحكام الناموس في حفظ السبت. لـكنه حدثنا عن طويّة نفسه وهو لا يدري. فأرانا أن نفسه منطوية على: — (ا) جبن في رياء: لأنه وجه الخطاب للجمع ولم يكن شجاعاً ليوجه الخطاب إلى المسيح نفسه. ولأنه أخفى حقده وحسده وراء فضيلة احترام الناموس. (ب) حقد في جفاء: انه غضب واغتاظ لأن «سبتاً» قد كُسر، بدلاً من أن يفرح ويتهلل لأن نفساً كسيرة قد جُبرت.

هذه هي المرة الثالثة التي يسجل فيهـا لوقا احتجاجات الفريسيين على معجزات المسيح (لوقا ٦: ١ — ٥ و ٦: ٦ — ١١).

١٥ فأجاب الرب وقال يا مرائي ألا يحل كل واحد منكم في السبت
ثوره أو حماره من المذود ويمضي به ويسقيه ١٦ وهذه وهي ابنة
ابرهيم قد ربطها الشيطان ثماني عشرة سنة أما كان ينبغي أن تحل
من هذا الرباط في يوم السبت ١٧ وإذ قال هذا أخجل جميع الذين

---

(٣) جواب المسيح (١٣:١٥ — ١٧) : كان المسيح في جوابه: (ا) صريحاً لأنه خاطب الرجل بالوصف الذي يستحقه: «يا مرائي». بذلك قد أضافه المسيح إلى قائمة الكتبة والفريسيّين (لوقا ١١:٤٤). والكلمة «مرائي» معناها الحرفي « ممثّل على المسرح » (ب) حكيماً : لأنه اتخذ من تقاليد اليهود وأحكام تلمودهم ، سلاحاً طعن به رياء ذلك الرجل . لأن التلمود كان يجيز لليهودي أن يستقي الماء من البئر للحيوان العطشان، يوم السبت على شرط ألا يحمل الماء إلى الحيوان . بل يجرّ الحيوان إلى الماء !!

ان جواب المسيح ينطوي على حجتين : احداهما : ان ناموس الرحمة فوق ناموس العدل . والثانية : ان الانسان أفضل من الحيوان .

كان لجواب المسيح تأثيران : كان مخجلاً للمعاندين، ومفرحاً للمخلصين

جميل أن نلاحظ المقابلات المثلثة في جواب المسيح: (١) ثوره أو حماره ... ابنة ابراهيم. (٢) حل الحيوان من المذود ... حل المرأة من رباط الشيطان. (٣) الرباط المادي . . . الرباط الروحي .

هذه خلاصة الحجج التي أجاب بها المسيح على احتجاجات الفريسيين على معجزاته التي أجراها في سبت : (١) حُكم تقاليد اليهود. (ب) إجابة لنداء

كانوا يعاندونه وفرح كل الجمع بجميع الأعمال المجيدة الكائنة منه
١٨ فقال ماذا يشبه ملكوت الله وبماذا أشبهه ١٩ يشبه حبة خردل
أخذها إنسان وألقاها في بستانه فنمت وصارت شجرة كبيرة
وتآوت طيور السماء في أغصانها

الرحمة . (ج) السبت بركة لا ثقل . (د) سلطان المسيح المطلق على السبت (هـ) السبت لم يعطل عمل الله الخالق فهو لا معطل عمل المسيح الفادي

مثلان — (لوقا ١٣: ١٨ ٢١)

اكمل المسيح جوابه، بمثلين أوضح بهما قوة الملكوت في انتشاره، وفي تأثيره. وهما: (١) مثل حبة الخردل (١٣: ١٨ و١٩) (٢) مثل الخميرة (١٣: ٢٠ و٢١).

ان للملكوت الله على الأرض قوتين: (١) القوة الأولى هي قوة الانتشار الظاهر، التي بها يمتد الملكوت تدريجياً حتى يضم كل أمم العالم. (٢) والقوة الثانية هي القوة المؤثرة الخفية التي بها تتجدد الطبيعة البشرية. القوة الأولى تمثلها «حبة خردل» ، والقوة الثانية تمثلها «خميرة» . المثل الأول مستعار من الحقل. والمثل الثاني مستعار من البيت. حبة الخردل يزرعها رجل فلاح ، والخميرة تخبؤها امرأة. يتفق المثلان معاً في الصغر في البداية، والنمو في الوسط، والكبر والظفر في النهاية . كل هذا على عكس ظن اليهود في الملكوت ، لأنهم انتظروا ملكوتاً يبلغ أوج عظمته في لمح البصر .

تشير الخميرة إلى التأثير الأدبي. وقد استعملت في غالب الأوقات لترمز

٢٠ وقال ايضاً بماذا اشبه ملكوت الله ٢١ يشبه خميرة أخذتها
امرأة وخبأتها في ثلاثة اكيال دقيق حتى اختمر الجميع ٢٢ واجتاز في
مدن وقرى يعلم ويسافر نحو أورشليم ٢٣ فقال له واحد يا سيد أقليل

إلى التأثير الرديء. لكنها استُعملت هنا للدلالة على التأثير الحسن. وقد شبّه المسيحُ الملكوت بالخميرة، لما بينهما من تشابه في سرعة الانتشار الخفي، الصامت، وفي سهولة تغييرهما للبيئة المحيطة بهما وتنقيتهما من الفساد.

قد فسّر بعضهم، الثلاثة الاكيال الدقيق، بابناء نوح الثلاثة الذين تفرعت منهم البشريّة وتفرقت: سام وحام ويافث وقال ثيوديسيوس إنها تشير إلى الثلاث الجنسيّات التي كانت معروفة وقتئذ—اليهودية، والرومانية، والسامرية. وقال أغسطينوس إنها تشير إلى الجسد، والنفس، والروح في الانسان (١ تسالونيكي ٥: ٢٣). ونميل نحن إلى الرأي القائل ان الثلاثة الاكيال الدقيق تشير إلى كميّة الدقيق التي يتكوّن منها «العجين» العادي عند اليهود (تكوين ١٨: ٦)

رفض اسرائيل واقبال الامم (لوقا ١٣: ٢٢—٢٧)

يُستهلّ هذا الفصل بمقدمة تاريخية لتعاليم المسيح وأعماله المدوّنة في (لوقا ١٣: ٢٢—١٧: ١٠).

يتضمن عدد ٢٣ سؤالاً تقدّم به واحد إلى المسيح، ليشبع به غريزة الاستقصاء الفضولي، فكان في سؤاله هذا مترجماً عن أفكار الكثيرين على مرّ الاجيال. ولعله يقصد بقوله «الذين يخلصون». أولئك الذين يُحظَون بالتمتع

هم الذين يخلصون . فقال لهم ٢٤ اجتهدوا أن تدخلوا من الباب الضيق .
فاني أقول لكم إن كثيرين سيطلبون أن يدخلوا ولا يقدرون
٢٥ من بعد ما يكون رب البيت قد قام وأغلق الباب وابتدأتم
تقفون خارجاً وتقرعون الباب قائلين يا رب يا رب افتح لنا
يجيب ويقول لكم لا أعرفكم من أين أنتم ٢٦ حينئذ تبتدئون
تقولون اكلنا قدامك وشربنا وعلمت في شوارعنا ٢٧ فيقول أقول
لكم لا أعرفكم من أين أنتم .

بملكوت «مسيّا» المنظور، كما كان يفهمه اليهود وقتئذ لكن المسيح الحكيم، لم يُحمَل بتيار هذا السؤال المادّي، بل قدم جواباً عملياً، روحياً، عميقاً، ووجّهه إلى جميع الحاضرين، لانه حسب ذلك «الواحد» معبراً عن أفكار الجميع . فكان في جوابه محذّراً ومنذراً .

في جواب المسيح، نرى أن الملكوت مشبّه بقصر فخم له باب ضيّق منخفض، جداً. وان بعض المدعوين إلى هذا القصر رفضوا أن يدخلوه من هذا الباب. وعند مجيء وقت معيّن من الليل أُغلق الباب. فتُرك أولئك القوم خارجاً يقرسهم برد الشتاء ويزعجهم ظلام الليل. و بعد حين رجعوا إلى نفوسهم، وشعروا بخطاياهم، فقصدوا إلى باب القصر يقرعونه طالبين الدخول، فأتاهم الصوت من الداخل: «لا أعرفكم من أين أنتم». عبثاً يناشدون رب البيت، محاولين إقناعه ليفتح الباب. لأن الباب لن يفتح، وسيظلّون هم خارجاً حيث

تباعدوا عني يا جميع فاعلي الظلم ٢٨ هناك يكون البكاء وصرير
الأسنان متى رأيتم إبراهيم واسحق ويعقوب وجميع الأنبياء في

«البكاء» — علامة الحزن واليأس ، «وصرير الأسنان» — دليل الحسرة ، والتغيّظ ، والندامة على ما فات ، وهيهات أن يعود !!

ان باب الملكوت منخفض فلا يدخله إلا الساجدون على ركبهم ، بعد تركهم عظمة الكبرياء ، والمجد الباطل ، وتاج البر الذاتي الزّائل .

تمنى ذلك السائل أن يعرف كم عدد الذين يخلصون، لكن جواب المسيح كان عن طبيعة الملكوت، وطريقة الدخول اليه. الكلمة «اجتهدوا» مُستعمَلَة في التمرينات الرياضية ويراد بها قمع الجسد. وهي تختلف عن كلمة «سيطلبون» على قدر اختلاف «الارادة» عن «مجرد الرغبة والتمني». والعبارة «سيطلبون أن يدخلوا »، الواردة في عدد ٢٤ ، تفسرها صرخاتهم الواردة في عدد ٢٥ ، والقول «لا يقدرون» يفسره عجزهم عن إقناع رب البيت بان يفتح لهم .

كم كان جارحاً لكبرياء اليهود ، أن يسمعوا « ملك اليهود » معلناً لهم اقتبال الأمم ورذلهم له إيّاهم . « متى رأيتم ابرهيم واسحق ويعقوب وجميع الأنبياء في ملكوت الله وأنتم مطروحون خارجاً » !

ما أثمن الدروس التي يلقيها علينا المسيح في هذه الأعداد :—

(١) ان قضاء الله باختيار أناسٍ ، لا يرفع عنهم مسئولية الجهاد والمثابرة (عدد ٢٤).(ب) ان حياة الانسان فرصة محدودة لطلب وجه الله. ولا بد من وقت تولّي فيه هذه الفرصه وتعبر : « عند ما يكون قد قام وأغلق الباب »

ملكوت الله وأنتم مطروحون خارجاً ٢٩ ويأتون من المشارق ومن
المغارب ومن الشمال والجنوب ويتكئون في ملكوت الله ٣٠ وهوذا
آخرون يكونون أولين وأولون يكونون آخرين ٣١ في ذلك اليوم

(عدد ٢٥) . (ج) ان صلتنا الخارجية بالمسيح ، ومعرفتنا عنه ، وقيامنا ببعض الخدمات له،لا تقوم مقام توبتنا عن خطايانا والرجوع اليه بالطاعة له والايمان به (عدد ٢٦).(د) ان الملكوت ليس محتكراً من أمة دون أخرى لكنه يضم كل فرد مؤمن من كل قبيلة ولسان وشعب وأمة (عدد ٢٩). وخير موعظة على هذه الآية هي مثل الغني ولعازر.(ه) ان اليهود الذين هم أحق الناس بالتمتع بالخلاص باعتبارهم شعب الله البكر،قد رفضوا يوم النعمة فرُذلوا منها،وصار رفضهم اقتبالاً للأمم.و بعد اكتمال «ملء» الأمم سيرجع اليهود إلى الله. إذاً قد صار «الأولون» — اليهود «آخرين».وأصبح «الآخرون» — الأمم — «اولين» (عدد ٣٠).

يقول لوثر ان هذه الكلمة كافية لأن تستحث أعظم قديس ليفحص نفسه أمام الله بخوف ورعدة .

ويقول جودي ان «الآخرين» هم الذين يأتون بعد فوات الفرصة فيُغلق دونهم الباب ولا يدخلون على الاطلاق . وان «الأولين» هم الذين ينتهزون فرصة الخلاص فيُقبلون إلى الله.

رسالة المسيح الى هيرودس (لوقا ١٣: ٣١ – ٣٤)

طلب الفريسيين (عدد ٣١): عجيب امر أولئك الفريسيين الذين تظاهروا

تقدم بعض الفريسيين قائلين له اخرج واذهب من ههنا لأن هيرودس يريد أن يقتلك ٣٢ فقال لهم امضوا وقولوا لهذا الثعلب ها أنا أخرج شياطين وأشفي اليوم وغداً وفي اليوم الثالث اكمل ٣٣ بل ينبغي أن أسير اليوم وغداً وما يليه لأنه لا يمكن أن يهلك نبي خارجاً

بحرصهم على حياة المسيح فنصحوا له بالخروج من تلك المقاطعة التي كانت تحت حكم انتيباس هيرودس، مخافة أن يمد هيرودس يده و يسيء إلى المسيح. وكم من المرات يظهر الذئب عطفاً على الحمل و يدلله قبل أن يقدم على افتراسه !

وهل يُخفى رياء قلوبهم على «فاحص القلوب والكلى» ؟؟ أدرك المسيح أن وراء طلبهم هذا مكيدة دبروها مع هيرودس ، ليغتالوه . فقدّم لهم جواباً حاسماً أراهم حقيقة شخصه، فتجلّت لهم: (أ) شجاعته الفائقه، في وصفه هيرودس «بالثعلب» . هذه كلمة طبيب روحي ، فحص نفسية هيرودس المستترة، المتقلبة، الوحشية، المتعطشة للدماء . (ب) ثقته بان حياته في حرز حريز حتى تتم رسالته . «ينبغي أن أسير اليوم وغداً وما يليه. لأنه لا يمكن أن يهلك نبي خارجاً عن أورشليم». كأن أورشليم لم ترد أن تتوب، مخافة أن يضيع عليها هذا الشرف!! (ج) علمه بحقيقة رسالته. فهو لم يأت ليؤسس ملكوتاً مادياً، يزاحم به هيرودس لكنه جاء ليؤسس ملكوتاً روحياً : «اخرجُ شياطين وأشفي (د) معرفته بقرب من الصليب «...اليوم وغداً وفي اليوم الثالث اكمّل». هذه الكلمات هي تعبير عبري، رمزي، يشار به إلى مدة معينة، سريعة الانقضاء. (هوشع٦:٢) كان المسيح يريد أن يقول «ان أيام خدمتي على الأرض أصبحت معدودة لكن

عن أورشليم ٣٤ يا أورشليم يا أورشليم يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين اليها كم مرة أردت أن أجمع أولادك كما تجمع الدجاجة فراخها تحت

هيرودس لا يستطيع أن يقصرها قبل اكتمالها ». (هـ) معرفته بأمجاد الصليب «اكمّل» . لم يذكر المسيح الآلام التي سيتحملها في الصليب . لكنه ذكر الأمجاد التي بعده. والتكميل» هنا ليس تكميلاً أدبياً، خُلقياً ، لكنه يشير إلى اكتمال المهمة و إلى اتمام الفداء الذي جاء لأجله، فقال على الصليب : «قد أُكمل ».(و) طاعته :«ينبغي» – ليست هذه طاعة العبد الخاضع لأمر جبري خارجي ، لكنها طاعة الابن التي يظهرها مختاراً مسروراً ، إجابة لالتزام أدبي داخلي (أنظر تفسير لوقا ٩:٢٢ صفحة ٢٤٣) .

مرثية أورشليم (لوقا ١٣:٣٤ و ٣٥)

مع ان المسيح جاء لكل العالم ، لكنه كان محباً لوطنه ، فكانت أورشليم حاضرة في ذهنه مع أنه لم يكن قد بلغها بعد،في هذه المرحلة الأخيرة. ففاض قلبه بهذه المرثية التي نطق بها على أورشليم قبل يوم خرابها الذي هو يوم تكفينها . سكبت عينا المسيح دموعاً على أورشليم يوم أن دخلها ظافراً ، لكننا الآن لا نرى دموعاً على عينيه لأن الدموع في قلبه !

تحدثنا هذه المرثية عن:(ا) جهاد المسيح المتواصل لأجل أوورشليم: « كم مرة أردت» . هذا تعبير يفيد المثابرة. (ب) حب المسيح لأورشليم:« كما تجمع الدجاجة فراخها» كان المسيح يُحيط أورشليم بحنوّه، كما رأى «النسر الروماني»

جناحيها ولم تريدوا ٣٥ هوذا بيتكم يترك لكم خراباً . والحق أقول لكم إنكم لا ترونني حتى يأتي وقت تقولون فيه مبارك الآتي باسم الرب

محلّقاً فوقها ليفترسها.(ج) حرية إرادة الانسان «ولم تريدوا» إننا وان كنا عاجزين عن أن نميّز بالضبط الحد الفاصل بين إرادة الله و إرادة الانسان ، إلا أننا نعلم أن الله وهب الانسان إرادة حرة مختارة . هذا مِمّا يمجّد الله و يعظّم الانسان .

(عدد٣٥) ختم المسيح هذه المرثية بكلمة — فيها:(أ) قضاء: «هوذا بيتكم يترك لكم خراباً». والمقصود «بالبيت» كل النظام اليهودي بما فيه الهيكل.ان الله لم يرفع يده عليهم بل كل ما عمله انه رفع يده عنهم . و يل للانسان إذا تخلّت عنه يد الله ! (ب) رجاء : « لا ترونني حتى يأتي وقت تقولون فيه مبارك الآتي باسم الرب » . ان الوقت المشار اليه هنا ، ليس فقط يوم دخوله الظافر إلى أورشليم (لوقا ١٩: ٣٨) لكنه يشير أيضاً إلى وقت اقتبال اليهود إلى المسيح على توالي الأيام (رومية ١١) . والقول « مبارك الآتي باسم الرب » مقتبس من (مزمور ١١٨ : ٢٧) .

الاصحاح الرابع عشر

١ واذ جاء الى بيت أحد رؤساء الفريسيين في السبت ليأكل
خبزاً كانوا يراقبونه ٢ وإذا انسان مستسقٍ كان قدّامه

المسيح في بيت احد رؤساء الفريسيين (لوقا ١٤: ١—٢٤)

(١) مقدمة عامة (١٤: ١) نحن الآن في قلب تلك الأوقات الحرجة، التي نضج فيها بغض الفريسيين للمسيح، واستوى بنار الحقد والضغينة. أوَليس من الغريب أن يتقدم أحد رؤساء الفريسيِّين ويدعو يسوع ليأكل طعاماً في بيته، في ذلك الحين؟ بلى، ولكن هذه الغرابة تزول إذا ذكرنا ذلك الوصف الذي خلعه المسيح عليهم، فلابَسَهم مدة حياتهم: «الفريسيُّون المراؤون».

قبل المسيحُ دعوة ذلك الفريسيّ، وهو عالم أنّ مُضيفه لم يقدّم له وليمة، بل نصب له فخاً للايقاع به، وأنه لم يهيِّئ له في الوليمة طعاماً، بل خبأ له «طُعماً» ليصطاده به. فكان قبول المسيح الدعوة لهذه الوليمة، مظهراً جديداً لشجاعته النادرة، وحبّه الشديد.

هذه هي المرة الثالثة التي فيها قَبلَ المسيح دعوة من فريسي ليأكل طعاماً في بيته (لوقا ٧: ٣٦ و ١١: ٣٧).

(٢) شفاء الرجل المستسقي (١٤: ٢—٦): تحدثنا هذه الاعداد عن (أ) ظهور الانسان المريض: (عدد ٢) «وإذا بانسان كان قدّامه» — هذا تعبير

٣ فأجاب يسوع وكلم الناموسيين والفريسيين قائلاً هل يحل الابراء
في السبت ٤ فسكتوا . فأمسكه

يُفهم منه أن ظهور ذلك المريض بهذه الصورة الفجائية،في يوم السبت،كان بتدبير مُحكم من جانب الفريسيين،الذين قصدوا أن يجعلوا من ذلك الرجل، فرصةً للايقاع بالمسيح. لكن المسيح تخطّى أفكارهم ونيّاتهم، واتخذ من الانسان فرصةً لاظهار رحمته به .

(ب) وصف المرض (عدد ٢): يقول لوقا الطبيب العلمي ان الرجل كان مريضاً بداء الاستسقاء . ولم يرد ذكر هذا المرض في الكتاب المقدس غير هذه المرة . والكلمة « استسقاء » مشتقة من « السقي » وهو تراكم الماء بين الامعاء و بين غشاء البطن — هذا مرض جسدي يقابله في دائرة الروحيات داء الكبرياء الذي أصيب به الفريسيون . وربما كان الرجل المريض مصاباً بالدائين ، لأنه لم يطلب الشفاء ولم يشكر المسيح عليه .

(ج) تمهيد للشفاء (عدد ٣) : مهّد المسيح لشفاء الرجل بسؤال طرحه على الناموسيين والفريسيين : «هل يحلّ الابراء في السبت» ؟ فكان سؤال المسيح هذا خير جواب منه على تصرّفهم هذا . لأن لوقا يقول « فأجاب يسوع ».والحقيقة المستمدة من هذا السؤال،هي أن الرحمة لا تبطل السبت بل تؤيده وتثبته . لكن الفريسيين الماكرين سكتوا عن أن يقدّموا جواباً ، فكان سكوتهم هذا ، سكوت العجز ، والجبن ، والعناد .

(د) الشفاء (عدد ٤) : ترك المسيح أولئك الفريسيين في صمتهم، وتقدّم

وأبرأه وأطلقه ٥ ثم أجابهم وقال من منكم يسقط حماره أو ثوره في
بئر ولا ينشله حالاً في يوم السبت ٦ فلم يقدروا أن يجيبوه عن
ذلك ٧ وقال للمدعوين مثلا وهو يلاحظ كيف اختاروا المتكآت
الأولى قائلاً لهم ٨ متى دُعيتَ من أحدٍ إلى عرسٍ فلا تتكئ في

إلى المريض «فأمسكه، وأبرأه، وأطلقه». ألا ترمز هذه الدرجات الثلاث، إلى الثلاث الحالات التي يختبرها الخاطئ عند اقتباله إلى المسيح عبودية للمسيح: «أمسكه» (رومية ٦:١٩) وقداسة هي شفاء النفس: «وأبرأه»: (رومية ٦:١٩) وحرية مجد أولاد الله: «وأطلقه» (رومية ٨:٢١)؟

(هـ) بعد الشفاء (عدد ٥): عقّب المسيح على شفاء ذلك الرجل بسؤال آخر: «من منكم يسقط حماره أو ثوره في بئر ولا ينشله حالاً في يوم السبت»؟ والحكمة المستمدة من هذا السؤال هي أن للانسان المتألم حقاً في الرحمة، بحقّ سموّه في نظر الله.

حدث كل هذا، والفريسيون ساكتون لا يقدمون جواباً لأنهم لا يقدرون. فكانوا في سكوتهم أبلغ منهم في تكلمهم، لأنهم عبّروا بسكوتهم عن الكبرياء التي ملأت قلوبهم، والضغينة التي أكلت نفوسهم، والعجز الذي استولى عليهم.

(٣) نصيحة المسيح للمدعوين (١٤:٧—١١): تمّ شفاء الرجل، قبل أن يختار المدعوون أمكنتهم في الوليمة، فلما حان وقت جلوسهم، تزاحموا بالمناكب على المتكآت الأولى. يقول التلمود: «إذا وجدتَ ثلاثة أمكنة في الوليمة،

المتكأ الاول لعل أ كرم منك يكون قد دُعي منه ٩ فيأتي الذي دعاك
وإياه ويقول لك اعط مكاناً لهذا . فحينئذ تبتدىء بخجل تأخذ الموضع
الاخير ١٠ بل متى دُعيتَ فاذهب واتكىء في الموضع الاخير حتى
اذا جاء الذي دعاك يقول لك يا صديق ارتفع إلى فوق . حينئذ
يكون لك مجد أمام المتكئين معك ١١ لأن كل من يرفع نفسه
يتضع ومن يضع نفسه يرتفع ١٢ وقال ايضاً للذي دعاه اذا صنعت

فان المكان الأوسط هو أفضلها ، و يليه المكان الذي عن اليمين ، ثم الذي عن اليسار » . ومن المؤسف في أمر اولئك الفريسيين أنهم سلّطوا عيونهم على المسيح « ليراقبوه » ، فلم تكن لهم فرصة ليراقبوا أنفسهم .

لاحظ المسيح ذلك التزاحم فقال للمدعوين مثلاً ، أراد به أن يعلمهم أنه لا يليق بالانسان أن يضع نفسه في مكان أرفع من غيره ، بل يجب عليه أن « يحسب الآخرين أفضل من نفسه » . لأن المتضع ينال مكافأة الرفعة من الرب . ولم يقصد المسيح أن يحبذنا في الاتضاع ، تطلعاً للرفعة ، وإلا صار هذا الاتضاع وداعةً مزيّفة. لكنه يريد منا أن نطاب الوداعة حباً بالوداعة ، عندئذ تسعى الينا الرفعة طائعة مختارة .

(٤) نصيحة المسيح لمضيفه (١٤ :١٢ — ١٤): الآن وقد جلس المدعوون، ألقى المسيح نظرة على صاحب الوليمة، لأنه لاحظ أن المدعوين من رتبة تتفق ورتبةَ الداعي ، فلم يخرجوا عن كونهم أقرباء ، أو أصدقاء ، أو أغنياء ، هذا حسن وجميل في نظر المجتمع ، لكن يوجد ما هو افضل منه في نظر الله .

غداء أو عشاء فلا تدعُ اصدقاءك ولا أخوتك ولا اقرباءك ولا
الجيران الاغنياء لئلا يدعوك هم ايضاً فتكون لك مكافأة ١٣ بل اذا
صنعت ضيافة فادعُ المساكين الجدعَ العرجَ العميَ ١٤ فيكون
لك الطوبى اذ ليس لهم حتى يكافوك . لانك تكافَى في قيامة الابرار
١٥ فلما سمع ذلك واحد من المتكئين قال له طوبى لمن يأكل

هذه ضيافة « ناموسيّة » ، « فرّيسية » ، تنتظر الرد والجزاء ، لكن المسيح يمتدح ضيافة النعمة السماوية ، التي تعطي ولا ترجو أن تأخذ ، وتهب لانها تُسرّ بالسخاء، وتعطف لانها تسرّ بالرأفة. ضيافة الفريسيين هي إضافة الاغنياء للاغنياء ، وتكريم الند للندّ ، لكن ضيافة النعمة هي إضافة الأغنياء « للمساكين ، الجدع ، العرج ، العمي » وهل من كلمات رباعيّة تصف التعاسة الكاملة اكثر من هذه الأوصاف!! إنّ جزاء الوليمة الارضية هو وليمة ارضية مثلها. لكن مكافأة وليمة النعمة هي «الطوبى» أي السعادة في «قيامة الأبرار» . ان الكلمة : « قيامة الأبرار » قد تفيد ان للابرار قيامةً منفصلة في الزمن عن قيامة الأشرار . أو أنها قيامة واحدة، لها وجهان: احدهما مُنير ، هو «قيامة الابرار» ، المكافأة . وثانيهما مظلم ، «هو قيامة الاشرار»، للدّينونة . ويقول جودي : ان قيامة الأبرار تسبق قيامة الأشرار في الزّمن. ويدعم رأيه بما جاء في (١ كورنثوس ١٥:٢٣ و ١ تسالونيكي ٤:١٦ وفيلبي ٣:١١ ورؤيا ٢٠) . وهذه عقيدة كاتب هذا التفسير .

(٥) العشاء العظيم والمدعوّون اليه (١٤:١٥—٢٤): فاه المسيح بكلماته

خبزاً في ملـكوت الله ١٦ فقال له . انسان صنع عشاء عظيماً ودعا

الطيبة ، عن مكافأة الأبرار في العشاء الأخير العظيم ، فمسّت كلماته وتراً حسّاساً في قلب «واحد من المتكئين» وأهاجت فيه الرجاء بالتمتع بتلك الوليمة. فقال للمسيح : « طوبى لمن يأكل خبزاً في ملكوت الله » . لا شك ان أفكاره عن الملكوت ، كانت أفكاراً جسدية مادية ، كأفكار غيره من اليهود (اشعياء ٢٥:٦) ، فردّ عليه المسيح بمثل من جنس كلامه ، مظهراً له ان حرمان بعض الناس من ميزات الملـكوت،ليس ناتجاً عن عدم دعوة الله إيّاهم ، لـكنه ناتج عن عدم قبولهم دعوة الله، وان الذين سيحظون بالدخول إلى ملـكوت الله،هم أبعد الناس عن فـكر الناس – هم «المساكين والجدع والعرج والعمي»

تفسير المثل : «العشاء العظيم» هو «الخلاص المشترك» (يهوذا ٣) الذي قدمه الله للناس . وقد شُبـه الخلاص بالوليمة لانه يغذي النفس و يشبعها . هذا الخلاص قدمه الله للناس مجاناً وترك للمدعوين تمام الحرية ليقبلوا الدعوة أو يرفضوها — هذا خلاص فرديّ مع أنه مشترك للجميع .

صاحب الوليمة هو الله . والـكثيرون الذين دعاهم ، هم كل الذين سمعوا صوته مدة العصور المتعاقبة التي مرت بالتاريخ اليهودي.والدعوة التى أرسلها مع عبده في ساعة العشاء « في آخر ساعة » ترمز إلى خدمة يوحنا المعمدان . والعبد هو «الشخصية» التى تمثل كل أنبياء الله ورسله (اشعياء ٥٣ : ٢٠) . يحدثنا هذا المثل عن:(١) كرَم الله وجودته (١٤ : ١٦و١٧) لانه «صنع

كثيرين ١٧ وأرسل عبده في ساعة العشاء ليقول للمدعوين تعالوا
لان كل شيء قد أعد ١٨ فابتدأ الجميع برأي واحد يستعفون . قال له
الاول اني اشتريت حقلاً وأنا مضطر أن أخرج وانظره . اسألك
ان تعفيني ١٩ وقال آخر اني اشتريت خمسة أزواج بقر وأنا ماض
لامتحنها . أسألك ان تعفيني

عشاء عظيماً ودعا اليه كثيرين». هؤلاء الكثيرون هم كل الذين سمعوا صوته في كل العصور . (ب) لانه ارسل عبده في ساعة العشاء» ، كعادة الشرقيين الكرماء ، الذين يقدمون الدعوة قبل اعداد الوليمة بوقت كاف. ثم يعيدون الكرة ، ويرسلون رسولاً ساعة العشاء. (ج) لان «كل شيء قد أعد» — هذه كلمة « جامعة » تفيد ان الله دبر فداء كاملاً بموت المسيح . وهي ايضاً كلمة « مانعة » لانها تفيد ان الله لم يترك مجالاً لأحد ليأتي بشيء من « عندياته » ليتم الخلاص الذي صنعه الله .

تهاون المدعوين (١٤: ١٨ و ١٩) : ابتدأ الجميع برأي واحد يستعفون» كأنهم أجمعوا على ان لا يجتمعوا في ذلك العشاء . ويظهر تهاونهم من كونهم لم يستطيعوا ان يقدموا براهين مقنعة ، بل كل ما عملوه ، أنهم قدموا أعذاراً (ا) اعتذر أولهم بانه «اشترى حقلاً». إذاً قد تمت الصفقة، فكان من الواجب عليه ان يذهب إلى الوليمة ليفرح مع أصدقائه. لانه ما الداعي لأن يرى الحقل بعد نهاية عملية الشراء ؟! الحقيقة هي أنه لم يشتر الارض، لكنه باع نفسه للارض. فهو ارضي ومن الارض يتكلم. (ب) اعتذر الثاني بانه «اشترى

٢٠ وقال آخر اني تزوجت بامرأة فلذلك لا اقدر ان اجيء ٢١ فأتى
ذلك العبد واخبر سيده بذلك . حينئذٍ غضب رب البيت وقال
لعبده أخرج عاجلاً إلى شوارع المدينة وأزقتها وأدخل إلى هنا
المساكين والجدع والعرج والعمي ٢٢ فقال العبد يا سيد قد صار كما

خمسة أزواج بقر ... وأنه ماض ليمتحنها» . هذا كلام بعيد عن المنطق. لأن امتحان البقر يتم عادة قبل شرائه لا بعده . إذاً هذا مجرّد عذر. والحقيقة هي انه هو حيواني جسداني . (ج) اعتذر الاخير بانه «تزوج» .. إذاً فلماذا لا يأتي إلى الله ليقدس له هذه الرابطة الجديدة ؟ عُذره انه تزوج والحقيقة هي انه عبد للذاته . اظهر الأول والثاني شيئاً من التأدب - ولو في الكلام - فقال كل منهما «اسألك ان تعفيني» . ولكن هذا الأخير قال «لا اقدر ان أجيء» أي سواء أعفيتني أم لم تعفني . انه وان اختلفت اعذارهم، لكن لسان حالهم جميعاً يقول : «لا نريد أن نأكل عشاءك» .

(٣) ارساليّة العبد للمرّة الثانية (١٤ : ٢١ - ٢٣): أتى ذلك العبد وأخبر سيده بما جرى ، «فغضب رب البيت وقال لعبده اخرج عاجلاً إلى شوارع المدينة وازقتها ، وأدخل إلى هنا المساكين والجدع والعرج والعمي» — هؤلاء هم اليهود المتواضعون الذين آمنوا بالمسيح. ويحدثنا عنهم لوقا في سفر الاعمال من الاصحاح الاول إلى الاصحاح الثاني عشر .

(عدد ٢٢): قال العبد «قد صار كما أمرت ويوجد ايضاً مكان». يستفاد من هذه الأقوال ان لله مختارين معينين عنده، وانه لا بد من اتيانهم اليه ، وان

امرت ويوجد ايضاً مكان ٢٣ فقال السيد للعبد اخرج إلى الطرق
والسياجات وألزمهم بالدخول حتى يمتلىء بيتي ٢٤ لاني أقول لكم انه
ليس واحد من أولئك الرجال المدعوين يذوقُ عشائي

اختيار الله لأناسٍ لا يتنافى مع حريتهم، ولا يثبط همة خدام الدين في المناداة بالبشارة، بل يزيد ثقتهم ويشجعهم على مضاعفة السعي والجهاد «أدخل إلى هنا .»

(عدد ٢٣) «فقال السيد للعبد اخرج الى الطرق والسياجات وألزمهم بالدخول» هؤلاء كانوا خارج المدينة ولعلهم يمثلون الأمم. لا يستفاد من القول «ألزمهم» ان أولئك المدعوين كانوا غير راغبين في المجيء إلى الوليمة ، فيحتاجون إلى من يضغط على إرادتهم ويدخلهم على رغم أنوفهم، لكنها قيلت عن أناس راغبين في الوليمة ، إنما يمنعهم الحياء ، وخوفهم من عدم استحقاقهم، ونظرهم إلى حالهم الوضيعة ، من الأتيان إلى الوليمة .

ان اليهود الذين يفخرون ببرهم يُترَكون ، ولكن الأمم الذين يفزعون من شرهم ، هؤلاء هم المقبولون .

خاتمة المثل (عدد ٢٤): «لأني اقول لكم. .»: هذه كلمة وضعها المسيح على لسان صاحب الوليمة. والمخاطبون فيها هم الذين كانوا على العشاء وقت رجوع الرسول. و«أولئك المدعوّون» هم الذين قدمت لهم الدعوة اولاً فرفضوها (١٤: ١٧ و ١٨)

ما كان أرهب وقع هذه الكلمات حين نطق بها المسيح ، وهو يحدق بصره في «أولئك الرجال المدعوّين» في بيت ذلك الفريسي، مخاطباً إياهم بالقول «الحق اقول لكم انه ليس واحد من أولئك الرجال المدعوين يذوق عشائي»

٢٥ وكان جموع كثيرة سائرين معه فالتفت وقال لهم ٢٦ ان كان
احد يأتي اليَّ ولا يبغض اباه وامه وامرأته واولاده واخوته واخواته
حتى نفسه ايضاً فلا يقدر ان يكون لي تلميذاً ٢٧ ومن لا يحمل

هذه آية تحمل لنا معنيين — معناها القريب يشير الى « المدعوين » في المثَل ، الى العشاء العظيم . ومعنا البعيد ، يشير الى الذين كانوا جالسين مع المسيح ، من الفريسيين في وليمة ذلك الفريسي .

يسوع يحذِّر الجموع من التدين السطحي (لوقا ١٤:٢٥ - ٣٥)

(١) التلمذة الحقة: (لوقا ١٤:٢٥—٢٨).انتقل المسيح من بيت الرئيس الفريسي «وكان جموع كثيرة سائرين معه».وفي سيره التفت اليهم وأفهمهم صعوبة التلمذة له . لانها تكلف الانسان أعزّ ما لديه . ولسوف تأتي ظروف على اتباعه يضطرون فيها ان يختاروا بين الاهل و بينه.و بين الحياة بعيداً عنه و بين الموت لأجله . حينئذ لا يستطيعون ان يتبعوه ما لم يتركوا الاهل ، لدرجة تُحسب قدام الناس « كالبغضاء » . أي ان محبتهم له تقوى وقتئذ . حتى تصير محبتهم لاهلهم كأنها بغضاء بالنسبة لهذه المحبة الشديدة، الجديدة لم يقصد للسيح بهذا القول ان يلاشي الروابط العائلية بل قصد ان يفهم الجموع ان الحياة الروحية وصِلاتها تفوق الحياة الطبيعية وروابطها .

يُراد بالتلمذة للمسيح : (أ) ترك الحالة الطبيعية التي يُولدْ فيها الانسان، وانكار الذّات ، وتضحية العلاقات المادية، ليكون التلميذ سماوياً مولوداً من

صليبه ويأتي ورائي فلا يقدر ان يكون لي تلميذا ٢٨ ومن منكم وهو
يريد ان يبني برجاً لا يجلس أولاً ويحسب النفقة هل عنده ما يلزم
لكماله ٢٩ لئلا يضع الاساس ولا يقدر ان يكمل. فيبتدىء جميع
الناظرين يهزأون به ٣٠ قائلين هذا الانسان ابتدأ يبني ولم يقدر ان
يكمل ٣١ وأي ملك ان ذهب لمقاتلة ملك آخر في حرب لا يجلس اولاً

فوق. (ب) حمل صليب المسيح وهذا معناه الموت والتضحية. (ج) اتّباع المسيح: «يأتي ورائي». التألّم هذا معناه اقتفاء آثار خطوات المسيح، والاقتداء به.

(٢) مَثَلاَ البنّاء العَجول والمحارب المندفع (١٤: ٢٨—٣٥) حذر المسيح سامعيه من اتّباعه بآمال جوفاء، من غير تقدير للشدائد والعقبات التي تعترضهم في سبيل اتّباعه. لان المسيح لا يريد ان يتملق احداً ليكسبه لنفسه تلميذاً. فهو لا يهتم بالعدد بل بالنوع. ولقد أوضح هذا التحذير بمثَلين — احدهما عن البنّاء العَجول (١٤: ٢٨—٣٠) والثاني عن الملك المحارب. (١٤: ٣١ و ٣٢).

فالمثل الاول (١٤: ٢٨—٣٠) يرينا الجانب الايجابي، الدفاعي، الهادىء في حياة المسيحي. ان حياة المسيحي بناء، «والبرج» هو الاخلاق التي هي عماد الحياة. واذا كان البناء المادي يكلف كثيراً، فبالاولى جداً تكثر نفقات البناء الروحي. ان الذي لا يحسب حساب النفقة يعرض نفسه لأمرين— للفشل، وللخجل.

والمثل الثاني (١: ٣١و٣٤) يرينا الجانب الجهادي والهجومي في الحياة

ويتشاور هل يستطيع ان يلاقي بعشرة آلاف الذي يأتي عليه بعشرين
الفاً ٣٢ والا فما دام ذلك بعيداً يرسل سفارة ويسأل ما هو للصلح
٣٣ فكذلك كل واحد منكم لا يترك جميع امواله لا يقدر ان يكون
لي تلميذاً ٣٤ الملحُ جيد . ولكن اذا فسد الملح فماذا يُصلَح

المسيحية . ان الحياة المسيحية حرب وجهاد ضد عدو قوي هو ابليس . ربما كان عدد ٣١ ، منطوياً على اشارة خفية الى النزاع الذي كان قائماً بين انتيباس هيرودس و بين حميه ملك العرب ، وانتهى بانكسار هيرودس .

يرى بعض المفسرين ان الصراع المقصود هو الحرب الروحية بين الانسان و بين الشيطان،و يرى البعض الآخر انه بين الانسان الخاطيء و بين الله وانه يتحتم على الانسان ان يصنع صلحاً مع الله . ويلوح لي ان المسيح يقصد بهذا المثل ان يعلمنا انه ليس من الحكمة ان يقدم الانسان على أمر ما وهو غير قادر عليه ، ولا غير مستعد له .

التطبيق العملي (١٤: ٣٣—٣٥) : اضاف المسيح الى قائمة التضحيات التي يتحملها تلميذه ، شيئاً جديداً — وهو المال . وقد يكون المال كل شيء فهو عند الكثيرين الأب ، والأم ، والأخ ، والأخت ، والزوجة . وهو السند والعضد . يقصد المسيح بهذا الكلام وضع المال عند قدميه وتكريسه له تعالى

ختم المسيح هذا الخطاب باظهار ضرورة التعمق في التدين وعدم الاكتفاء بالقشور،حتى يبلغ الانسان الجوهر واللب . ومثّل لذلك بالملح الذي هو رمز الاصلاح ، والوقاية من الفساد ، والتطهير . فالتلميذ المجرّد من الصفات

٣٥ لا يصلح لأرض ولا لمزبلة فيطرحونه خارجاً. من له اذنان للسمع فليسمع

المسيحية الحقيقية هو كالملح الذي لا ملوحة فيه فلا يصلح على الاطلاق — لا لارض ولا لمزبلة بل يُطرح خارجاً ليداس من الناس ان ملوحة المؤمن هي الاتضاع امام الله وانكار الذات وحمل الصليب. وفقدان الملوحة هو الأنانية، وحب الذات، والميل للمجد الباطل، والارتداد عن الله. (عبرانيين ٦:٤—١٢ و ١٠:٢٦—٣٩).

انظر تفسير القول «من له اذنان للسمع فليسمع» في (لوقا ٨:٨) ثم قابله مع (تثنية ٢٩:٤) ومع (اشعياء ٦:٩و ١٠).

الاصحاح الخامس عشر

٢ وكان جميع العشارين والخطاة

جئنا الآن الى هذا الاصحاح ، الذي يُعتبر بشارةً مستقلة . وان شئت قل فيه انه « بشارة في قلب البشارة » .

هذا الاصحاح هو عقد دريّ ثمين ، انتظمت فيه ثلاث لآلىء لامعات . ومع ان لكل لؤلؤة منها جمالها الممتاز، لكن المثل الثالث هو لؤلؤة اللآلىء ودرّة الدرر. ان كل مثل من امثال «المسيح» كنجم يتألّق في سماء الكتاب، لكن هذه الامثال الثلاثة هي الثريا . والمثل الثالث فيها هو التاج .

اذا ألقينا على هذه الثلاثة الامثال نظرة عامة ، رأينا فيها ، مجتمعةً معاً ، صورة كاملة للمحبة الالهية . فمثل الخروف التائه ، يرينا محبة الله ساعية وراء الخطاة ، ومثل الدرهم المفقود ، يرينا محبة الله المتحملة أتعاب الأرض وغبارها . ومثل الابن الضال ، يرينا محبة الله المرحّبة بالخطاة .

تقدم لنا الثلاثة الامثال، مجتمعة معاً، صورة كاملة لألوان الخطية المنوعة المظاهر . فمثل الخروف التائه ، يرينا غباوة الخاطىء ، لان الخروف اكثر الحيوانات غباءً : « فعلتُ بجهل في عدم ايمان » . ومثل الدرهم يرينا جمود الخاطىء الذي ضل وهو لا يدري .. «فقد كل حس» . ومثل الابن الضال يرينا تمرُّد الخاطىء وعناده اللذين ظهرا في طلبه ما لنفسه .

تقدّم لنا الثلاثة الامثال،مجتمعةً معاً،صورة كاملة لحقيقة التوبة والرجوع

يدنون منه

الى الله . فالمثلان الأولان،يظهران لنا عمل الله في تخليص الخاطىء : «يفتش عليه حتى يجده» ، والمثل الثالث يرينا سعي الخاطىء في رجوعه الى الله نتيجة دوافع النعمة الالهية .

في كل مثل من هذه الثلاثة الامثال ، نرى قيمة خاصة للشيء الضائع . فالخروف التائه واحد من مئة.والدرهم المفقود واحد من عشرة. والابن الضال واحد من اثنين .

قصد المسيح ان يبيّن بالمثل الأول، ان الانسان الخاطىء هو أحد رعية الله ، وان الله يهتم بأمره اكثر من اهتمام الراعي بالخروف الضال . ولعل الفريسيّين لم يكفهم هذا التشبيه ، ليعرفوا قيمة الانسان — لان قيمة العشار في نظرهم،لم تساوِ قيمة خروف! لذلك اراد المسيح ان يريهم بالمثل الثاني ان الانسان مهما سقط، فهو لا يقل في قيمته عن الدرهم، الذي هو أجرة أجير في اليوم. لأن ذلك الدرهم الضائع اكتسب قيمة من ضياعه ، اذ ترك فراغاً عند صاحبته ولئلا يرسخ فيأذهان الفريسيّين انالخاطىء لا يساوي سوى الدرهم، انتقل المسيح بهم الى المثل الثالث فاراهم ان هذا الدرهم المفقود يحمل صورة الملك، وان ذلك الخاطىء الضال هو أحد ابناء الله. وان مكان هذا الابن في العائلة السماوية سيظل شاغراً ، حتى يعود ذلك الضال فيشغله

المثل الأول مستمد من الحياة الراعوية ، والمثل الثاني مستمد من الحياة البيتية ، والمثل الثالث مستمد من الحياة الاجتماعية .

ليسمعوه ٢ فتذمر الفريسيون والكتبة قائلين هذا يقبل خطاة

صلة المثل الثاني بالمثل الأول، كصلة مثل الخميرة بمثل الزارع في الاصحاح الثالث عشر من بشارة متى .

في المثلين الأولين يُرْتَسَم أمامنا حق الله في ملكيته للبشر بحق الخلق والرعاية والعناية، وفي المثل الثالث تتجسم لنا أبوّة الله ومحبته. فهو ليس راعياً وملكاً وكفى ، لكنه أيضاً آب .

في المثل الأول نرى عمل المسيح الراعي الأعظم — هذا عمل الأقنوم الثاني في اللاهوت. وفي المثل الثاني نرى عمل الروح القدس ممثلاً في النور الذي بيد الكنيسة وهي تفتش عن الدرهم المفقود — هذا عمل الأقنوم الثالث في اللاهوت وفي المثل الثالث نرى الله الآب مرحباً بالابن الضال— هذا عمل الأقنوم الأول في اللاهوت .

أمامنا في هذا الإصحاح : (١) مقدمة تاريخية (١٥ : ١و٢) (٢) مثل الخروف الضال (١٥ : ٣—٧) . (٣) مثل الدرهم المفقود (١٥ : ٨ ١٠) . (٤) مثل الابن الضال (١٥ : ١١—٣١) .

(١) مقدمة تاريخية(١٥ : ١و٢): «وكان جميع العشارين والخطاة يدنون منه ليسمعوه . . . فتذمر الفريسيون» ، طرفان متناقضان ! العشارون والخطاة في جانب ، والفريسيون في الجانب الآخر اقترب الأولون من المسيح لأنهم وجدوا فيه عطفاً عليهم ، وحباً لهم . وكان الآخرون يتذمرون لان ترحيب المسيح بالخطاة كان كالقذى في عيونهم.ما أصدق نبوة سمعان الشيخ «وُضع لسقوط وقيام كثيرين» (لوقا ٢ : ٣٤) .

ويأكل معهم ٣ فكلمهم بهذا المثل قائلاً ٤ أي إنسان منكم له مئة خروف وأضاع واحداً منها

ان العبارة: «كانوا يدنون» تفيد الدوام المتواصل والمتواتر. و«الكتبة» هم معلمو الناموس. والفريسيون هم منفّذوه لا منقذوه. كان احتجاج الفريسيين على المسيح غاية في الغرابة، لانهم وهم يتذمرون عليه قدموا أحسن شهادة ناطقة له. «يقبل خطاة ويأكل معهم» — هذه خلاصة الانجيل الذي ننادي به نحن. بينما قصد الفريسيُّون ان يضعوا على رأس المسيح اكليلاً من شوك، اذا به قد أضحى على رأسه تاجاً.

كان جواب المسيح على تذمرهم، مفرغاً في ثلاثة امثال: في المثلين الأولين منها، دافع عن نفسه وبرر تصرفه مع العشارين والخطاة. وفي المثل الثالث هاجمهم في معقلهم وقضى على كبريائهم، فشبههم بالابن الاكبر الذي خرج من البيت، وأسدل عليه الستار، وهو خارج البيت!!

(٢) المثل الأول — مثل الخروف الضال (١٥: ٣—٧): ان الحكمة التي ينطوي عليها هذا المثل، هي ان الله يطلب الخطاة رأفةً بهم، وانقاذاً لهم من المخاطر التي يجرّها عليهم ضلالهم. وقد استهل المسيح ذلك المثل بسؤال يحمل معه جواب نفسه: «أي إنسان منكم، له مئة خروف[1] وأضاع واحداً منها

(١) يحدثنا التلمود عن موسى انه حين كان يرعى غنم حميه يثرون في البرية، اذا خروف ضل منها، فذهب وراءه موسى في البرية حتى وجده ورفعه

ألا يترك التسعة والتسعين في البرية ويذهب لأجل الضال حتى يجده ٥ واذا وجده يضعه على منكبيه فرحاً ٦ ويأتي الى بيته ويدعو

ألا يترك التسعة والتسعين في البرية ويذهب لاجل الضال حتى يجده»؟ يريد المسيح بهذا السؤال ان يبين لهم أن تصرفه مع الخطاة ليس بالأمر المستغرَب بل هو أمر عادي، يعمله أي واحد منهم إذا أضاع خروفاً، فكيف به إذا أضاع إنساناً

«المئة الخروف» هي رعية كاملة العدد تمثل الأمة اليهودية. «والخروف الضال» يمثل الجماعة القليلة منهم التي كسرت قيود الأنظمة الوضعية وتصرفت طبق ميولها. «والتسعة والتسعون» هم البقية الباقية التي ظلّت مستمسكة بأهداب الشرائع والنواميس فصارت واثقة من برها الذاتي، وتوهمت خطأً أنها بغير خطية «والبرية» تصف حال الدين اليهودي بما فيه من جفاف وجمود. وقد يجوز في تطبيق هذا المثل أن نحسب أن «التسعة والتسعين» يمثلون اليهود «وأن الخروف الضال» يمثل الأمم.

خرج هذا المثل من فم المسيح كسهم من «النور الكشاف» فكشف لنا عن: (١) ضلال الخاطىء، (ب) محبة الله.

(١) ضلال الخاطىء: ان ضلال الخاطىء كضلال الخروف: (١) جهله. لان الخروف أجهل جميع الحيوانات. (٢) في عجزه عن الدفاع عن نفسه، أمام هجمات الذئاب، ومخاطر الوعر ومجاهل الظلام.

على منكبيه. فناداه «يهوه» من علو سماه «بما أنك يا عبدي موسى قد أظهرت حناناً نحو خروفي الضال، لذلك سأقلدك شرف رعاية شعبي المختار»

الاصدقاء والجيران قائلاً لهم افرحوا معي لاني وجدت خروفي
الضال ٧ أقول لكم انه هكذا يكون فرح في السماء بخاطىء واحد
يتوب أكثر من تسعة وتسعين باراً لا يحتاجون الى توبة ٨ أو أية
امرأة لها عشرة دراهم إن أضاعت درهماً واحداً ألا توقد سراجاً

(ب) محبة الراعي العظيم: ظهرت محبة الراعي العظيم في: (١) مخاطرته: «يترك التسعة والتسعين في البرية ويذهب لاجل الضال». (٢) مثابرته: «حتى يجده». (٣) بهجته: «يفرح ويدعو الاصدقاء ليفرحوا». (٤) رأفته: «يضعه على منكبيه» وذلك لعلمه ان التعب قد أضناه. (٥) نعمته: «يأتي به إلى بيته» — لا إلى البرية حيث الرعية. هذا برهان على أن الله حين يرد الخاطىء اليه، يرفعه إلى حال أرفع من الحال التي كان عليها قبل السقوط.

(عدد ٧): ختم المسيح هذا المثل باعلان أتى به مباشرة من السماء — ومَن غيره يستطيع أن يحدثنا عن السماء؟ «أقول لكم يكون فرح في السماء..» ان الفرح الذي «يكون في السماء» ليس فرح الملائكة بل فرح الله الذي عمَّ الملائكة. هؤلاء هم الاصدقاء والجيران في الحضرة الالهية.

المثل الثاني: مثل الدرهم المفقود (١٥: ٨—١٠) يحدثنا هذا المثل عن امرأة كان لها عشرة دراهم. والكلمة درهم يونانية الأصل «دِرَخم» وقيمته أربعة قروش مصرية. ربما كانت هذه الدراهم العشرة مكوّنة عقداً تزين بها المرأة جيدها كعادة النساء في تلك الأيام. ويقول بعض المؤرخين ان عقوداً كهذه كانت تقدم من الرجال هدايا لزوجاتهم عند الزواج. فما أكبر الخسارة التي تصيب

وتكنس البيت وتفتش باجتهاد حتى تجده ٩ واذا وجدته تدعو
الصديقات والجارات قائلة افرحن معي لاني وجدت الدرهم الذي
أضعته ١٠ هكذا أقول لكم يكون فرح قدام ملائكة الله بخاطىء
واحد يتوب ١١ وقال . انسان

المرأة اذا أضاعت أحد هذه الدراهم.لان في ضياع درهم واحد ، تشويهاً للعقد كله ، واتلافاً للوديعة الثمينة التي وهبها عريسها إياها .

المرأة تمثل الكنيسة . والدراهم العشرة تمثّل أبناءها الذين قبلتهم وديعة من عريسها المسيح ، والسراج هو نور الروح القدس أو نور الكتاب المقدس . والتفتيش باجتهاد هو الارشادات والتأديبات الكنسيّة التي تؤول إلى تنقية القلوب ، و إرجاع الانسان إلى حالته الأولى مع الله .

يقدم لنا هذا المثل وصفاً مثلثاً للكنيسة : (١) مستنيرة : «توقد سراجاً» . (ب) مثابرة: «تفتش باجتهاد حتى تجده» . (ج) مسرورة: «تدعو الصديقات والجارات» ، وهنّ الملائكة كما في عدد ٧ . وقد أُفرغت هذه الكلمات في صيغة التأنيث ، مماشاةً لبقية الكلام في المثل .

(٤) المثل الثالث : مثل الابن الضال (١٥: ١١—٣١) : هذا المثل هو بيت القصيد في هذا الاصحاح . يختلف في مقدمته عن المثلين السابقين في أن المثل الأول يُستهل بالقول : «أي انسان منكم» ويُبدأ المثل الثاني بالقول «أية امرأة» . كأنّ الراعي ، في ذهابه وراء خروفه ، والمرأة في تفتيشها عن درهمها ، لم يعملا سوى العمل العادي الذي يأتيه كل من كان في مكانهما ،

كان له ابنان ١٢ فقال أصغرهما لأبيه يا أبي اعطني القسم الذي يصيبني
من المال فقسم لهما معيشته ١٣ وبعد أيام ليست بكثيرة جمع الابن

لكن العمل الذي أتاه الأب في المثل الثالث، هو عمل إلهي فريد، ممتاز، لا يصدر عن اي أب أرضي.

(ا) مقدمة هذا المثل: (١٥: ١١). (ب) الابن الأصغر (١٥: ١٢ — ٢٠) (ج) الأب المحب (١٥: ٢٠ — ٢٤). (د) الابن الاكبر (١٥: ٢ — ٣١).

(ا) مقدمة المثل: «إنسان كان له ابنان» — بهذه الأربع الكلمات، يستهل المسيح هذا المثل — فالابن الاكبر يمثل الكتبة والفريسيين. والابن الأصغر يمثل الراجعين إلى الله من اليهود والأمم.

(ب) الابن الأصغر (١٥: ١٢ — ٢٠): تاريخ الابن الاصغر هو تاريخ كل خاطىء. بل هو تاريخ الخطية نفسها — واليك بعض الأدوار في تاريخ الخطية: (١) نشأة الخطية: «أعطني القسم الذي يصيبني من المال» — معنى هذا أن الابن الاصغر سئم العيشة تحت سقف بيت أبيه، وملّ الخضوع للوصايا الأبوية، ورغب في الحرية والاستقلال والتمتع. فكأن الخطية في نشأتها هي طلب البُعد عن الله، أو هي طلب الانسان ما لنفسه ومما يُؤَسفُ له في أمر ذلك الشاب أنه لو كان فقيراً لما قدر على هجر بيت أبيه. فكأنه استعان ببركات أبيه ليكسر وصاياه. وكم من كثيرين يتخذون من بركات الله عليهم، سلاحاً يحاربون به الله. (٢) قلب الخطية. (عدد ١٣)، «لا إكراه في الدين» ان الله خلقنا أحراراً فاذا ما أراد الشرير أمراً، أسلمه الله لأهواء الهوان

الاصغر كل شيء وسافر الى كورة بعيدة وهناك بذّر ماله بعيش مسرف ١٤ فلما أنفق كل شيء حدث جوع شديد في تلك الكورة فابتدأ يحتاج ١٥ فمضى والتصق بواحد من أهل تلك الكورة فأرسله

(رومية ١: ٢٤ و ٢٦) ولمّا طلب الابن الاصغر القسم الذي يصيبه من المال، أعطاه أبوه نصيبه — وهو الثلث حسب الشريعة اليهودية — لان الابن الاكبر له حظ اثنين. «و بعد أيام ليست بكثيرة» — لان ذلك الابن كان قد رتب كل شيء — شرع في تنفيذ فكرته، «لجمع كل شيء وسافر إلى كورة بعيدة». هذا هو قلب الخطية — البُعد عن الله: «ليس خوف الله قدام عيونهم» (رومية ٣: ١٨)، بل هذا هو بدء قصاص الخطية. لان الخطية تحمل معها عقابها، (٣) تعاسة الخطية: (عدد ١٤): يتجرّع الجاهل آخر جرعة من كأس مسراته بغاية السرعة لانه يحرق شمعة أفراحه من طرفيها كليهما. فكما ترك الابن الأصغر بيت أبيه بسرعة، كذلك أنفق كل شيء بنفس هذه السرعة، «فابتدأ يحتاج» وهكذا أمسى ذلك الفتى الشقي بين حجري رحى، لأنّ المصائب لا تأتي فرادى. فقد اجتمع عليه عدوّان — فراغ الجيب من الداخل، والجوع الذي حل بتلك الكورة من الخارج، فصار الابن بينهما كقطعة من الحديد بين المطرقة والسندان. (٤) عبودية الخطية (عدد ١٥ و ١٦): ان الحرية التي تقدمها الخطية، تشبه قطر الندى الذي يتبخر عاجلاً، فسرعان ما تنقلب الحرية الى عبودية في النهاية، طلب ذلك الشاب أن يخرج من بيت أبيه طمعاً في الحرية التي وعدته بها الخطية، لكنه بعد قليل «مضى والتصق بواحد من أهل تلك الكورة».

الى حقوله ليرعى خنازير ١٦ وكان يشتهي أن يملأ بطنه من الخرنوب
الذي كانت الخنازير تأكله . فلم يعطه أحد ١٧ فرجع إلى نفسه وقال

هذا ما أصاب شمشون بعد ما استسلم لأهواء الهوان . من المحقق أن ذلك «الواحد» النكرة الذي التصق به الفتى التعيس ، كان أفقر من أبيه .

ما أكبر الفرق بين حالته الاولى و بين حاله الآن! (١) قبلاً كان ابناً والآن صار عبداً (٢) قبلاً كان في البيت والآن صار في الحقل. (٣) قبلاً كان يأكل أفخر الطعام والآن صار يشتهي الخرنوب. (٤) قبلاً كان يعاشر خيرة الناس، والآن صار عشراؤه من الخنازير النجسة . وما أشد كره اليهود لهذه المهنة الدنيئة يقول بعض المفسرين ان في هذا القول إشارة خفية إلى أن استعباد الرومان لليهود هو نتيجة بعدهم عن الله .

هذه هي الدركات السفلى التي هبط اليها ذلك الشاب . لكن لا حياة مع اليأس ولا يأس مع الحياة . ان أشد ساعات الليل ظلاماً هي الساعة التي تسبق طلوع الفجر مباشرة . ان الجوع الذي كان يعض معدة ذلك الفتى، قد استصحبه جوع آخر أشرف منه — في قلبه — جوعه الروحي إلى أبيه ، و إلى البيت الذي نشأ فيه .

الآن انتقل الشاب من الخطية إلى :

التوبة عن الخطية (١٥ : ١٧ — ٢٠): فالتوبة هي: يقظة: «رجع إلى نفسه» (عدد ١٧) . فندامة : «وقال» . فاتضاع : «لست مستحقاً» (عدد ١٨ و ١٩). فرجوع إلى الله: «فقام» . أو هي فكرة: «رجع إلى نفسه»، فعزيمة : «وقال

كم من أجير لأبي يفضل عنه الخبز وأنا أهلك جوعاً ١٨ أقوم وأذهب
إلى أبي وأقول له يا أبي أخطأت إلى السماء وقدامك

أقوم » . فتنفيذ لهذه العزيمة : « فقام » .

(١) فكرة : «رجع إلى نفسه» (عدد ١٧). تُقال هذه العبارة في اللغة اليونانية ، للمجنون بعد شفائه . وللسكّير بعد صحوه . وهذا يوافقه معنى «التوبة» في اللغة الاصلية،فهي «تغيير الفكر» لان الفاقة أطاحت بجنونه، بعد أن عبثت الخطية بلُبِّه . « الآن راحت السكرة وجاءت الفكرة » .

الخطية سالبة غادرة ، لأنها استلبت من ذلك الشاب نفسه الشريفة ، فلما أفاق من غمرة الخطية رجع إلى نفسه ، ولما زالت عنه هذه الغاشية ، حنَّ إلى بيت أبيه و إلى وفرة الغنى الذي كان فيه « كم من أجير لأبي يفضل عنه الخبز » ، وذكر حالته التعسة « وأنا أهلك جوعاً » .

(٢) عزيمة: «أقوم وأذهب إلى أبي وأقول له يا أبي أخطأت» (عدد ١٨ و ١٩) لو اكتفى الشاب بالخطوة الأولى،لماتت فيه تلك الفكرة الحسنة،لان الفكرة ان لم تتحول إلى عزيمة،صارت بخاراً . كانت هذه العزيمة تحتوي : (ا) ثقة: «أذهب إلى أبي .. وأقول .. يا أبي» . فمع أنه خرج من بيت أبيه لكنه لم يخرج بعد عن بنوّته لأبيه . فمع أنه صار ابناً ضالاً ،لكنه لم يزل بَعدُ ابناً . (ب) اعترافاً : «أخطأت إلى السماء وقدامك». القول: «أخطأت الى السماء» تعبير عبري معناه أخطأت الى الله. (ج) تذللاً : «لست مستحقاً بعد أن أُدعى لك ابناً» بعد أن استنفد الشاب حقوقه التي أتاحها له الناموس، التجأ الآن الى

١٩ ولست مستحقاً بعد ان أدعى لك ابناً . اجعلني كأحد أجراك
٢٠ فقام وجاء الى أبيه . وإذ كان لم يزل بعيداً رآه أبوه فتحنن عليه

باب النعمة : « لست مستحقاً » .

(٣) تنفيذ العزيمة: «فقام وجاء الى أبيه» . هذا هو عمل الايمان. بل هذه هي المعركة الاخيرة الفاصلة، وقد خرج منها ذلك الفتى منتصراً، ظافراً. كان من الممكن له أن يفتكر و يعزم و يقف عند هذا الحد، فتذهب عزيمته كسحابة الصيف، لكنه نفّذ العزيمة «فقام وجاء الى أبيه». لعله كان يقدم رجلاً و يؤخر أخرى في رجوعه، وربما كانت بواعثه الى الرجوع مشوبة بشائبة المصلحة الذاتية المادية، لكنه كان رجوعاً على كل حال. لان «الله يعرف جبلتنا يذكر أننا تراب نحن»

(ج) الأب المحب (١٥: ٢٠—٢٤) : قد تتبخر محبة الابن لابيه، فتصير هباء . لكن محبة الأب لابنه ملتهبة على الدوام. فالنلق الآن نظرة الى: (١) عين المحبة الابوية : «واذ كان لم يزل بعيداً رآه أبوه» . ان عين المحبة أقوى من عين النسر. هي العين الساهرة المنتظرة، التي ترى كل شيء «من بعيد» فتميّز ملامح الابن على رغم ما علاه من الاضمحلال . (٢) قلب المحبة الابوية : «تحنن» (عدد ٢٠) : كان لهذا الحنان باعثان: أحدهما وأولها العاطفة الابوية وثانيهما الحال التعيسة التي هبط اليها الولد (٣) أقدام المحبة (عدد ٢٠). سواء أكانت خطوات الابن متثاقلة أم مسرعة الا أنّ خطوات المحبة الابوية واسعة سريعة، لان خُطى المحبة تسبق خطى الايائل. فسبحان الخالق! انه قد يتأنّى في كل شيء الا في ملاقاة الانسان التائب، والترحيب به (٤) لغة المحبة: «وقع على

وركض ووقع على عنقه وقبّله ٢١ فقال له الابن يا أبي أخطأت إلى
السماء وقدامك ولست مستحقاً بعد ان أُدعى لك ابناً ٢٢ فقال الأب
لعبيده أخرجوا الحلة الأولى وألبسوه واجعلوا خاتماً في يده وحذاء
في رجليه ٢٣ وقدموا العجل المسمّن واذبحوه فنأكل ونفرح

عنقه وقبّله» : ذكر لنا المسيح شيئاً عن كلام الابن لأبيه لكنه لم يذكر شيئاً عن كلام الأب لابنه . والواقع أن الأب استعاض بالقبلات عن الكلمات . واستبدل التعبيرات بالعبرات، فعبرت الأجفان عما عجز عنه اللسان. الكلمة « قبّله » استعملت في الأصل في صيغة المبالغة. كل هذا قد فعله الأب، والابن لا يزال في أقذاره وأسماله . ذلك لأن الأب لم يقبّل نظافة الابن بل قبّل الابن نفسه . لا بد أن الابن شرع في اعترافه ، لكن أباه لم يمهله حتى يكمل الاعتراف. وما الداعي لأن يقول الابن «احسبني كأحد أجرائك» بعد أن رأى هذه المعاملة الأبوية الرقيقة ؟ (٥) عطايا المحبة (عدد ٢٢) . أمر الأب عبيده بأن يخرجوا « الحلة الأولى » — وهذه ترمز إلى ثوب البر الذي يخلعه الله على التائبين. هكذا عامل الله قديماً زكريا الكاهن (زكريا ٣: ٣ — ٥). «والخاتم» هو رمز السلطان والشرف والبنوة الدائمة . « والحذاء » يرمز إلى استعداد الحياة الجديدة التي سيحياها فيما بعد: «حاذين أرجلكم باستعداد انجيل السلام» «والوليمة» (عدد ٢٣) ترمز إلى الفرح الدائم الفياض. من فرط سرور الأب لم يؤجل الوليمة حتى يعود الابن الاكبر واعله كان غائباً في الحقل . قد تساءل بعض المفسرين عما اذا كان ذلك العجل المسمّن مُعَداً ليوم زواج الابن الاكبر!!؟

٢٤ لان ابني هـذا كان ميتاً فعاش وكان ضالاً فوُجد . فابتدأوا
يفرحون ٢٥ وكان ابنه الاكبر في الحقل . فلما جاء وقرب من
البيت سمع صوت آلات طرب ورقصاً ٢٦ فدعا واحداً من الغلمان
وسأله ما عسى أن يكون هـذا ٢٧ فقال له أخوك جاء فذبح أبوك
العجل المسمَّن لأنه قبله سالماً ٢٨ فغضب ولم يرد أن يدخل فخرج
أبوه يطلب اليه ٢٩ فأجاب وقال لأبيه ها أنا أخدمك سنين هذا

بين لغة المحبة و بين عطاياها يقع اعتراف الابن . (٦) تقدير المحبة (عدد٢٤) كل ما كان يحلم به الابن ، هو أن يجعله أبوه كأحد أجراه . لكن الأب أعلن إعلاناً جديداً إذ قال : « ابني هذا كان ميتاً فعاش » .

(د) الابن الاكبر (١٥: ٢٤ — ٣٢): أمامنا في هذا الفصل حديث الابن الاكبر مع أحد الغلمان ومع أبيه. كان من الطبيعي أن يتساءل الابن الاكبر عن هذه الحالة الغير المألوفة ، سيّما وأنه كان غائباً في الحقل . وكان ينتظر أن يؤخذ رأيه في كل شيء . إذاً كان داء حب الرياسة متمكناً منه . والفرق بينه و بين أخيه هو أن الأخ الأصغر كان مرتداً وهو خارج البيت، لكن الأخ الاكبر كان مرتداً في قلبه وهو داخل البيت . ارتداد الابن الاصغر ظهر في استسلامه لشهواته ، فطلب الخروج من بيت أبيه ، وارتداد الابن الاكبر ظهر في غضبه وعدم عودته إلى البيت. وأظهر أن فرحه الحقيقي خارج البيت.

واليك تحليلاً لبعض خُلق الابن الاكبر كما بدا من تصرفه هذا : (١) عدم تقديره بنوّته لابيه: «أنا أخدمك سنين هذا عددها» . إذاً كان عائشاً في البيت

عددها وقط لم أتجاوز وصيتك وجدياً لم تعطني قط لأفرح مع
أصدقائي ٣٠ ولكن لما جاء ابنك هذا الذي أكل معيشتك مع
الزواني ذبحت له العجل المسمن ٣١ فقال له يا بنيّ أنت معي في كل

بروح العبد لا بدالة البنين. (ب) اعتزازه ببره الذاتي: «وقطّ لم أتجاوز وصيتك» هذه هي الروح الفريسيّة التي بها أدخل نفسه متطوّعاً في عداد «التسعة والتسعين الذين لا يحتاجون إلى توبة» . وإذا لم يكن قد خالف وصايا أبيه قط، فانه بتصرفه هذا قد خالف وصية المحبة. (ج) نكرانه فضل أبيه عليه: «وجدياً لم تعطني قط». إذاً لمن كان ذلك العجل المسمن؟ (د) سآمته من بيت أبيه: «لأفرح مع أصدقائي». إذاً لم يكن في حقيقته أفضل من الابن الضال الذي أخذ ماله وسافر إلى كورة بعيدة. والفرق بينهما هو أن الأصغر كان خاطئاً «شريفاً» لانه صرّح لابيه عما في قلبه. لكن الاكبر كان «قديساً مزيّفاً» لانه كتم شعوره في قلبه. فبقي في البيت مع شدة كرهه له. (ه) إنكاره نسبته لأخيه، وبالتالى نسبته لأبيه: «ابنك هذا» بدلاً من أن يقول: «أخي». ان كلمة «هذا» تنطوي على شيء من التحقير. بهذا القول أخرج الابن الأكبر نفسه من عداد العائلة المقدسة، فحكم على نفسه بالحرمان. (و) افتراء على أخيه: «أكل معيشتك مع الزواني». مع أن كلمة «الزواني» لم ترد في تاريخ الابن الضال، لكن الابن الاكبر كان مُسرفاً بهذا المقدار حتى تبرّع لأخيه بهذه التهمة الدّنيئة!

(عدد ٣١) : كان جواب الأب غاية في الحكمة وإصالة الرأي : «كان ينبغي .. » — هذه كلمات خارجة من قلب مجروح متألم. فقد كان يود الأب

حين وكل مالي فهو لك ٣٢ ولكن كان ينبغي ان نفرح ونسر لأن أخاك هذا كان ميتاً فعاش وكان ضالاً فوجد

أن يكون فرحه كاملاً ،لأنه يسرّ بان يرى ولديه معاً في البيت . لكن المحبة التي لا تعرف الملل،فاهت باعلان جليل، يتضمن:(١) امتيازاً مجيداً:«يابنيّ» هذه كلمة أقوى من كلمة:«يا ابني».(٢) شركة مجيدة:«انت معي في كل حين». (٣) ملكيَّة تامة : « كل ما لي فهو لك » . (٤) تعنيفاً لطيفاً : « لأن أخاك هذا » .

ومما يؤسف له أن «الستار» نزل على هذه الرواية،والابن الاكبر لا يزال خارجاً ! ! ! فهل فاز والده باقناعه ، أم ظلّ الابن الأكبر في الخارج إلى النهاية ؟ ؟ على الفريسيين أن يعطوا الجواب عن هذا السؤال ! أما جواب المسيح فهو : إنّ آخرين يكونون أولين . وأولين يكونون آخرين » .

الاصحاح السادس عشر

١ . وقال ايضاً لتلاميذه كان إنسان غني له وكيل

مثل وكيل الظلم (لوقا ١٦: ١—٩)

تابع المسيح تعاليمه بالأمثال . فنطق في هذا الاصحاح بمثلين : أحدهما مثل وكيل الظلم ، والثاني مثل الغني ولعازر . يتفق هذان المثلان في المبدأ : وهو أن الحياة العتيدة ، ثمرة ونتيجة للحياة الحاضرة ، وأن الطريقة التي بها يتصرّف الانسان بمتاع الدنيا ، تعيّن مصيره في الحياة العتيدة .

على أنه وان اتفق المثلان في المبدأ ، الا أنهما يرسمان لنا صورتين متعاكستين . يرسم لنا المثل الأوّل صورة وكيل اشترى بمتاع الدنيا أصدقاء لراحته في المستقبل، ويرسم لنا المثل الثاني صورة رجل غني باع الآخرة بمتاع الدنيا .

وجّه المسيح المثل الاول للتلاميذ (عدد ١) مع أن الفريسيين الذين كانوا بين المستمعين ، لاحظوا أن سهام الكلام قد أصابت اكبادهم (عدد ١٤) . أمّا المثل الثاني فقد وجّهه الى الفريسين رأساً .

في كلٍّ من المثلين نرى أن الغنى ليس جريمة ، لكنه وديعة محفوفة بالمخاطر ، ووكالة ثمينة .

هذان المثلان ، يقعان بين ثلاثيّتين من الأمثال : فثلاثية من الامثال

فوُشي به اليه

تسبقهما ، وثلاثية أخرى تليهما : وكل هذه الثمانية الامثال معاً تعالج أمراض الفريسيِّين الدَّفينة : من حب الذات إلى الفخر بالذات .

أمامنا في هذا الفصل: (١) مَثل وكيل الظلم (١٦: ١—٩) . (٢) تذييل للمثل الأول ، وتمهيد للمثل الثاني (١٦: ١٠: ١٨) . (٣) مثل الغني ولعازر (١٦: ١٩ — ٣١) .

(١) المثَل الأول— مَثل وكيل الظلم (لوقا ١٦ : ١ — ٩):ذهب كثيرون في تفسير هذا المثل مذاهب شتى.ورأى فيه بعضهم لغزاً لا مثلاً ،لأنهم حاولوا أن يستمدُّوا من كل كلمة فيه حكمة روحية مع أنه من الواجب علينا في تفسير الأمثال أن نذكر هذه المبادىء : (١) ليس لكل تفاصيل المثل معانٍ روحية خاصة ، مقصودة في الوضع الأصلي . (ب) ان القصد الرئيسي الذي وُضع المثل لأجله هو النبراس الذي يُهتَدَى به في تفسير سائر تفاصيله.(ج) لا يجوز أن يؤخذ المثل وحده أساساً لعقيدة دينية .

رأى بعض المفسرين أن «الانسان الغني» يمثل الحكومة الرومانية،وأن «الوكيل» يمثل العشارين الذين كانوا يَجْبون الجبايات (الضرائب) من اليهود ليقدموها للدولة الرومانية . وأن « المديونين » هم اليهود . وأن امتداح السيد لعمل وكيل الظلم،يفسره أن الحكومة الرومانية كانت تمتدح العشارين الذين يَجْبون لها الجبايات المخفَّفة باستعمالهم الطرق السلمية ، وتميزهم عن العشارين الذين يَجْبون الجبايات المبهظة المجموعة بوسائل الارهاق والارهاب .

بانه يبذر امواله ٢ فدعاه وقال له ما هذا الذي اسمع عنك . أعطِ
حساب وكالتك لانك لا تقدر ان تكون وكيلاً بعد ٣ فقال الوكيل
في نفسه ماذا أفعل . لأن سيدي يأخذ مني الوكالة . لست استطيع
أن أنقب واستحي أن استعطي ٤ قد علمت ماذا أفعل حتى إذا

والذي يهمنا نحن في هذا المثل هو المبدأ الذي يقوم عليه : وهو ضرورة التذرّع بالحكمة العملية — لا العالمية — لنقتدي بها الأبديات،الروحيات .

نرى في هذا المثل : (ا) صورة رجل غني (١٦: ١و٢) له ممتلكات واسعة، لكنه هجر الرّيف وسكن الحَضَر،وفوّض إدارة ممتلكاته إلى وكيل له قد ائتمنه على كل ماله. وسرعان ما اتصلت به وشاية عن وكيله بانه «يبذر أمواله» —هذه هي عين العبارة التي قيلت عن الابن الضال—(لوقا ١٥: ١٣) (وهناك بذّر ماله»،عندئذٍ طلب صاحب المال من وكيله أن يقدّم له صكوكاً بتوقيع المزارعين وتصديقه كوكيل ، تبيّن ما للمالك على كل شريك ، من حصيلة أملاكه .

(ب) صورة وكيل الظلم (١٦: ٣—٧) : يُعنُ لنا هذا المثل أمرين عن هذا الوكيل : أحدهما ما فكر فيه : «فقال الوكيل في نفسه» . ما أشبه هذه العبارة بتلك التي قيلت عن الابن الضال ! «فرجع إلى نفسه ...» (١٥: ١٧): رأى الوكيل أنه عاجز جسدياً عن «أن ينقب» ، وأنه عاجز أدبياً عن « أن يستعطي».وأمام هذا العجز المزدوج سوّلت له الحيلة باباً جديداً.«قد علمت» (عدد ٤)،والعبارة في الأصل تفيد أن الوكيل قد اهتدى إلى اكتشاف عجيب.

عُزلت عن الوكالة يقبلوني في بيوتهم ٥ فدعا كل واحد من مديوني سيده وقال للأول كم عليك لسيدي ٦ فقال مئة بث زيت . فقال له خذ صكك واجلس عاجلاً واكتب خمسين ٧ ثم قال لآخر وأنت كم عليك فقال مئة كرّ قمح . فقال له خذ صكك واكتب ثمانين

كان السبيل الشريف الذي أمامه ، أن يعترف بخيانته ، و يستغفر عنها ، و يتعهد بالاصلاح لكنه فكر في حيلة تنفعه متى طُرد من الوكالة. فالتجأ إلى التدبير الشيطاني الذي يجعل الاثام تولِّدُ اثاماً أخرى،وعالج الداء بالداء.
الأمر الثاني: ما عمله (عدد ٥): دعا الوكيل أولئك المزارعين وتواطأ معهم على أن يظلم سيده . فغيّر في الصكوك وزوّر . وكان التزوير ميسوراً لأن الأرقام كانت تُكتب وقتئذٍ بالحروف العبرية — بحساب الجُمَّل — ولا فرق كبير يميز الحروف الدالة على العشرات من الحروف الدالة على المئات،وفي أغلب الأوقات يدل أحد الحروف على العشرات إذا وقع في بداية الكلمة ، و يدل هو بعينه على المئات إذا وقع في نهايتها : كالميم أو الفاء أو النون مثلاً .

يُحاول بعض المفسرين أن يلتمس العذر لذلك الوكيل ، لاعتقادهم أن الصكوك الأولى كانت مرهقة للمزارعين، لأن مطاليبها كانت فوق استحقاق سيده، وأنه بتغيير الصكوك الأولى بدأ يعاملهم بالعدل و يتساهل معهم في ما كان قد ظلمهم به ، فهو بذلك لم يظلم سيده بل اكتفى بان يحفظ له حقوقه

٨ فمدح السيد وكيل الظلم اذ بحكمة فعل . لان أبناء هذا الدهر أحكم
من أبناء النور في جيلهم ٩ وأنا أقول لكم اصنعوا لكم أصدقاء بمال

(ج) حكم الانسان الغني على وكيله (١٦: ٨): «فمدح السيد». أي سيد ذلك الوكيل على أن مدحه إياه كان مقيداً بامرين: أولهما أنه مدحه على «حكمته» ولم يمتدحه على خُلُقه. كأنه أُعجب بذكاء عقله، لكنه لم يسرّ باعوجاج قلبه. و إلا فلماذا لم رده إلى وظيفته؟ إنما هذا من قبيل قولهم «أعطِ الشيطان حقه»! والأمر الثاني أنه امتدحه وخلع عليه هذا اللقب: «وكيل الظلم». أي «الوكيل الظالم». هذا تعبير عبريّ من قبيل القول «جبل قدسي» أي «جبلي المقدس»!

(د) حكم المسيح (١٦: ٨و ٩): أردف المسيح هذا المثل بكلمتين على سبيل التطبيق: إحداهما كلمة عامة، علَّل بها المسيح امتداح الانسان الغني لوكيله: «لأن أبناء هذا الدهر أحكم من أبناء النور في جيلهم» أي أن أبناء هذا الدهر يتذرّعون بالحكمة في معاملة أهل جيلهم، أكثر من الحكمة التي يستخدمها أبناء النور في معاملتهم لمؤمني جيلهم. وأن الغير المؤمنين قد يكونون أكثر من المؤمنين ذكاء، وأشد منهم حرصاً على الفُرَص التي بين أيديهم. والكلمة «هذا الدهر» معناها العصر السابق للعصر الذهبي الذي يأتي فيه المسيح ثانيةً. وقد عُبّر عنه «بالعالم الآتي» في متى ١٢: ٣٢ . «و بالعالم العتيد» في (عبرانيين ٢: ٥)

والكلمة «أبناء النور» وردت في (أفسس ٥: ٨و ١ تسالونيكي ٥: ٥)

فما أحوج المؤمنين إلى التعلم من غير المؤمنين! قد ينتفع خادم الدين اذا سمع رجل المسارح (المُمثل) مخاطباً إياه بالقول: «نحن معشر المثلين نصور الأوهام

الظلم حتى اذا فنيتم يقبلونكم في المظال الأبدية

كأنها حقائق ، وأنتم أيها الواعظون تصوّرون الحقائق كأنها أوهام » . وقد يضطر المؤمن أن يسمع الرجل المادي منادياً إياه بالقول : « نحن قوم ننظر إلى الماديات الفانيات كأنها خالدات باقيات ، وأنتم تنظرون إلى الأبديات كأنها فانيات ذاهبات » .قد يجوز أن نفسّر كلمة « في جيلهم » بمعنى « في الوسائل التي يستخدمونها لبلوغ مآربهم » . أي أن العالميّين يثقون باسلحة محاربتهم الجهنمية أكثر مما يثق المؤمنون باسلحة محاربتهم الروحية ، ذلك لأن أبناء هذا الدهر يعلمون أن الغد هو وليد اليوم .

من هذا المبدأ العام ، استخلص المسيح لتلاميذه حكمة بالغة،فقال: « وأنا أقول لكم اصنعوا لكم أصدقاء بمال الظلم » —أي استخدموا الفُرَص التي بين أيديكم في هذا العالم الشرير ، و بيعوها،وافتدوها،واشتروا بها « تحويلاً » على الآخرة! قد تترجم هذه العبارة كما هي في الأصل: « اجعلوا مال الظلم صديقاً لكم» و« اقتنوا لأنفسكم أصدقاء من استخدامكم مال الظلم » .وقد سمي المال « مال الظلم » لأنه مراراً كثيرة يُجمع بالظلم،ويُوزَّع بالظلم. حسناً قال فيه بولس « ان محبة المال أصل لكل الشرور » (١ تيموثاوس ٦ : ١٠).أن أفضل باب للتخلص سريعاً من مال الظلم متى وُجد ، هو بذله في سبيل الخير . لأن « من يرحم المسكين يُقرض الرب » ومن يقدم إحساناً إلى بائس،فان ملائكة الله تستقبله في « المظال الأبدية » . هذه العبارة الأخيرة « المظال الأبدية » مستعارة من عادات اليهود في أعيادهم. والمراد بها « دار الخلود » . والكلمة « فنيتم » تشير إلى فناء الجسد

١٠ الأمين في القليل أمينٌ ايضاً في الكثير . والظالم في القليل ظالم
أيضاً في الكثير ١١ فان لم تكونوا أمناء في مال الظلم فمن يأتمنكم على

بالتحوّل عند الموت . وقد فسرها بعضهم بفناء الانسان مالياً ، أي عند فناء المال من بين يديه .

«ان الله يثيب الأمناء في اليوم الأخير حسب أعمالهم،لا لأجل أعمالهم»

السيّدان (لوقا ١٦ : ١٠ — ١٧)

بين هذه الأعداد ، و بين الأعداد المكوّنة لمثل وكيل الظلم،نرى حداً فاصلاً . قصد المسيح بمثل وكيل الظلم،أن يلقي على تلاميذه درساً في الحكمة. ولئلا يتبادر الى ذهنهم أن المسيح يحبّذ الحكمة المتوّجة بالخيانة،كحكمة وكيل الظلم،لذلك أفهمهم بهذه الأعداد ، أنه إنما يقصد الحكمة المصحوبة والمتوّجة بالأمانة : « الأمين في القليل أمين أيضاً في الكثير » . بهذا المعنى وحده ، تُعتبر هذه الأعداد مكملة لمثل وكيل الظلم.لأنها تقدّم معه وجهين متكافئين للوكالة القويمة : الوجه الأول — الحكمة ، والوجه الثاني — الأمانة . ان حكمة الحيّات مؤذية ما لم ترافقها بساطة الحمام .

يريد المسيح بهذه الأعداد أن يرينا أن الله لا يأتمن إنساناً على مواهب روحية،إن لم يكن أميناً في الودائع الزمنية.وان كل غنى و إن زاد ، فهو زهيد بالنسبة الى المواهب الروحية.والمال الذي بين أيدينا هو «مال ظلم» لأنه ليس مالنا بل مال الله ، إنما يدّعي الناس «ظلماً» أنه مِلك لهم — هذا هو «مال

الحق ١٢ وان لم تكونوا أمناء في ما هو للغير فمن يعطيكم ما هو
لكم ١٣ لا يقدر خادم أن يخدم سيدين . لانه إما أن يبغض الواحد

الغير». أما المؤهلات الروحية التي قد أُعدت لنا قبل كون العالم،فهي تحسب مما «لنا». إذاً مال الأرض هو «مال الظلم»،والمواهب الروحية هي مال «الحق». فان لم نُظهر كل أمانة في استخدام الودائع المادية المودعة بين أيدينا، فان الله لا يمنحنا هبات الروح «في قلوبنا» . ذلك لأن الأمانة مبدأ مستقل عن كمية الودائع وقدرها. فان القليل منها لا ينتقص من الأمانة. والكثير منها لا يزيدها

يتمثل لنا في هذه الأعداد أب يريد أن يُعدّ ابنه لادارة ممتلكاته الواسعة . من أجل ذلك بدأ معه بادارة أعمال صغيرة ، فاذا هو أحسن إدارتها ، حباه أبوه ثقته التامة ووكل اليه إدارة ما هو أسمى وأكبر . واذا هو خان وتمرد ، أصبح بذلك قاضياً على نفسه بانه لا يصلح لأن يكون ابناً لذلك الأب .

(عدد ١٣) يتوّج المسيح هذه الأعداد بكلمة حكيمة خالدة : «لا يقدر خادم أن يخدم سيدين .. لأنه إما أن يبغض الواحد و يحب الآخر» —هذه خدمة القلب. «أو يلازم الواحد و يحتقر الآخر» —هذه خدمة العقل والواجب. عجيب أن يقول المسيح عن المال انه «سيد» . وأعجب من ذلك أن يتطوع الناس بالاستعباد لهذا السيد العاتي الفاني

كثيرون من الناس يشبهون «يناير» —ذلك الشهر المسمّى على اسم إله روماني ذي وجهين: أحدهما ينظر إلى العام القديم، والثاني يتجه إلى العام الجديد.

ويحب الآخر أو يلازم الواحد ويحتقر الآخر. لا تقدرون أن تخدموا الله والمال ١٤ وكان الفريسيون أيضاً يسمعون هذا كله وهم

فلا هم أبناء القديم ولا هم أبناء الجديد. ومنهم من يشبهون الذباب الذي يكثر وجوده بين النور و بين الظلال ، ومنهم من يختارن أن يعيشوا في الفجر فلا هم من أبناء الليل ولا هم من أبناء النهار . ان الله يريد القلب كله أو لا يريد القلب كليّة ، لأنه من المستحيل أن تتجه « البوصلة » إلى جهتين مختلفتين في آن واحد . ان الله «الذي وهبنا كل شيء بغنى للتمتع» يستحق منّا كل شيء ، وهو يقدس لنا هذا الكل الذي نقدمه له . فاذا ما قدمنا له شيئاً فاننا نعطيه الكل لأجل الكل .

الغني الفقير والفقير الغني (لوقا ١٦: ١٤—٣١)

يتضمن هذا الفصل: (١) كلمات تمهيدية (١٦: ١٤—١٨) . (٢) مَثل الغني الفقير والفقير الغني (٦ :١٩—٣١) .

(١) كلمات تمهيدية (١٦: ١٤—١٨): قد يُرَى لأول وهلة أن هذه الكلمات وُضعت هنا بغير ترتيب معين. وأن لا صلة تربطها بالمثل الذي بعدها. لكن بعد إمعان النظر، يتجلى لنا أن هذه الأعداد تتضمن حقيقتين رئيسيّتين: أولاهما، أن الله رفض الفريسيين لأنهم برّروا أنفسهم قدام الناس (١٦: ١٤و١٥) ، والثانية أن ناموس الله الأدبي، ثابت إلى الأبد (١٦: ١٦—١٨). وهاتان هما الحقيقتان اللتان يقوم عليهما مَثل الغني ولعازر . فالحقيقة الأولى ظاهرة من

محبون للمال فاستهزأوا به ١٥ فقال لهم انتم الذين تبررون انفسكم قدام الناس. ولكن الله يعرف قلوبكم. إن المستعلي عند الناس هو رجس قدام الله

رفض الله للغني الذي كان باراً في عيني نفسه،معتمداً على كونه «ابناً لابرهيم». والحقيقة الثانية معلنة في كلام ابرهيم لذلك الغني : « عندهم موسى والأنبياء ليسمعوا منهم ».

الحقيقة الأولى(١٦: ١٤و١٥):قلّما يرسم لوقا صورة تخلو من الفريسيين – سواء أكانوا في قلب الصورة أم على «هامشها».كان المسيح يخاطب التلاميذ ، لكن الفريسيين برزوا في هذه الصورة في شكل «المستهزئين»، لأن كلمات المسيح طعنت قلوبهم ، وجرحتها ، فكشفت خبايا نفوسهم المنطوية على : (١) «محبة المال»—هذه تعيّن نظرتهم إلى العالم المحيط بهم. (ب) الغرور : «أنتم الذين تبررون أنفسكم»—هذه تعيّن نظرتهم إلى نفوسهم.(ج)الرياء : « قدام الناس » — هذه تريتا أن نظرتهم كانت دائماً أفقية : « ماذا يقول الناس عنّا»،لا نظرة علوية:«ماذا يقوله الله عنا». كأنهم عاشوا طوال حياتهم كالنعامة التي تخفي وجهها في الرمل ظناً منها أن عين الصياد لا تراها،ما دامت هي لا تراه. والآن قد فاجأهم المسيح بهذا الاعلان « لكن الله يعرف قلوبكم. ان المستعلي عند الناس هو رجس قدام الله ». وهل في قاموس اللغات كلمة أشد إيلاماً على نفوس هؤلاء « الأبرار في أعين أنفسهم » ، أكثر من هذه الكلمة : « رجس » ؟!

١٦ كان الناموس والانبياء الى يوحنا . ومن ذلك الوقت يبشَّر
بملكوت الله وكل واحد يغتصب نفسه اليه ١٧ ولكن زوال السماء
والأرض أيسر من ان تسقط نقطة واحدة من الناموس ١٨ كلّ من
يطلق امرأته ويتزوج بأخرى يزني . وكل من يتزوج بمطلقة من

الحقيقة الثانية (١—١٨) : كانت كتب العهد القديم منقسمة وقتئذٍ إلى قسمين : «الناموس،والأنبياء» (متى ٥:١٧و٧:١٢و٢٢و٤٠ واعمال ١٣: ١٥و٢٨:٣) . هذا هو النور الذي اهتدى به الناس إلى يوم يوحنا المعمدان ثم جاء الانجيل فاقبل عليه كثير من الناس متسابقين متزاحمين . والاشارة هنا إلى القوم الذين ذهبوا أفواجاً إلى يوحنا المعمدان في البرية ليعتمدوا منه والى «جميع العشارين والخطاة الذين كانوا يدنون من المسيح ليسمعوه» .يرى بعض المفسرين في هذه الكلمات إشارة إلى الفريسيِّين الذين قصدوا ان يغتصبوا الملكوت لأنفسهم من باب غير الباب الذي عيَّنه المسيح—التوبة والايمان. كان الناموس والأنبياء معمولاً بهما إلى يوم يوحنا المعمدان.و بعدهما جاء الانجيل.لكن الانجيل ونظامه لم ينسخا الناموس وأحكامه. «ان زوال السماء والارض أيسر من أن تسقط نقطة واحدة من الناموس» قضت شريعة الله منذ البدء ،أن تكون للرجل امرأة واحدة،لأنه خلقهما من البدء ذكراً وأنثى. لكن الفريسيين تلاعبوا بالناموس وأبطلوا أحكامه بسبب تقاليدهم . فلمّا جاء المسيح، أكمل الناموس وخلع عليه لباساً روحياً خالداً، فعلَّمنا أن الصلة الزوجية هي رابطة روحية،تظل قائمةً ما بقي الزوجان أمينين على قيد الحياة .

رجل يزني ١٩ كان انسان غني وكان يلبس الارجوان والبز وهو

« كل من يطلق امرأته ويتزوج بأخرى يزني . وكل من يتزوج بمطلقة من رجل يزني». يراد «بالمطلَّقة» تلك التي يطلقها زوجها على نظام الفريسيِّين «الأوسع» الذي كان يجيز للرجل أن يطلق امرأته إذا لم تحسن «طَهْيَ» الطعام !

(٢) مَثل الغني الفقير والفقير الغني (لوقا ١٦: ١٩ — ٣١) : يختلف هذا المثل عن بقية أمثال المسيح ، في أن المسيح يذكر في هذا المثل اسم الرجل الفقير — « لعازر » ، على خلاف بقية الأمثال فانه اكتفى فيها بالتعميم . وهذا ما حدا ببعضهم إلى القول: ان هذه واقعة حال لا مَثل. لكن المجازات والاستعارات المذكورة هنا، كالقول «في حضن ابرهيم» ، تحملنا على الاعتقاد بان هذا مَثل. سيما وأن النفس لا تحلّ في الجسد قبل يوم القيامة . لكننا في هذا المثل نرى نفس ابرهيم ، والغني ، ولعازر حالَّةً في أجسادهم .

هذا المثل أشبه شيء برواية فيها فصلان : الفصل الاول تمت وقائعه في هذا العالم (١٦: ١٩ — ٢٢) والفصل الثاني حدث في العالم الآخر — عالم الغيب (١٦: ٢٣ — ٣١) .

الفصل الاول (١٦: ١٩ — ٢٢): يشتمل هذا الفصل على أربعة مناظر ، يتقابل اثنان منها مع الاثنين الآخرين: لحياة الرجل الغني (عدد ١٩) ، تقابلها حياة المسكين (عدد ٢٠ و ٢١). وموت المسكين (عدد ٢٢)، يقابله موت الغني،

يقدم لنا عدد ١٩ وصفاً مثلثاً لحياة الغني : (ا) في اللباس الخارجي : «يلبس الارجوان». (ب) في اللباس الداخلي: «والبزّ» (ج) في نوع المعيشة:

يتنعم كل يوم مترفهاً ٢٠ وكان مسكين اسمه لعازر الذي طرح عند
بابه مضروباً بالقروح ٢١ ويشتهي ان يشبع من الفتات الساقط من
مائدة الغني . بل كانت الكلاب تأتي وتنحس قروحه ٢٢ فمات المسكين
وحملته الملائكة الى حضن ابرهيم . ومات الغني ايضاً ودفن ٢٣ فرفع
عينيه في الهاوية وهو في العذاب ورأى ابرهيم

«يتنعّم كل يوم مترفهاً» . ويقدم لنا عددا ٢٠و٢١ ، وصفاً مثلثاً أيضاً للفقير : (١) اسمه : «لعازر» ومعناه : الله يقوّي . (ب) تعاسته : «طُرح عند بابه» أي باب الغني — «مضروباً بالقروح» . (ج) حاجته : «كان يشتّهي أن يشبع من الفتات الساقط من مائدة الغني — فلم يعطه أحد» . فوجد في الكلاب التي كانت تسابقه إلى التقاط الفتات ، خير صديق ، وممرّض ، وطبيب . لانها كانت « تأتي وتلحس قروحه » .

موت المسكين (عدد ٢٢) : في الحياة ، ذُكر الغني أولا ، لكن بعد الموت ذُكر المسكين أولاً . «مات المسكين وحملته الملائكة إلى «حضن ابرهيم» — هذه استعارة مستمدة من عادات اليهود في ولائمهم ، إذ كان يجلس كل منهم متكئاً إلى جانب الذي يليه . وهي ترمز إلى مكان الشرف (يوحنا ١٣ : ٢٣) وإلى الثقة والبنوّة (يوحنا ١ : ١٨) .

الفصل الثاني (١٦ : ٢٣ — ٣١) : في هذا الفصل منظران : أحدهما يُرينا الغني في عذابه يسترحم «أباه ابرهيم» (١٦ : ٢٣ — ٢٦) ، والثاني يُرينا الغني يستعطف ابرهيم من أجل إخوته الخمسة (١٦ : ٢٧ — ٣١) .

من بعيد ولعازر في حضنه ٢٤ فنادى وقال يا ابي ابرهيم ارحمني
وارسل لعازر ليبلّ طرف اصبعه بماء ويبرد لساني لاني معذّب في
هذا اللهيب ٢٥ فقال ابرهيم يا ابني اذكر انك استوفيت خيراتك
في حياتك وكذلك لعازر البلايا . والآن هو يتعزى وأنت تتعذب
٢٦ وفوق هذا كله بيننا وبينكم هوة عظيمة قد أُثبتت حتى ان الذين

المنظر الأول (١٦: ٢٣ – ٢٦): (١) ما رآه الغني (عدد ٢٣): «فرفع عينيه في الهاوية وهو في العذاب ورأى ابرهيم من بعيد». إذا كان قد رأى ابرهيم من بعيد، فلا غرابة، لأنه كان في حياته يتبع ابرهيم من بعيد — «ولعازر في حضنه». (ب) ما طلبه الغني (عدد ٢٤): «فنادى وقال، يا أبي ابرهيم» — لم يجسر أن يخاطب الله لكنه خاطب ابرهيم، اعتقاداً منه أن الختان هو ختم البُنُوَّة الوحيد. «أرسل لعازر ليبل طرف اصبعه بماء» - وهل نسي أن طرف أصبع لعازر كان يقطر منه الصديد في حياته ؟؟ (ج) ما شعر به الغني: «معذّب في هذا اللهيب» — هذه وصفٌ دقيق للآلام الجسدية والنفسية التي كان يكابدها

جواب ابرهيم (١٦: ٢٥ و ٢٦): يتضمن جواب ابرهيم: نداءً (أ) «يا ابني» لم يبخل ابرهيم عليه بهذا اللقب، لأنه لم ينكر عليه يهوديّته. (ب) تذكيراً: «اذكر أنك استوفيت خيراتك في حياتك» هذا برهان على خلود الذاكرة. (ج) تقريراً: قرّر ابرهيم حقيقة حال المسكين والغني إذ قال «والآن هو يتعزى وأنت تتعذب». (د) حكماً: «فوق هذا كله بيننا وبينكم هوّة عظيمة قد أُثبتت»

يريدون العبور من ههنا اليكم لا يقدرون ولا الذين من هناك
يجتازون الينا ٢٧ فقال اسألك اذاً يا ابت ان ترسل الى بيت ابي
٢٨ لان لي خمسة أخوة . حتى يشهد لهم لكيلا يأتوا هم أيضاً الى
موضع العذاب هذا ٢٩ قال له ابرهيم عندهم موسى والانبياء . ليسمعوا
منهم ٣٠ فقال لا يا ابي ابرهيم. بل اذا مضى اليهم واحد من الاموات
يتوبون ٣١ فقال له ان كانوا لا يسمعون من موسى

والمراد بهذا أن فرصة الخلاص قاصرة على الحياة ولن تعود في الآخرة ، لأن الآخرة تطبع الأخلاق بطابع الخلود (رؤيا ٢٢: ١١) .

المنظر الثاني (١٦: ٢٧ — ٣١) : (ا) الغني يستعطف ابرهيم لأجل اخوته الخمسة (١٦: ٢٧و٢٨). لما عجز الغني عن أن يستمطر رحمة ابرهيم عليه، بدأ يستعطفه من أجل اخوته، فكان في استعطافه هذا ملتمساً لنفسه عذراً من طرف خفي، كأن يقول. «لو وجدتُ أنا محذراً في حياتي ، لما صارت هذه خاتمتي» .

(ب) جواب ابرهيم (عدد ٢٩) : أجابه ابرهيم بالقول: «عندهم موسى والأنبياء » . أي عندهم أسفار العهد القديم أسفار موسى والأنبياء .

(ج) الغني يُلحف في الطلب (عدد ٣٠): فقال الغني: «لا يا ابي ابرهيم» . عجباً من هذا الرجل ، في النار ولا يلين ! ! أفي العذاب ويجسر أن يعارض ابرهيم أباه ويقول له : «لا» ؟ هذه خلاصة من العناد والادّعاء .

(د) جواب ابرهيم النهائي (عدد ٣١): «ان كانوا لا يسمعون من موسى

والانبياء ولا إن قام واحد من الاموات يصدقون

والأنبياء ، ولا ان قام واحد من الأموات يصدقون». هذه شهادة من ابرهيم على أن كلمة الله ثابتة الى الابد ، وأنها أعظم شهادة للناس أو عليهم لقد أقيم لعازر ساكن بيت عنيا من الأموات،فكانت قيامته سبباً في تآمر الفريسيين على المسيح لا سبباً في إيمانهم به، وعند موت المسيح « تفتحت القبور ، وقام كثير من أجساد القديسين الراقدين ، وخرجوا من القبور بعد قيامته،ودخلوا المدينة المقدسة وظهروا لكثيرين » (متى ٢٧:٥٣) ، وليس في الكتاب ما يفيد أن شخصاً واحداً آمن نتيجة قيامتهم.ان الاعمى لا ينفعه تغيير الالوان ما دام لا يقدر أن يري . وان الذين يحكمون على أنفسهم بالعمى الروحي ، لا ينفعهم المزيد من الشهود ما داموا لا يريدون أن يؤمنوا .

لم يكن ذلك الغني[١] قاتلاً ، ولا سارقاً ، لكن الرحمة كانت بعيدة عن قلبه.وهذا يكفي لادانته.هذا دليل على أنه كان يضمُّ بين ضلوعه قلباً ميتاً. كذلك لم يمتدح المسيح ذلك الفقير ، لمجرد فقره ، لكنه امتدحه ، لانه وهو فقير ، كان ساكتاً عن شكواه ، صابراً على بؤسه و بلواه . « ها نحن نطوّب الصابرين....قد رأيتم عاقبة الرب».ان تغيير المكان ليس كفيلاً بتغيير حالة النفس . فلو نُقل الغني كما هو إلى حضن ابرهيم، لكابد أنواع العذاب التي كابدها وهو في الهاوية،لأن جحيم الاشرار مخبوء في أعماق نفوسهم و يستمد لهيبه من تعذيبات الضمير . والسماء مكان مهيّأ لاناس مهيّئين له .

(١) يقول تقليد مُعاصر ان اسم ذلك الغني كان « نينيوس » .

الاصحاح السابع عشر

١ وقال لتلاميذه لا يمكن الا ان تأتى العثرات . ولكن ويل
للذي تأتي بواسطته ٢ خير له لو طُوِّق عنقه بحجر رحى وطُرح في

أربعة سهام نورانية (لوقا ١٧: ١—١٠)

تتضمن هذه الأعداد أربع مواعظ قصيرة من غير مقدّمات. ما أشبهها بالسهام النورانية المنبعثة من أشعة «شمس البر»! : (١) السهم الاول عن العثرات (١٧: ١و٢).(٢) والسهم الثاني عن الغفران (١٧: ٣و٤).(٣) والسهم الثالث عن الايمان (١٧: ٥و٦) . (٤) والسهم الرابع عن عدم كفاية الاعمال الصالحة لتبرير الانسان (١٧: ٧—١٠) .

(١) السهم الاول : عن العثرات (١٧: ١و٢) : يتضمن هذان العددان: (أ) حقيقة واقعية : «لا يمكن الا ان تأتي العثرات» . لان الذين يدبرون العثرات لغيرهم كثيرون ، والذين يتعثرون ليسوا بالقليلين ، سيما وأن «العالم قد وُضع في الشرير» . (ب) وعيداً : «ويل للذي تأتي بواسطته . خير له لو طُوِّق . . . » ان الذي يُطوَّق عنقه بحجر رحى ويُطرح في البحر ، قد يختفي تأثيره الردي معه ، لكن الذي يُعثر الآخرين يكون كمن يطلق أسداً في قلب مدينة آهلة بالسكان ، ولا يعلم الا الله كم عدد الذين يفترسهم هذا الاسد . ان الذي يغرق في البحر يهلك جسده وقد تخلص

البحر من ان يعثر احد هؤلاء الصغار ٣ احترزوا لانفسكم . وان اخطأ
اليك اخوك فوبخه وان تاب فاغفر له ٤ وان اخطأ اليك سبع مرات
في اليوم ورجع اليك سبع مرات في اليوم قائلاً انا تائب فاغفر له

روحه ، لكن الذي يُعثر الآخرين،يقتل نفسه و يقتل آخرين معه. هذا من قبيل قول إحدى الملكات : «اني أفضل أن أرى ابني ميتاً بين يديّ ، على أن أراه واقعاً في مخالب خطية مميتة». «والصغار » المقصودون هنا هم حديثو الايمان (مرقس ٩:٤٢). (ج) تحذراً : «احترزوا لأنفسكم » — مخافة أن تعثروا غيركم أو أن يعثركم أحد .

(٢) السهم الثاني:عن الغفران(١٧ :٣و٤):«ان اخطأ اليك أخوك فوبخه وان تاب فاغفر له » . في هذين العددين تقترن القداسة بالمحبة ، فيتولّد منهما الغفران . فالقداسة توبخ أعمال الظلمة ، والمحبة تتسامح،فيتم الغفران. الكلمة « سبع مرات » هي عدد كامل في عُرف اليهود ، وتكرارها مرّتين في عدد واحد ، يدلنا على أن لا حدود للغفران المسيحي سوى عدم توبة المسيء .

هذا على خلاف الغفران الذي علّم به التلمود ، فاوصى بغفران الاساءة التي لا تتكرّر اكثر من ثلاث مرات فقط !

مما يؤسف له أن كثيرين من المسيحيين – بالاسم — يكتفون بالشطر الأول من هذه الوصية : « ان اخطأ اليك أخوك فوبخه » . و يتغافلون عن الشطر الثاني منها : «ان تاب فاغفر له» ولمزيد الأسف قد يتمادى بعضهم في تنفيذ الشطر الأول ، فيصبّون التوبيخ في قالب شتائم !!!

٥ فقال الرسل للرب زد ايماننا ٦ فقال الرب لو كان لكم إيمان مثل حبة خردل لكنتم تقولون لهذه الجميزة انقلعي وانغرسي في البحر

(٣) السهم الثالث: عن الايمان (١٧: ٥ و ٦) : (ا) طلب الرسل (عدد ٥): سمع التلاميذ هذا الكلام، عن الغفران، فادركوا أنه فوق متناول الطبيعة البشرية، وأحسوا ان ما عندهم من ايمان لا يكفيهم للقيام بمطاليب الحياة المسيحية الراقية، بما فيها هذا الغفران، الذي يكاد يكون غير محدود. لذلك قال الرسل للرب « زد ايماننا » . اذاً قد أقروا أن عندهم شيئاً من الايمان واعترفوا أن هذا القدر منه لا يكفيهم. فطلبوا من المسيح المزيد.

(ب) جواب المسيح (عدد ٦) : لم ينكر المسيح عليهم ما عندهم من ايمان، وان يكن قد اعتبره اصغر من حبة خردل !! . « لو كان لكم ايمان مثل حبة خردل . . لكنتم تقولون لهذه الجميزة . . » بين حبة الخردل و بين الجميزة فرق كبير. إحداهما أصغر البقول — ترمز إلى الصغر. والثانية من اكبر الأشجار — ترمز إلى الضخامة والكبر، ونقلها إلى البحر يرمز إلى المستحيلات. وربما كانت شجرة جميز على مرأى من التلاميذ والمسيح، وقت كلامه معهم في ذلك الخلاء.

يستفاد من جواب المسيح أمران : أحدهما أن المهم في الايمان ليس كميّته بل نوعه. وثانيهما : ان خير وسيلة لزيادة الايمان هي ممارسته.

قد ترمز الجميزة إلى ملكوت الله، ويرمز البحر بما فيه من رمال وحصى إلى تربة الأمم، ونقل الجميزة إلى البحر يرمز إلى نجاح الانجيل في الأمم.

فتطيعكم ٧ ومن منكم له عبد يحرث أو يرعى يقول له اذا دخل
من الحقل تقدم سريعاً واتكئ ٨ بل ألا يقول له اعدد ما اتعشى به
وتمنطق واخدمني حتى آكل وأشرب وبعد ذلك تأكل وتشرب
أنت ٩ فهل لذلك العبد فضل لأنه فعل ما أُمر به . لا أظن ١٠ كذلك
أنتم ايضاً متى فعلتم كل ما أُمرتم به فقولوا اننا عبيد بطّالون . لأننا
انما عملنا ما كان يجب علينا

ولكن من المحقق أن الجميزة ترمز إلى الصعاب بوجه عام .

(٤) السهم الرابع : عدم كفاية الأعمال الصالحة لتبرير الانسان (١٧ : ٧ — ١٠) . هذا السهم الرابع مستمد من كنانة الحياة اليومية العملية : «أي انسان منكم» . بهذا السهم قصد المسيح أن يعلم تلاميذه ان الأعمال الصالحة التي يأتيها الانسان لا تكفي لتبريره أمام الله. لأنّ الانسان عبد لله. فكل ما يقوم به العبد من خدمات لسيده ، لا يُحسب ديناً ولا فضلاً منه على سيده ، إنما يُعتبر قياماً منه بالواجب ، ولا شكر على واجب . ويراد «بالعبيد البطّالين» أولئك الذين لم يقوموا بعمل يستحقون الاثابة عليه من سيدهم . فكأنهم كانوا «بطّالين» بلا عمل ، لأنهم لم يعملوا شيئاً فوق الواجب .

وإذا ما قيل «عبيد بطالون» لأولئك الذين فعلوا كل ما أُمِروا به، فماذا نقول نحن عن أنفسنا وقد قصرنا في جلّ واجباتنا نحو الله والناس ؟ !

هذا سهم من نور موجّه إلى قلب التلاميذ ، وهو أيضاً سهم من نار مصوّب إلى كبرياء الفريسيين واعتزازهم ببرّهم الذاتي .

١١ وفي ذهابه الى اورشليم اجتاز في وسط السامرة والجليل

أين التسعة ؟ (لوقا ١٧ : ١١ — ١٩)

نحن الآن قريبون من بيت عنيا ، عند أبواب أورشليم ، وقد صرنا من الصليب قاب قوسين أو ادنى لأن بينه و بيننا أسبوعاً واحداً .

يعود لوقا في هذه الأعداد، ليتابع وصفه لسَفَر المسيح الأخير إلى أورشليم، فيتمّ ما بدأه عنه في الأصحاح التاسع والعدد الحادي والخمسين .

كانت القوافل الجليلية تحج إلى أورشليم متخذة طريقاً من اثنين : إما طريق السامرة، أو طريق بيرية. لـكن المسيح لم يسلك أحد هذين السبيلين، بل اختار طريقاً متوسطاً بين الاثنين، فسار على الحدود التي تفصل بين الجليل والسامرة . لذلك يقول لوقا « وفي ذهابه إلى أورشليم اجتاز في وسط السامرة والجليل» . ولا يبعد أن يكون قد عرّج حيناً على قرية من هنا ، وقرية من هناك ، في طريقه . هذا يفسر القول «وفيما هو داخل إلى قرية » .

على هذه الحدود التي فصلت القرى السامرية عن القرى اليهودية ، اجتمع عشرة رجال قد لفظتهم السامرة فلم يجدوا فيها مكاناً. ونبذهم الجليل فلم يجدوا فيه مقراً، فجمعهم معاً الألم المشترك، وألّفت بينهم البلوى الواحدة— كان أولئك العشرة الرجال— تسعة منهم يهود وواحد سامري - مصابين بالبرص، وكثيراً ما يجمع الالم المشترك بين القلوب المتنافرة . وطالما أذابت البلوى بنارها المحرقة ، بعض الحواجز الجنسية التي عجزت دونها وسائل الاصلاح الاجتماعية. يأنف اليهودي السليم الجسم من مخالطة السامري، مخافة أن ينجسه

١٢ وفيما هو داخل الى قرية استقبله عشرة رجال بُرص فوقفوا من
بعيد ١٣ ورفعوا صوتاً قائلين يا يسوع يا معلم ارحمنا ١٤ فنظر وقال

السامري . ولكن مما يخاف اليهودي وقد علا جسمه البرص ؟؟ وهل يخشى الغريق من البلل ؟؟

من خلال هذه الاعداد تتجلى لنا بعض الامور الخاصة بهؤلاء البرص:

(١) عُزلتهم (١٧: ١٢): «فوقفوا من بعيد» . قضت الشريعة الموسوية على المصاب بضربة البرص ان تكون ثيابه مشقوقة ، ورأسه مكشوفاً و يغطي شاربيه ... ويقيم وحده خارج المحلة . (لاويين ١٣: ٣٥) واطاعة لحكم تلك الشريعة وقف أولئك الرجال « من بعيد » .

(٣) استغاثتهم (١٧: ١٣): ورفعوا أصواتاً قائلين «يامعلم ارحمنا» . حتّمت الشريعة الموسوية على المريض بالبرص أن يرفع صوته من بعيد منادياً «نجس نجس» ! لكن أولئك الرجال فعلوا اكثر مما طلبت الشريعة أو افتكرت إذ أوصتهم الشريعة أن يصرخوا صرخة التحذير لئلا يتنجس بهم أحد، لكنهم صرخوا صرخة الاسترحام « يا معلم ارحمنا » .

(٤) إجابة المسيح لندائهم (١٧: ١٤): كان ايمان أولئك الرجال ضعيفاً ناقصاً، لانهم كانوا يعتقدون أن المسيح مجرّد «معلّم»: «يامعلم ارحمنا»، ولم يرتق إيمانهم الى درجة الاعتقاد بلاهوت المسيح. ومع ذلك فان المسيح المتسع القلب، لم يعاملهم حسب جهلهم، لكنه تغاضى عن ضعف ايمانهم والتفت الى اخلاص قلوبهم، فأجاب نداءهم : (١) بنظرة : «فنظر اليهم» . (ب) بكلمة: وقال لهم «اذهبوا

لهم اذهبوا وأروا انفسكم للكهنة . وفيما هم منطلقون طهروا ١٥ فواحد
منهم لما رأى أنه شفي رجع يمجد الله بصوت عظيم ١٦ وخرَّ على
وجهه عند رجليه شاكراً له . وكان سامرياً ١٧ فاجاب يسوع وقال

وأروا انفسكم» .فكان بنظرته راحماً،و بكلمته شافياً. كانت نظرته برهان حنانه، وكانت كلمته محكاً لطاعة إيمانهم.(٥) طاعتهم: «وفيما هم منطلقون طهروا». لو كان أولئك القوم عديمي الايمان. لاعترضوا على أمر المسيح بالقول « لا يُري نفسه للكاهن إلا من تمتع بالشفاء . فكيف تأمرنا يا معلم أن نُري أنفسنا للكهنة مع أننا لا زلنا مرضى كما نحن» ؟؟ لكنهم كانوا مؤمنين فاطاعوا، فصارت طاعتهم مجرىً سرت فيه قوة المسيح الشافية . إذاً قد أودع المسيح شفاءه في أجسادهم،وأوقفهم على شرط الطاعة له «وفيما هم منطلقون طهروا».
(٦) شكر السامري (١٧:١٥و١٦) : كان السامري في طريقه إلى كاهنه الذي في جبل جرزيم،لكنه إذ رأى نفسه متمتعاً بالشفاء،رجع عن طريقه« يمجد الله بصوت عظيم »،وهنا ارتقى ايمان ذلك الرجل وتسامى فانتقل من دور الاعتقاد «بالمعلم» الى الايمان« بالله».وكأنه قال في نفسه: كيف أُري نفسي لكاهن جبل جرزيم ، قبل أن أري نفسي لهذا الكاهن الاعظم — كاهن السماء والارَضين ؟؟ قبلاً كان متسولاً والآن صار عابداً : « خر على وجهه عند رجليه » . قبلاً كان طالباً ما لنفسه ، والآن صار شاكراً معطياً المجد لله !
(٧) مكافأة المسيح له (١٧:١٧ — ١٩) : كافأه المسيح مكافأة مزدوجة :
(١) رفع مقامه فوق اليهود وأدخله إلى حظيرة شعب الله. حين قضت الشريعة

أليس العشرة قد طهروا . فأين التسعة ١٨ ألم يوجد من يرجع ليعطي مجداً لله غير هذا الغريب الجنس ١٩ ثم قال له قم وامض . إيمانك

الموسوية بحرمان السامري من التمتع بالفصح : «كل ابن غريب لا يأكل منه» (خروج ١٢:٤٣).ومن دهن المسحة (خروج ٣٠:٣٣).لكن المسيح رفع مقام «هذا الغريب الجنس» فوق مقام اليهود التسعة الناكري الجميل .

جميل أن يسجل لوقا هذا الكلام لأن بشارته بشارة الأمم والمطرودين.

(ب) شفاه شفاء روحياً «قم وامض . إيمانك خلصك» . مساكين أولئك التسعة ، سيما إذا فاجأتهم بلية جديدة ، لأنهم قطعوا على أنفسهم «خط الرجعة» إلى المسيح.انهم تمتعوا بشفاء أجسادهم فبقيت نفوسهم مريضة.لكن هذا السامري تمتع بما هو أفضل من الشفاء الجسدي ، إذ تمتع بالخلاص ، بل تمتع بما هو أفضل من الخلاص ، لأنه اتصل بالمخلص العظيم .

مجيء الملكوت — متى ؟ وأين ؟ (لوقا ١٧:٢٠—٣٧)

يتضمن هذا الفصل (١) سؤالاً ألقاه الفريسيون على المسيح عن وقت ظهور ملكوت الله،وجواب المسيح عليه (١٧:٢٠و ٢١) . (٢) خطاباً موجه من المسيح إلى تلاميذه عن مجيء الملكوت (١٧:٢٢—٣٧) .

(١) طبيعة الملكوت (١٧:٢٠و ٢١):(أ) سؤال الفريسيين(١٨:٢٠)

كان الفريسيون ينتظرون مجيء ملكوت الله المنظور بفارغ الصبر لذلك رغبوا في أن يستطلعوا رأي المسيح في هذا الأمر.ولعلهم قصدوا أن يصطادوا

خلَّصك ٢٠ ولما سأله الفريسيون متى يأتي ملكوت الله اجابهم وقال
لا يأتي ملكوت الله بمراقبة ٢١ ولا يقولون هوذا ههنا أو هوذا
هناك لان ها ملكوت الله داخلكم

المسيح بكلمة في هذا الباب ليكون لهم ما يشتكون به عليه . (ب) جواب المسيح (١٧ : ٢٠ و ٢١) : كان جواب المسيح عن سؤال الفريسيين، من نوع جوابه عن كلام نيقوديموس (يوحنا ٣ : ١ — ١٣)، فافهمهم أن ملكوت الله روحي : «لا يأتي بمراقبة» . فهو ملكوت خفي في تأثيره لا يخضع للحدود الجغرافية ، ولا يقع تحت حصر البصر ، لأنه أوسع من ان يحده مكان: «لا يقولون هوذا ههنا أو هوذا هناك» . وهو أعمّ من أن يحيط به زمان، فلا يقال فيه أنه في بطن المستقبل، لأنه حاضر الآن : «لأن ها ملكوت الله داخلكم». الكلمة المترجمة « داخلكم » قد ترجمها بعض المفسرين المعاصرين « في وسطكم» أو « بينكم» . لكننا نرجح الترجمة العربية لأنها أقرب إلى مدلول الكلمة الأصلية ، وأكثر موافقة لسياق الكلام .

(٢) مجيء الملكوت (١٧ : ٢٢ - ٣٧): أعلن المسيح للفريسيين ما كان قد غاب عنهم ، وهو أن ملكوت الله روحي . غير أن روحانية الملكوت لا تتنافى مع وجود « مَظْهَر» له. فالبزرة تبدأ نموّها في الخفاء بطريقةٍ سرية، لكنها تتجلى للعيان ، عند اكتمال نموّها وقت الحصاد . كذلك الملكوت .

هذه هي الحقيقة التي قصد المسيح أن يعلنها لتلاميذه . لأنه لا يتكلم

٢٢ وقال للتلاميذ ستأتي ايام فيها تشتهون ان تروا يوماً واحداً
من ايام ابن الانسان ولا ترون ٢٣ ويقولون لكم هوذا ههنا او
هوذا هناك . لا تذهبوا ولا تتبعوا ٢٤ لانه كما ان البرق الذي يبرق
من ناحية تحت السماء يضيء الى ناحية تحت السماء كذلك يكون
ايضاً ابن الانسان في يومه

عن «ظهور» الملكوت إلا لمن عرفوا أن الملكوت روحي. لأنه لا يُلَقَّن الدرس الثانوي إلا لمن استمع للدرس الابتدائي .

أعلن المسيح لتلاميذه أن «ظهور» الملكوت في تمامه ليس سوى صورة أخرى لمجيء المسيح الثاني. فحدثهم عن : (ا) وقت مجيئه الثاني (١٧: ٢٢—٢٥).(ب) حال العالم عند مجيئه الثاني (٧ :٢٦— ٣٠) . (ج) وصايا وتحذيرات بشأن هذا المجيء (١٧: ٣١—٣٧) .

(ا) متى يأتي المسيح ثانية (١٧: ٢٢ — ٢٥):المستفاد من هذه الأعداد ، أن يوم مجيء المسيح الثاني ، كما يفهمه الفريسيون ، لا يأتي بالسرعة التي يظنونها (عدد ٢٢) «ستأتي أيام ...» والايام المقصودة هنا هي أيام انتظار الكنيسة وتألمها عند ما يُرفع عريسها المسيح عنها (لوقا ٥: ٣٥) ، وأن يوم مجيء المسيح الثاني سيأتي فجأة : « كالبرق » ، وسيكون ظاهراً للجميع بكيفية واضحة جلية ، شاملة ، لا تقبل شكاً ولا تأويلاً : « كما أن البرق الذي يبرق من ناحية تحت السماء يضي إلى ناحية تحت السماء كذلك يكون أيضاً ابن الانسان في يومه » (لوقا ١٧: ٢٣ و ٢٤) .

٢٥ ولكن ينبغي اولاً ان يتألم كثيراً ويرفض من هذا الجيل .
٢٦ وكما كان في ايام نوح كذلك يكون ايضاً في ايام ابن الانسان
٢٧ كانوا يأكلون ويشربون ويزوّجون ويتزوجون الى اليوم الذي
فيه دخل نوح الفلك وجاء الطوفان واهلك الجميع ٢٨ كذلك ايضاً
كما كان في أيام لوط كانوا يأكلون ويشربون ويشترون ويبيعون
ويغرسون ويبنون ٢٩ ولكن اليوم الذي فيه خرج لوط من سدوم
امطر ناراً وكبريتاً من السماء فاهلك الجميع ٣٠ هكذا يكون في اليوم

وفي عدد ٢٥ : أوضح المسيح ما سبق فقاله في عدد ٢٢ ، وأكد انه لا يأتي ثانية الا بعد اتمام القصد من مجيئه الأول : «يتألم من هذا الجيل» . لأنَّ قبل التاج ، اكليل الشوك . يُراد «بهذا الجيل» ، أولئك اليهود الذين كانوا معاصرين للمسيح .

(ب) حال العالم عند مجيء المسيح الثاني (١٧: ٢٦ — ٣٠): يصف المسيح حال العالم عند مجيئه الثاني بكلمتين : (١) انغماس في الملاذّ (١٧: ٢٦و٢٧) ومَثَّل لذلك بحال الناس في ايام نوح (تكوين ٧: ١١ — ٢٣): «يأكلون ويشربون ويزوجون ويتزوجون» . (٢) اشتغال بأعمال الحياة المادية (١٧: ٢٨ — ٣٠) ومَثَّل لذلك بحال الناس في ايام لوط (تكوين ١٩: ١٥ — ٢٥) «يشترون ويبيعون» .

(ج) وصايا وتحذيرات لتلاميذه (لوقا ١٧: ٣١ — ٣٧) : حذَّر المسيح

الذي فيه يظهر ابن الانسان ٣١ في ذلك اليوم من كان على السطح
وامتعته في البيت فلا ينزل ليأخذها . والذي في الحقل كذلك
لا يرجع الى الوراء ٣٢ اذكروا امرأة لوط ٣٣ من طلب ان يخلص
نفسه يهلكها ومن اهلكها يحييها ٣٤ أقول لكم انه في تلك الليلة
يكون اثنان على فراشٍ واحدٍ فيؤخذ الواحد ويترك الآخر
٣٥ تكون اثنتان تطحنان معاً فتؤخذ الواحدة وتترك

تلاميذه من أمرين : (١) النزول إلى أسفل: «فلا ينزل» . (ب) الرّجوع الى الوراء ، ومثّل لهذا التحذير الأخير بامرأة لوط التي تركت قلبها وراءها في سدوم مع أنها كانت قد خرجت من سدوم (عدد ٣٢). ان الذي يرتبك بأعمال الحياة يقضي على نفسه بالهلاك، ومن يتجنّب الأمور المادية ويتمسك بالرجاء ، هذا يخلّص نفسه

ما اعجب ذلك اليوم الذي يأتي فيه المسيح ! أنه يوم «اتصال» : لأنه يجمع القديسين معاً إلى سيدهم . وهو أيضاً يوم « انفصال » إذ يأتي كلمح البصر بلا توان ، فيفصل الرفيق عن رفيقه ، والشريك عن شريكه ، والمرأة عن جارتها أو قريبتها (١٧: ٣٤ — ٣٧) . هذا هو يوم كامل ، فيه منظر من مناظر الليل : « اثنان على فراش » ، ومنظران من مناظر النهار : «اثنان في الحقل» ، « واثنتان تطحنان معاً » .

إن الأفكار اليهودية الجسدية الخاصة بملكوت الله ، كانت لا تزال

الاخرى ٣٦ يكون اثنان في الحقل فيؤخذ الواحد ويُترك الآخر
٣٧ فاجابوا وقالوا له اين يا رب . فقال لهم حيث تكون الجثة هناك
تجتمع النسور

عالقة بعقول التلاميذ ، وظلت ملازمة لهم حتى صعود المسيح عنهم،وامتلائهم بالروح القدس ومع أن المسيح سبق فاوضح ان ملكوت الله لا يأتي بمراقبة (عدد ٢٤)،لكن التلاميذ كان يلذ لهم ان يراقبوا «الزمان» وان يستقصوا عن المكان . «فاجابوا وقالوا للمسيح أين يا رب ؟» فاجابهم المسيح بكلمة عامة اعتبرها كثير من المفسرين لغزاً : «حيث تكون الجثة،هناك تجتمع النسور». «الجثة» تمثل العالم حين تنضج خطيته فيكتمل فساده عند مجيء المسيح الثاني، «والنسور» تمثل رُسل القضاء والدينونة. والمراد بقوله هذا،هو أنه عندما يكتمل اثم العالم يأتي عليه يوم القضاء . وقد رأى بعضهم في هذا القول اشارة إلى خراب أورشليم ، فقالوا ان «الجثة» ترمز إلى أورشليم ، «والنسور» ترمز إلى القوات الرومانية التي أخربت أورشليم . سيما ولأن الدولة الرومانية كانت متخذة «النسر» شارة لها على عَلَمها،الذي كان «يرفرف» على أورشليم وقتئذٍ .

وهكذا قد أفهمهم المسيح أن السؤال المهم ، ليس : « متى يا رب » ؟ بل : « كيف أنتِ عائشة يا نفسي » ؟؟!

الاصحاح الثامن عشر

وقال لهم ايضاً مثلاً في انه ينبغي أن يصلى كل حين ولا يمل

الصلاة — كيف تكون ؟ (لوقا ١٨: ١—١٤)

ما أقوى الصلة بين هذا الفصل و بين الفصل السابق . أن فكراً رئيسياً واحداً يكوّن حلقة الاتصال بينهما : إذا كان يوم مجيء المسيح الثاني غير معلوم ، واذا كان العالم وقتئذ سيوجَدُ غافلا ، فما على الكنيسة الا ان تداوم على الصلاة ساهرة فيها بالشكر . وما « الأرملة » المذكورة هنا سوى رمز للكنيسة في ضعفها ، في أثناء غياب عريسها عنها بالجسد .

يتضمن هذا الفصل مثلين ، قدّم لوقا كلاً منهما بكلمة تمهيدية (١٨: ١—٩) وكلا المثلين عن الصلاة :

(١) مثل الأرملة وقاضي الظلم (١٨: ١—٨) . (٢) مثل الفريسي والعشار (١٨: ٩—١٤) .

(١) مثل الأرملة وقاضي الظلم (١٨: ٢—٨) : (ا) كلمة تمهيدية (١٨: ١). (ب) قلب المثل (١٨: ٢— ٤) . (ج) التطبيق العملي (١٨: ٥—٨) .

(ا) كلمة تمهيدية (١٨: ١): «ينبغي أن يصلَّى كل حين ولا يُمل» — من هنا نرى أن صلاة المثابرة واللجاجة ليست من الأمور الممكنة فقط ، لكنها من الأمور الواجبة ، فهي « فرض عين » ، لا « فرض كفاية » . هذا على خلاف ما علَّم به التلمود : «محظور على الانسان أن يصلي اكثر من ثلاث

٢ قائلاً . كان في مدينةٍ قاضٍ لا يخاف الله ولا يهاب انساناً ٣ وكان
في تلك المدينة ارملة . وكانت تأتي اليه قائلةً انصفني من خصمي
٤ وكان لا يشاء الى زمان . ولكن بعد ذلك قال في نفسه وان
كنت لا أخاف الله ولا اهاب انساناً

مرات في النهار ، لأن الله يملّ من الصلاة كل ساعة » . وقد أوصى المسيح بضرورة الصلاة من غير ملل لعلمه ان صلاة الروح تعب على الجسد ، سيما اذا تأخرت الاجابة «فالروح نشيط والجسد ضعيف». (ب) قلب المثل (١٨: ٢—٤) . سبق المسيح فذكر مثلاً غير هذا ، عن ضرورة المثابرة في الصلاة (لوقا ١١: ٥—٨) لكن المثل الذي أمامنا يختلف عن ذاك في بعض الأوجه، وأن تشابه وإيّاه في بعضها فباعث الاستجابة في كليهما واحد — التخلص من لجاجة الطالب . لكن القاضي في هذا المثل أقسى قلباً من الصديق الغني في ذاك . لأن إحجامه عن أن يُنصف الأرملة يُحسب جناية منه على وظيفته ، واعتداءً صارخاً على العدالة . مع أن سكوت الصديق الغني عن إجابة ملتمس صديقه المحتاج ، لا يحسب سوى عدم مبالاة بالصداقة .

لذلك يصف المسيح هذا القاضي بالقول «لا يخاف الله» أي لا يعترف بسلطان الله ، «ولا يهاب انساناً» أي لا يبالي برأي الناس . اذاً قد تكمّل في الشر لانه عَبَثَ بلوحيّ الشريعة كان ذلك القاضي الظالم محباً لذاته، فلم ينصف الأرملة حباً بالعدالة ، ولا تحنناً منه على ضعف المرأة ، بل حباً في

٥ فاني لاجل ان هذه الارملة تزعجني انصفها لئلا تأتي دائماً فتقمعني
٦ وقال الرب اسمعوا ما يقول قاضي الظلم ٧ أفلا ينصف الله مختاريه

اراحة نفسه : «لئلا تأتي دائماً فتقمعني». الكلمة الأصلية المترجمة «تقمعني»، معناها الحرفي « تسوّد وجهي » أو « تلطمني تحت عيني » ! !

(ج) التطبيق العملي (١٨: ٥—٨) . « وقال الرب .. أفلا ينصف الله مختاريه . . » أي إذا كانت صلاة اللجاجة قد اقتدرت على هذا القاضي المتحجر القلب، فكم بالحري تقتدر صلاة «المختارين» الصارخين الى «الآب السماوي الذي يحكم بغير محاباة » ؟

ترمز هذه الأرملة إلى الكنيسة في أثناء غياب المسيح عنها بالجسد وكثيراً ما ترفع الكنيسة صوتها إلى الله طالبة منه أن ينصفها من « العالم الحاضر الشرير » ، فيتأنى الله في الاجابة ، وتضطر نفوس كثيرة أن تصرخ قائلة « إلى متى يا رب » ؟ .

ان « مركبات » الله قد تسير على مهل ، والساعة التي في علم القدير ليست متفقة دقاتها مع دقات الساعات التي في الأرض . لكن لله وقتاً معيناً يستجيب فيه: «انا الرب في وقته أسرع به». فقد يتمهل الله في الاجابة ليظهر لنا قدرة أوفى . فقد تأخر المسيح يومين عن أن يذهب ليشفي لعازر المريض، لانه أراد أن يقيم لعازر الميت ، وقد يتمهل الله في استجابة الصلاة ليعالج المصلي، لأن المصلي أفضل من الصلاة في نظر الله. وقد يتمهل علينا لأنه يريد أن يحرّض فينا الانتظار والرجاء ، فيقوّي «عضلاتنا» الروحية . وقد يتمهل

الصارخين اليه نهاراً وليلاً وهو متمهل عليهم ٨ أقول لكم انه ينصفهم
سريعاً . ولكن متى جاء ابن الانسان ألعله يجد الايمان على الارض
٩ وقال لقوم واثقين بانفسهم انهم

علينا في الاجابة لأنه يريد أن يبقينا قريبين منه على الدوام .

عدد ١٠ . ختم المسيح هذا المثل بكلمة أثارت اهتمام الكثيرين على مرّ الأجيال : « متى جاء ابن الانسان ألعله يجد الايمان على الأرض » ؟ الايمان المقصود هنا هو « ايمان المثابرة في الصلاة » أو هو « الولاء للمسيح وانتظار مجيئه» هذا القول تفسره حالة العالم الموصوفه في لوقا ١٧: ٢٦— ٣٠ ، ويدعمه قول المسيح في مثل العذارى « نعسن جميعهن ونمن » (متى ٢٥: ٥) وقوله في متى ٢٤: ١٢ : «ولكثرة الاثم تبرد محبة الكثيرين»، على أنه من الضروري لنا أن نذكر أن المسيح لم يقصد بهذا القول أن نوقع اليأس في قلوب التلاميذ ، بل قصد أن يبعث في الكنيسة روح المثابرة ، والخدمة ، والانتظار ، إلى أن يجيء، «لأن الله لم يعطنا روح الفشل بل روح القوّة والمحبة والنصح» .

(٢) مثل الفريسي والعشار (١٨: ٩ — ١٤) : هذا المثل هو آخر حلقة في سلسلة الأمثال التي انفرد لوقا بذكرها (لوقا ٩: ٥١—١٨: ١٤) . ومع أن هذا المثل قيل لقوم غير الذين قيل لهم المثل السابق ، ومع أنه يختلف عن سابقه في الزمن ، غير أنه وضع وإياه جنباً إلى جنب ، لأن كلاً منهما يحدثنا عن الصلاة . فالصلاة هي الصلة التي جمعت بين هذين المثلين .

ابرار ويحتقرون الآخرين هذا المثل ١٠ انسانان صعدا الى الهيكل

يتضمن هذا المثل: (ا) كلمة تمهيدية (١٨: ٩). (ب) قلب المثل (١٨: ١٠ ١٣). (ج) كلمة تطبيقية (١٨: ١٤).

(ا) كلمة تمهيدية. «وقال لقوم واثقين بانفسهم انهم ابرار ويحتقرون الآخرين» (١٨: ٩): بهذه الكلمات يصف لوقا أولئك القوم المخاطبين في هذا المثل. هذا وصف مزدوج: غرور في النفس: «واثقين بانفسهم أنهم أبرار»، وترفع عن الناس: «يحتقرون الآخرين». هذان مظهران لحقيقة واحدة — خلوهم من النعمة وبعدهم عن الله. لم يكن أولئك «القوم» المخاطبين من الفريسيين «الرسميين»، لكنهم كانوا من الجمهور الذي «تبع المسيح من بعيد» — قوم لبستهم روح الفريسيين ولو أنهم لم يلبسوا ثيابهم!

(ب) قلب المثل (١٨: ١٠ — ١٣): (١) ما يتفق فيه الفريسي والعشار (١٨: ١٠). «إنسانان صعدا إلى الهيكل ليصليا» — إلى هنا يتفق هذان الرجلان — يتفقان في الأصل الواحد: «إنسانان»؟ وفي السبيل الواحد: «صعدا إلى الهيكل»، وفي الغاية الواحدة: «ليصليا». «الصعود» المقصود هنا هو صعود جغرافي، لأن الهيكل كان مبنياً على جبل المريا. بعد قليل تبتدىء زاوية الانفراج تتسع بينهما إلى أن تفصل بينهما في النهاية، تلك المسافة الغير المحدودة التي تفصل بين السماء والهاوية.

(٢) ما يختلفان فيه (١٨: ١٠ — ١٣): يختلف هذان الرجلان: (ا) في

ليصليا واحد فريسي والآخر عشار ١١ اما الفريسي فوقف يصلي في نفسه هكذا . اللهم انا اشكرك اني لست مثل باقي الناس الخاطفين الظالمين الزناة ولا مثل هذا العشار

الحالة : « واحد فريسي والآخر عشار » . مع ان هذه الحالة « ترفع » الأول «وتخفض» الثاني في نظر الناس، لكنها آلت إلى «خفض» الأول «ورفع» الثاني في نظر الله . (ب) في نوع الصلاة : «أما الفريسي فوقف يصلي في نفسه» — معنى هذا ، أن صلاته كانت تدور على محور واحد ، هو الذات ، فكانت صلاته من نفسه، وعنها، واليها. لأن ضمير المتكلم متغلغل في جلّ كلماته : «أنا» .. «إني» .. «أصوم» . «أعشر» . نعم ذكر اسم الله مرّة واحدة في صلاته. لكنه سرعان ما رجع إلى نفسه ليتحدّث عن برها وحسناتها نعم شكر الله بلسانه ، لكن شكره هذا يحسب تهنئة منه لنفسه ، اكثر منه شكراً لله . نعم ذكر باقي الناس في صلاته ، لكنه لم يكن مصلياً لأجلهم ، بل محتقراً إياهم : «لست مثل باقي الناس الخاطفين الظالمين الزناة» ما كان أشد تحقيره للعشار حين أشار اليه بالقول « ولا مثل هذا » ! !

كانت صلاته خالية من « الاعترافات » وفيّاضة « بالاعلانات » عن نفسه: «أصوم مرتين في الأسبوع» —أي يومي الخميس والاثنين، لأن اليهود يعتقدون أن موسى صعد إلى جبل الشريعة في اليوم الخامس من الأسبوع؟ ونزل من على الجبل في اليوم الثاني. «وأعشر كل ما اقتنيه» كأنه يريد أن

١٢ اصوم مرتين في الاسبوع وأعشر كل ما اقتنيه ١٣ وأما العشار
فوقف من بعيد لا يشاء ان يرفع عينيه نحو السماء . بل قرع على

يكون «يعقوباً» جديداً (تكوين ٢: ٢٢)،فيفعل اكثر مما يطلب الناموس المكتوب . لأن الناموس كان يفرض على اليهودي ان يعشّر الحنطة والخمر والزيت وأبكار البقر والغنم،(تثنية ١٤: ٢٢و٢٣) ولعله أراد أن «يعشّر النعنع والشذاب والكمون وكل بقل» (متى ٢٣: ٢٣) وقد نسي «أن الله يريد رحمة لا ذبيحة» ، «وان من يكتم خطاياه لا ينجح» .

«وأما العشار» فقد وصفه المسيح بثلاث كلمات : (١) وقفته : «فوقف من بعيد» كما يقف الأبرص، الشاعر بنجاسته . والكلمة «من بعيد» تصف موقفه بالنسبة «للقدس» الذي كان يقتحمه الفريسي اقتحاماً . (٢) اتضاعه : يصف المسيح اتضاع ذلك العشار بكلمتين:احداهما سلبية «لم يشأ أن يرفع عينيه نحو السماء» ، والثانية ايجابية «بل قرع على صدره» الفعل في اللغة اليونانية يفيد الاستمرار . فكان بقرعه على صدره معبراً عن استحقاقه لكل قصاص من الله . (٣) صلاته : كانت صلاته متضمنة خطاباً : «اللهمّ» ، استرحاماً : «ارحمني» ، اعترافاً : «أنا الخاطي» لا تقاس الصلاة بمقاييس الطول بل بمقاييس العمق.فالناس يقيسون الصلاة من حيث الطول والقصر ، لكن الله يزن الصلاة .

(ج) كلمة تطبيقية (١٨: ١٤) قال المسيح «أقول لكم إن هذا نزل إلى بيته مبرّراً دون ذاك» .

صدره قائلاً اللهم ارحمني انا الخاطىء ١٤ أقول لكم ان هذا نزل الى
بيته مبرراً دون ذاك . لان كل من يرفع نفسه يتضع ومن يضع
نفسه يرتفع ١٥ فقدموا اليه الاطفال ايضاً ليلمسهم

ما أعظم الفرق بين معنى الكلمة « هذا » ، التي نطق بها المسيح ، و بين معنى الكلمة عينها على لسان الفريسي !! «هذا» ! كلمة فاه بها الفريسي مشيراً إلى العشار ، إشارة تحقير وازدراء — «ولا مثل هذا العشار» . «هذا» ! كلمة نطق بها المسيح مشيراً إلى العشار إشارة تقدير وثناء — «أقول لكم أن هذا نزل إلى بيته مبرراً دون ذاك» . والنزول هنا جغرافي كالصعود في (عدد ١٠) « والتبرير » هنا هو غير البراءة . فالبراءة هي حكم بعدم الادانة لمن لا يستحق الدينونة، لكن «التبرير» هو حسبان المذنب باراً في نظر الله . فهو ثوب المسيح البار يخلعه على الانسان الخاطىء .

ختم المسيح هذا المثل بحكمة خالدة ، هي فلسفة المسيحية ، وهي تسير على قياس متعاكس مع فلسفة العالم. يقول العالم « كل من يرفع نفسه على رقاب الآخرين يرتفع» . لكن المسيح قال « كل من يرفع نفسه يتضع. ومن يضع نفسه يرتفع » .

المسيح يرحب بالأطفال (لوقا ١٨:١٥ — ١٧)

قضت العادات اليهودية على الأمهات بأن يقدمن أطفالهن إلى معلمي الناموس ليلمسوهم و يباركوهم، فكان من الطبيعي ان تتقدم الأمهات باطفالهن إلى المسيح المعلم الأعظم ليباركهم . لكن تلاميذ المسيح الذين لم تتهذب

فلما رآهم التلاميذ انتهروهم ١٦ أما يسوع فدعاهم وقال دعوا
الاولاد يأتون اليّ ولا تمنعوهم لان لمثل هؤلاء ملكوت الله

نفوسهم بعد ، لم ينظروا إلى هذا العمل نظرة استحسان،فانتهروا الذين قدموا الأطفال إلى المسيح،سواء أكانوا رجالاً أم نساء . لأن الرسل كانوا يعتقدون أن في تقديم الأطفال للمسيح ، شيئاً من المساس بكرامة المسيح التي كان عليهم أن يحيطوها بكل أنواع التجلة والمهابة ، ولأنهم كانوا يتصورون أن وقت المسيح أثمن من أن يُصرف على هذه « الأشياء » الصغيرة التافهة — «الأطفال» ! ! كأنهم كانوا يقولون في أنفسهم «لقد تحمّلنا على مضض أن يقدّم الناس مرضاهم إلى معلمنا ، اما أن تبلغ بهم الجرأة إلى هذا الحد ، فيقدّموا اليه الأطفال ! ! . هذا أمر لا نطيقه . ! !

« أما يسوع فدعاهم » — أي دعا الذين كانوا يحملون الأطفال ، وقدم لهم : (ا) ترحيباً. «دعوا الأولاد يأتون إليّ» . (ب) توكيداً: «لا تمنعوهم» (ج) وعداً : «لأن لمثل هؤلاء ملكوت الله» . حسناً رحب المسيح بالأطفال لانه أقام منهم خير مُعلِّم (متى ١٨:٢) ، ولأنه وجد فيهم خير طالب (لوقا ٧:٢) . على أن ترحيب المسيح بالأطفال لا يُحسب دليلاً على ما في الأطفال من خير وكفى ، لكنه دليل على ما في المسيح من صلاح ونعمة ووداعة . لأن عينه الطاهرة ترى شيئاً حسناً في أحقر الأشياء ، الكلمة : «لمثل» تفيد أن ملكوت الله يتألف من : (١) هؤلاء الاطفال . (٢) الكبار الذين يحملون بين ضلوعهم قلوب الأطفال ، بما فيها من وداعة وإخلاص ،

١٧ الحق أقول لكم من لا يقبل ملكوت الله مثل فلن يدخله
١٨ وسأله رئيس قائلاً

وثقة وتسليم ، وطهارة بريئة . ان الملكوت للكبار الذين لهم قلوب الصغار ، لكنه ليس للكبار المتصاغرين ! !

هذا المعنى تؤيده كلمة « مثل » الواردة في عدد ١٧ ، « الحق أقول لكم من لا يقبل ملكوت الله مثل ولد فلن يدخله» . إذاً لا بد أن يدخل ملكوت الله قلب الانسان،قبل أن يدخل الانسان اليه.فاذا ما قبل الانسان ملكوت الله بروح التسليم ، والطاعة ، والايمان ، والوداعة ، فان ملكوت الله يرحب به ، ويُدخله إلى فرحه الأبدي . ينبغي أن تكون السماء فينا قبل أن نكون نحن في السماء . «إن كان أحد لا يولد من فوق لا يقدر أن يرى ملكوت الله» ، (يوحنا ٣:٣) « يا رب لم يرتفع قلبي ... نفسي نحوي كفطيم » (مزمور ١٣١:٢) .

الشاب الغني (لوقا ١٨:١٨ — ٣٠)

يتفق الثلاثة البشيرون — متى ومرقس ولوقا — في ربط هذا الفصل بالفصل السابق . لان هذا الفصل مكمّل لذاك . يحدثنا الفصل الأول عن الشرط الأوّل لدخول الملكوت — روح الاطفال ، ويحدثنا هذا الفصل عن الشرط الثاني وهو إنكار النفس — « بع كل مالك » .

يتضمن هذا الفصل:(١) حديث المسيح مع الشاب الغني (١٨:١٨ — ٢٣)

أيها المعلم الصالح ماذا اعمل لارث الحيوة الابدية

(٢) حديث المسيح عن الشاب الغني (١٨ : ٢٤ — ٢٧) (٣) حديث المسيح مع التلاميذ عن أنفسهم (١٨ : ٢٨ — ٣٠).

في حديث المسيح مع الشاب، نرى ضرورة إنكار النفس. وفي حديثه عن الشاب ، تتجلى لنا صعوبة إنكار النفس ، وفي حديثه مع التلاميذ تعلن لنا مكافأة إنكار النفس.

(١) حديث المسيح مع الرئيس الشاب الغني: أو ضرورة إنكار النفس (١٨ : ١٧ — ٢٣) ( ) الرئيس الشاب وسؤاله (عدد ١٨). اهتمّ البشيرون الثلاثة — متى ومرقس ولوقا — بوصف ذلك الشاب ، مع ان كلاً منهم قد انفرد بوصف ناحية خاصة منه. يصفه لوقا في مركزه الديني: «رئيس» — أي رئيس مجمع ، أو رئيس لليهود كنيقوديموس . و يصفه متى من حيث حداثته : «شاب» (متى ١٩ : ٢٠) ، و يصفه مرقس في إخلاصه ، وغيرته ، ووداعته : إذ يقول : «ركض واحد وجثا له» — المسيح (مرقس ١٠ : ١٧) . لكن البشيرين الثلاثة أجمعوا على وصف مركزه الاجتماعي : «كان غنياً جداً» (لوقا ١٨ : ٢٣) ، «كان ذا أموال كثيرة» (متى ١٩ : ٢٢ ومرقس ١٠ : ٢٢).

تقدّم ذلك الشاب إلى المسيح قائلاً : «أيها المعلم الصّالح ماذا أعمل لأرث الحياة الابديّة» ، فكان سؤاله هذا مزيجاً من خير وشر. لأن وراء هذا السؤال غيرة شريفة، وعدم اكتفاء بحالته الروحية، وتعطّش إلى البرّ، واستعداد للقيام بمشروعات كبرى ، وثقة وافرة بالمسيح الحكيم . كل هذه

١٩ فقال له يسوع لماذا تدعوني صالحاً . ليس أحد صالحاً الا واحد
وهو الله ٢٠ أنت تعرف الوصايا . لا تزن . لا تقتل .

أشياء حسنة وجميلة ، لـكنها كانت ممتزجة باشياء غير حميدة ، منها : عدم تقديره لمعنى الصَّلاح ، وثقته الغير المحدودة بنفسه أنه قادر على القيام بعظائم الأمور ، وحرصه على أن يقبض على العالَمين — العالم الفاني والعالم الباقي — بيد واحدة في وقت واحد ، واعتقاده أن الحياة الابديَّة ، متاع ماديّ يمكن أن «يرثه» الانسان ، أو يشتريه باتيانه أعمالاً ماديَّة كبرى .

(ب) جواب المسيح (١٨ : ١٩و٢٠) : أجابه المسيح جواباً فيه كلمتان : بالكلمة الواحدة أصلح اعتقاد الشاب في ماهيَّة الصلاح ، فرفع بها قيمة الصَّلاح في عينيه. كان يعتقد ذلك الشاب ان الصلاح رداء يرتديه كل معلّم حكيم ، فأفهمه المسيح أن الصَّلاح درةٌ في تاج الله وحده : « لماذا تدعوني صالحاً ؟ ليس أحد صالحاً إلا واحدٌ وهو الله » : فـكأنه قال له « على أي أساس تدعوني صالحاً ؟ الأني معلم ؟ كلاَّ . إذا كنت أنا معلّماً وكفى ، فلست أنا صالحاً. لان الصَّلاح لا يتّصف به غير الله وحده . إنما أنا صالح لاني أنا الله . فاذا لم أكن أنا إلهاً فلستُ بصالح» . إذاً لن يمكن أي انسان أن يعتقد ، عن إخلاص ، بعصمة المسيح ، ما لم يسلّم أولاً بانه إله . بذلك قد وجّه المسيح فـكر ذلك الشاب إلى مصدر الصلاح الاوحد — الله .

و بالكلمة الثانية، أحاله المسيح إلى الناموس، الذي يدَّعي انه أحد معلميه، مقتبساً له ما في اللّوح الثاني من الشريعة : «أنت تعرف الوصايا . لا تزنِ .

لا تسرق لا تشهد بالزور . أكرم اباك وامك ٢١ فقال هذه كلها
حفظتها منذ حداثتي ٢٢ فلما سمع يسوع ذلك قال له يعوزك أيضاً شيء

لا تقتل . لا تسرق . لا تشهد بالزور . اكرم أباك وأمك » . يُستفاد من كلام المسيح هذا،ان الناموس يؤدي بالانسان المخلِص إلى المسيح المخلِّص. لان المحبة هي تكميل الناموس وهي وصية المسيح الجديدة وهي الله نفسه !!

(ج) رد الشاب (عدد ٢١) . كان ينتظر ذلك الشاب من المسيح أن يذكر له وصايا جديدة لم تخطر له ببال . ولم يدر بخلده أن المسيح يحيله إلى الناموس الذي بين يديه وعلى «صدرته».لذلك أحسّ بشيء كثير من خيبة الامل ، فقال للمسيح : « هذه كلها حفظتها منذ حداثتي » . ألا ينم هـذا الجواب عن تلك الحقيقة الخالدة ، وهي أن الناموس وحده ، لا يكفي لان يمنح الانسان راحة الضمير ، وسلام القلب ، والرجاء الوطيد بنوال الحياة الابديّة ؟ فهو كمياه البحر التي لا تروي،بل تزيد الانسان ظمأ كلما ارتشفت منها شفتاه .

(د) ردّ المسيح عليه (عدد ٢٢) : أقرّ ذلك الشاب بانه عالم بكل مطاليب الناموس الموسوي * ولم يشأ المسيح أن يناقشه في هـذا الباب ، لـكنّه أراد أن يواجهه بالشيء الواحد الذي يعوزه،مظهراً له أن لهذا الشيء

* جاء في التلمود عن حنانيا معلّم الناموس أنه لمـا كان على فراش الموت ، واجه ملاك الموت بالقول : اذهب وفتش في سفر وصايا الشريعة ثم تعال وخبرني عما إذا كنتُ قد قصرت في إحداهن !!

بع كل ما لك ووزع على الفقراء فيكون لك كنز في السماء وتعالَ اتبعني ٢٣ فلما سمع ذلك حزن

الواحد جانبين : احدهما سلبي : « بع كل مالك ووزع على الفقراء فيكون لك كنزٌ في السماء» . والثاني إيجابي : «وتعالَ اتبعني» . في المطلب الأوَّل إنـكار للنفس،وفي المطلب الثاني تكريس للنفس . كان يعوزه شيء واحد . لـكن هذا الشيء الواحد هو كل شيء . جثةٌ هامدة يعوزها شيء واحد — هو الحياة . مصباح يعوزه شيء واحد — هو النور ! !

لا يطلب المسيح من كل غني أن يبيع كل ماله، لأن المال لازم لامتداد ملـكوت المسيح . ألم يكن ابرهيم و يوسف الرامي ونيقوديموس أغنياء ؟ إنما طلب المسيح من ذلك الشاب أن يبيع كل ماله لأن حبَّه للمال كان نقطة الضعف فيه . لذلك طلب المسيح اليه أن يترك كل شيء يتوسَّط بينه و بين المسيح . كان ذلك الشاب « كاملاً » من جهة مطاليب «حرف» الناموس ، لذلك قصد المسيح أن يدرِّبه على روح الناموس ، وأن يفحصه على محكّ الرحمة : «بع ووزع» وأن يزنه بميزان المحبة والولاء : «تعال . اتبعني» .

(هـ) جواب الشاب النهائي (عدد ٢٣): فلما سمع ذلك حزن* لانه كان

---

* يقول تقليد قديم أن الشاب ، حالما سمع جواب المسيح بدأ يفرك رأسه بيده . فقال له المسيح : هل احزنك كلامي ؟ أنت تقول أنك حفظت الناموس منذ حداثتك . وهل فاتك أن الناموس يقول : أحب قريبك

لانه كان غنياً جداً

غنياً جداً » نفذ كلام المسيح كالسهم إلى قلب ذلك الشاب ، فأصاب منه موضع الداء — حب المال،فلم يقوَ لسانه على الكلام من فرط الحزن. والحزن إذا ما ملك القلب ، أسكت اللسان عن الكلام . فبرهن بحزنه على أن المال أقرب إلى قلبه من المسيح . مسكين ذلك الشاب الغني ! « حزن لأنه كان غنياً » كان حزنه هـذا نتيجة صراع عنيف بين نفسه الشريفة التي تطلب الحياة الأبديّة،و بين قلبه المسك بالمادة . نحن لا ندري ماذا تمَّ لهذا الشاب فيما بعد . يقول تقليد قديم أن ذلك الشاب هو بولس الرسول ، وانه في هذه المرة « كان يرفس مناخس» لانه كان « معانداً للرؤيا السماوية » ، وانه فيما بعد ، انتصرت نفسه الشريفة على قلبه المادي ، فرجع إلى المسيح قائلاً . «ماذا تريد يا رب أن أفعل» لكن هذا كله يفتقر إلى الاثبات.أنها لمعجزة من معجزات النعمة ، إذا كان هذا الشاب قد صار فيما بعد ، بولس الذي « حسب كل شيء نفاية لكي يربح المسيح » .

«حزن لانه كان غنياً جداً» !! هل الحزن إذاً حليف الغنى؟؟ يا ليته كان فقيراً ! ! أين هذا الشاب من موسى الذي «حسب عار المسيح غنىً أعظم من خزائن مصر» ؟ هذا رأى المسيح بالعيان، لكن موسى رآه عَنْ بُعد بالايمان

كنفسك» فكيف تسمح لنفسك بأن تعيش ناعماً وتأكل أفخر الأطايب ، وكثيرون من اخوتك أبناء ابرهيم يهلكون جوعاً ؟

٢٤ فلما رآه يسوع قد حزن قال ما أعسر دخول ذوي الاموال الى ملكوت الله ٢٥ لان دخول جمل من ثقب ابرة أيسر من ان يدخل غني الى ملكوت الله

(٢) حديث المسيح عن الشاب الغني: أو صعوبة إنكار النفس (١٨: ٢٤—٢٧): «لما رآه يسوع قد حزن قال ما أعسر دخول ذوي الأموال إلى ملكوت الله». ان في صوت المسيح هذا، رنة حزن تمازجها نغمة عطف على ذلك الشاب، الذي وقع في حبائل الغنى. الكلمة «ذوي الأموال» يوضحها مرقس بالقول: «المتكلين على الأموال» (مرقس ١٠: ٢٤) ويؤيد هذا الايضاح ما سجله لوقا عن خلاص زكا «رئيس العشارين الذي كان غنياً» (لوقا ١٩: ٢).

مَثَّل المسيح لكلماته هذه بمَثَل كان متداولاً في وقته «لأن دخول جمل من ثقب ابرة أيسر من أن يدخل غني إلى ملكوت الله». ذهب بعض المفسرين في تفسير هذا القول إلى أن الكلمة «ثقب ابرة» يراد بها «الباب الصغير المثقوب في الباب الخارجي لبعض الحظائر، لتمرّ منه صغار الماشية عند ما يُغلق الباب الاكبر في الغروب». وقال البعض الآخر إن الكلمة المترجمة «جمل»، قد تترجَم: «حبلاً من حبال المراكب الشراعية». ويلوح لنا أن الرأي الأصوب هو أخذ كلمات المسيح على علاَّتها، من غير أن نحاول تصغير الجمل أو توسيع ثقب الابرة! فيكون معنى كلام المسيح: ان دخول المتكلين على الأموال إلى ملكوت الله، ليس فقط من الأمور العسيرة، لكنه من المستحيلات

٢٦ فقال الذين سمعوا فمن يستطيع ان يخلص ٢٧ فقال غير المستطاع
عند الناس مستطاع عند الله ٢٨ فقال بطرس ها نحن قد تركنا كل
شيء وتبعناك ٢٩ فقال لهم الحق أقول لكم ان ليس احد ترك بيتاً
او والدين أو اخوة أو امرأة أو اولاداً من أجل ملكوت الله ٣٠ الا
ويأخذ في هذا الزمان أضعافاً كثيرة

سؤال السامعين : أوقع هذا الكلام شيئاً من الرعب في قلوب الذين سمعوا هذا الكلام ، فقالوا للمسيح : « فمن يستطيع ان يخلص » ؟ فاجابهم المسيح بان ما تعجز دونه قوة البشر ، تقوى عليه قدرة الله ، و إذا كان باب الملكوت مغلقاً في وجه الذين يريدون أن يفتحوه بايديهم وأعمالهم ، لكن فتحه سهل على الذين يريدون ان يستعينوا على فتحه باليد المثقوبة — يد المسيح المصلوب — يد النعمة القادرة والغافرة .

(٣) حديث المسيح مع الرسل عن أنفسهم:أو مكافأة إنكار النفس ١٨ : ٢٨ — ٣٠ . ان ذكر المال قد حرّك في بطرس غريزة الفخر . فقال «ها نحن قد تركنا كل شيء وتبعناك» ؟ يضاف هذا السؤال إلى هفواته الأخرى المدوّنة فيالكتاب. ربما كان تطلّع بطرس إلى المكافأة أعظم من افتخاره بما ترك . إنّ بطرس وان كان قد ترك الشباك والسفينة ، لكنه ترك كل ما يملك ، لذلك كان صادقاً عند ما قال : « كل شيء » .

أجابه يسوع انهم ينالون مكافأة مضاعفة:(أ) مكافأة زمنية: «ليس أحد ترك ... الا ويأخذ في هذا الزمان أضعافاً كثيرة» . ألم يحصل بطرس على

وفي الدهر الآتي الحيوة الابدية ٣١ وأخذ الاثني عشر وقال
لهم ها نحن صاعدون الى اورشليم وسيتم كل ما هو مكتوب
بالانبياء عن ابن الانسان ٣٢ لانه يسلَّم الى الامم ويستهزأ به ويُشتم
ويتفل عليه ٣٣ ويجلدونه ويقتلونه وفي اليوم الثالث يقوم
٣٤ وأما هم فلم يفهموا من ذلك شيئاً وكان هذا الامر مخفى عنهم ولم
يعلموا ما قيل

هذه المكافأة يوم الخمسين حين ربح ثلاثة آلاف نفس للمسيح ؟ ؟
(ب) مكافأة أبدية : «وفي الدهر الآتي الحياة الأبدية» هذه هي الضَّالة التي كان ينشدها الشاب الغني ولم يجدها فوجدها بطرس الصياد ! !

ان المسيح لا ينسى أصغر التقدمات التي تقدَّم له ، ولو كانت هذه التقدمات من شباك ! ! وهو لن ينسى كأس ماء بارد تقدم باسمه .

المسيح يتحدث عن صليبه للمرة الثالثة (لوقا ١٨ : ٣١—٣٤)

مرتين قبل هذه تحدث المسيح لتلاميذه عن صليبه (٩ : ١٨ و٤٣)، ومع ذلك فان آمال التلاميذ ما زالت حائمة حول الملكوت الارضي المنظور. فجدَّد لهم المسيح اعلانه عن صليبه، ليخفف عنهم حدة هذا الحادث التاريخي، وليملأ قلوبهم بالعزاء ، ليتحملوا هذه الصدمة متى جاء أوانها. ولكن إلى الآن كانت الغشاوة على قلوبهم ، فلم يفهموا من ذلك شيئاً ، فكان هذا الأمر مخفى عنهم ولم يعلموا ما قيل . راجع تفسير (لوقا ٩ : ٤١) .

٣٥ ولما اقترب من أريحا كان أعمى جالساً على الطريق يستعطي
٣٦ فلما سمع الجمع مجتازاً سأل ما عسى أن يكون هذا

الرجل الذي أوقف المسيح (لوقا ١٨: ٣٥-٤٣)

استطاع يشوع قديماً أن يوقف الشمس والقمر، فسُجّلت له هذه المعجزة في بطون التاريخ، لكننا الآن أمام رجل استطاع ان يوقف «شمس البر» — المسيح. اذاً قد نجح هذا الرجل فيما عجز عنه هيرودس أو بيلاطس. فلا غرابة اذا أجمعت كلمة البشيرين الثلاثة على الاشادة بذكره في بشائرهم.

يحدثنا لوقا عن رجل أعمى «كان جالساً على الطريق ليستعطي» (لوقا ١٨ ٣٥) وان المسيح شفاه «لما اقترب من أريحا». ويحدثنا مرقس عن اسمه: «بارتيماوس» — هذه كلمة ارامية معناها «ابن النجس» أو «ابن الأعمى». وان المسيح شفاه «فيما هو خارج من أريحا» (مرقس ١٠: ١٦). ويحدثنا متى عن أعميين شفاهما المسيح «فيما هو خارج من أريحا» (متى ٢٠: ٢٩). ومع أننا نجد في روايات البشيرين الثلاثة شيئاً من الخلاف، لكنه خلاف ظاهري. يقول يوسيفوس، حجة التاريخ اليهودي، بوجود مدينتين في وقت المسيح باسم أريحا — احداهما أريحا القديمة، والثانية أريحا الحديثة. فيكون اذاً من المعقول أن الأعميين كانا موجودين بين المدينتين، فرآهما المسيح عند خروجه من إحدى المدينتين وحين اقترابه من الثانية. وان أحد البشيرين يكتب عن أريحا القديمة، والآخر يحدثنا عن أريحا الحديثة. وفي الغالب كان

٣٧ فأخبروه ان يسوع الناصري مجتاز ٣٨ فصرخ قائلاً يا يسوع
ابن داود ارحمني ٣٩ فانتهره المتقدمون ليسكت . أما هو فصرخ
أكثر كثيراً

احد الاعميين متقدماً في الكلام عن الثاني ، فيكون هذا هو الشخص الذي ذكره لوقا ومرقس ، بينما أراد متى أن يذكرهما كليهما .

لما بلغ المسيح ورفاقه مدينة أريحا ، كان قد زاد الجمهور بسبب الحجّاج القادمين ليعيّدوا عيد الفصح . فلما علم الأعميان أن يسوع الناصري مجتاز تحركت فيهما آمال جديدة ، لا تتعلق بالاحسان المعتاد بل بالشفاء . فصرخا بلسان أحدهما « يا يسوع ابن داود ارحمنا » ، فشفاهما المسيح .

نرى في هذه الحادثة : (١) عطف المسيح على المحتاجين ، وهو في أدقّ ساعات حياته . وقعت هذه الحادثة قبل الصلب باسبوع . فكانت أفكار المسيح وقتئذ منصبّة كلها على ذلك العمل الجليل المؤلم ، الذي جاء أرضنا لأجله : «ثبّت وجهه لينطلق إلى أورشليم» . وفي هذه الأوقات الحرجة نظر المسيح إلى ذلك الرجل المسكين ، المعتبر من البشرية كتلة مهملة ، فلم يبخل عليه بوقفة ، حادثه أثناءها وشفاه . إن المسيح مستعد لأن يُوقف رحى العالم الدائرة ، ليصنع إحساناً إلى أحد مساكينه .

(ب) القدرة التي أودعها المسيح في صلاة المضطر (عدد ٣٨) : عبثاً حاول «المتقدمون» أن يسكتوا ذلك الرجل ، لأنه وحده كان يشعر بالظلام الذي كان مخيّماً عليه . فصير حياته كلها ليلا مستديماً . لذلك صرخ صرخة المضطر

يا ابن داود ارحمني ٤٠ فوقف يسوع وأمر ان يقدم اليه . ولما
اقترب سأله ٤١ قائلاً ماذا تريد أن أفعل بك . فقال يا سيد ان أبصر
٤٢ فقال له يسوع ابصر. ايمانك (قد شفاك)

قائلاً: «يا ابن داود»: في هذا اعتراف منه «بمسيحيّة» المسيح — «ارحمني»: في هذا نغم التعبُّد .

(ج) ضرورة حصر طلباتنا أمام الله (عدد ٤١) : «ماذا تريد أن أفعل بك» ؟ كثيرون يصلّون، لكنهم لا يعلمون ما هم طالبون، فلا غرابة اذا كانوا لا ينالون ، لانهم بالطبع لا ينتظرون. وجّه المسيح هذا السؤال مرة إلى يعقوب ويوحنا، حين أرادا أن يكون أحدهما عن يمينه والآخر عن يساره في ملكوته العتيد ، فكان في سؤاله لهما ، مؤنباً وموبخاً ، لكنه في سؤاله لهذا الأعمى كان مرحّباً ومشجعاً .

(د) تفضيل الأهم على المهم (عدد ٤١) : « فقال يا سيد ان أبصر » . كان في إمكانه ان يطلب مالاً كعادته ، لكنه طلب ما هو أسمى وأبقى : « البصر » . فوجد هذا الطلب منفذاً إلى قلب المسيح الحنون .

(ه) اقتدار الايمان الحي (عدد ٤٢):«ايمانك قد شفاك». لم يقل المسيح «قوّتي قد فتحت عينيك» بل قال «ايمانك قد شفاك». بذلك أراد أن يشجع ايمان الرجل الذي كان واسطة تمتعه بالشفاء ، فالايمان هو اليد التي تتناول بركات الله .

٤٣ وفي الحال أبصر وتبعه وهو يمجد الله وجميع الشعب اذ رأوا سبحوا الله

(و) صدى النعمة (عدد ٤٣) : كان لمعجزة النعمة هذه تأثيران: احدهما على الرجل الذي كان أعمى : « فابصر » — هذه عين الايمان وقد انفتحت . «وتبعه» — هذه أقدام الايمان وقد تحركت وتقدمت . «ومجّد الله» — هذا لسان الايمان وقد انطلق عابداً . والتأثير الثاني : على جميع الشعب — « فسبحوا الله » .

الاصحاح التاسع عشر

١ ثم دخل واجتاز في أريحا ٢ واذا رجل اسمه زكَّا رئيس

زكَّا (لوقا ١٩ : ١—١٠)

نحن الآن أمام حادثة عجيبة ، التقت فيها ترتيبات العناية الربانية ، بالارادة البشرية، فلو اختار المسيح طريقاً غير هذا الطريق، لما رآه زكا،لأن اسبوعاً واحداً كان بين المسيح و بين الصليب . هذه أيضاً حادثة اجتمعت فيها المؤهلات الجسدية ، بالارادة النفسية . يقول فلاسفة التاريخ : لو كان انف كليو باترا أطول أو أقصر مما كان،لمُسِخ جمالها،فتغير معه تاريخ العالم ! ومن يدري ! ربما لو كان زكا طويل القامة—لا قصيرها—لما عرف التاريخ المسيحي عنه شيئاً . ان قصر قامته قد أصعده — وهو لا يدري — على قمة شجرة التاريخ ! !

(ا) من هو هذا الرجل ؟ (عدد ٢) : «زكَّا»— هذه كلمة عبرية،معناها «النقي» . وليس بغريب أن يوجد هذا النقي في أريحا ، التي كانت مشهورة بتجارة «البلسان» النقي ، والزكي الرائحة . فكان من الطبيعي اذاً أن تكون أريحا «بلد النخيل» والبلسان ، مهبطاً للعشارين ، جامعي «المكس»

كان أولئك العشارون مُبغَضين من أمتهم،محتقرين من المجتمع،لأنهم كانوا عوناً للدولة الرومانية على بني جنسهم ، لذلك حُسبوا مذنبين ضد الوطنية والشرف .

للعشارين وكان غنياً ٣ وطلب ان يرى يسوع من هو ولم يقدر

لمثل هذه الطبقة الساقطة «قد جاء ابن الانسان لكي يطلب ويخلص ما قد هلك»، ولمثل هؤلاء المحسوبين من سقط المتاع كرّس لوقا بشارته،فانفرد بتسجيل ما لهم من حسنات. فهو الذي حدثنا عن العشارين الذين «جاءوا إلى يوحنا المعمدان ليعتمدوا منه» (لوقا ٣:١٢) ، وهو الذي عرفنا أن لاوي العشار «ترك كل شيء وتبع يسوع» (لوقا ٥:٢٨) ، وهو الذي أعلن لنا أن العشارين «برّروا الله معتمدين بعمودية يوحنا» (لوقا ٧:٢٩) ، وهو الذي علّمنا أن العشارين «كانوا يدنون من المسيح ليسمعوه» (لوقا ١٥:١) ، وهو الذي اختص بتسجيل مثل الفريسي والعشار في الهيكل (لوقا ١٨:١٠ — ١٤)

(ب) ما هو (عدد ٢) : كان زكا «رئيساً للعشارين» ، فكان بحكم هذه الوظيفة غير الشريفة ، غنياً . ان خطايا الكبار هي كبار الخطايا ! !

(ج) نيّة زكا (عدد ٣) : « طلب ان يرى يسوع من هو » إذاً كان حب الاستطلاع ، أوّل درجة ارتقى عليها زكا في سلم الخلاص — وكثيراً ما يبتدىء الايمان بالتعجب ، ثم يتحول اعجاباً ، ثم يتطور تعبُّداً .

هل طلب زكا أن يرى يسوع ، لأنه كان متشوقاً إلى رؤية ذلك المعلم الجليلي ، الذي كان يتحدث عنه الجميع ؟ أم لأنه أراد ان يرى ذلك الشخص القدير الذي استطاع أن يفتح عيني بارتيماوس ؟ أم لأنه أحسّ بجاذبية سحرية سرّية، نحو ذلك الشخص العجيب،الذي كان محباً للعشارين أمثال زكا ؟ أم لأنه عجز عن أن يجد في غناه راحة وشبعاً،فطلب ان يرى مريح التعابى الذي

من الجمع لانه كان قصير القامة ٤ فركض متقدماً وصعد الى جميزة لـكي يراه لانه كان مزمعاً ان يمرّ من هناك

«في يمينه شبع سرور» ؟ ام لأنه صار مكروهاً من جميع الناس،فتمنى ان يرى عيناً تعطف عليه ، وقلباً يحنو اليه ؟ ؟ آم ان زكا كان هائماً في مجاهل الفكر ليبحث عن الخير الأعظم ، وتمنى ان يجده في ذاك ؟ ام كانت كل هذه البواعث مجتمعة معاً ؟ ؟ ؟

(د) عجز زكا (عدد ٣) : كان الناس،في ذلك الوقت،يتزاحمون على رؤية المسيح،سيما بعد سماعهم بشفائه بارتيماوس الأعمى،بالأمس.لذلك عجز زكا عن ان يجد بينهم موقفاً مريحاً،ليتمكن فيه من رؤية المسيح،لأنه كان «قصير القامة»

(ﻫ) جهود زكا (عدد ٤) : «فركض متقدماً وصعد الى جميزة».ان زكا بعمله هذا ، قد عرّض نفسه لانتقادات كثيرة من بني جنسه. لان الناس،في الشرق ، لم يألفوا رؤية رجل غنيّ يركض في الشارع ليتسلق جميزة و يسكن بين أوراقها ! ! لـكن زكا كان جاداً ، فلم يبالِ بسخرية الناس ، ولم يعبأ بالصعوبة التي يتكبدها في تسلق شجرة الجميز الملساء ، ولم يهتم بلباسه الذي تلطخه عصارة الجميز. بذلك قد انتصر زكا على ضعفه الطبيعي ، بل صيّره مصدر قوة كبرى ، اذ اضاف الى قامته اذرعاً كثيرة ! !

ان في تسلّق الجميز استخداماً لـكل عضلات الجسد أ كان هذا دليلاً على أنّ زكا كان يطلب المسيح « من كل قلبه ، ومن كل نفسه ، ومن كل قدرته ، ومن كل فـكره» ؟ ؟

٥ فلما جاء يسوع الى المكان نظر الى فوق فرآه فقال له يا زكا اسرع

(و) مكافأة زكا (عدد ٥): «فلما جاء يسوع الى المكان نظر الى فوق فرآه وقال له : يا زكا أسرع وانزل لأنه ينبغي ان امكث اليوم في بيتك» . لقد نال زكا اكثر مما طلب أو افتكر، اذ نال مكافأةً مثلثة: (١) عناية ممتازة: « نظر الى فوق فرآه » . ما أعجب عناية المسيح ! انه نظر الى زكا في اللحظة التي كان زكا ناظراً فيها اليه ، بل نظر الى زكا في وقت لم يحلم فيه زكا، ان يسوع ينظر اليه. ان الذي رأى نثنائيل «وهو تحت التينة» (يوحنا ١:٤٨)، قد رأى زكا على الجميزة . (٢) نداء : « يا زكا » لا شكَّ ان زكا ارتجف عند ما سمع ذلك المعلم العظيم، يناديه باسمه على مسمع من الجمهور، فوجّه نظر الجمهور اليه ، بل رفع أنظار العالم المسيحي اليه . قبلاً اعتاد زكا ان يسمع الناس يتفوهون باسمه هازئين هاذلين ، واليوم — ربما لأول مرَّة في حياته — سمع اسمه يُنطق به بكل مهابةٍ ، وحبٍّ ، واحترام. هل ذكر زكا ذلك الوعد القديم : «عرفتك باسمك أنت لي» (اشعياء ٤٣:١) ؟ أم أعيد الى ذاكرته ذلك القول : « الرب من البطن دعاني . من أحشاء أمي ذكر اسمي » (اشعياء ٤٩:٢) ؟ أم ذكر بعضٌ من تلاميذ المسيح قول سيدهم « انه يدعو خرافه الخاصة باسماء » (يوحنا ١٠:٣) ؟ ان الذي يعرف قلوب البشر لا يعزّ عليه ان يعرف اسماءهم. واذا ما نادى المسيح انساناً كان له غرض خاص من هذه المناداة . فقد ينادي انساناً ليؤكد له انه يعرفه : « يامريم » (يوحنا ٢٠:١٦) ، أو ليمنحه بركة جديدة : « أنت سمعان بن يونا . أنت

وانزل لانه ينبغي ان أمكث اليوم في بيتك

تُدعى صفا» (يوحنا ١ : ٤٢)، أو ليبسط عليه سلطانه الملكي، كما في الحادثة التي أمامنا. (ج) دعوةً ملكية: «ينبغي أن امكث اليوم في بيتك». هذه هذه المرّة الوحيدة التي فيها دعا المسيح نفسه إلى بيت انسان. ومن العجيب ان المسيح لم يتردّد في دعوة نفسه الى بيت زكا، لثقته في نفسه بانه ملك، ولا بد للرعيّة ان تتشرف بقبول مليكها. ان المسيح لا يتوانى عن دخول القلب الذي يرحبُ به، كما انه لن يتعجّل في ولوج القلب الذي لا يقبله راضياً، شاكراً.

عجيبة هذه الكلمة التي خلعها المسيح على دعوته: «ينبغي»! ويزيد تعجبنا إذا ما ذكرنا ان خطوات المسيح كانت مسرعة الآن نحو الصليب، فلم يبقَ بينه و بين الجلجثة سوى أسبوع واحد. ولكن عجبنا يزول متى تحققنا ان هذه الكلمة تعبّر عن التزام أدبي قبِلَه المسيح على نفسه، لكي «يُوجد من الذين يطلبونه». ألسنا نجد في ثنايا هذه الدعوة، ظلاً ضئيلاً للتجسد الذي قبله المسيح طائعاً مختاراً، ليحل به بين البشر ويتمشّى هو معهم، وهُم معه؟؟ (د) طلباً معجلاً «أسرع وانزل» * كان هذا الطلب مغلّفاً بفرصة نادرة، لو تركها زكا، لحرم نفسه من الخلاص. لأن المسيح لم يرجع الى أريحا فيا بعد. هذه كانت فرصة الحياة أو الموت!!

* يقول التلمود ان احد معلمي الناموس سُئل يوماً: «ما هو أنسب يوم يتوب فيه الانسان؟» فقال «هو اليوم السابق ليوم مماته». فقيل له: «ولكن يوم الممات غير معلوم». فقال «اذاً فليتب الآن».

٦ فأسرع ونزل وقبله فرحاً ٧ فلما رأى الجميع ذلك تذمروا قائلين انه
دخل ليبيت عند رجل خاطىء ٨ فوقف زكا وقال للرب ها انا يا رب

(ز) عزيمة زكا (عدد ٦): لم يتردد زكا في اجابة دعوة المسيح. بل كان في اجابته:(١) مستعجلا — لا عجولاً — «أسرعَ ونزل». (٢) مرحّباً ومستقبلاً: «وقبِلَه». لا شك ان زكا رحّب بالمسيح في قلبه، قبل أن يُرحب به في بيته. (٣) متهللاً: «فرحاً». ان قلبه كان يطفر فرحاً، لأن سيداً عظيماً كهذا، رضي ان يدخل بيته الذميم، ولأنه تمنّى لحظةً، يلحظ فيها وجه المسيح، فأنعم عليه المسيح بيوم كامل يتملّى فيه برؤيته.

عدد ٧. لا يخلو بعض الصور الجميلة من حشرات قبيحة تسكن في احدى زواياها، فتكسبها بقبحها جمالاً — و بضدها تتميّز الأشياء. «فالمتذمرون» هم حشرات هذه الصورة الجميلة التي أمامنا: «فلما رأى الجميع ذلك تذمروا. قائلين انه دخل ليبيت عند رجل خاطىء» كان زكا مكروهاً من جميع الطبقات، وكان المسيح محسوداً من جميع الفرّيسيين، فوجدوا في تصرف المسيح منفذاً لينفثوا منه سمومهم.

(ح) تعهدات زكا (عدد ٨): «فوقف زكا وقال» ان المعاملة الممتازة التي لقيها زكا من المسيح، قد أذابت قلبه الماديّ. المطبوع على حب المال، وأنطقت لسانه أمام الجميع، بتعهداتٍ حسبتها الأجيالُ «المثَل الأعلى» للتوبة الحقيقية. «فوقف زكا»: اظهر زكا بوقوفه، شجاعة نادرة، واخلاصاً فائقاً، وعزيمة قوية، فلم يكتف بان يتمتم بهذه التعهدات، ولا ان يتكلم بها في قلبه

أعطي نصف أموالي للمساكين وان كنت قد وشيت بأحد ارد اربعة أضعاف

ساكتاً أمام الهه ، بل قصد ان يقيم من هؤلاء « الجميع » شهوداً على صدق عزيمته ، وحقيقة توبته ، وان يوقفهم سداً منيعاً ، يحول دون رجوعه الى حياته الماضية .

هل كان قصر قامته ، احد العوامل التي دفعته الى الوقوف ، ليكون كلامه مسموعاً ؟؟

انه وان كان قد وقف أمام الجمع ، لكنه وجّه تعهداته «للرب» الذي يعرف مدى اخلاصه ، ولم يصوّبها نحو « الجميع » الذين لا يحملون له في قلوبهم سوى الحقد والحسد ، فكان في تعهداته هذه ، مصلياً ، ومكرّساً ، وعابداً ! !

لم يكن زكا مفاخراً باعمال كان يمارسها في حياته الماضية ، لكنه كان يفوه بتعهدات سيقومُ بها في حياته الجديدة . اذاً لم تكن أقواله هذه، نفثات فرّيسي ، لكنها كانت تعهدات تائب .

كانت تعهدات منطوية على أمرين : (١) رحمة بالمساكين : « ها أنا يا رب أعطي نصف أموالي للمساكين»،والمراد « بنصف الأموال»، نصف ما يملك،لا مجرد نصف ايراده السنوي.(٢) ردّ المسلوب:«وان كنت قد وشيت بأحد» — أي سلبت أحداً — «أردّ أربعة اضعاف» — هذه ثمرة النعمة، لا فريضة الناموس . لأن الناموس الموسوي كان يطلب من المستلِب ان يرد ما سلب

٩ فقال له يسوع اليوم حصل خلاص لهذا البيت اذ هو أيضاً ابن
ابرهيم

مضافاً اليه الخُمس (سفر العدد ٥:٧) . لكن زكا قد فاق بعهده هذا ، كل مطاليب الناموس ، لأنه صار ابن النعمة .

(ط) تاج مكافأة زكا (عدد ٩): «فقال له يسوع. اليوم حصل خلاص لهذا البيت. اذ هو أيضاً ابن ابرهيم» كما ان تعهدات زكا كانت موجّهة الى المسيح ، على مسمع من أولئك الجميع « المتذمرين » ، كذلك كان تصريح المسيح هذا، موجهاً الى زكا، على مسمع من أولئك القوم. لا يستفاد من القول «اليوم حصل خلاص لهذا البيت» ان كل اهل زكا حُسبوا مخلّصين «على حساب» زكا، ولا انهم بالضرورة نالوا الخلاص كلهم دفعة واحدة، انما يراد بها ان خلاص زكا ، رب البيت ، صار فاتحة خلاص لأهل ذلك البيت لأنهم سيسيرون، بحكم الطبع، على خطوات رأسهم ورئيسهم. والقول: «إذ هو أيضاً ابن ابرهيم» ، موجه الى الفريسيين الذين لم يروا في زكا، سوى رجل عشار ، محتقر ومرذول. فبين لهم المسيح، ان زكا برهن بايمانه، على انه ابن ابرهيم روحياً، لأن ابرهيم هو «أب المؤمنين» (رومية ٤:١١) ، وان خلاصه لم يكن في غير محله ، اذ هو أيضا يهودي من نسل ابرهيم، «لأن الخلاص هو من اليهود» (يوحنا ٤: ٢٣) ، كأنه قبل توبته لم يكن أهلاً لهذا اللقب المجيد «ابن ابرهيم» . اذاً لم يكن خلاصه مبنياً على يهوديته، بل جاءت يهوديته متفقةً مع خلاصه، وجاء خلاصه مؤيّداً ليهوديته .

١٠ لان ابن الانسان قد جاء لكي يطلب ويخلص ما قد هلك
١١ واذ كانوا يسمعون هذا

(ي) خاتمة جليلة (عدد ١٠) : ختم المسيح اعلانه لزكا ، بكلمة عامة جليلة . أعلن لنا بها (١) اسماً من أسمائه: «ابن الانسان» . انظر تفسير لوقا ٧: ٣٤. (٢) حقيقة تجسده: «قد جاء». (٣) غاية تجسده: «لكي يطلب و يخلص ما قد هلك» . كان ممكناً له ان يكتفي بتخليص الهالكين الذين يأتون اليه طالبين الخلاص. لكن الانسان الهالك يريد ان يختبىء من وجه الله، كما فعل آدم في الجنة، لذلك جاء المسيح لكي «يطلب» الهالكين ، كما نادى الله آدمَ في الجنة قائلاً : «يا آدم أين أنت» . فهو رئيس الرعاة الذي «يذهب لاجل الخروف الضال حتى يجده» — هـذا هو الطلب ، واذا وجده يضعه على منكبيه فرحاً» — هذه هي عملية التخليص والانقاذ .

ما أشبه هذا الاعلان بالتصريح الذي فاه به المسيح في لوقا ٥: ٣١ و ٣٢ يُخيل الينا أن هذا التصريح له جانبان : احدهما مشرق كالصباح، فيه نرى البشرية في أقدس حالاتها : «ابن الانسان» ، وجانبه الثاني ، حالكٌ كالليل ، يرينا البشرية في أتعس حالاتها : « ما قد هلك » . ان الوسيلة الوحيدة لرفع البشرية من حالتها التاعسة الى حال القداسة هي تجسد الكلمة .

تاجروا حتى آتي (لوقا ١٩: ١١—٣٧)

يذكرنا هذا المثل بمثل الوزنات ، المذكور في بشارة متى (متى ٢٥: ١٤ — ٣٠). فما اكثر أوجه الشبه بين المثلين، وما أوفر أوجه الخلاف! أفي كلا

عاد فقال مثلاً لانه كان قريباً من أورشليم وكانوا يظنون

المثلين ، يسافر السيد إلى كورة بعيدة ، وفي كل منهما يحاسب السيد عند رجوعه ، ثلاثة من عبيده ، فيتضح له ان أحدهم خائن ، متمرد . إلى هنا تنتهي أوجه الشبه،وتبتدىء زاوية الخلاف في الانفراج.فمن أوجه الخلاف: ان كل عبدٍ في هذا المثل ، أخذ وديعة معادلة للوديعة التي أخذها الآخر ، مع ان الوزنات التي أخذها كل من العبيد ، في المثل الآخر ، تختلف عدداً، عن « الوزنات » التي أخذها غيره . فضلاً عن ذلك ، فان قيمة الوديعة في هذا ، المثل تختلف عنها في ذاك فالوديعة هنا قيمتها « مناً » . « والمنا » هو مجموع قطع رومانية فضية ، تساوي كلها ١٠٠٠ درهم ، أو ما يقرب من ثلاثة جنيهات مصرية ونصف جنيه . بينما الوديعة في ذلك المثل ، مقدرة بحساب « الوزنات » — والوزنة الواحدة تساوي ٦٠ « مناً » . يضاف إلى ذلك ان المسيح فاه بهذا المثل «حينما كان قريباً من أورشليم»،مع أنه نطق بذلك المثل بعد دخوله إلى أورشليم ، « فيما هو جالس على جبل الزيتون » (مت ٢٤:٣) قال المسيح هذا المثل «للجمهور الذي كان يسمعه» (لوقا ١٢: ١١) ، لكنه تكلم بذاك للتلاميذ الاثنى عشر ، على انفراد .

من هذا يتضح لنا أنهما مثلان لا مثل واحد ، ولو أن كلاً منهما يعتبر مكملاً للتعليم الذي ينطوي عليه الآخر . في مثل الوزنات، أظهر كل واحد من العبيد الأمناء ، درجة متساوية في الأمانة ، فضاعف كل منهم عدد الوزنات التي نالها من سيده . لكن في مثل «الأمناء» أظهر كل واحد من

ان ملكوت الله عتيد ان يظهر في الحال ١٢ فقال . إنسان شريف

العبيد درجة في الأمانة والاجتهاد تتفاوت عن الدرجة التي أظهرها الآخر. فمع ان كلاً منهم تسلم من سيده «مناً» واحداً ، لكن «المنا» في يد الأول ، «ربح عشرة امناء» (لوقا ١٩ : ١٦) ، مع ان «المنا» في يد الثاني «لم يعمل سوى خمسة امناء» (لوقا ١٩ : ١٨) . فالمستفاد من المثلين معاً ، هو ان المسيح ، وان كان يكافىء كل الأمناء ، لكن المكافأة تتناسب مع درجة الأمانة والاجتهاد .

(ا) مقدمة تاريخيَّة : ١٩ : ١١ « واذ كانوا يسمعون هذا عاد فقال مثلاً لأنه كان قريباً من أورشليم وكانوا يظنون أن ملكوت الله عتيد ان يظهر في الحال » ان الطريقة السمحة التي بها قَبِلَ المسيحُ زكا ، والتصريح الجليل الذي فاه به عن غاية مجيئه الى العالم: لكي يطلب و يخلص ما قد هلك » ، واتجاهَ وجهه الى أورشليم في غرّة عيد الفصح . كل هذه العوامل ، مجتمعة معاً ، مَلأت الجوّ كهرباء ، وأوقعت في قلوب الجماهير شعوراً بدنوّ ساعة رهيبة «فظنوا ان ملكوت الله عتيد ان يظهر في الحال» . لذلك تكلم المسيح بهذا المثل، لكي يصبّ مياهاً باردةً على انتظاراتهم الثائرة، مخافة ان تضطرم بنار الثورة على الحكم الروماني ، فذكر لهم شيئاً عن برنامجه ، مؤكِّداً لهم ، انه لا بدّ من ذهابه الى كورةٍ بعيدة ، قبل أن يأتي ملكاً .

(ب) سفر الانسان الشريف الجنس (١٩ : ١٢ — ١٤): يذكر يوسيفوس المؤرخ اليهودي ، انه عند موت هيرودس الاكبر ، ذهب ارخلاوس ابنه ووارثه ، الى رومية، ليستعطف طيباريوس قيصر ، كي يوليه على كرسي أبيه،

الجنس ذهب الى كورة بعيدة ليأخذ لنفسه ملكاً ويرجع ١٣ فدعا
عشرة عبيد له وأعطاهم عشرة أمناء وقال لهم

وان اليهود « أهل مدينته » انتهزوا فرصة غيابه في رومية ، فارسلوا وراءه « سفارة » مؤلفة من خمسين منهم ، طالبين من قيصر ، ان يحوّل كورتهم إلى مقاطعة رومانية ، بذلك يتحرّرون من نير هيرودس وابنائه . فما أقرب المشابهة · مع الفارق — بين هذه الحادثة التاريخية ، و بين الصورة التي يرسمها المسيح في هذا المثل ! !

فالمسيح «ابن الانسان» هو ذلك «الانسان» الشريف الجنس،لأنه ابن الملك السموي ، وهو من نسل داود الملك . وذهابه «إلى كورة بعيدة ليأخذ لنفسه ملكاً ويرجع » يُشار به إلى صعوده إلى السماء عن يمين العظمة في الأعالي ، « منتظراً حتى توضع أعداؤه موطئاً لقدميه » ، و إلى ارساله الروح القدس إلى الكنيسة ليعدّها لمجيئه .

(عدد ١٣) : قبل أن يسافر هذا الانسان الشريف الجنس،«دعا عشرة عبيد له وأعطاهم ...» العبيد هم جميع اتباع المسيح بنوع عام، وخدام الكلمة بنوع خاص ، والتلاميذ بنوع أخص .

يستفاد من كلام المسيح هذا، انه لا بد من مرور وقت ، قبل يوم مجيئه الثاني : «سافر إلى كورة بعيدة ليأخذ لنفسه ملكاً ويرجع» ، وان الانتظار الذي يحبّذه ، ليس انتظار المتكاسل المتواكل ، بل هو انتظار المجاهد . الأمين العامل: «تاجروا حتى آتي» —هذا يحرّم عليهم انفاق المال على انفسهم

تاجروا حتى آتي ١٤ وأما أهل مدينته فكانوا يبغضونه فأرسلوا
وراءه سفارة قائلين لا نريد أن هذا يملك علينا ١٥ ولما رجع بعد ما
اخذ الملك أمر أن يُدعى اليه اولئك العبيد الذين أعطاهم الفضة

أو على ذويهم . هاتان هما الحقيقتان اللتان ارتكزت عليهما تعاليم بولس الرسول عن مجيء المسيح الثاني : « الرب يهدي قلوبكم إلى محبة الله وإلى صبر المسيح » . . . . « ان كان أحد لا يريد أن يشتغل فلا يأكل أيضاً » (٢ تسالونيكي ٣:٥ و ١٠) .

(عدد ٤): كان «أهل مدينة» ذلك الانسان الشريف الجنس غير موالين له، بل مبغضين إيّاه، «فارسلوا وراءه سفارة» — وفداً — «قائلين لا نريد أن هذا يملك علينا». هؤلاء هم اليهود «خاصة» المسيح الذين اليهم قد جاء «فلم يقبلوه» لانهم «ابغضوه بلا سبب» هؤلاء هم أهل مدينته حسب الجسد (رومية ٩:٥٢ ويوحنا ٤:٢٢). ألم يصرخوا لدى بيلاطس قائلين : « ليس لنا ملك إلا قيصر » . . . « لا تكتب ملك اليهود بل ان ذاك قال أنا ملك اليهود » (يوحنا ١٩:١٥ و ٢١) ؟ ؟

(ج) العبدان الأمينان (١٩:١٥—١٩) : اذا كان لا بد من مرور وقت قبل مجيء المسيح الثاني ، فان هذا الوقت لا بد أن ينقضي سريعاً . «ولما رجع بعد ما أخذ الملك» — هنا جاء وقت الحساب: «فأمر ان يُدعى اليه أولئك العبيد ليعرف بما تاجر كل واحد » — ومن حق صاحب المال أن

ليعرف بما تاجر كل واحد ١٦ فجاء الاول قائلاً يا سيد مناك ربح
عشرة أمناء ١٧ فقال له نعمّا أيها العبد الصالح لانك كنت أميناً في
القليل فليكن لك سلطان على عشر مدن

يطالب بماله . فجاء الأول قائلاً : «يا سيد مناك ربح عشرة أمناء» . جميل من هذا العبد انه لم ينسب الربح لأمانته ولا لمقدرته،فلم يقل «ربحتُ» ، بل نسب الربح إلى «المنا» الذي أودعه إياه سيده . فما أجمل الوداعة اذا اقترنت بالأمانة.ان مكافأة هذا العبد رباعيّة:(١) رضى : «نعمّا ايها العبد» — هذه ابتسامة السيد التي تذهب بكل متاعب الحياة . (٢) كرامة : « الصالح » ـ والأمين ـ عجيب أنّ السيد لم يقل له: «ايها العبد الناجح والأمين»،مع ان نجاحه كان متمشياً مع درجة أمانته. بل قال«الصالح والأمين».اذاً لا يكافئنا الله على قدر نجاحنا ، بل على قدر إخلاصنا وأمانتنا . (٣) ترقيةً : « كنت أميناً في القليل . فليكن لك» — ان خير مكافأة لمن يتحمّل مسئوليةً بامانة ، هي المزيد من المسئوليات. «عبيده يخدمونه نهاراً وليلا ـ اذاً ليست السماء «تكية» للعاطلين اللاهين،لكنها « مَشْغَلٌ » لتدريب العاملين المجدّين (٤) سلطاناً : « فليكن لك سلطان على عشر مدن » — يُكنى بالعشر مدن ، عن السلطان الكامل — لأن العشرة عدد كامل عند اليهود — الواسع النطاق الذي يهبه الله للذين يظهرون أمانة ممتازة في خدمته . ويرى جودي في « العشر المدن » نفوساً بشريّة غير ناضجة في النعمة ، سيقيم عليها الله نفساً كبيرة راقية ، لتدرّبها وتسمو بها إلى درجات الكمال المسيحي .

١٨ ثم جاء الثاني قائلاً يا سيد مناك عمل خمسة أمناء ١٩ فقال لهذا
ايضاً وكن أنت على خمس مدن ٢٠ ثم جاء آخر قائلاً يا سيد هوذا
مناك الذي كان عندي موضوعاً في منديل ٢١ لأني كنت اخاف

(عدد ١٨) : «ثم جاء الثاني قائلاً يا سيد مناك عمل خمسة أمناء» : ان هذا العبد الثاني يشبه الأول في وداعته ، إذ نسب الربح « للمنا » لا لجهده ، ولا لأمانته . لكنه يقلّ عنه في اجتهاده وأمانته . لذلك لا نرى أثراً لامتداح سيده إياه على صلاحه ، كما عمل بالعبد الأول ، بل اكتفى بأن قال له «وكُنْ أنت على خمس مدن» ، ولعله كان اقل من الأول في سعته وقابليته. لأن كل كأس تُملأ على قدر سعتها .

(د) العبد الشرير (١٩ :٢٠—٢٧) : لم يذكر المسيح شيئاً عن السبعة العبيد الباقين ، لأنه اعتبر كل واحد من هؤلاء الثلاثة العبيد ، ممثلاً لجماعة خاصة . فيا ترى كم عدد الذين يمثلهم هذا العبد الشرير؟؟ . (١) كلام العبد الشرير (١٩ :٢٠ و ٢١) : ينطوي جواب هذا العبد الشرير على : (أ)جمود: « هوذا مناك الذي كان عندي موضوعاً في منديل » . هذا دليل على عدم شعوره بمسئوليته ، لأننا لا نجد في كلامه أثراً لتوبته على تقصيره أو قصوره في «دفن» هذه الوديعة، بل نراه متقدماً إلى سيده بروح الفريسي الذي يظن انه « عمل كل ما أُمِر به » . وفوق ذلك فاننا نجد في جوابه نغمة الفخر والظفر : «هوذا ... عندي ... في منديل» — كأن عدم ضياع المنا هو كل شيء !! . (ب) جحود : « لاني كنت اخاف منك اذ أنت انسان صارم

منك إذ انت انسان صارم تأخذ ما لم تضع وتحصد ما لم تزرع
٢٢ فقال له من فمك أدينك أيها العبد الشرير عرفت أني إنسان

تأخذ ما لم تضع وتحصد ما لم تزرع» . هذه أخف كلمة نصف بها ذلك العبد الشرير، الذي اجترأ فواجه سيده بهذه الكلمات الجارحة.كأن سيده أذنب إذ «حسبه أميناً للخدمة». قد يكون «للعبد البطال» في مثل الوزنات،شيء من العذر، ان هو واجه سيده بمثل هذه الكلمات ، لأن سيده أعطاه وزنة واحدة ، مع أنه أعطى غيره اكثر منه . لكن ما عذر هذا العبد الشرير وقد ساواه سيده بسواه ؟؟ حقاً انه فتى عقوق ! !

قد يُفَسَّرُ قوله هذا، بأنه خاف لئلا إذا ربح شيئا، ينكره عليه سيده، الذي قال فيه انه «يحصد ما لم يزرع» . او انه خشي من عقاب سيده «الصارم» اذا هو أضاع المنا ، لذلك خاف ، فمضى وأخفى المنا في منديل قد يرمز هذا العبد إلى الكثيرين من المسيحيين ، الذين لم يتذوقوا طعم النعمة ، ولم يختبروا لذة العيشة بالروح ، فيقضون حياتهم وهم عائشون بالجسد ، تحت نير حكم الناموس ، مستعبدين لأوهامهم وأهوائهم ، مغلوبين من تجاربهم ، محكوماً عليهم من أنفسهم . ولعله يشير إلى بعض المسيحيين الذين لا يسعون إلى تخليص غيرهم،تذرعاً منهم بأنهم مشغولون بأنفسهم (٢) جواب السيد (١٩:٢٢ – ٢٦) : أجاب السيد على كلام هذا العبد الشرير بكلمة منطقية وجهها اليه : «من فمك أدينك أيها العبد الشرير . عرفت اني صارم...فلماذا لم تضع فضتي...» لو كان هذا العبد خائفاً خوف الأبناء ، لدفعه هذا الخوف

صارم آخذ ما لم أضع وأحصد ما لم أزرع ٢٣ فلماذا لم تضع فضتي على مائدة الصيارفة فكنت متى جئت أستوفيها مع ربا ٢٤ ثم قال للحاضرين خذوا منه المنا وأعطوه للذي عنده العشرة الامناء ٢٥ فقالوا له يا سيد عنده عشرة أمناء ٢٦ لأني أقول لكم ان كل من له يُعطى .

المقدس الى المزيد من الخدمة. فهو إما أنه كان مدعياً إدعاء باطلاً في ما قال، او انه كان خائفاً خوف العبيد ذلك الخوف الذي يصيب كلّ قوى الانسان بالشلل ، لأنه يطرد المحبة خارجاً ! !

(عدد ٢٣) : لا يُستدل من القول: «أستوفيها مع رباً» ان المسيح يجيز استعمال الربا ، لكن هذا الكلام كان جارياً مجرى المثل وقتئذٍ ، وقد ورد هنا مكمّلاً لتفصيلات المثل . ويرى « جودي » في « الصيارفة » بعضاً من المسيحيين الذين لا قوة لهم على الخدمة بالذات، لكنهم يقدرون على الصلاة . وان مائدة الصيارفة هي القدرة الالهية الممسكة بكل شيء ، والتي يتصل بها المؤمنون بواسطة الصلاة الفعالة .

(عدد ٢٤) : من ثم وجه السيد الخطاب الى الحاضرين قائلاً: «خذوا منه المنا وأعطوه للذي عنده العشرة الأمناء » . « الحاضرون » هم ملائكة الله المنفّذين لأمره تعالى . « فقالوا له يا سيد : عنده عشرة امناء » . أجابهم السيد ، بحكمة بالغة تتمشى مع ناموس ثابت : أن كل هبةٍ يستخدمها الانسان،تفتح له باباً واسعاً لهبات أسمى وأتم،وان كل هبة يطمرها الانسان، توصِدُ دونه باب الهبات العتيدة ، وسرعان ما تضمحل هي بعينها فتزول .

ومن ليس له فالذي عنده يؤخذ منه ٢٧ أما أعدائي أولئك الذين لم يريدوا أن أملك عليهم فأتوا بهم الى هنا واذبحوهم قدامي

هذا مبدأ ثابت يسري في دائرة الطبيعة . ان من يوقف عضلات جسمه عن الحركة ، يأتي عليه وقت تتجمد فيه هذه العضلات ، ومن يغمض عينيه مدة طويلة ، سوف تضعف أعصابها ، فلا تقوى على مواجهة النور .

كما في دائرة الطبيعة ، كذلك في دائرة النعمة .

القول : « من ليس له ، فالذي عنده يؤخذ منه » يفسّره قول المسيح في (لوقا ٨: ١٨) «من ليس له فالذي يظنه له يؤخذ منه» .

(عدد ٢٧): ختم المسيح هذا المثل بكلمة فاه بها الانسان الشريف الجنس: « أما أعدائي أولئك الذين لم يريدوا أن أملك عليهم ، فائتوا بهم الى هنا واذبحوهم قدّامي » . اذا كانت الأعداد (١٥ — ٢٦) ترينا محاسبة المسيح للكنيسة ، فان (عدد ٢٧) يرينا دينونة المسيح لليهود « الذين لم يريدوه ملكاً عليهم » . ان اصدق شاهد لهذا القول هو (ا) خراب أورشليم ، (ب) والمعاملة السيئة التي عومل بها اليهود في كل العالم منذ صرخوا قائلين « دمه علينا وعلى أولادنا » !!! على ان هذا القول لا يعني اليهود وحدهم ، بل يشمل كل من كان على شاكلتهم !

يستمد هذا العدد تعبيره مما فعله ارخلاوس، باعدائه، إذ يقول يوسيفوس انه ذبح كثيرين منهم أمام عينيه . (لاحظ ١ كورنثوس ١٥: ٢٥) .

٢٨ ولما قال هذا تقدم صاعداً الى أورشليم

دخول المسيح الظافر الى اورشليم (لوقا ١٩:٢٨—٤٤)

يتضمن هذا الفصل (١) الاستعداد لدخول المسيح (١٩:٢٨—٣٦). (٢) فرح التلاميذ والجماهير (١٩:٣٧ و٣٨). (٣) غيظ الفريسيين (١٩: ٣٩ و٤٠). (٤) مراثي يسوع (١٩:٤١—٤٤).

(ا) الاستعداد لدخول المسيح الظافر الى اورشليم: (١٩:٢٨—٣٦) هذا هو يوم أحد السعف: «ولما قال هذا تقدّم صاعداً الى أورشليم» إنَّ ما قاله المسيح، في الأصحاح السابق، عن «أولئك الذين لم يريدوه ملكاً عليهم» لم يثنِ عزمه عن الذهاب الى أورشليم «قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين اليها»، «بل تقدم صاعداً» اليها،والصعود هنا جغرافي لأن أورشليم مبنية على جبل. هذا دليل على العزيمة الثابتة التي لا تتراجع مهما قامت في وجهها العقبات. وفي هذا برهان على ان المسيح اراد ان يُقدم لأهل أورشليم فرصة أخرى وأخيرة، ليروا فيها «ملكهم الوديع»، وقد تمت فيه نبوات زكريا نبيهم القديم (زكريا ٩:٩)، فيرجعوا إلى الله، في الساعة الحادية عشرة، بمعرفتهم المسيح من هو وما هو.

كان تصرف المسيح هذا، عجيباً في أعين التلاميذ،فانقلب تعجبهم حيرة، وتطوّرت حيرتهم خوفاً: «وكانوا في الطريق صاعدين إلى أورشليم ويتقدمهم يسوع. وكانوا يتحيرون. وفيما هم يتبعون كانوا يخافون». (مرقس ١٠:٣٢)

كان المسيح عليماً بالنبوّات القديمة المتعلقة به، لذلك كان حريصاً على

٢٩ واذ قرب من بيت فاجي و بيت عنيا عند الجبل الذي يُدعى جبل الزيتون أرسل اثنين من تلاميذه ٣٠ قائلاً . اذهبا الى القرية التي أمامكما وحين تدخلانها تجدان جحشاً مربوطاً لم يجلس عليه أحد من الناس قط . فحلاّه وأتيا به ٣١ وان سألكما أحد لماذا تحلانه فقولا له

ان يتممها كلها بغاية الدقة ، لكي يقدم فرصة لكلّ من له عين، ليرى بها هذا المجد الوضيع ! !

(عدد ٢٩): واذ قرب من « بيت فاجي » — هذه كلمة اراميّة معناها « بيت التين » وهي قرية صغيرة الى الجنوب الشرقي من جبل الزيتون وتتصل ببيت عنيا في الجهة الغربية — « و بيت عنيا » — هذه كلمة ارامية معناها « بيت البؤس أو النحس » وهي قرية الى الجنوب الشرقي من جبل الزيتون على بعد ميلين من مدينة أورشليم تقريباً . و تُدعى الآن «العازرية» نسبة للعازر الذي كان يقيم فيها. وهي قرية صغيرة مبنيّة على اكمة صخرية عسرة المسالك. و يزعم بعضهم ان قبر لعازر وخرابات بيته لا تزال موجودة بها الى الآن . اذ قرُب المسيح من هاتين القريتين، عند الجبل الذي يدعى جبل الزيتون ، ارسل اثنين من تلاميذه، ليحضرا له جحشاً مربوطاً، لم يجلس عليه احد من الناس قط. هذا دليل جديد على أنّ المسيح يعلم بالغيب علماً دقيقاً مُفصّلاً ، لا يقبل شكاً ولا تأويلاً . وفي هذا برهان آخر على المجد الوضيع الذي كان يحفّ بالمسيح : « الرب » — هذه كلمة تحمل معها كل مجد اللاهوت .

هكذا ان الرب محتاج اليه ٣٢ فمضى المرسلان ووجدا كما قال لهما
٣٣ وفيما هما يحلان الجحش قال لهما أصحابه لماذا تحلان الجحش
٣٤ فقالا الرب محتاج اليه ٣٥ وأتيا به الى يسوع وطرحا ثيابهما على
الجحش وأركبا يسوع ٣٦ وفيما هو سائر فرشوا ثيابهم في الطريق

«محتاج اليه» : هاتان كلمتان تحملان معهما كل وضاعة الناسوت. لأننا نرى منهما،ان المسيح لم يملك الدابة التي ركبها يوم مهرجانه،انه ملك البر والبحر. ملك الملوك يطلب في يوم ظفره ان يمتطي أتاناً مستعاراً ! هذه صورة تمثيلية لوداعته التي يمازجها السلام .

كان المسيح حريصاً على ان يمتطي جحشاً « لم يجلس عليه أحد من الناس قط » هذا دليل على ان الحادثة ملكية ، رمزية ، مقدسة . كانت وصية اقطاب اسرائيل عند ما أرادوا نقل تابوت الله ان يحملوا التابوت على « عجلة جديدة تجرها بقرتان لم يعلهما نير » (١ صموئيل ٦: ٧) .

ان في وضع التلميذين ثيابهما على الجحش، دليلا على الفقر الذي يمازجه الجلال . افتقر سيدنا لدرجة لم يملك فيها «سرجاً»، لكنه كان غنياً بالقلوب التي كرست له فقدمت له ثياب الانسان،لا «سرج» الحيوان!! لم يكتف التلاميذ بطرح ثيابهم على الاتان ، بل فرشوا ثيابهم في الطريق . هذه بينة على التكريس الحقيقي ، إذا كان قد سبقه تكريس القلوب «مزقوا قلوبكم لا ثيابكم» .

٣٧ ولما قرب عند منحدر جبل الزيتون ابتدأ كل جمهور التلاميذ يفرحون
ويسبحون الله بصوت عظيم لأجل جميع القوات التي نظروا ٣٨ قائلين
مبارك الملك الآتي باسم الرب . سلام في السماء ومجد في الاعالي

(٢) فرح التلاميذ والجماهير (١٩: ٣٧و ٣٨) : منذ اللحظة التي جلس فيها المسيح على الأتان ، وقد أحاطت به الجماهير والتفت حوله موكباً . « فلمّا قرب عند منحدر جبل الزيتون » ، وبانت قباب المدينة للناظرين ، « ابتدأ جمهور التلاميذ يفرحون ويسبحون الله بصوت عظيم لأجل جميع القوات التي نظروا » — هـذه العبارة الأخيرة : « جميع القوّات التي نظروا » يفسرها لنا يوحنا في بشارته : « وكان الجمع الذي معه يشهد انه دعا لعازر من القبر وأقامه من الأموات . لهذا ايضاً لاقاه الجمع لانهم سمعوا انه كان قد صنع هـذه الآية » (يوحنا ١٢: ١٧و ١٨) . هنا التقت أصوات الهاتفين في موكبه ، بأصوات المستقبلين الخارجين من المدينة، الذين ألفوا موكباً ، حاملين سعف النخل في أيديهم ، فتمايلت سُعف النخل مردّدة صَدى هتاف الفرحين من البشر . فامتزجت عبادة البشر بتسبيحات الطبيعة !! « لأنكم بفرح تخرجون . . . كل شجر الحقل تصفق بالأيادي» .

ان الهتاف الذي رددته الجماهير مستَمدٌ من (مزمور ١١٨: ٢٥) ، وقد اعتاد اليهود ان يترنموا به في عيد الفصح وفي عيد المظالّ . هذا هتاف البركة : «مبارك» ، والسلام : «سلام في السماء» ، والمجد : « ومجد في الأعالي » — هذه خطوات متتابعة متصاعدة ، كالبذار ، والساق ، والثمار .

٣٩ وأما بعض الفريسيين من الجمع فقالوا له يا معلم انتهر تلاميذك
٤٠ فأجاب وقال لهم أقول لكم إنه ان سكت هؤلاء فالحجارة تصرخ
٤١ وفيما هو يقترب

(٣) غيظ الفريسيين «وأما بعض الفريسيين» (١٩ :٣٩و٤٠):—قلّما تخلو صورة منهم، فهم كالشعرة البيضاء في رأس الشاب، وكالمطر في الصيف. وكالورقة الذابلة الصفراء في قلب الربيع. طلب هؤلاء من المسيح قائلين: «يا معلم» —غريبٌ انهم لم يتزحزحوا عن عقيدتهم قيد شبر. فمن انهم رأوا فيه «الملك الوديع الظافر»، الذي تمّت فيه نبوات العهد القديم، لكنهم لم ينزلوا درجة واحدة عن سلّم كبريائهم، فلم يجودوا على ملكهم الا بهذا اللقب: «يا معلم» ! كان هتاف الجموع مزعجاً لضمائرهم، فطلبوا من «المعلم» ان ينتهر تلاميذه ليسكتوا، فتسكت عنهم ضمائرهم.

(عدد ٤٠): كان جواب المسيح على طلبهم هذا غاية في الحكمة، والصبر، والوداعة « اقول لكم ان سكت هؤلاء فالحجارة تصرخ ». إذاً كانت الحجارة أفضل من قلوب الفريسيين. فالحجارة جامدة، لكن قلوبهم جاحدة. وكم من المرات تشهد فيها أحجار أثريةٌ قديمة، لمجد المسيح وصدق رسالته، فيتمّ فيها هذا القول حساً ومعنى !!

هل في هذا القول إشارة ضمنيَّة إلى ما جاء في (حبقوق ٢ :١١) «لأن الحجر يصرخ من الحائط ؟؟» . .

(٤) مراثي يسوع (١٩ :٤١—٤٤) : قُضي على عالمنا هذا، ان تكون

نظر الى المدينة و بكى عليها

مسراته مشوبة بالكدر والغم، وان تكون وخزات أشواكه اقوى من عبير وروده ، وان يتغلغل شتاؤه في قلب ربيعه ، وان تكون اشعة شروقه ، مظللة بأهداب ليله . فلا غرابة اذ لُقب « بوادي الدموع » .

(عدد ٤١): «وفيما هو يقترب نظر إلى المدينة و بكى عليها». بلغ المسيح في طريقه مكاناً انكشفت له فيه أورشليم، وتجلّت أمام نظره قباب الهيكل التي سكبت عليها أشعة شمس الربيع ، محلولاً من ذوائب تبرها . وقد كنا نرجو ان مثل هذا المنظر يثير في نفس المسيح اعجاباً وفخراً بجلال المدينة وجمالها ، لكننا نراه -- بل نسمعه — «يبكي» . لأن الكلمة «بكى» — في الأصل — تعني انه رثى أورشليم بصوت مرتفع. عجيب ان يبكي المسيح في يوم مهرجانه، لكن ما هو اعجب من بكائه ، ان أورشليم لم تبكِ على نفسها ، لأنها ربطت عصابة على عينيها ، « فلم تعرف زمان افتقادها » .

لم نقرأ عن المسيح انه ضحك لكن الكتاب يفيدنا انه بكى ثلاث مرات: المرة الأولى عند قبر لعازر ، والمرة الثانية في هذه الحادثة، والمرة الثالثة في بستان جثسيماني . وفي كل هذه المرات الثلاث لم يسكب دمعة على نفسه بل كانت دموعه فدائية كفارية .

يُعتبر بكاء المسيح دليلا على ناسوته، وتعبيراً لجوهر لاهوته. بكى المسيحُ الانسانُ ، لأن المسيح الاله يعطف على البشر الساقطين . ان بكاءه لم يوقف قضاءه ، لأن عينه الغارقة في دموعها ، هي هي كلهيب من نار .

٤٢ قائلاً انك لو علمت أنت أيضاً حتى في يومك هذا ما هو
لسلامك . ولكن الآن قد أخفي عينيك ٤٣ فانه ستأتي أيام
ويحيط بك أعداؤك بمترسة ويحدقون بك ويحاصرونك من كل
جهة ٤٤ ويهدمونك وبنيك فيك ولا يتركون فيك حجراً على

بكى المسيح على أورشليم لأنها جهلت — او تجاهلت — آخر فرصة لها : «لو علمت أنت أيضاً حتى في يومك هذا» - اذاً كانت امام أورشليم أيام افتقاد، سابقة لهذا اليوم، وقد جهلتها. أليس من المؤلم ان أورشليم - «مدينة السلام» - «لم تعلم ما هو لسلامها ؟؟ ولكن الآن قد أخفي عنها» - بارادتها. بكى المسيح عليها ، لأنه رأى ببصره الذي يخترق حجب المستقبل ، ما هو مذخر لها في سجل القضاء : «فانه ستأتي أيام ويحيط بك اعداؤك بمترسة ويحدقون بك، ويحاصرونك من كل جهة ويهدمونك وبنيك فيك». ما ادق هذا الوصف! لأن كل هذه التفصيلات، تمّت بحذافيرها بعد مرور اربعين سنة على الوقت الذي فاه به المسيح بهذه الكلمات . لأن تيطس الروماني احاطها بمترسة وحاصر أهلها ، في وقت كانوا يعيّدون فيه عيد الفصح ، وكانت المدينة تضم وقتئذٍ نحو ثلاثة ملايين من سكانها. فمات كثيرون منهم جوعاً «لا يتركون فيك حجراً على حجر» — لا ينقض صدق الله العظيم. بعد ان نقض تيطس حجارتها، اكمل خرابها «بارخبا» . ويقول يوسيفوس ان معالم أورشليم قد اندثرت بعد خرابها، حتى ان أبناءها كانوا يتساءلون « هل هذه هي ؟؟!! » ان «الافتقاد» المذكور هنا هو «افتقاد» الرحمة لا افتقاد القضاء . (لوقا ١: ٦٨)

حجر لانكِ لم تعرفي زمان افتقادك ٤٥ ولما دخل الهيكل ابتدأ
يُخرج الذين كانوا يبيعون ويشترون فيه ٤٦ قائلاً لهم مكتوب ان بيتي

ان التي لم تعرف زمان افتقاد الرحمة، قد حلّت بها أزمنة افتقاد القضاء!!

هل رئى المسيحُ جهلَ الجماهير المتقلبة، التي هتفت له قائلة: «أوصنّا» وهي حاملة سعف النخل، لكنّها نادت بيلاطس قائلة «اصلبه اصلبه» قبل ان يجف سعف النخل من بين أيديها؟؟!!

ربُّ الهيكل يدخل هيكل الرب (لوقا ١٩:٤٥—٤٨)

أمامنا في هذا الفصل امران: (١) المسيح يطهّر الهيكل (١٩:٤٥و٤٦). (٢) المسيح يعلّم في الهيكل (١٩:٤٧ و ٤٨).

(١) المسيح يطهّر الهيكل (١٩:٤٥و٤٦): في هذا الفصل، تتجلّى أمامنا حقيقتان: (ا) الأولى: حقيقة تطهير الهيكل (١٩:٤٥): «ولما دخل الهيكل ابتدأ يُخرج الذين كانوا يبيعون ويشترون فيه» — هذه هي المرة الثانية التي طهّر فيها المسيحُ الهيكل، وكانت المرة الأولى عند بداية خدمته (يوحنا ٢:٢٥). فكان من المناسب ان خدمته المقدّسة تستهلّ وتختتم بتطهير الهيكل. هبط اليهود ورؤساء كهنتهم إلى هوّة سحيقة من الشر والفساد، فلم ينتفعوا بالمرة الأولى التي طهّر المسيحُ فيها الهيكل، فرأى من الضروري ان يطهّره مرة ثانية، ولما يمضِ على المرة الأولى سوى الوقت اليسير. (ب) الحقيقة الثانية: سلطان المسيح في تطهيره الهيكل (لوقا ١٩:٤٦): فقال لهم «مكتوب ان

بيت الصلوة . وأنتم جعلتموه مغارة لصوص ٤٧ وكان يعلم كل يوم في الهيكل وكان رؤساء الكهنة والكتبة مع وجوه الشعب يطلبون ان يهلكوه

بيتي بيت الصلاة وانتم جعلتموه مغارة لصوص » . هذه كلمات تبين انّ له حقاً ملكياً في تطهير الهيكل. في المرة الأولى قال: «بيت أبي» ، لكنه قال في هذه المرّة « بيتي » . كذلك كان توبيخه لهم في المرة الثانية ، أشد منه في المرة الأولى قبلاً قال لهم : «جعلتموه بيت تجارة» ، (اشعياء ٥٦: ٧) والآن يقول : « جعلتموه مغارة لصوص » (ارميا ٧: ١١) كانت خطيتهم في المرة الأولى نبتة صغيرة . والآن قد بلغت ، فأزهرت فأثمرت ، لذلك كان من الضروري ان يوبّخهم المسيح بصوت أشد .

ان دخول المسيح هيكل أورشليم ليطهّره، يرمز الى تجسد المسيح لكي يطهّر عبادة البشر ، وينقيها من كل شائبة ، إذ أرانا الآب من هو .

(٢) المسيح يعلّم في الهيكل : (١٩: ٤٧و ٤٨) . يقدم لنا هذا الفصل ثلاث صور : (١) الصورة الأولى، يرتسم فيها المسيح الوديع الشجاع وهو يعلم كل يوم في الهيكل غير مبال بحنق الرؤساء . « وكان يعلم كل يوم في الهيكل» . (ب)والصورة الثانية ترينا رؤساء الكهنة والكتبة وقد اجتمعت كلمتهم مع وجوه الشعب طالبين ان يهلكوا المسيح . «وكان رؤساء الكهنة والكتبة مع وجوه الشعب يطلبون ان يهلكوه» . انهم بطلبهم ان يهلكوا يسوع،قد قدموا أقوى حجة على صدق شهادة المسيح عليهم،انهم «لصوص

٤٨ ولم يجدوا ما يفعلون لان الشعب كله كان متعلقاً به يسمع منه

في مغارة»، وليسوا «كهنة في هيكل» . (ج) الصورة الثالثة تقدم لنا شكلاً محبّباً للشعب الطيب القلب : «لأن الشعب كان متعلقاً به يسمع منه» .

من المؤسف ان ذلك الشعب الطيّب القلب ، الذي قام سداً منيعاً في وجه الفريسيين ، فحال دون ما كانوا يقصدون ، قد أضحى في الغد سريع التقلب . يصرخ قائلاً ، «خذ هذا واطلق لنا باراباس» !! إنّ وعود المساء جميلة ، ولكن ما قيمتها اذا محتها ومحقتها شمس الصباح ؟!

«ولم يجدوا ما يفعلون ، لأن الشعب كله كان متعلقاً به» . لما أُوصدت دونهم كل الأبواب التي أرادوا ان يصلوا بها إلى الايقاع بالمسيح،رأوا أمامهم ثغرة مفتوحة في صفوف التلاميذ فبرز لهم منها «يهوذا الاسخريوطي» ، فابتهجوا به ، لانهم وجدوا فيه ضالتهم المنشودة !

الاصحاح العشرون

١ وفي أحد تلك الايام إذ كان يعلم الشعب في الهيكل ويبشر
وقف رؤساء الكهنة والكتبة مع الشيوخ ٢ وكلموه قائلين قل لنا

سؤال موجّه من أعضاء السنهدريم (لوقا ٢٠: ١—٨)

في الاصحاح السابق، تركنا أعضاء السنهدريم — «رؤساء الكهنة، والكتبة مع وجوه الشعب» — وهم يفكرون في اهلاك يسوع. والآن نراهم، وقد شرعوا في تنفيذ ما فكروا فيه بالأمس. فاذا كنا بالأمس قد رأينا المسيح في الهيكل مصلحاً، ومعلماً، فاننا نراه اليوم مبشراً ومناظراً، قويّ الحجة، ظافراً بأعضاء السنهدريم

هذا يوم فريد في حياة المسيح على الأرض، قلما نجد يوماً آخر مثله، حافلاً بالأسئلة، والأجوبة.

(ا) تمهيد: (عدد ١): يحدثنا العدد الأول، عن الثلاث الطبقات التي يتألف منها مجمع السنهدريم اليهودي: «رؤساء الكهنة» — حفظة الناموس، «والكتبة» — معلمو الناموس، «والشيوخ» — زعماء الشعب من العلمانيين، كل هذا يدلنا على ان سؤالهم للمسيح كان «استجواباً رسمياً»: اليس بغريب ان تجتمع كلمة هذه الطوائف المتباينة على المسيح ؟؟

(ب) سؤالهم (عدد ٢): يقع سؤالهم للمسيح في فقرتين: الفقرة الأولى، خاصة بطبيعة رسالة المسيح: أهي بشرية أم إلهية ؟ والفقرة الثانية تتعلق

بأي سلطان تفعل هذا . أو من هو الذي أعطاك هذا السلطان ٣ فأجاب
وقال لهم وأنا أيضاً أسألكم كلمة واحدة فقولوا لي ٤ معمودية يوحنا

« بالوسيط » الذي أخذ عنه المسيح هذه الرسالة وهذا السلطان . انهم يرمون بقولهم «تفعل هذا»، إلى ما قام به المسيح من تطهير للهيكل،وشفاء للمرضى، وتعليم للشعب في الهيكل ، سيما أولها .

كان كل واحد من رؤساء الكهنة حاصلاً على « دبلوم » يدلّ على الشخص الممتاز الذي أخذ عنه العلم،وتسلّم منه حق التعليم، وقد هال أولئك الرؤساء ، ان يروا هذا « المعلم الجليلي » يقتحم صفوفهم من غير استئذان ، ويوبخهم مواجهة من غير خوف ولا حذر . لذلك قصدوا أن « ينصبوا » من سؤالهم هذا ، فخاً ، ليوقعوا المسيح فيه عند إجابته عليه ، علهم يفوزون منه بكلمة يجرّونه بها إلى التهلكة» التي قد فكروا فيها .

(ج) جواب المسيح (٢٠: ٣و ٤):مراراً كان يجيب المسيح على السؤال، بسؤال آخر ، لا هروباً من الاجابة، بل لينير السبيل للسائل، ويرجع به إلى أمور كانت قد غابت عنه قبل السؤال . كذلك لم يقصد المسيح بسؤاله إياهم عن معمودية يوحنا المعمدان ، ان يحتال عليهم في الجواب ، ولا ان يعجّزهم، بل قصد ان يقدّم لهم سؤالاً يحمل معه خير جواب على سؤالهم،لشدة ما بين سؤاله وسؤالهم من ارتباط طبيعي . ألم يكن يوحنا المعمدان نبياً ؟؟ اذاً فلماذا لم يتقدموا اليه ويستجوبوه ويفحصوه عن السلطان الذي كان له ؟ ان سلطان يوحنا وسلطان المسيح هما قضيّتان مرتبطتان معاً تمام الارتباط . فالحكم في

من السماء كانت أم من الناس ٥ فتآمروا فيما بينهم قائلين إن قلنا من
السماء يقول فلماذا لم تؤمنوا به ٦ وإن قلنا من الناس فجميع الشعب
يرجموننا لأنهم واثقون بأن يوحنا نبي ٧ فأجابوا انهم لا يعلمون من أين

معمودية يوحنا ينبغي أن يسبق الحكم في سلطان المسيح ، لأن الحكم في القضية الثانية يُبنى على الحكم في الأولى . لان يوحنا جاء ليشهد للمسيح ، وقد سمعوا هم شهادته ، فاخترقت آذانهم ، لكنها—للأسف— لم تنفذ إلى قلوبهم المتحجرة .

كان سؤال المسيح أوضحَ من سؤالهم ، لان سؤالهم غامض : « بأي سلطان» ؟ لكن سؤال المسيح ، قد أوقفهم في مفترق طريقين : من « السماء » أم من « الناس » ؟ ؟

يُراد «بمعمودية» يوحنا، كل خدمة يوحنا، التي كانت المعمودية ختما لها

(د) حيرتهم وارتباكهم (٢٠: ٥—٧): يقع الشرير في الفخ الذي يخفيه بيده ، « ولا يحيق المكر السيء الا بأهله » أو ليس من المخجل ان أناساً كهؤلاء، تصدّروا زعامة الشعب، واتخذوا منه موقف القيادة.وحكموا في كل صغيرة وكبيرة ، ان يعجزوا في النهاية عن أن يُصدروا حكماً في أمر «معمودية» يوحنا؟ ، حقاً ان الضمير يصيّر المجرمين جبناء !!. لما تملكتهم الحيرة وسادهم الارتباك، التجأوا إلى سلاح الكذب والجبن . فاجابوا «انهم لا يعلمون من أين».ويا ليتهم كانوا جهالاً لا يعلمون ! بذلك كانت تهون مسئوليتهم: ولكن ويل لهم لانهم لا يجهلون، بل يتجاهلون !! كم كان جارحاً

٨ فقال لهم يسوع ولا أنا أقول لـكم بأي سلطان أفعل هذا
٩ وابتدأ يقول للشعب هذا المثل إنسان غرس كرماً وسلمه

لـكبرياء أولئك الذين كانوا يحملون «مفاتيح» العلم،ان يقولوا «لا نعلم» !!

(هـ) جواب المسيح النهائي (عدد ٨) : « ولا انا أقول لـكم بأي سلطان أفعل هذا»: ينطوي جواب المسيح هذا على (١) شجاعة فائقة: «لا أقول» . حاشاه ان يحاربهم بسلاح جبنهم، فيقول: «وأنا أيضاً لا أعلم» !! (٢) تحقير لهم : « ولا أنا اقول لـكم » . قال للمسيح هذا الـكلام ، وهو عالم مَن هو مجمع السنهدريم الذي يستجو به !!

لقد بُدِّلت الرواية واعضاء السنهدريم قضاة ، والمسيح متهم . وأُسدل الستار وهم في قفص الاتهام ، والمسيح على عرش القضاء !!

مَثل الـكرَّامين (لوقا ٢٠: ٩—١٩)

كان كلام المسيح الموجَّـه الى الفرّيسيين يزداد وضوحاً، وحِدَّةً، كلَّـما اقترب من الصليب ، لان زرع الفريسيين الرديء كان قد استوى و نَضج في ذلك الحين ، والزرع متى بلغ دور الحصاد ، لا بدَّ له من المنجل الحاد .

يلاحَظُ أيضاً،ان امثال المسيح التي نطق بها بعد دخوله أورشليم كانت الاشارة فيها الى نفسه ، اكثر صراحةً منها في الأمثال السابقة لهذا الحادث التاريخي الجليل . هذه أوَّل مرة في بشارة لوقا نسمع المسيح مشيراً فيها إلى نفسه بجلاء ، انه « الابن الحبيب » . (لوقا ٢٠: ١٣) .

إلى كرامين وسافر زماناً طويلاً

يتضمن هذا المثل حقائق تاريخية كانت في ذمة الماضي، وحقائق نبوية مودعة في صدر المستقبل. إذا كانت الحقائق التاريخية تتناول ماضي اليهود، فان الحقائق النبوية تريق نوراً ساطعاً على خاتمة حياة المسيح على الأرض وعلى المصير السيء الذي ينتظر زعماء اليهود.

(١) العنصر التاريخي في المثل (٢٠: ٩ — ١٥) : (أ) الكرم وصاحبه، (ب) والكرامون (٢٠: ٩ — ١٢) : تتفق عبارات هذا المثل، مع البيئة التي كانت محيطة بالمسيح عند النطق به. كانت أورشليم وقتئذ محاطة بكروم كثيرة، فكان من الطبيعي ان يتخذ المسيح من الكروم. استعارة يبلغ بها رسالته لقوم لا يفهمون الا بالأمثال، كما اتخذ من حقول جنيسارت الخصيبة، استعارة الزرع والبذار، ليكلم بها سامعيه في ذلك الحين. ان في تمثل الكرم صدى لأنشودة اشعياء القديمة (اشعياء ٥: ١ — ٧).

«الانسان»، في هذا المثل يشار به إلى الله جلّ وعلا. و «الكرم» هو ملكوت الله على الأرض، «والكرامون» هم رؤساء اليهود، والكتبة، وشيوخ الشعب، كما يستفاد من (عدد ١٩). وسفر الكرام «زماناً طويلاً» يعتبر من مكملات المثل وقد يشار به الى الفترة الطويلة التي جاءت بعد اعلان الشريعة الالهية — تلك المدة «كانت فيها كلمة الله عزيزة». وقد يرمز سفر صاحب الكرم، إلى ترك الله الأمة اليهودية تعمل بارادة حرة مختارة، من غير تداخل من جانب الله.

١٠ وفي الوقت ارسل الى الكرامين عبداً لكي يعطوه من ثمر الكرم فجلده الكرامون وأرسلوه فارغاً ١١ فعاد وأرسل عبداً آخر. فجلدوا ذلك أيضاً وأهانوه وأرسلوه فارغاً ١٢ ثم عاد فأرسل ثالثاً. فجرحوا هذا أيضاً وأخرجوه

(عدد ١٠): يراد «بالوقت»، الزمن الكافي لاتيان الكرم بثمر، وهذا يحل عادة عند «جني» الكروم. «والثلاثة العبيد» الذين ارسلهم صاحب الكرم، الواحد بعد الآخر، يمثلون السلسلة الكاملة المكونة لأنبياء العهد القديم — لأن الثلاثة عدد كامل عند اليهود. جرت العادة قديماً، ان المستأجر أرضاً، يدفع إيجارها عيناً من ثمرها، لا نقداً مالياً، فكان على المستأجر كرماً، أن يسدد إيجاره عنباً من ثمر الكرم. هذا يفسر القول: «لكي يعطوه من ثمر الأرض». كانت معاملة الكرامين لعبيد صاحب الكرم، غاية في الشدة والصرامة، وزادوا على ذلك، بان أوقعوا على كل عبد قصاصاً أشد صرامة من نصيب العبد الذي سبقه. فالعبد الأول، اكتفوا بان «جلدوه وارسلوه فارغاً»، لكنهم اضافوا الاهانة الى نصيب العبد الثاني: «فاهانوه وارسلوه فارغاً». فاذا كان الجلد جارحاً للجلد، فإن الاهانة، أشد منه إيلاماً، لأن «الجلد» واقع على الجسد، لكن «الاهانة» منصبّة على النفس وآلام النفس أمرّ وقعاً من آلام الجسد. أما العبد الثالث، «فجرّحوه وأخرجوه»، بذلك قد جعلوا آلام جسده، وآلام نفسه، اكثر من نصيب سابقيه. لأن التجريح أشد قسوة من الجلد، كما ان كلمة «أخرجوه» تفيد أنهم أضافوا الى اهانتهم له، شيئاً غير

١٣ فقال صاحب الكرم ماذا أفعل . أرسل ابني الحبيب . لعلهم

قليل من الخشونة ، والشدة ، والجفاء . كل هذا دليل على ان الانسان الذي لا ينتفع بالوسائط الروحية،لا بدّ ان يتقسى قلبه اكثر مما كان قبل استخدام هذه الوسائط معه. اذا كانت نار النعمة لا تذيب قلوبنا ، فلا بد انها تزيدها قسوة وتحجراً . ان ارسال رسول بعد رسول الى النفس المرذولة،لا يولد فيها الحب لله ، بل يزيدها بغضاً له ، وعناداً . لا شيء يوازي مرارة القلب الذي استُنير مرة ، فاغلقَ أحشاءه ضد النور .

يقول جودي : ان سلسلة الأنبياء الكاملة تتكون من ثلاث حلقات رئيسية : اشعياء ومن يليه من الأنبياء الصغار — لا الأصاغر ، وارميا ومن جاء بعده من أنبياء ، ويوحنا المعمدان .

(ب) ابن الكرّام (٢٠: ١٣—١٦) : «فقال صاحب الكرم ماذا افعل ارسل ابني الحبيب لعلهم اذا رأوه يهابونه». المسيح هو «ابن الله الحبيب ». وهنا لا يفوتنا ان نذكر الدرجة الممتازة التي وُضع فيها المسيح بالنسبة لبقية الأنبياء . غيره قيل فيه: «عبده» ، أما هو فقد قيل فيه «ابن الله الحبيب» — هذا تدعمه فاتحة الرسالة الى العبرانيين : « الله بعد ما كلم الآباء بالانبياء قديماً ، بأنواع وطرق كثيرة، كلمنا في هذه الأيام الأخيرة في ابنه، الذي جعله وارثاً لكل شيء الذي به أيضاً عمل العالمين . . . . وهو بهاء مجده ورسم جوهره ، وحامل كل الأشياء بكلمة قدرته» (عبرانيين ١: ١—٣). هذه شهادة السماء عند المعمودية، وعلى جبل التجلي : «هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت له اسمعوا» .

إذا رأوه يهابونه ١٤ فلما رآه الكرامون تآمروا فيما بينهم قائلين
هذا هو الوارث هلموا نقتله

ما أعظم الشجاعة التي أملت على المسيح ان يفوه بهـذا المثل ، أمام أولئك ، الذين كانوا يطلبون ان يمسكوه بكلمة (عدد ٢٠) ؟؟ ألسنا نستنتج من ثنايا الـكلمات : « فقال صاحب الـكرم ماذا أفعل » ، ان الله ممتلىء حناناً نحو البشر ، وانه لا يسر باهلاكهم ، بل دائماً يفكر في « ماذا يفعل لهم » من الخير والمعروف ؟؟

« أرسل ابني الحبيب » : هذه الـكلمات الثلاث ، تتضمن جواباً ضمنياً ، قدمه المسيح على سؤال الفريسيين : «بأي سلطان تفعل هذا أو من هو الذي أعطاك هذا السلطان» ؟؟ (لوقا ٢٠: ٣) .

ان الكلمة «لعلهم» في عدد ١٣ ، لا تفيد ان الله كان غير عالم بنيَّاتهم، لـكنها ترينا مدى الحرية التي وهبها الله للبشر ، وأنهم بهذه الحرية يستطيعون أن يرفضوا مشورة الله من جهة أنفسهم،ان ارادوا (لوقا ٧: ٣٠).

(ج) معاملة الكرَّامين للابن (٢٠: ١٤—١٦): تقدِّم لنا هذه الأعداد ، وصفاً رُباعياً لأولئك الـكرامين ، فترينا إياهم (١) متآمرين : « تآمروا فيما بينهم» تصلح الخمسة الأصحاحات الأخيرة من بشارة لوقا،مع غرَّة سفر الأعمال، لأن تكون خير موعظة على هذه الكلمة «تآمروا» . (٢) مستنيرين : «هذا هو الوارث» اذاً لم يجهلوا رسالة المسـيح ، لـكنهم كانوا متجاهلين إياه . نعم كانوا مستنيرين — ولـكن بنور من أسفل . (٣) مغتصبين: «هلموا نقتله

لكي يصير لنا الميراث ١٥ فأخرجوه خارج الكرم وقتلوه فماذا يفعل
بهم صاحب الكرم ١٦ يأتي ويهلك هؤلاء الكرامين ويعطي الكرم
لآخرين

لكي يصير لنا الميراث» . هذا يفسره قولهم في (يوحنا ١١:٤٨) «موضعنا» ، « وأمتنا » . (٤) مجرمين : « فاخرجوه خارج الكرم وقتلوه » . ألم يتم هذا في المسيح الذي صلبوه خارج أورشليم ، فقال فيه كاتب الرسالة الى العبرانيين : « تألم خارج الباب » (عبرانيين ١٣:١٣) ؟؟!

قبل ان يذكر المسيح نوع القصاص الذي حلّ بهم سأل هذا السؤال: « فماذا يفعل بهم صاحب الكرم » .

(٢) العنصر النبوي في هذا المثل (٢٠:١٦—١٩) : ينتقل المسيح في (عدد ١٦) من العنصر التاريخي،الى العنصر النبوي.أجاب المسيح على سؤاله في (عدد ١٥) ، بجواب واضح ، جارح ، « يأتي ويهلك هؤلاء الكرامين ويعطي الكرم لآخرين» هذا انذار جديد. بل حكم ابتدائي،اصدره المسيح على النظام اليهودي بالزّوال . هذا حكم مزدوج يحوي : (ا) قطعاً:«يهلك» . (ب) تجريداً « يُعطي الكرم لآخرين» : اذا كان «الكرّامون الأولون» هم اليهود بوجه عام ، فان الأمم هم « الكرّامون الآخرون » . واذا كان « الكرّامون الأولون » ، هم رؤساء اليهود ، فان رسل المسيح وتلاميذه هم «الكرامون الآخرون». لقد نفذ فيهم هذا الحكم على ايدي بولس و برنابا، اللّذين جاهرا لهم قائلين : « كان يجب ان تُكلموا انتم اولاً بكلمة الله .

فلما سمعوا قالوا حاشا ١٧ فنظر اليهم وقال اذاً ما هو هذا المكتوب الحجر الذي رفضه البناؤون

ولكن اذ دفعتموها عنكم وحكمتم انكم غير مستحقين للحياة الابدية، هوذا نتوجه الى الامم» (اعمال ٣: ٤٦).

كانت كلمة المسيح كسهامٍ مسنونة نفذت الى اعماق نفوسهم، ففزعوا منها صارخين: «حاشا». هذه هي المرة الوحيدة التي وردت فيها هذه الكلمة في البشائر، وقد وردت ١٠ مرات في رسالة رومية، وهي عكس كلمة: «آمين».

شفع المسيح كلماته «القاطعة»، بنظرةٍ حادة، اخترق بها حجب قلوبهم. ومن يستطيع ان يصف لنا نظرة المسيح هذه؟ أهي نظرة مشفوعة بغضب وحزنٍ على غلاظة قلوبهم، أم هي نظرة مصحوبة باباء وشمم، ليوبخهم على جبنهم وريائهم، أم هي نظرة فاحصة قصد ان يسترجعهم بها الى نفوسهم الشريفة، أم هي نظرة القاضي الذي من وجهه سوف تهرب الأرض والسماء، في يوم الدين؟ أم هي كل هذه معاً؟؟؟

وراء حصنٍ منيع من الاسئلة، تحصَّنَ أولئك القوم في ذلك اليوم. و بسلاح الاسئلة، قد دكَّ المسيح حصونهم الموهومة، فبلغ بواطن قلوبهم. واليك أحد هذه الأسئلة: «اذاً ما هو هذا المكتوب: الحجر الذي رفضه البناؤون هو قد صار رأس الزاوية؟ كل من سقط على ذلك الحجر يترضض، ومن سقط هو عليه يسحقه». يرسم لنا هذا القول، صورة مثلثة لخدمة المسيح: (١) في نظر رؤساء اليهود: «الحجر الذي رفضه البناؤون». (٢) في نظر الله:

هو قد صار رأس الزاوية ١٨ كل من يسقط على ذلك الحجر يترضض. ومن سقط هو عليه يسحقه

«هو قد صار رأس الزاوية». هذه الجملة مقتبسة من (مزمور ١١٨ : ٢٢) وهي تنطبق «مبدئياً» على الأمة اليهودية بمقابلتها بالقوات العالمية، لكنها تنطبق فعلاً وحقيقة على المسيح. يؤيد هذا ما قاله بولس الرسول في (افسس ٢ : ٢٠) وما نادى به بطرس الرسول مرتين (اعمال ٤ : ١١ و ١ بطرس ٢ : ٧). لان المسيح هو الشخصية الوحيدة التي تحققت فيها غاية الله من اسرائيل في حمل اسمه ورسالته الى العالم. ان «حجر الزاوية» هو الذي يوضع عند ملتقى جدارين مهمين في بناء فخم. (٣) تأثير المسيح على العالم: «كل من يسقط على ذلك الحجر يترضض، ومن سقط هو عليه يسحقه» هذا اقتباس له مقطعان: احدهما مستمد من (اشعياء ٨ : ١٤ و ١٥)، والثاني مأخوذ من (دانيال ٢ : ٤٤) في اشعياء يتمثل لنا المسيح حجراً مختاراً مقدساً، يصطدم به كثيرون من بني اسرائيل، كما قال عنه سمعان «وضع لسقوط وقيام كثيرين في اسرائيل» (لوقا ٢ : ٣٤) — هذا الجانب يصور لنا المسيح في حال اتضاعه، فيتعثر الانسان به ويصطدم، وهو على الأرض: «طوبى لمن لا يعثر فيّ». والجانب الثاني، يصور لنا «حجر الزاوية» موضوعاً في أعلى البناء، ممسكاً باحدى زواياه ومتوجاً لها. هذا وصف للمسيح في حال ارتفاعه: «ومن سقط هو عليه يسحقه». اذاً من الخطر الكبير ان يعرض الانسان نفسه للاصطدام بالمسيح في اتضاعه كما فعل اليهود. ان قصاص هذا هو «الترضض». ولكن ما هو

١٩ فطلب رؤساء الكهنة والكتبة ان يلقوا الايادي عليه في تلك الساعة ولكنهم خافوا الشعب لانهم عرفوا أنه قال هذا المثل عليهم

اخطر من ذلك،ان يقاوم الانسان المسيح المجّد فيجعل نفسه ضحية مجيء المسيح في مجده بقوة. ان قصاص هذا، هو « السحق » . والسحق أقسى من الترضض .

(عدد ١٩): كان لكلمات المسيح هذه هزة عنيفة في قلوب سامعيه،فاوقعوا انفسهم في ارتباك عظيم ، وظلوا في صراع عنيف بين « طلبهم ان يلقوا عليه الايادي» و بين « خوفهم من الشعب » . ومن المؤسف ان نياتهم الخبيثة غلبت على كل شيء فلعبوا بعقول الشعب ، لعب الاطفال بالأكر .

بهذه الاقوال كشف لهم المسيح حقيقة نفوسهم الخبيثة التي كانت منطوية على : (١) ادعاآت باطلة . (٢) نيات سافلة . (٣) طبائع مجرمة قاتلة .

سؤال مُوجّه من الفريسيين — الله أم قيصر ؟؟ (لوقا ٢٠:٢٠—٢٦)

وقعت هذه المباحثة في يوم الثلاثاء من اسبوع الآلام ، وقد عُرف فيما بعد «بيوم التجربة» . وهو آخر الأيام في خدمة المسيح الجهارية .

طاش سهم أعضاء السنهدريم، وفسدت مكيدتهم التي دبروها ليوقعوا المسيح فيها ، وانتهت بوقوعهم في الفخ الذي أخفوه ، وتورطوا في حيرة ، ما كان أغناهم عنها . وقد كنا نرجو أنهم بعد ذلك يسكتون الى الابد. لكن القلب الخبيث لا يتعلم .

٢٠ فراقبوه وأرسلوا جواسيس يتراءون أنهم أبرار لكي يمسكوه بكلمة حتى يسلموه إلى حكم الوالي وسلطانه ٢١ فسألوه قائلين يا معلم نعلم أنك بالاستقامة تتكلم

(ا) مكيدتهم (عدد ٢٠) : استمد أولئك القوم من هزيمتهم السابقة، عزيمة جديدة، ليهاجموا المسيح، لكنهم لم يجدوا الى ذلك سبيلاً، لان «كل الشعب كان متعلقاً به». لذلك، كما يحدثنا متى (متى ٢٢: ١٥و ١٦) «ذهب الفريسيون وتشاوروا لكي يصطادوه بكلمة. فارسلوا اليه تلاميذهم مع الهيرودسيين» ... «حتى يسلموه الى حكم الوالي — بيلاطس — «وسلطانه». غريب ان يتفق الفريسيون — رجال الدين وانصار النظام اليهودي، مع الهيرودسيين، رجال السياسة، المنتصرين للحكم الروماني. هذا مثال لما يحدث احياناً في التاريخ. فقد تجد حزبين متعارضين، يتحدان حيناً، لمقاومة حزب ثالث، لانهم يرون فيه عدواً مشتركاً. بقي الفريسيون في «مركز القيادة» وارسلوا تلاميذهم الى «الميدان»، ليكونوا عليهم رقباء من وراء الستار. هذا جبن ممتزج بخبث، معجون برياء. لذلك قال فيهم لوقا «فراقبوه وارسلوا جواسيس يتراءون انهم أبرار لكي يمسكوه بكلمة» (عدد ٢٠).

(ب) تملقهم (عدد ٢١): اتحد تلاميذ الفريسيين، مع الهيرودسيين وتقدموا الى المسيح بتأدب كاذب — والأدب الكاذب، شر من الفجور الواضح — فسألوه قائلين «يا معلم. نعلم انك بالاستقامة تتكلم» — أي تحسن الاجابة على الاسئلة، «وتعلم» — اي تعطي الرأي الفصل النافذ المفعول، «ولا تقبل

وتعلّم ولا تقبل الوجوه بل بالحق تعلّم طريق الله ٢٢ أيجوز لنا أن
نعطي جزية لقيصر أم لا

الوجوه » — هذا تعبير عبري يُراد به عدم المحاباة . بذلك شهد أولئك «الجواسيس» لقدرة المسيح واستقامته ، التكلّم والتعليم ، واعترفوا بنزاهته في عدم المحاباة . فكانوا في هذه اللحظة،أفضل من انفسهم وهم لا يقصدون. لعلهم قصدوا «بطريق الله»،شريعة الله،المجردة عن أقوال البشر ومقتضيات السياسة والكياسة .

(ج) سؤالهم (عدد ٢٢):تقدم هذان الحزبان الى المسيح وسألاه قائلين : « أيجوز لنا ان نعطي جزية لقيصر ام لا » ؟؟ عجيب امر أولئك القوم ! ! يتقدمون الى المسيح ليسألوه عن الجائز وغير الجائز ، كأنهم ابتعدوا عن الحرام — بما فيه من قتل وخبث واجرام — فاصبحت ضمائرهم بهذا المقدار حتى بدأوا يبحثون عن الجائز وغير الجائز ! !

ان سؤالهم هذا ، يعيّن لنا دقة الموقف الذي صار فيه المسيح وقتئذٍ.فاذا قدم لهم جواباً في صالح الفريسيين،أخذه الهيرودسيّون عليه سلاحاً،وتقدموا به الى بيلاطس ، قائلين « هذا يقاوم قيصر » . واذا اعطى جواباً في جانب الهيرودسيين ، اتخذه تلاميذ الفريسيين حجة عليه ، وقالوا للشعب : « هذا خائن ممالئ للدولة المحتلّة».اذا اجاب بالجواب الاول وقال:«لا تعطوا جزيةً لقيصر» ، اتهمه الهيرودسيّون في ولائه لقيصر، وان اجاب بالجواب الثاني: « اعطوا الجزية لقيصر» ، اتهمه الفريسيون في وفائه لوطنه .

٢٣ فشعر بمكرهم وقال لهم لماذا تجربونني ٢٤ أروني ديناراً . لمن
الصورة والكتابة . فأجابوا وقالوا لقيصر ٢٥ فقال لهم أعطوا إذاً

(د) جواب المسيح (٢٠: ٢٣—٢٥) : شعر المسيح بمكرهم ، وقال «لماذا تجربونني» . بهذه الكلمة الأخيرة ؟ قد حكم المسيح عليهم بأنهم من أنصار ابليس المجرب. ولكي يوقعهم الفادي تحت مسؤولية الجواب ، (١) طلب منهم طلباً:«أروني ديناراً» ، (٢) وسألهم سؤالاً : «لمن الصورة والكتابة»؟ (٣) ثمّ قدم لهم الجواب:«فقال لهم اعطوا اذاً ما لقيصر لقيصر وما لله لله» . كانت العملة السائدة وقتئذ على نوعين : عملة يهودية:وهذه لم تطبع عليها اية صورة.وعملة رومانية،ومنها الدينار،الذي كانت مطبوعة عليه صورة طيباريوس قيصر. ومع ان الرومان لم يشدّدوا في وضع صورة قيصرهم على العملة المتداولة في فلسطين ،تسامحاً منهم،لكن فيلبس هيرودس اليهودي، اراد ان يتملّق قيصر، فطبع صورة طيباريوس على العملة المتداولة في فلسطين. (الدينار قطعة فضية قيمتها نحو ٣ قروش مصرية). كأن المسيح اراد ان يقول لهم : «يا من قبلتم ان تتعاملوا بالعملة الرومانية،وتطوعتم فطبعتم صورة قيصر الرومان عليها بمعرفة واليكم، اعترفوا اذاً بما قبلتموه على انفسكم،«اعطوا ما لقيصر لقيصر». ويا من خلقكم الله على صورته ومثاله،«اعطوا ما لله لله».وضع بولس الرسول هذه الحكمة في قالب آخر اذ قال:«لتخضع كل نفس للسلاطين الفائقة لانه ليس سلطان الا من الله» . (رومية ١٣: ١).

ليس قيصر نداً لله،لكنه خادم متفّذ لمقاصد الله. صورة قيصر مطبوعة

ما لقيصر لقيصر وما لله لله ٢٦ فلم يقدروا أن يمسكوه بكلمة قدام الشعب وتعجبوا من جوابه وسكتوا ٢٧ وحضر قوم من الصدوقيين

على العُملة الزائلة ، فليأخذ حقه الزائل منها ، لكن صورة الله مطبوعة على القلب ، فليكن القلب كله لله . اذا قال قيصر : «اعطني ديناري» ، فان الله يقول «يا ابني اعطني قلبك» .

الخاتمة (عدد ٢٦): انتهت هذه الحادثة بهزيمة خصوم المسيح. ويُقدّم لنا لوقا وصفاً مثلثاً لهذه الهزيمة : (١) عجزهم : «لم يقدروا ان يمسكوه بكلمة» . (٢) تعجّبهم : «وتعجبوا من جوابه» — يا ليتهم تعجبوا ، فاعجبوا ، فآمنوا ، فتجدّدوا ! (٣) صمتهم: «وسكتوا» — ولكن، كرئيسهم، الى حين(لوقا٤: ١٣)

سُؤال موجّه من الصدّوقيين (لوقا ٢٠: ٢٧—٤٠)

كل شيء في الوجود يتوقف على استعداد الانسان، ودرجة عقليته، وحالة نفسيته . فالانسان الصغير العقل ، والضيّق القلب ، يتخذ من الموضوعات الكبرى ، اسباباً للجدل العقيم السخيف . كذلك كان هؤلاء الصدوقيون الذين اتخذوا من موضوع الخلود ، اسباباً للمُباحكات الباطلة السقيمة .

الصدوقيون هم قَومٌ من الكهنة، «أرستقراطيّون»، مادّيون، مترفعون عن الناس ، ينكرون قيامة الأجساد . وخلود النفس . والحساب بعد الموت . يختلفون عن الفريسيين في أنهم يرفضون التقاليد ، ويتمسكون بحرفية العهد القديم ، سيما اسفار موسى المعروفة بالتوراة. لكنهم كانوا على الرغم من ذلك، أعضاء في مجمع السنهدريم .

الذين يقاومون أمر القيامة وسألوه ٢٨ قائلين يا معلم كتب لنا موسى
إن مات لاحد أخ وله امرأة ومات بغير ولد يأخذ أخوه المرأة
ويقيم نسلاً لأخيه ٢٩ فكان سبعة إخوة وأخذ الاول امرأة ومات
بغير ولد ٣٠ فاخذ الثاني المرأة ومات بغير ولد ٣١ ثم أخذها الثالث
وهكذا السبعة . ولم يتركوا ولداً وماتوا ٣٢ وآخر الكل ماتت المرأة
ايضاً ٣٣ ففي القيامة لمن منهم تكون زوجة . لانها كانت زوجة
للسبعة ٣٤ فأجاب وقال لهم يسوع

غابت عن عيونهم الاشارات الواردة في توراة موسى عن القيامة والخلود ، وأُخفي عنهم ما جاء عنهما في نبوّات الانبياء ومزامير داود — فلم يروا في كل العهد القديم ، اشارة واضحة خاصّة بالقيامة ، الا في نبوات دانيال . لذلك جعلوا هذه المسألة ، موضوعاً للجدل والمناقشة .

(ب) سؤالهم (٢٠: ٢٨—٣٣) : اتخذ الصدّوقيون من تصريح الناموس في تثنية ٢٥: ٥—١٠ ، نواة ابتدعوا منها شجرة كبيرة خياليّة . لأن الحادثة التي يذكرونها هنا ، تُعَدّ أقرب الى الأحاجي الخيالية ، منها الى الحوادث الحقيقية . لقد صنعوا لهذه الحادثة أذناباً وأطالوها ، لكي يُلقوا على عقيدة القيامة ، ثوباً عارياً من السخف ، والسخرية .

(ج) جواب المسيح (٢٠: ٣٤—٤٠) : أجاب المسيح عليهم بكلمتين : (١) بالكلمة الأولى (٢٠: ٣٤—٣٦)،وصفَ طبيعة الحياة بعد الموت، بمقابلتها

أبناء هذا الدهر يُزَوِّجون ويُزَوَّجون ٣٥ ولكن الذين حُسبوا اهلاً للحصول على ذلك الدهر والقيامة من الاموات لا يزوِّجون

بالحياة الحاضرة . (٢) وبالكلمة الثانية (٢٠:٣٧—٣٩) ، أقام الحجَّة من توراة موسى على صدق الاعتقاد بالقيامة والخلود .

(١) الكلمة الأولى : (٢٠:٣٤—٣٦) : كنا نرجو ان يجود عليهم المسيح باعلان مُسهب ، مفصل ، لأننا نتوق الى الاستزادة من العلم بما وراء القبر ، سيَّما لأن الاعلانات الكتابية ، في هذا الباب، محدودة قصيرة. لكن يظهر ان المسيح رأى ان أمور السماء لا تحيطها لغة البشر، وان حديث الخلود لا تفهمه العقول الذاهبة . وكم من اعلانات حجزها المسيح بين طيّات صدره ، لأن السامعين لم تكن لهم قدرة على احتمالها (يوحنا ١٦:١٢) ! !

الحياة في هذا الدهر ، مادية ، حيوانيّة ، كذلك ابناؤها : «يزوِّجون ، ويُزَوَّجون» ، لكن الحياة في ذلك الدهر ، هي حياة روحية سماويّة ، كذلك ابناؤها : « لا يزوِّجون ولا يُزَوَّجون » ، وهم فيها خالدون : «لا يستطيعون ان يموتوا» . الكلمتان « هذا الدهر » ، « وذلك الدهر » ، هما صيغتان عبريّتان يُراد بأولاهما العصر السابق لمجيء المسيح الثاني، ويُقصد بالثانية، العصر اللاحق لمجيء المسيح الثاني. ويستنتج «جُودي» من القول : « الذين حُسبوا أهلاً للحصول على ذلك الدهر والقيامة » ان المسيح يقصد قيامة خاصة لطبقة خاصة ، أي قيامة الأبرار وحدهم ، عند مجيئه الثاني ، قبل قيامة الأشرار . ولكن بما ان الصدوقيين لم «يقاوموا» قيامة خاصة، بل كانوا

ولا يزوَّجون ٣٦ إذ لا يستطيعون ان يموتوا ايضاً لأنهم مثل
الملائكة وهم ابناء الله إذ هم ابناء القيامة ٣٧ وأمّا أن الموتى يقومون
فقد دلّ عليه موسى أيضاً في امر العليقة كما يقول. الرب إله ابرهيم
وإله اسحق وإله يعقوب ٣٨ وليس

مقاومين للقيامة بوجه عام ، فربما كان اقرب الى الصواب ان نعتقد ان المسيح قصد القيامة العامة .

في (عدد ٣٦) : نجد وصفاً مثلثاً للمؤمنين : (ا) « مثل الملائكة » — هذا القول يصفهم في برارتهم: «لا يستطيعون ان يموتوا لانهم لا يستطيعون ان يخطئوا» إذ دخل الموت بالخطية ، (ب) « ابناء الله » — هـذه العبارة تصفهم في روحانيتهم،بخلاف جسدانيتهم الموصوفة في عدد ٣٤. (ج) «ابناء القيامة» — هذا تعبير عبري يصفهم في خلودهم. ومعناه : انهم ورثة القيامة، ولهم حق التمتع بها ، فهو بمثابة قولنا. «رجال القيامة» ، ومن قبيل القول : « ابناء الغضب » أي الواقعون تحت حكم الغضب، والوارثون له .

(٢) الكلمة الثانية (٢٠: ٣٧—٣٩):انتقل المسيح من التكلم في طبيعة الحياة بعد الموت ، الى اقامة الدّليل على حقيقة القيامة ، مستشهداً بموسى (خروج ٣: ٦)، رجل الصدوقيين الأوحد:«وامّا ان الموتى يقومون فقد دلّ عليه موسى ايضاً في أمر العلّيقة كما يقول الرب اله ابرهيم واله اسحق واله يعقوب» . ان الاعتقاد بقيامة الموتى، هو محكّ الاعتقاد بوجود الله و بقدرته. لان وجود الله الحي هو اكبر حجّة على قدرته على اقامة الموتى . اذ « ليس

هو إله أموات بل إله أحياء لأن الجميع عنده أحياء ٣٩ فأجاب قوم من الكتبة وقالوا يا معلم حسناً قلت

هو اله اموات بل اله أحياء . لان الجميع عنده احياء » فهو « اب الارواح » الذي منه خرجنا ، واليه المآب .

كان سؤال الصدوقيين يدور على كلمة واحدة : « القيامة » ، ويتركز جواب المسيح في كلمة واحدة : «الحياة» . ان الحياة هي حجة القيامة ، لأن الموت عارض زائل ، وستكون النصرة النهائية للحياة ، وما القيامة الا وسيلة لدوام الحياة ، و بقائها ، وانتصارها على الموت . لم يقل الله لموسى «أنا كنت اله ابرهيم » بل قال له : « انا اله ابرهيم » اذاً كان ابرهيم حياً عند الله ، في الوقت الذي قال فيه الله . انه الهه . « انا حي لذلك انتم ستحيون » . ليس الله اله الماضي فقط ، لكنه اله الحاضر أيضاً ، وامامه يُبتلع الماضي والمستقبل في الحاضر ، وفي حضرته تُصبح كلمة «الآن» سرمديّة .

تأثير جواب المسيح (٢٠ :٣٩و٤٠) : كان لجواب المسيح تأثير مزدوج: جانبه الأول (عدد ٣٩) : على قوم من الكتبة الذين كانوا يعتقدون بالقيامة ، فوجدوا في جواب المسيح اكبر انتصار على خصومهم الدينيين – الصدوقيين. «فاجاب قوم من الكتبة وقالوا يا معلم حسناً قلت» . هذه لُغة الاستحسان وقد فاه بها قومٌ من الكتبة الذين بقي في قلبهم بصيصٌ من نور الحق والعدالة وجانبه الثاني (عدد ٤٠) : على كل أعضاء مجمع السنهدريم الذين نصبوا انفسهم قبلاً لمناوأته . لكنهم الآن ، اذ افحُموا ، سكتوا . لأنهم علموا ان

٤٠ ولم يتجاسروا ايضاً أن يسألوه عن شيء ٤١ وقال لهم كيف يقولون
إن المسيح ابن داود ٤٢ وداود نفسه يقول في كتاب المزامير قال

كل هجوم منهم عليه، ينتهي بانكسارهم وتعزيز مقام المسيح: «ولم يتجاسروا أيضاً ان يسألوه عن شيء».

سؤال موجّه من المسيح (لوقا ٢٠ : ٤١—٤٣)

في كل الاسئلة التي مرّت بنا، كان أعضاء السهدريم مهاجين للمسيح، وكان هو متخذاً منهم جانب الدفاع. والآن، وقد أُفحموا وجبنوا عن ان «يسألوه عن شيء»، نراه قد اتخذ منهم موقف المهاجم. على انّه لم يكن مهاجماً اياهم حباً بالهجوم، بل كان مهاجماً إياهم حباً بارشادهم وتعليمهم. فلقد اعلن لهم في مَثل الكرّامين انه «ابن الله الحبيب»، والآن يريد أن يؤيّد هذه الحقيقة من أقوال داود نبيّهم الأعظم.

ان كلام المسيح في هذه الأعداد، غاية في الوضوح، لا يحتاجُ الى مزيد شرح أو تفسير. فكل من يُلقي نظرة دقيقة على المزمور الذي يشير اليه المسيح هنا — (مزمور ١١٠) — ولا يقتنع بلاهوت المسيح، لا بدّ ان يكون واحداً من اثنين: اما ان يكون جاهلاً، قد بسطت الغباوة غشاوة على عينيه. فلا يقدر أن يرى. أو ان يكون مكابراً قد طمس العنادُ قلبه، فلا يريدُ أن يرى. لأن الأوصاف المذكورة في هذا المزمور، لا تنطبق إلاّ على المسيح. فهو وحده رب داود، وهو الفرد المقام عن يمين الله، وهو الوحيد الخارج من صهيون ليتسلّط على أعدائه، وهو هو لا سواه، الذي جمع في شخصه،

الرب لربي اجلس عن يميني ٤٣ حتى أضع أعداءك موطئاً لقدميك
٤٤ فاذاً داود يدعوه رباً فكيف يكون ابنه

الكهنوت والملك معاً ، حالة كونه نبياً (مزمور ١١٠:٣و٤) . فلا يمكن ان يكون داود معنياً بهذا المزمور — كما ادعى بعض اليهود المتقدمين — لانّ داود كان نبياً وملكاً ، لكنه لم يكن كاهناً . ولا يمكن ان يتم هذا القول في الكاهن يوناثان أخي يهوذا ، أحد المكابيين — كما ادّعى بعض اليهود المتأخرين — لانّ يوناثان كان كاهنا ، لكنه لم يكن لا نبياً ولا ملكاً . ان الملك الوحيد الذي قصد ان يجمع بين الكهنوت والملك هو «عُزيّا» ، لكنه فعل هذا اغتصاباً ، فضربه الله بالبرص ومات . كذلك يكون نصيب كلّ من يقتحم الصفوف ليعتدي على مقام المسيح .

«قال الرب لربي» . الكلمة الأولى المترجمة «ربّ» . هي في الأصل «يهوه» . والكلمة الثانية : هي «أدوناي» . وهذه تقوم عند اليهود الآن ، مقام اسم الجلالة . والقول «اجلس عن يميني» قد جعله المسيح اساساً لجوابه على سؤال رئيس الكهنة في المحاكمة الأخيرة (متى ٢٦:٦٤) .

ان الاعتقاد بلاهوت المسيح تدعمه شهادة اشعياء ، اذ قال فيه انه «العجيب، المشير، الاله القدير ، الآب الابديّ ، رئيس السلام» (اشعياء ٩: ٦) ، وتؤيده شهادة ميخا النبي «ومخارجه منذ القديم منذ ايام الأزل» (ميخا ٥:٢) وتثبته شهادة ملاخي «ويأتي بغتة الى هيكله السيد» — «أدوناي» . هذه شهادة للمسيح على أنه هو رب الهيكل ايضاً . (ملاخي ٣:١) .

٤٥ وفيما كان جميع الشعب يسمعون قال لتلاميذه ٤٦ احذروا من الكتبة الذين يرغبون المشي بالطيالسة ويحبون التحيات في الاسواق

ان رياء الفريسيين وخبثهم، منعاهم عن الاجابة عن سؤال المسيح، الذي نخسهم في قلوبهم. والجواب الطبيعي هو «انه ابن داود بالجسد. وربّه بالروح»

المسيح يحذّر تلاميذه من الكتبة (لوقا ٢٠:٤٥—٤٧)

صارع المسيح أولئك الكتبة، فصرعهم في ساحة القتال التي تطوّعوا للدخول فيها، ثم امطرهم وابلاً من الويلات. ان الكلمات المركّزة في هذا الفصل، مذكورة بافاضة في الاصحاح الثالث والعشرين من بشارة متى. وقد اجتزأ لوقا بتسجيل هذه الكلمات القليلة، لانه كان يكتب للامم، فلم يجد داعياً للافاضة في معايب رؤساء اليهود.

« وفيما كان جميع الشعب يسمعون » — أجوبة المسيح وأسئلته — «قال لتلاميذه. احترزوا ..» حذر المسيح تلاميذه من عيبين كانا متجسمين في حياة الكتبة — بما فيهم بعض الفريسيين.

(١) اما العيب الأول فهو العُجب الصبياني (٢٠:٤٦) : وهذا يتخذ لنفسه أربعة مظاهر : (أ) في الشوارع « يرغبون المشي بالطيالسة » : الطيالسةُ هي ثياب طويلة فضفاضة، كان يلبسها الكتبة في الأعياد والحفلات الرسمية. والكلمة المترجمة «طيالسة» هنا، هي عين الكلمة التي استعملت عن حُلة الابن الأصغر (لوقا ١٥:٢٢). هـذه خطيّة الطاؤوس، الذي يباهي بجمال ريشه. وليس في الوجود شيء أخف من ريشه سوى عقله !!

والمجالس الاولى في المجامع والمتكآت الاولى في الولائم ٤٧ الذين يأكلون بيوت الارامل ولعلة يطيلون الصلوات . هؤلاء يأخذون دينونة أعظم

(ب) في الأسواق « يحبون التحيّات في الأسواق » : هذا دليل على صغر النفس . النّفس الكبيرة لا تستجدي التحيات من الناس ، بل ترفضها وتهرب منها بعزة واباء — هذه تجربة اذلاّء النفوس . (ج) في المجامع « المجالس الأولى في المجامع » : الاشارة الى المجتمعات الدينية والقضائية — هذه تجربة فقراء النفوس . (د) « المتكآت الأولى في الولائم » : الاشارة هنا الى الولائم التي تقام لهم خصيصاً،أو التي تقام بمناسبة الأعياد الحوليّة — هذه تجربة ضعاف النفوس .

(٢) اما العيب الثاني فهو التحايُل الشيطاني : « الذين يأكلون بيوت الأرامل ولعلّة يطيلون الصلاة » (٢٠:٤٧) : يذهب بعضهم في تفسير هذا القول الى ان الكتبة،باعتبار كونهم مؤتمَنين من امتهم على اموال الأرامل، يسيئون التصرف بهذه الأموال ، وينفقونها في لذّاتهم . ويذهب البعض الآخر ، الى ان الكتبة باعتبار كونهم المحامين الشرعيين عن الأرامل،لدى المحاكم الدينية ، يرهقون الأرامل بمطاليبهم غير المحدودة . ويلوح لنا ان اقرب المعاني الى الصواب هو ان الكتبة كانوا يوهمون الأرامل انهم يتشفعون لدى الله لأجلهنّ ، وان هذه الشفاعة تقتدر كثيراً في فعلها ، كلما كانت الصلاة طويلة وكلما طالت صلواتهم زاد الأجر الذي يتناولونه عنها .

« ان هؤلاء يأخذون دينونة أعظم » مما لو كانوا « مثل باقي الناس » .

الاصحاح الحادي والعشرون

وتطلع فرأى الأغنياء يلقون قرابينهم في الخزانة ٢ ورأى أيضاً أرملة

الأغنياء الفقراء . . والفقيرة الغنية (لوقا ٢١ : ١—٤)

بعد ان فرغ المسيح من مباحثة اعضاء السنهدريم، جلس في دار الهيكل. ويقول التلمود : ان اليهود اعدوا في دار النساء ، في الهيكل ، ثلاثة عشر صندوقاً ، مصنوع كل منها على شكل بوق ، ومكتوب عليه اسم المشروع الذي يُنفق في سبيله ، ليختار المعطي الغرض الذي يريد ان ينفق تقدماته عليه . وتعرف هذه الصناديق عند اليهود « بالشوفروت » وهي كلمة عبرية بصيغة الجمع ، ومفردها ترجمته « خزانة » .

جميلة هذه المقابلة بين المسيح ، و بين الكتبة والفريسيين . ان الكتبة والفريسيين جعلوا همهم ان «يأكلوا بيوت الأرامل» ، لكن المسيح وضع نصب عينيه ان يرفع تقدمة الأرملة في نظر العالم أجمع .

امامنا في هذا الفصل أمران : احدهما ما رآه المسيح (٢١ : ١و٢). والثاني ما قاله المسيح (٢١ : ٣ و ٤) .

(١) ما رآه المسيح (٢١ : ١و٢) : «وتطلع فرأى الأغنياء . ورأى أيضاً أرملة». غيرُ المسيح، اذا تطلع لا يرى سوى الأغنياء، لأن الفقراء يصغرون عن ان تلحظهم حدقات عيونهم المتعالية. لكن المسيح الذي تطلع فرأى الأغنياء، رأى أيضاً أرملة. ان عينه التي رأت قرابين الأغنياء، قد لاحظت أيضاً فلسي

مسكينة القت هناك فلسين ٣ فقال بالحق أقول لكم ان هذه الارملة
الفقيرة القت أكثر من الجميع ٤ لأن هؤلاء من فضلتهم القوا في
قرابين الله. وأما هذه فمن إعوازها القت كل المعيشة التي لها

الأرملة.من يستطيع ان يصف لنا اسف المسيح العميق وهو يتطلع الى الأغنياء الفقراء وهم يلقون قرابينهم؟ وأية ريشة تستطيع ان ترسم اعجاب المسيح بتلك الفقيرة الغنية وهي تلقي هناك فلسين ؟! — قيمة الفلسين معاً تقرب من نصف قرش مصري . فلنكن دائماً على حذر ونحن نقدم عطايانا في بيت الله ، لأن المسيح جالس ليرى .

(٢) ما قاله المسيح (٢١: ٣و٤): «فقال» لتلاميذه «بالحق اقول لكم...» بهذا القول ، القى المسيح دروساً خالدة على تلاميذه وعلى العالم أجمع،فأفهمهم (ا) ان قيمة الانسان في نظر الله ليست في ما يملك بل في ما يقدم . (ب) ان قيمة التقدمة ليست في ذاتها بل في ما يتبقّى بعد تقديمها: «هؤلاء من فضلتهم... واما هذه فمن إعوازها القت كل المعيشة التي لها» . (ج) ان الله لا يعدّ تقدماتنا بل يزنها،وان زنتها تزداد بمقدار ما نريق عليها من دماء قلوبنا «من إعوازها ألقت كل المعيشة التي لها». (د) ان جمال تقدماتنا ليس في «معدن» محتوياتها ، بل في الرجاء الذي يصحبها . لأن تلك الارملة اذ اعطت كل معيشتها ، قد « ألقت رجاءها بالتمام على الله » في أمر معيشتها في المستقبل . (ه) ان مقدار غنى الانسان ، ليس في ما يملك من مال ، بل في ما يبذل من تضحيات : « يوجد من يفرّق فيزداد » . كان أولئك الأغنياء ، فقراء في

٥ وإذ كان قوم يقولون عن الهيكل إنه مزين بحجارة حسنة

ثياب أغنياء ، لـكن هذه الارملة كانت ملـكة مقنـّعة ، ولم يعوزها شيء ، سوى التاج !! « كفقراء ونحن نغني كثيرين» . «افتقر لأجلنا وهو غني» .

خراب الهيكل واندثار اورشليم (لوقا ٢١:٥—٣٨)

الآن جئنا الى هذا الفصل ، الذي أجمعت كلمة المفسرين على تسميته « رؤيا يسوع » .

يتضمن هذا الفصل (١) سؤالاً طرحه تلاميذ المسيح عليه (٢١:٥—٧) (٢) جواب المسيح عن سؤالهم (٢١:٨—٣٦) . (٣) نظرة عامة الى ايام المسيح الاخيرة على الأرض (٢١:٣٧ و٣٨) .

(١) سؤال طرحه تلاميذ المسيح عليه (٢١:٤—٧):خرج المسيح ومضى من الهيكل (متى ٢٤:١ومرقس ١٣:١)،وجلس مع بطرس ويعقوب ويوحنا واندراوس، على جبل الزيتون، مقابل ذلك الهيكل البديع، الذي جعله الفن التليد ، درّة يتيمة في تاج الوجود . فيه قال تاسيستوس المؤرخ اليوناني الشهير،«انه الهيكل ذو الغنى الذي لا يزول» ، وأفرد له يوسيفوس المؤرخ اليهودي ، باباً خاصاً في تاريخه. كان يسهل على اليهودي ان يسمع بانقلاب الدنيا ، لـكن خراب الهيكل المقدس ، كان يحسب عنده حديث خرافة . فالهيكل عنده هو خلاصة جمال الدنيا ، وتاج كمال الخلود .

فلا عجب اذا كان تلاميذ المسيح —وهم يهود، ضمن الذين كانوا يفخرون

وتحف قال ٦ هذه التي ترونها ستأتي أيام لا يُترك فيها حجر على حجر لا يُنقض ٧ فسألوه قائلين يا معلم متى يكون هذا وما هي

بزينة حجارة الهيكل الحسنة، وتُحفه. ويذكر يوسيفوس ان بين هذه التحف، كرمة من ذهب زيّن بها هيرودس الهيكل عند ما اعاد ترميمه و بناءه .

(عدد ٦) : أشفق المسيح على هؤلاء «القوم» المفاخرين بحجارة الهيكل وزينتها . والمعجبين بتحفه وبهجتها ، لانه رأى بعينه التي تخترق حجب المستقبل، انهم مخدوعون يبنون قصور امجادهم، على الرمال. لا على «الاحجار». فانبأهم بحقيقة الحال، حين قال «هذه التي ترونها ستأتي أيام لا يترك فيها حجر على حجر لا يُنقض» . هذه كلمات رثى بها المسيحُ أورشليمَ يوم بكى عليها (لوقا ١٩:٤٤) ، والآن قد اطلقها على الهيكل ، لان الهيكل كان « مركز الدائرة » في المدينة أورشليم . وما أصدق هذه الكلمات ! ! يحدّثنا التاريخ، ان تيطس الروماني ، بعد ما حاصر أورشليم ، حاول ان يفتدي الهيكل ، لكن محاولته هذه جاءت بعد الميعاد ، لان احد ضبّاطه كان قد ألقى شعلة ملتهبة في الهيكل ، فدمرته شرّ تدمير .

(عدد ٧) : سمعَ تلاميذُ المسيح — وغيرُهم — هذه الكلمات الموجعة ، الهادمة لآمالهم ، لان آمالهم كانت مركزة في ذلك الهيكل ، «فسألوه» بلسان التلاميذ عن أمرين — احدهما عن موعد اتمام هــذا القضاء « يا معلم متى يكون هذا » وثانيهما عن « العلامة » — المنظورة — التي بها يميزون هذا القضاء عند حلوله : « وما هي العلامة عند ما يصير هذا » .

العلامة عند ما يصير هذا ٨ فقال انظروا لا تضلوا . فان كثيرين سيأتون باسمي قائلين قائلين إني أنا هو

(٢) جواب المسيح عن سؤال التلاميذ (٢١:٨—٣٦) . يقع جواب المسيح في أربعة أدوار : (١) العلامات المزيفة ، التي يخطىء الناس فهمها . (٢١:٨—١٩) . (ب) العلامة الحقيقية، التي يتلوها مباشرة خراب أورشليم وأزمنة الأمم (٢١:٢٠—٢٤) . (ج) مجيء المسيح الثاني الذي به يتم المنتهى (٢١:٢٥—٢٧) . (د) التطبيق العملي (٢١:٢٨—٣٦) .

(ا) العلامات المزيفة التي يخطىء الناس فهمها (٢١:٨—١٩) .

يذكر المسيح اربع علامات مزيفة (١) مسحة كذبة . (عدد ٨) (٢) حروباً وقلاقل (٢١:٩و١٠) . (٣) زلازل ارضية وعلامات سماوية . عدد ١١ (٤) اضطهادات متنوعة (٢١:١٢—١٩) : وقد شفع المسيح كل علامة من هذه العلامات الاربع ، بنصيحة ثمينة مناسبة لها .

(١) العلامة الاولى ، مسحة كذبة : «فان كثيرين سيأتون باسمي» عدد ٨ : لا يقصد المسيح «بالذين يأتون باسمه» ، قوماً يدَّعون نسبتهم اليه، وتلمذتهم له ، لكنه يقصد اناساً قد اغتصبوا لانفسهم شخصيَّته ، فادعى كل منهم انه هو المسيح، «قائلاً إني أنا هو» ويذكر التاريخ ثلاثة مسحة كذبة ينطبق عليهم هذا الوصف : دوسيثيوس ، وعليم الساحر ، ومناندر . وهؤلاء، مع انهم لم يغتصبوا لانفسهم اسم المسيح بالذات، لكنهم ادعوا ان لهم ما له من نعمة واقتدار ، في حكمة الاقوال، وقوة الفعال، وجميل الخصال. لان

والزمان قد قرب . فلا تذهبوا وراءهم ٩ فاذا سمعتم بحروب وقلاقل فلا تجزعوا لأنه لا بد أن يكون هذا أولاً . ولكن لا يكون المنتهى سريعاً ١٠ ثم قال لهم تقوم أمة

كلمة « الاسم » ، لا تقتصر على كلمة « المسيح » ، بحصر اللفظ ، لكنها تتعدّاها الى الشخصيّة ، والذّات ، والصفات . وكما جاء المسيح في مستهل خدمته منادياً «قد اقترب ملكوت السموات» (متى ٤: ١٧) ، كذلك يأتى هؤلاء المسحاء الكذبة قائلين « قد قرب الزمان »

أردف المسيح حديثه عن هذه العلامة بنصيحة خاصة لتلاميذه : « فلا تذهبوا وراءهم » هذا درس في الثبات .

(٢) العلامة الثانية المزيّفة ، هي الحروب والقلاقل (٢١: ٩و١٠) : ان خير مصداق لهذه الاقوال ، هو كتاب يوسيفوس المسمّى : « الحروب اليهوديّة» . الذي يصف فيه تلك العلامات،بالعبارات الآتية: «قبيل خراب الهيكل ابتلينا بأيام ، كانت سخيّة في المصائب،مشبّعةً بالحروب، فيّاضة بالدمار ، أيام كان السلام فيها يتمخّض بالحروب،وكان نسيمها الهادىء نذيراً بالزلازل» . في معركة واحدة قُتل ٢٠٫٠٠٠ من اليهود في حربهم ضد الأمم في قيصريّة،تلك الحرب التي انتهت بمقتل نيرون وفيلتيوس.و بين تلك المعارك الدموية ، قامت حرب اشتعلت نيرانها بين أريتاس الوالي على العرب ، و بين هيرودس الوالي على الجليل . وقد تكررت مثل هذه الحروب مثنىً وثلاث .

على أمة ومملكة على مملكة ١١ وتكون زلازل عظيمة في أماكن ومجاعات وأوبئة . وتكون مخاوف

أردف المسيح كلامه عن هذه العلامة، بقوله «لا تجزعوا لانه لا بُدّ ان يكون هذا أولاً . ولكن لا يكون المنتهى سريعاً» — هذا درس في الصبر والانتظار . لأنه لا بد ان يتمّ برنامج المسيح قبل مجيئه الثاني : اضطرابات طبيعية ، فاضطهادات ، فارتداد ، فتبشير عام ، فالمجيء الثاني ، فالمنتهى .

(٣) العلامة الثالثة (عدد ١١) : هذه العلامة على نوعين: النوع الأول : اضطرابات ارضية « وتكون زلازل عظيمة في اماكن ومجاعات وأوبئة وتكون مخاوف» — روى يوسيفوس أخبار زلازل ومجاعات كثيرة . فذكر ان السبب المباشر لتلك المجاعات ، كان كثرة الناس المعيّدين عيد الفصح في أورشليم وقتئذٍ . مسكينة أورشليم ! فان خرابها قد تمّ في عيدها !! فاذا كان عيدها خراباً ، فكم يكون وعيدها !!؟؟ وقد حدثت مجاعة أيضاً مدة حكم كلوديوس قيصر ، وأعقبتها زلزلة عنيفة ، دمّرت بلاداً كثيرة ، كانت لاودكية إحداها . وكان ذلك عام ٦٧ بعد الميلاد .

وردت الكلمة ، «مخاوف» في هذا المكان فقط . وضمن هذه المخاوف ، اشاعات انتشرت وقتئذٍ ، عن مواليد غير طبيعية ، ومنها انفتاح باب الهيكل النحاسي الكبير فجأة ، مع ان مجرد تحريكه كان يستلزم قوة عشرين رجلاً . ومنها ، سَمعُ حفيف أجنحةٍ في القدس ، مشفوعاً بالكلمة « ايخابود » — مما فسّره بعضهم ان « حمامة » الروح غادرت الهيكل ،

وعلامات عظيمة من السماء ١٢ وقبل هذا كله يلقون أيديهم عليكم ويطردونكم ويسلمونكم الى مجامع وسجون وتساقون أمام ملوك وولاة لاجل اسمي ١٣ فيؤول ذلك

فكان هذا نذير « زوال المجد عن اسرائيل » . (ب) والنوع الثاني هو ، «علامات غير طبيعية من السماء ، «وعلامات عظيمة من السماء»: وضمن هذه العلامات ، ظهور بعض الشُّهب في الفضاء ، وكسوف الشمس ، وخسوف القمر ، وظهور سيوف نارية مرتسمة على قبّة الفضاء . ويقول تاسيتوس المؤرخ اليوناني: إن أغبياء اليهود ، كانوا يؤوّلون هذه العلامات لصالحهم !!

والكلمة « قبل هذا» في عدد ١٢ ، تشير الى تقدُّم العلامة التالية ، على سابقاتها ، من حيث الاهمية لا من حيث الزمن . لان العلامة الآتية تتصل اتصالاً مباشراً بحياة التلاميذ ، بخلاف العلامات العمومية السابقة .

(٤) العلامة الرابعة، اضطهادات (٢١: ١٢—١٩) : هذه الاضطهادات رُباعية : (ا) محاكمات دينية (عدد ١٢) : «ويلقون ايديهم عليكم ويطردونكم ويسلمونكم الى مجامع» — هذه هي المجامع اليهودية . ان خير تفسير لهذا القول ، نجده في اعمال ٤: ٣ و٥: ١٧—٢٤ و٦: ١١—١٣

(ب) محاكمات مدنيّة : « وتساقون أمام ملوك وولاة لاجل اسمي » (عدد ١٢) — ان خير تفسير لهذا ، نجده في (أعمال ١٢: ٢ و١٦: ١٩—٣٩ و٢٥: ٢٣ . و٢ تيموثاوس ٤: ١٦و١٧ .

طيّب المسيح قلوب التلاميذ (عدد ١٣)،فافهمهم ان هذه الاضطهادات

لكم شهادة ١٤ فضعوا في قلوبكم ان لا تهتموا من قبل لكي تحتجّوا
١٥ لأني انا اعطيكم فماً وحكمةً لا يقدر جميع معانديكم ان يقاوموها
او يناقضوها ١٦ وسوف تسلَّمون من الوالدين والاخوة

تعتبر فرصةً لهم ،لا قضاء عليهم: «فيؤول ذلك لكم شهادة» — اي شهادة لحق المسيح ولانجيله . وذلك بوداعة اعترافهم ، وشجاعة موقفهم ، ومتانة ايمانهم (فيلبي ١: ٢٨) . ثم اخلص لهم المسيحُ النصح (عدد ١٤و١٥)،فقال «فضعوا في قلوبكم ان لا تهتموا من قبل لكي تحتجّوا» . .ما أقرب هذه النصيحة الى تلك الواردة في لوقا ١٢: ١١ و ١٢ : هنالك وعدهم المسيح بشركة الروح القدس وارشاده . وهنا يعدهم بتعضيده هو بالذات : « لاني أنا اعطيكم » . الكلمة «فماً» هي تعبير عبري مجازي يشار به الى القدرة على الكلام (خروج٤: ١١ و١٢ ، ارميا ١: ٩،اشعياء ٦: ٦). «فالفم» يرمز إلى القدرة المعبّرة. «والحكمة» يُكنى بها عن البصيرة النيّرة . وهنا ينبغي لنا ان نميز بين الأمانة الواجب توفّرها عند المعلم الديني في تحضير الطعام الروحي للبالغين ، بوداعةٍ وخوف، وبين الاطمئنان الذي ينبغي ان يملأ قلب المؤمن اذا أُوقف أمام ولاة هذا الدهر .ان نصيحة المسيح هنا تتناول الاطمئنان والامن لكنها في الوقت نفسه ، لا تنفي الأمانة. فليتسلح خادم الله «بالأمانة التامة» في الموقف الأول، وليتذرع « بالاطمئنان التام » ، في الموقف الثاني . فكلاهما جناحان لطائر واحد ، ومجرَيان متوازيان ، ينبعان من نبع واحد — هو الايمان بالله .

(ج) عداء عائلي (عدد ١٦) : « وسوف تسلَّمون من الوالدين والاخوة

والاقرباء والاصدقاء . ويقتلون منكم ١٧ وتكونون مبغضين من
الجميع من اجل اسمي ١٨ ولكن شعرةً من رؤوسكم

والاقرباء والاصدقاء» .لا شك ان هذه شرُّ أنواع الاضطهادات، اذ يُحسب الانسان فيها غريباً عن اهله ، ويهان من الذين ترتبطهم واياه اواصر المحبة . تحت هذا النوع من الاضطهادات ، ينطوي تجريدهم من مواريثهم . « ويقتلون منكم » : فاه المسيح بهاتين الكلمتين على مسمع من أربعة من تلاميذه — بطرس ، ويعقوب ، ويوحنا ، واندراوس — وقد تمّ هذا القول في اثنين منهم على الأقل — بطرس ويعقوب . ومن يدري ماذا آل اليه مصير يوحنا في منفاه في بطمس !

(د) عداء عام (عدد ١٧) : « وتكونون مبغضين من الجميع » . (لوقا ٢:٣٤ و ٦:٢٢ ويوحنا ١٧:١٤ و ١ بطرس ٤:٤ و ١٦ وأعمال ٢٨:٢٢ و٢٤:٥) . يقول تاسيتوس:ان الجماهير في وقته اذا ما اجتمعت في محفل عام، ورأت مسيحياً، هتفت قائلة : «دونكم وهذا الملحد» ، «أطرحوه للاسود» : « هوذا عدوُّ البشرية » ! ! كل هذا لأن المسيحيين كانوا يترفعون عن الاشتراك في الملاهي العالمية، الوحشية،الجهنمية، ولما أحرق نيرون جزءاً كبيراً من روما ، لتتملّى عيناه بمرأى النار ، وهي تأكل لحوم الآدميين ، وتدمّر دورهم.لم يجد أناساً «يلبسهم» تهمة احراق روما ، سوى المسيحيين المظلومين!

_لقد شفع المسيح كلامه عن هذه العلامة، بوعد (عدد ١٨) ، ونصيحة (عدد ١٩) اما الوعد فهو «ولكن شعرة من رؤوسكم لا تهلك» (عدد ١٨) من المحقق

لا تهلك ١٩ بصبركم اقتنوا أنفسكم

ان هذا الوعد لا يعني المحافظة على الأجسام . لأن المسيح سبق فانبأهم بمصير أجسادهم في عدد ١٦ «ويقتلون منكم» . هذه اذاً استعارة مجازية ، روحية، اكثر منها كلمات حرفية، يُراد بها ان حياتهم الحقيقية لا يمكن ان يصيبها أقل أذى . هذا التفسير تدعمه كلمة « أنفسكم » (عدد ١٩) . ويوافقه قول المسيح في لوقا ١٢:٤و٥ : «لا تخافوا من الذين يقتلون الجسد.خافوا من الذي بعد ما يقتل له سلطان ان يلقي في جهنم ». يقول « بنغال » احد المفسّرين الألمان، ان معنى هذه الكلمات هو « ان شعرة من رؤوسكم لا تسقط من دون إذن الله ، ولن تسقط قبل ان يحل موعد اجلها، ولا تسقط من غير ان تثابوا على سقوطها » . ويقول «جودي» : ان المسيح كان في هذا الوقت مخاطباً التلاميذ كجماعة . فلئن سمح وصرح ، بان بعضاً منهم سيُقتلون . لكن مسيحيي فلسطين ، كمجموع، لن يُصابوا بأدنى نصيب من الأذى الذي سيلحق باليهود والعالم».

اما النصيحة فهي « بصبركم اقتنوا انفسكم» (عدد ١٩) . يراد بالصبر ، انتظارهم بهدوء واطمئنان ، وهم بالأناة يتوقعون خلاص الرب . ان «اقتناء» النفس ، هو كسبها وربحها ، باعتبارها الجعالة الموضوعة أمامهم ، في مضمار المجاهدة والاحتمال والصبر . إذا كان الذين يصبرون يقتنون انفسهم ، فان المتزعزعين المرتدّين ، يبيعون انفسهم . « سيأتي الآتي ولا يبطيء . اما البار فبالايمان يحيا وان ارتدّ لا تُسر به نفسي.واما نحن فلسنا من الارتداد للهلاك بل من الايمان لاقتناء النفس» (عبرانيين ١٠:٣٧ ـ ٣٩) والمراد « بالنفس»،

٢٠ ومتى رأيتم أورشليم محاطة بجيوش فحينئذ اعلموا انه قد اقترب
خرابها ٢١ حينئذ ليهرب الذين في اليهودية إلى الجبال . والذين في
وسطها فليفرّوا خارجاً والذين في الكُوَر

الحياة الحقيقية التي لا ترقى اليها عوامل الموت والفناء ، بل تحفظها إلى حياة مجيدة بقيامة الخلود . ان المسيح ، من جانبه ، قد اشترى نفوسنا من الهلاك «بدمه» ، ونحن من جانبنا ، علينا ان نقتنيها ونحفظها «بصبرنا»

(ب) العلامة الحقيقية التي يعقبها خراب أورشليم وأزمنة الأمم (٢١: ٢ — ٣٤): كما حذر المسيح تلاميذه من الاستسلام للعلامات المزيفة، اراد ان يحذرهم أيضاً من ثقة اليهود العمياء. لأنهم كانوا واهمين ان الله لن يعدم وسيلة، يفتدي بها أورشليم، ولو بمعجزة. لذلك نبّه المسيح تلاميذه قائلاً «ومتى رأيتم أورشليم محاطة بجيوش ، فحينئذ اعلموا انه قد اقترب خرابها» هذه الكلمات تعتبر أحسن تفسير «لرجسة الخراب» التي تكلم عنها دانيال (متى ٢٤: ١٥) — أي قيام جيوش الأمم، لمحاصرة أورشليم لتخريبها وتدميرها يقول يوسابيوس ، المؤرخ المسيحي ، ان الكنيسة في فلسطين ، قد عملت بنصيحة المسيح هذه، عند ما رأت جيوش الرومان محاصرة أورشليم . فانتقل مسيحيّو اليهودية إلى قرية صغرى في بيرية اسمها « بلاّ » ، حيث تحرسها هناك « جبال » الأردن . حيث اختفى داود ورجاله .

كان خراب أورشليم عاجلاً، لدرجة حذر المسيح فيها تلاميذه من الابطاء في الهروب. «الذين في وسط أورشليم فليفرّوا خارجاً. والذين في الكُور» — اي

فلا يدخلوها ٢٢ لأن هذه أيام انتقام ليتم كل ما هو مكتوب ٢٣ وويل للحبالى والمرضعات في تلك الايام لانه يكون ضيق عظيم

في الحقول — فلا يرجعوا إلى المدينة ليختبئوا داخل أسوارها. لأن أسوارها التي كانت في أيام سلامها وسلامتها، حصناً وملجأ، ستصير عند دنوا خرابها، هدفاً لصدمات الأعادي.

في (عدد ٢٢) : يذكر المسيح السبب الرئيسي لكل هذه الويلات : «لأن هذه ايام انتقام ليتم كل ما هو مكتوب».

هذه نصيحة للتلاميذ، بالتسليم للقضاء، و بعدم المقاومة، «لأن هذه أيام انتقام» مقضيٌ بها من الله، «ليتم كل ما هو مكتوب». فلم يكن المحاصرون سوى آلات منفذة لقضاء إله اسرائيل، الذي قال «لي النقمة أنا أجازي يقول الرب». ان من يقاتل هذه القوات، يكون كمن يقاتل القدر. لأن وراء جيوش الرومان، يقف رب الجنود. كل هذا «ليتم المكتوب» — في ميخا ٣:١٢ «لذلك بسببكم تفلح صهيون كحقل وتصير أورشليم خرباً وجبل البيت شوامخ وعر». وفي دانيال ٩:٢٦و٢٧ : «شعب رئيس آت يخرب المدينة والقدس، وانتهاؤه بغمارة، والى النهاية حرب، وخرب قضي بها». الكلمة «انتقام» لا تنطوي على شيء من التشفي بل يراد بها القصاص والقضاء على إثم سابق، قد اختمروا كتمل. كذلك لم تذكر الكلمة : «ويل» (عدد ٢٣) في معرض التشفي والانتقام من «الحبالى والمرضعات»، لكنها قيلت للتعبير عن

على الارض وسخط على هذا الشعب ٢٤ ويقعون بفم السيف
ويسبون إلى جميع الامم . وتكون أورشليم مدوسة من الامم حتى
تكمل أزمنة الأمم ٢٥ وتكون علامات

عطف المسيح واشفاقه عليهن ، وعلى أولادهن ، بسبب الضيق العظيم الذي سيحلّ بالارض، والسخط الذي سيصيب «الشعب» (١ تسالونيكي ٢:١٦). يقول «يوسيفوس ان تيطس بعد ان دمّر ما دمّر، وذبح من ذبح ، قال أما من مزيد ؟ ثم أمر ان تُحرث المدينة حرثاً ، وتم له ما أراد ، فأمست أورشليم ، كأن لم يسكنها انسان من قبل» اما الذين «وقعوا بحدّ السيف» فقد بلغ عددهم ١،١٠٠،٠٠٠ سواء منهم من أُهلكوا مدة الحصار أو مَن قُتلوا في الحرب. الكلمة «بفم السيف» هي تعبير عبريّ (تكوين ٣٤:٢٦). اما الذين «سُبوا إلى الامم» — فأُخذوا إلى مصر وغيرها — فقد بلغ عددهم ، ٩٧،٠٠٠ حسب تقدير يوسيفوس. والمفهوم من القول «مدوسة من الأمم» ، ان اورشليم تكون ذليلةً «ومهانة » علاوة على استعبادها وانكسارها . «والأمم» هم اليونان، والجركس ، والفرس ، والترك وغيرهم . ويراد « بازمنة الأمم » فرصة النعمة الموهوبة لهم من الله ، بعد رفض اسرائيل ، ليحلوا فيها محل اسرائيل. أو هي الفرصة التي ينفّذ فيها الامم قضاء الله على اسرائيل. و«تكميل هذه الأزمنة» هو نهايتها ، التي عند اكتمالها ، يأتي دور اقتبال اليهود ورجوعهم إلى الله (رومية ١١:٢٥) .

(٣) علامات مجيء المسيح ثانيةً (٢١:٢٥—٢٧) : كان من الطبيعي

في الشمس والقمر والنجوم . وعلى الارض كَرْبُ أمم بحيرة . البحر والامواج تضجّ

ان يتكلم المسيح عن مجيئه الثاني ، بعد أن تكلم عن خراب أورشليم، وملء أزمنة الأمم ، لأن هذه الثلاث الحوادث ، قائمة تباعاً وراء بعضها ، كثلاث قمم من الجبال ، تنتصب احداهن ، قائمةً وراء الأخرى ، على خط مستقيم . والناظر إلى احداهنّ من الوادي ، يرى الثلاثة كلّهنّ دفعة واحدة . «فخراب أورشليم» يُرى أولا ، ثم ملء أزمنة الأمم، ثم مجيء المسيح ثانيةً . ولا يفوتنا ان نذكر أن خراب أورشليم ،كان يحمل بين ثناياه ، رمزاً ضئيلاً ونبوة ، وعربوناً ، لمجيء المسيح ثانيةً .

ان هذا المجيء المبارك ، تسبقه علامات طبيعية ، ومخاوف نفسية . أما العلامات الطبيعية فهي: «علامات في الشمس والقمر . وعلى الأرض كَرْبُ أمم بحَيرة ،البحر والأمواج تضج» — هذه إذاً علامات تتناول كل العالمين : «السماء من فوق،والأرض من تحت،والماء من تحت الأرض» . ما أشبه هذه العلامات بتلك التي سبقت القضاء على بابل: «فان نُجوم السموات وجبابرتها لا تبرز نورها . تُظلِمُ الشمس عند طلوعها ، والقمر لا يلمع بضوءه . . لذلك أزلزل السموات وتتزعزع الأرض من مكانها في سخط رب الجنود وفي يوم حمو غضبه» (اشعياء١٣ : ١٠و١٣).إن خراب أورشليم يسبقه قضاء على «اليهود»، ومجيء المسيح ثانيةً يسبقه قضاء على «الامم» . في الأيام الاخيرة ستكون المسكونة نائمة، ناعمة البال،وعند قدوم ذلك اليوم العظيم المخوف،سيُخلع عنها

٢٦ والناس يُغشى عليهم من خوف وانتظار ما يأتي على المسكونة لان قوات السموات تتزعزع ٢٧ وحينئذ يبصرون ابن الانسان آتياً في سحابة بقوة ومجد كثير

رداء سكونها ، وتتزعزع قواتها ، فتفلت قوات السماء من أفلاكها ، وتضطرب الأمم وتتحيَّر — ولا شيء أقسى من الكرب إذا اقترن بالحيرة — فيتوقع الناس شراً، ويوجسون خيفة مما هو عتيد أن يكون «فيُغشى عليهم» من هول هذا « الانتظار » المزعج الاليم . ويقول « فارار » ان الكلام عن «الشمس والقمر والنجوم قد يكون مجازياً يُرمز به إلى سقوط أمم، وكسوف ممالك ، وأن هياج البحر يرمز إلى الثورات . ويقول « امبروز » ان الشمس هي المسيح ، والقمر هو الكنيسة ! ! ولكن أقرب تفسير إلى الصواب ، هو حمل هذه الكلمات على علاتها ، واعتبارها حرفية ، لا مجازية .

(عدد ٢٧) ومتى ظهرت هذه العلامات، «حينئذ يبصرون ابن الانسان آتياً في سحابة بقوة ومجد كثير» . ان الذين «يبصرونه» ، هم المؤمنون وغير المؤمنين،على السواء:الأولون يبصرون فيفرحون بمر يسهم،والآخرون يبصرون فينوحون.مع ان الكلام عن «السحابة» حرفيّ لكن السحابة نفسها ترمز إلى مجد الدينونة والقضاء . يقول جودي ، انه لا يرى في عدد ٢٧ ، ذكراً لبقاء المسيح على الارض . ومن هذا يستنتج أن المسيح سيظهر « ظهوراً » وقتياً ، حتى يقوم الابرار من الموت ، ليُخطفوا مع المؤمنين الاحياء ، لملاقاة الرب في الهواء» (١ كورنثوس ١٥:٢٣و١ تسالونيكي ٤:١٦و١٧) .

٢٨ ومتى ابتدأت هذه تكون فانتصبوا وارفعوا رؤوسكم لان نجاتكم
تقترب ٢٩ وقال لهم مثلاً . انظروا إلى شجرة التين وكل الاشجار

(٤) التطبيق العملي (٢١:٢٨ — ٣٦) : أزاء هذه الحوادث الرهيبة ، أوصى المسيح تلاميذه بنصيحة كاملة، إذ فاه بهذه الأوامر السباعيّة: «فانتصبُوا» «وارفعوا» رؤوسكم (٢٨) و«انظروا».. (٢٩) «فاعلموا». (٣١) «فاحترزوا» (٣٤) «اسهروا» «وتضرعوا» (٣٦). فالكلمتان الاوليان : «انتصبوا» «وارفعوا» رؤوسكم، تصوّران لنا أشخاصاً عصفت بهم عاصفة هوجاء، فأحنوا ظهورهم ، وطأطأوا رؤوسهم ، حتى تولّي العاصفة وتعبر ، وعند مرورها ناداهم «الرقيب» قائلاً : «انتصبوا» وارفعوا رؤوسكم لان نجاتكم تقترب» لان ظلمة اليأس قد انتهت، وفجر الرجاء قد لاح. استعملت الكلمة «نجاة» بأوسع معانيها، فكما أنها تعني سلامة المتنصّرين من اليهود، من هذه الويلات، فهي أيضاً تتناول خلاص المسيحيين إلى التمام — ذلك الخلاص الذي سيكمّل عند مجيء ربنا : «فان خلاصنا الآن أقرب مما كان حين آمنّا» (رومية ١٣:١١) . لان «المسيح سيظهر ثانية بلا خطية للخلاص للذين ينتظرونه» (عبرانيين ٩:٢٨). والكلمة الثالثة تتقدم بنا إلى مَثل موجز : «انظروا إلى شجرة التين وكل الاشجار. متى أفرخت تنظرون وتعلمون من أنفسكم أن الصيف قد قرب» . كان من الطبيعي أن يستخدم المسيح شجرة التين في مثله هنا لان هذا كان أوان اخضرارها في فلسطين، فكما أن شجرة

٣٠ متى افرخت تنظرون وتعلمون من انفسكم ان الصيف قد قرب .
٣١ هكذا انتم ايضاً متى رأيتم هذه الاشياء صائرة فاعلموا ان ملكوت
الله قريب . ٣٢ الحق اقول لكم انه لا يمضي هذا الجيل

التين (*)—وكل الاشجار—تمثل النمو التدريجي،البالغ حد الكمال، كذلك تكون تلك الايام مفعمة بالحوادث المتدرِّجة والمتعاقبة ، حتى يبلغ المنتهى مداه . والكلمة الرابعة « فاعلموا » تشير إلى الدرس الذي تلقيه « التينة » باخضرارها وثمارها: «ان ملكوت الله قريب» .ويُقْصَد «بملكوت الله» ، انتشار الانجيل بين الامم ، وتوطيد سلطان المسيح ونفوذه على الارض .

(عدد ٣٢) بعد أن أتمَّ المسيح ذكر الحوادث الخاصَّة بمجيئه الثاني،عاد في النهاية من حيث ابتدأ ، فأشار إلى الموضوع الأول في حديثه — خراب أورشليم : «الحق اقول لكم انه لا يمضي هذا الجيل حتى يكون الكلّ» . ذهب ايرونيموس في تفسير كلمة «جيل» ، إلى أنها تعني كل النوع البشري، معتمداً في ذلك على اشتقاق الكلمة في اللُّغة الاصليَّة.وذهب أوريجانوس ، ويوحنا الذهبيّ الفم،إلى أنها تعني الكنيسة المسيحية.وذهب غيرهم إلى أنها تشير إلى كل النظام اليهودي . وذهب آخرون إلى أنها تحتمل مدة تتفاوت بين ٧٠—١٠٠ سنة. ويلوح لنا أن المعنيِّين بها،هم الاحياء الذين كانوا يسمعون

(*) في منتصف شهر مارس ، تبتدىء أثمار «تين الربيع» في الظهور ، وتبلغ دور النضوج قبل أن تفرخ أوراقها ، فيقطفون منها أول «قطاف» في شهر يونيو .

حتى يكون الكل . ٣٣ السماء والارض تزولان ولكن كلامي
لا يزول . ٣٤ فاحترزوا لانفسكم لئلا تثقل قلوبكم في خمار وسكر
وهموم الحيوة

كلام المسيح وقتئذ .أي أن منهم قوماً لم يذوقوا الموت حتى تم خراب أورشليم. (لوقا ٩: ٢٧) — وهذا ما وقع فعلاً، لأن أورشليم أخربت بعد مرور ٤٠ عاماً على هذا الكلام. على انه لا يوجد ما يمنع من الاعتقاد أن خراب أورشليم يعتبر حادثة رمزية ، ابتدائية ، لمجيء المسيح ثانية . فتكون العبارة « حتى يكون الكل » مشيرة إلى مجيء المسيح ثانية بهذا المعنى وحده .

(عدد ٣٣): دعم المسيح قوله هذا، بكلمة خالدة، تريناه إياه رباً على الكل. «السماء والارض تزولان ولكن كلامي لا يزول» . واي كلام ينطبق عليه هذا الوصف سوى كلام الله ؟! . كان اليهود يزعمون أن الهيكل هو المثل الأعلى : في الدوام ، والبقاء ، وعدم الزوال (عدد ٥) ، فافهمهم المسيح بهذا الكلام ، أن السماء والأرض فوق الهيكل ، وأن كلمته فوق الكل .

الكلمة الخامسة «احترزوا» عدد ٣٤ ، تكشف القناع عن خطر مثلث يهدد قلوب المؤمنين : « خمار » .. « وسكر » .. « وهموم الحياة » — هذا خطر يشمل الماضي ، والحال ، والاستقبال . فالخمار هو صداع الخمر ، وأذاها، وبقية السكر — هذا يتناول الماضي — هذه هي المرة الوحيدة التي وردت فيها هذه الكلمة في العهد الجديد . « والسكر » هو تخدير أعصاب السكير وقت الشرب — هذا يتناول الحاضر . «وهموم الحياة» هي الارتباك الفكري

فيصادفكم ذلك اليوم بغتة ٣٥ لانه كالفخ يأتي على جميع الجالسين
على وجه كل الارض ٣٦ اسهروا إذاً وتضرعوا في كل حين لكي

الذي يستولي على الانسان من جهة مطاليب الأيام القادمة — هذا يتناول المستقبل. وقد تشير هذه الكلمات الثلاث، إلى التطرف في إطلاق العنان للأميال والعواطف، سواء في نشوة السرور: «الخمار والسكر»، أو في فرط الكدر: «وهموم الحياة»، وقد تشير كلها معاً، إلى حالات الانغماس وعدم الانتباه. هذا المعنى الأخير، يوافقه التحذير الذي ذكره المسيح في عدد ٣٥ «لأنه كالفخ» — المخفيّ عن العيون فتقع فيه الفريسة بغتةً — «يأتي على جميع الجالسين على وجه الارض». «لان الانسان أيضاً لا يعرف وقته. كالعصافير التي تؤخذ بالشرك». (جامعة ٩: ١٢) والكلمة «جالسين على وجه الارض» هي تعبير عبري (تكوين ١٩: ٣٠) تفيد جلوس «السلامة» الموهومة، لا جلوس «السلام». والكلمتان السادسة والسابعة: «اسهروا وتضرعوا» قد قرنهما المسيح معاً في هذا الموضوع، كما جمعهما معاً في نصيحته لتلاميذه الذين كانوا معه في بستان جثسيماني (مرقس ١٤: ٣٨). فالسّهر عمل سلبي للحَذَر، والتضرع عمل إيجابي لنوال القوة. السَّهَر للاستعداد، والصلاة للجهاد. سهرٌ بلا صلاة يُعَدُّ ادعاء، وصلاة بلا سهر تُعتبر اقتحاماً — «وما جمعه الله لا يفرقه إنسان». وكما أنه من الضروري أن يقترن السهر بالصلاة، كذلك من المحتم أن يقترن كلاهما بالدوام المتواصل: «كل حين». للسهر والصلاة مكافأة مزدوجة: جانبها الأول سلبي: استحقاق للنجاة: «لكي

تُحسبوا أهلاً للنجاة من جميع هـذا المزمع ان يكون وتقفوا قدام
ابن الانسان

٣٧ وكان في النهار يعلم في الهيكل وفي الليل يخرج ويبيت في
الجبل الذي يُدعى جبل الزيتون

تحسبوا أهلاً للنجاة » . وجانبهما الثاني إيجـابي : الوقوف — بلا وجل ولا خجل—قدام ابن الانسان فيظهوره ومجيئه ، وملكوته (١ يوحنا ٢ :٢٨)

(٣) نظرة عامة إلى الأيام الأخيرة في خدمة المسيح الجهريّة (٢١ :٣٧ و ٣٨).هذان العددان يصفان الثلاثة الأيام الأخيرة في خدمة المسيح الجهريّة — أحد السعف ويوم الاثنين ويوم الثلاثاء — لأن المسيح لم يدخل الهيكل فيما بعد . لأنه قضى الأربعاء والخميس في بيت عنيا ، ومنها إلى أورشليم،والى الصلب — والى القبر — فالى المجد — إلى الأبد . كان يقضي المسيح نهاره — وكل أيّامـه نهار — يعلّم في الهيكل . وفي بيوت الناس لم يجد اين يسند رأسه ، فكان يخرج في الليل ليبيت في الجبل الذي يدعى «جبل الزيتون» وهل من مكان يوافق هذه الحياة العالية سوى الجبال ؟ وهل من جبل يليق بمبيت «رئيس السلام» سوى «جبل الزيتون» — الذي هو رمز السلام ؟ أوَلم تكن ساعات الليل التي قضاها المسيح في الصلاة ، اكثر من تلك التي قضاها في النوم ؟

٣٨ وكان كل الشعب يبكرون اليه في الهيكل ليسمعوه

(عدد ٣٨) « وكان كل الشعب يبكرون اليه في الهيكل ليسمعوه » . يا ترى ماذا كان تأثير كلمات المسيح على هؤلاء القوم ؟؟ هل سمعوا فذخّروا دينونة لأنفسهم؟ام سمعوا فذخروا الكلام في قلوبهم؟ ام سمعوا ولم يفهموا» ، وعند الصليب أعلن لهم ما كان قد خفي عنهم ؟ ؟

مسكين ذلك الشعب السريع التقلب ! اليوم يبكّر « كل الشعب» إلى المسيح ليسمعوه ، و بعد الغد يبكر « كل الشعب » إلى دار الولاية ليقولوا لبيلاطس « اصلبه ، اصلبه » ! !

الاصحاح الثاني والعشرون

وقَرُبَ عيد الفطير

وادي الآلام والتضحية (لوقا ٢٢ و ٢٣)

لقد بلغنا الآن آخِرَ مرحلةٍ من مراحل حياة المسيح على الأرض. فلنخفّف الوَطء قليلاً، لأننا سائرون في «وادي الآلام والتضحية». قطعنا فيما مضى، مراحل عدّة في حياة فادينا على الأرض، فدخلنا بها قُدْس «هيكله» الغير المصنوع بيدين، والآن نرانا في قلب «قدس الأقداس». منذ الآن سنسير في وادٍ، مخضَّبةٌ مسالكه بدماء الجلجثة، مبلَّلة تربته بدموع جثسيماني. نباتاته أشواكٌ. ونسماته «أنَّات» وتنهُّدات. لكنها أشواكٌ متوَّجة بالورود، وتنهدات مختتَمة بهتاف الظفر والخلود.

هذا وادٍ يبتدىء بهوَّةٍ سحيقة، وينتهي بجبل عالٍ منيف. في بدايته نلمح شبحَ خيانة يهوذا، وفي نهايته نلمس أمانة يوسف الرَّامي. في بدايته نرى السيِّد فقيراً لا يملك «عِليَّة» يأكل فيها الفصح مع تلاميذه، وفي نهايته نرفعُ عيوننا فنراه على العرش «ربّاً ومسيحاً».

في الاصحاح التاسع عشر رأينا المسيح الملك، داخلاً أورشليم ليطهّر الهيكل بسلطانه الملكي، وفي الاصحاح الحادي والعشرين سمعنا المسيح النّبي، يزيحُ أمام عيوننا ستار الغيب، فينبئُنا بمصير أورشليم، وملءِ أزمنة الأمم، ومجيئه الثاني المجيد. وفي الاصحاحين الثاني والعشرين والثالث والعشرين،

الذي يقال له الفصح

نشاهد المسيحَ الكاهن داخلاً إلى « قدس أقداس » الجلجثة ، ليقدّم نفسه ذبيحة كفاريّة عن العالم أجمع .

تقع حادثة الصلب في ثلاثة أدوار : أولها : الاستعداد للصّلب : (٢٢: ١—١٦) . وثانيها: الصلب نفسه:(٢٢:٤٧—٢٣:٤٦). وثالثها : الحوادث التابعة للصلب (٢٣:٤٧—٥٦)

الاستعداد للصلب (لوقا ٢٢:١—٢٤)

يقع هذا الدور في ثلاثة أجزاء : يهوذا يستعدّ لتنفيذ الصلب بخيانته سيّده، يسوع يُعدّ تلاميذه لفهم الصليب بواسطة الفصح الجديد ، يسوع يتهيأ للصلب بدخوله بستان جثسياني .

خيانة يهوذا (لوقا ٢٢:١—١٦)

(عدد ١) «وقَرُب عيد الفطير الذي يقال له الفصح». تناصَفَ شهر نيسان (ابريل—مارس)، أو كاد، و بلغَ البدر فيه دور التمام، فابتهج اليهود بقدوم عيدهم التاريخي المجيد—عيد الفصح— الذي يحلّ عادة بُعَيد غروب شمس اليوم الرابع عشر منه ، و بين « عِشائيه » يُذبح حَمَل الفصح . الكلمة «فصح» ،أراميّة معناها التخطّي والعبور،ذكرى لتلك الليلة التاريخية التي قتل الملاك فيها أبكار المصريين، و عَبَر عن الاسرائيليين، فلم يصبهم بأذى. (خروج ١٢) كان يبتدىء عيد الفصح بظهور ثلاثة نجوم في سماء الليلة الرابعة

٢ وكان رؤساء الكهنة والكتبة يطلبون كيف يقتلونه .

عشرة من الشهر ، وينتهي بنهاية الليلة الحادية والعشرين ، وكان حمل الفصح يُذبح بعد ظهر اليوم الرابع عشر ، بين الساعة الثالثة والسادسة. و بعد العشاء ، في ساعةٍ متأخرةٍ من الليل، كان يبتدىء عيد الفطير ، و يظل قائماً مدة سبعة أيام حسب الشريعة (لاويين ٢٣ : ٤ — ٧) وقد سُمي «عيد الفطير» لأن اليهود كانوا يعزلون الخمير من بيوتهم متى انتهت الليلة الثالثة عشرة وبُدئت الرابعة عشرة ، فيحرَّم عليهم أكل الخمير طوال أيام هذا العيد . هذا يتفق وقول يوسيفوس : ان مدة عيد الفطير ، ثمانية أيام بما فيها يوم الاستعداد .

(عدد ٢) في تلك الليالي المقمرة البديعة، جلس رؤساء الكهنة،والكتبة — وهما حزبان متزاحمان في مجمع السنهدريم — وتشاوروا كيف يقتلون المسيح . عجيبٌ ان أسوَد جريمة في التاريخ ، تُرتكَبُ في نور بَدر التمام ! ألم يخجل أولئك المجرمون من وجه القمر وهو ناظر اليهم يسجّل عليهم أعمالهم؟ وكيف يخجلون من وجه القمر ، أولئك الذين لم يستحوا من «شمس البر» ؟؟!

هنالك على جبل الزيتون — جبل السلام — وعلى مقربة من الهيكل ، أُقيمت دارٌ دُعيَت فيما بعد « دار المؤامرة » : ولعلها دار قيافا رئيس الكهنة . هنالك اجتمع الكهنة والكتبة وشيوخ الشعب، ليقرروا بعد البحث «كيف» يقتلون يسوع، بعد ان اتفقت كلمتهم على التسليم بضرورة قتله. وكانوا حريصين كل الحرص على أن يتم قتله سراً ، كلما امكنهم ذلك . لأن خوفهم على كيان نظامهم كان شديداً جداً بالنظر إلى ميل الشعب إلى المسيح،وسرعة

لانهم خافوا الشعب ٣ فدخل الشيطان في يهوذا الذي يُدعى الاسخريوطي

انتشار تعاليمه ، وتفشّي اخبار احساناته ومعجزاته بين اليهود المشتتين في كل الجهات والممالك ، بواسطة الذين اجتمعوا في هذا العيد . فأدرك العقلاء منهم ان الشعب أقوى منهم،وأنه لا يجاريهم في قصدهم.فاقتنع الآخرون ان يصبروا إلى أن يمضي العيد ، وتنصرف الجماهير ولا سيما مواطنيه الجليليين .

(عدد ٣).لكن الشيطان الذي لا يتوانى عن فعل الشر،ولا يُعطي نفسه ولا اتباعه هُوادة ، خاف لئلا تفلت هذه الفرصة من بين أيدي أعضاء السنهدريم، اذا هم أجّلوا اغتنامها . «فدخل الشيطان في يهوذا الذي يُدعى الاسخريوطي» واستخدمه آلة في يده ، ليسهّل لأعضاء السنهدريم ما قد تعسر عليهم ، حتى يصلبوا المسيح في أثناء عيد الفصح لا بعده . لا شك أن الشيطان كان يضحك في قلبه،اعتقاداً منه انه غلب السماء، وهو لا يدري ان السماء تسخر منه وتهزأ به لأنه بعمله هذا قد نفّذ مشورة الله المحتومة وهو لا يعلم . لأنّ إله السماء قد سبق فقدّر منذ الأزل ، أن يتم صلب المسيح في وقت ذبح حَمَل الفصح في الهيكل (يوحنا ١٨: ٢٨) ، ليكون المسيحُ فِصحَنا الجديد. (١ كورنثوس ٥: ٧و١١: ٢٣).ان فِصح اليهود قاصر على أمة،لكن المسيح جاء إلى العالم أجمع.فِصح اليهود يكرّر كل عام ، لضعفه وعدم نفعه . لكن المسيح قدم نفسه مرّة واحدة (عبرانيين ١٠: ١١و١٢) . فِصح اليهود كان يذكرهم بخروجهم من عبودية مصر ، وفصحُنا يذكرنا بنجاتنا من عبودية « العالم ، والخطيّة ، والجسد » . (افسس ٢: ١—٣) .

وهو من جملة الاثني عشر ٤ فمضى وتكلم مع رؤساء الكهنة وقُوّاد

ان القول : «فدخل الشيطان في يهوذا»، لا يخلي يهوذا من المسئولية، لأن الشيطان لم يقتحمه اقتحاماً، لكن يهوذا مهّد لدخول الشيطان بخطوات متتابعة قد انتهت بهذه النتيجة المحتومة المحزنة، التي كانت وليدة شهور وسنين. كان يهوذا قد سبق فرحّب بالطمع وحب المال في قلبه، مُذ جُعل «الصندوق» في يده، ثم تطوّر هذا الطمع فصار خيانة، وأمسى يهوذا «سارقاً» (يوحنا ١٢: ٦) — والانسان الذي يخبّىء المطامع في قلبه، يضحى هو مطمعاً للشيطان ومطمعاً : «لئلا يطمع فينا الشيطان» (٢ كورنثوس ٢: ١١). يُضاف إلى هذا ما سمعه يهوذا من التأنيب العلني من فم سيده في وليمة بيت عنيا (يو ١٢: ٦). كل هذا قد دفع يهوذا إلى أن ينزع من قلبه ما بقي من آثار نور المسيح، فدخل الشيطان إلى قلب يهوذا، من النافذة التي خرج منها نور المسيح! فاحتل الشيطان هذه «القلعة الجديدة»، وأضرم فيها «ناراً من جهنم» (يعقوب ٣: ٦).

«وهو من جملة الاثني عشر» — هذه كلمة موجعة بوخزاتها. فهي تحريض لكل مؤمن ليفحص نفسه بكل وداعة وخوف أمام الله. «من يظن انه قائم فلينظر أن لا يسقط». لا تعطوا إبليس مكاناً» ... «فاخضعوا لله. قاوموا إبليس فيهرب منكم». أليس من المحزن ان الرجل الذي اسمه «يهوذا» — أي المحمود والممدوح يُقدم على هذا العمل «الذميم» ؟؟؟

(٢٢: ٤و٥). قصد يهوذا إلى رؤساء الكهنة طمعاً في الرشوة. فوجدهم يجدّدون المخابرة مع قُوّاد جند الهيكل، الذين كانوا يقومون بحراسة الهيكل

الجند كيف يسلّمه اليهم ٥ ففرحوا وعاهدوه أن يعطوه فضة
٦ فواعدهم . وكان يطلب فرصة ليسلمه اليهم

في الأعياد. فوعد أن يسهّل عليهم القبض على يسوع خفية قبل العيد، مقابل مبلغ معين. ولعل الرؤساء قد أوجسوا منه خيفة، فظنوه جاسوساً. لكنهم اقتنعوا بذكائهم الخادع، ان يهوذا كان محتالاً، لما طلب أجرةً . ففرحوا، وعاهدوه أن يعطوه «فضة»* — هذه كلمة يعبّر بها عن المال بوجه عام، وقيمتها المليّة، ثلاثون من الفضة، أي ثلاثة جنيهات مصرية تقريباً. وهي القيمة التي كانت تُدفع ديةَ عبد اذا نطحه ثور وقتله (خروج ٢١: ٣٢)، ولقد سبق فتنبأ بها عاموس انها تشير إلى بيع البار (عاموس ٢: ٦). ان حقارة هذه القيمة الزهيدة، تدل على مبلغ حقارة نفس يهوذا، وعلى ان الرؤساء لم يكونوا في مسيس الحاجة إلى خدمته

«فعاهدوه .. وواعدهم» : لقد باع يهوذا نفسه رخيصة. فبينما كان اخوته الاحد عشر يتهيئون ليتعاهدوا مع المسيح على « كأس العهد الجديد بدمه الذي يُسفك عنهم» ، إذا يهوذا يتعاهد مع رؤساء الكهنة على ثلاثين من الفضة ! فشتّان بين جوارهم وجواره ! !

(عدد ٦) منذ ان قطع يهوذا هذا العهد معهم، وقد توغل في الاستسلام للطمع والرياء ، وتربّص في وظيفته الجديدة ، كجاسوس على سيده وولي

(*) كانت هذه القطع الفضية ، تحمل على أحد وجهيها صورة « غصن زيتون » — رمز السلام . وعلى الوجه الآخر صورة « مِبخرة » — رمز العبادة — وفي أسفلها هذه الكلمة « أورشليم المقدسة » .

خِلواً من جمع ٧ وجاء يوم الفطير الذي كان ينبغي ان يُذبح فيه الفصح

نعمته ، مترقباً فرصة مناسبة ليسلمه اليهم «خِلواً من جمع» أي سراً ، من غير أن يحدث شغب في الشعب . وردت الكلمة : «خلواً من» ، في الأصل ، مرّةً أخرى في عدد ٣٥ .

قضى المسيحُ يوم الثلاثاء من أسبوع الآلام في مباحثة اليهود في الهيكل . وفي نهايته ، ذهب إلى بيت عنيا ، طلباً للعزلة والانفراد ، ولكي يمنع أعضاء السنهدريم من القاء القبض عليه ، قبل أن تحين ساعته. وهنالك في بيت عنيا ، قضى يومي الأربعاء والخميس .

أمامنا في هذا الفصل ثلاثة أمور:(١) إعداد الفصح الجديد (٢٢:٧— ١٣) . (٢) ممارسة الفصح الجديد (٢٢:١٤—٢٣) . (٣) الحادثات بعد العشاء (٢٢:٢٤—٣٨) .

(١) إعداد الفصح الجديد (لوقا ٢٢:٧—١٣) : « وجاء يوم الفطير الذي كان ينبغي أن يُذبح فيه الفصح» . آذنت شمس اليوم الثالث عشر من شهر نيسان بالمغيب ، فشرع كل يهودي في تطهير بيته من الخمير ، حتى إذا ما حلّت الساعة العاشرة من صباح اليوم الرابع عشر ، أضحى البيت كله خِلواً من الخمير. هذا اليوم الثاني — يوم الجمعة — هو يوم الفطير الذي كان ينبغي أن يُذبح فيه الفصح عند الغروب .

علم المسيح أن الساعة التي يُذبحُ فيها حِمَل الفصح في الهيكل،توافق

٨ فارسل بطرس و يوحنا قائلاً اذهبا وأعدّا لنا الفصح لنأكل .

الساعة التي سيكون هو فيها على الصليب — في يوم الجمعة . لذلك اراد ان يسبق عيد الفصح المعتاد بيوم واحد ، ليقيم مع تلاميذه فصحاً جديداً ، ينسخ الفصح العتيق و يسبقه . ففي اليوم الثالث عشر — يوم الاستعداد للفطير ، بين الساعة الرابعة و بين الساعة السادسة بعد ظهر يوم الخميس،طلب المسيح إلى بطرس و يوحنا — رسولي الثقة—قائلاً «اذهبا واعدّا لنا الفصح لنأكل*».كان اليهود يعدّون أعشاباً مرة،وخمراً ، علاوة على حمل الفصح، الذي كان يذبحه رئيس كل عائلة باعتبار كونه كاهنها . و يعتقد «إدرشيم» ان يوحنا الرسول قد وُهب من المسيح امتياز الكهنوت (رؤيا ١:٦) .

* يميل بعض المفسرين إلى القول إن المسيح مارس العشاء الأخير مع تلاميذه في موعد الفصح اليهودي المعتاد ، لكنهم لم يستطيعوا التوفيق بين قولهم هذا ، و بين قول يوحنا « ولم يدخلوا هم إلى الولاية لكي لا يتنجسوا فيأكلون الفصح » (يوحنا ١٨:٢٨) ، ولا بين قوله أيضاً « ثم إذ كان استعداد فلكي لا تبقى الأجساد على الصليب» (يوحنا ١٩:٣١) ولا بين قول مرقس «وكان رؤساء الكهنة والكتبة يطلبون كيف يمسكونه بمكر و يقتلونه . ولكنهم قالوا ليس في العيد» (مرقس ١٤:١و٢).سيما لأن اليهود كانوا يقدسون أول يوم في عيد الفصح و يحسبونه سبتاً.(لاويين٢٣:٧).و يقول يوحنا«لأن يوم ذلك السبت كان عظيماً » (يوحنا ١٩:٣١) مما يدل على ان ذلك السبت اكتسب قيمة مضاعفة : لأنه سبت طبيعي ، ولأنه أول يوم في العيد .

٩ فقال له أين تريد ان نعد ١٠ فقال لهما إذا دخلتما المدينة يستقبلكما
إنسان حامل جرّة ماءٍ . اتبعاه الى البيت حيث يدخل ١١ وقولا

(٢٢: ٩—١١) فقال له التلميذان « اين تريد ان نعدّ » . فقدّم لهما تعليمات غامضة، يُستنتج منها انه قصد ان يلقي ستاراً من الخفاء والتكتم، على البيت الذي يأكل فيه الفصح مع تلاميذه ، لكي يقطع السُّبل على يهوذا ، فلا يقدر أن يخبر الرؤساء عن مكانه، ليقبضوا عليه قبل الأوان أي قبل ان يرسم الفصحَ الجديد لتلاميذه وللعالم أجمع . تنبأ يسوع للرسولين بأنهما يصادفان إنساناً حاملاً جرّة ماء في الطريق . ولم يكن هذا الأمر غير مألوف في أيام العيد، لأنّ التقاليد اليهودية قضت على رب كل عائلة يهودية، أن يقصد إلى مَعين الماء ، قبيل ظهور النجوم في المساء الثالث عشر من نيسان ، ليملأ جرّته ماءً لأجل عجين فطير العيد . و بعد ذلك يشعل رب البيت قنديلاً و يجول مفتشاً في زوايا البيت مثنى وثلاث ، لينزع كل أثر للخمير من البيت . يعتقد بعضهم أن « الانسان » الذي قصده المسيح ، هو يوسف الرّامي . وآخرون انه نيقوديموس . وآخرون انه يوحنا مرقس نسيب بُطرس ، وكاتب البشارة المسماة باسمه . لكن الواضح من عدد ١١ ، أن لوقا يميّز بين « الانسان الحامل الجرّة » ، و بين « صاحب البيت » ، فربما كان حامل الجرّة أحد الخدَم أو العبيد (تثنية ٢٩: ١١)، ولا يبعد أن يكون صاحبُ البيت هو مرقس ، وأن تكون «العليّة» ، هي عليّة صهيون التي اجتمع فيها التلاميذ عند يوم الخمسين ، لحلّ الروح القدس عليهم .

لربِّ البيت يقول لك المعلّم أين المنزل حيث آكلُ الفصحَ مع تلاميذي ١٢ فذاك يُريكما عِلّيةً كبيرة مفروشة. هناك أعدّا.

ان في هذه التعليمات الدقيقة، دليلاً واضحاً على علم المسيح الفائق، الذي يحيط بالمستقبل إحاطة دقيقة، لأن المستقبل «حاضرٌ» لديه. ويظهر ان المسيح كان يعرف «رب البيت» الذي كان — في الغالب — أحد أتباعه. لأن الكلمة: «يقول لك المعلّم» تحمل رسالة خاصة إلى شخص يعرف معناها، ويجلّها، فيخضع لسلطانها، ويجيب مطاليبها. ويقول متّى إن المسيح صبّغ رسالته بصبغةٍ خاصة، إذ قال «المعلم يقول ان وقتي قريب. عندك أصنع الفصح مع تلاميذي»: بمعنى انه لا يمكنه الانتظار إلى الغد — الجمعة — ليمارس الفصح اليهودي في أوانه، لانه في هذا الأوان المحتوم، سيكون مرفوعاً على الصليب. ليقدّم عن العالم فصحاً جديداً. لذلك يريد أن يسبق الفصح المعتاد، بيوم واحد، ويصنع فصحه مع تلاميذه في يوم الخميس. من هذا يتضح لنا ان حَمَل الفصح، الذي أكله المسيح مع تلاميذه، لم يُذبح في الهيكل كما جرت العادة منذ حكم يوشيّا، بل ذُبح في البيت كما قضت به الشريعة على يد موسى (خروج ١٢).

(عدد ١٢). طلب المسيح من صاحب البيت «منزلاً». والكلمة المستعملة «منزلا» هنا، هي عين الكلمة التي وردت في (لوقا ٢:٧) «لم يكن لهما موضع في المنزل». فما أشبه يوم عيده بيوم ميلاده! فكلاهما كانا في «منزل» — فندق أو خان. والفرق البسيط الذي بين اليومين: هو ان المسيح في يوم ميلاده،

١٣ فانطلقا ووجدا كما قال لهما فاعدَّا الفصح ١٤ ولما كانت الساعة اتكأ والاثنا عشر رسولاً معه

لم يكن له موضع في المنزل. لكنه في يوم عيده وجد «عليّة» مفروشة.

(عدد ١٣). فانطلقا ووجدا، وفعلا، كما قال لهما. فأخذهما هذا الرجل الكريم إلى عليّة كبيرة مفروشة، مُعدَّة. تقع العليّة عادة في الدور الثاني، ويصعدون اليها من سلّم البيت الخارجية. وفي عيد الفصح كانوا يضعون فيها وسادات ليتكىء عليها آكلو الفصح — هنا أعد التلميذان كل شيء

(٢) ممارسة الفصح الجديد (٢٢: ١٤ — ٢٣). تمهيد (عدد ١٤) «ولما كانت الساعة» التي عيّنها المسيح ليأكل فيها الفصح مع تلاميذه وهي تتفق مع الساعة التي يؤكل فيها الفصح العام في مساء الغد، أي بين «العشاءين» «اتكأ يسوع والاثنا عشر رسولاً معه». أكل اليهود فصحهم الأول وهم واقفون (خروج ١٢: ١٧). لكنهم فيما بعد. اعتادوا ان يأكلوه وهم متكئون. لأن رؤساءهم حسبوا ان الوقوف كان واجباً عليهم يوم أن كانوا في «موقف» العبيد في مصر، أما وقد خرجوا من العبودية وتمتعوا بالحرية والسلام، فمن حقهم اذاً أن يتكئوا. مُدَّت ثلاث موائد على شكل ثلاثة أضلاع من مربع، وتُرك الضلع الرابع خالياً، لدخول الخدَم، وعلى رأس المائدة الرئيسية اتكأ المسيح، وعن يساره اتكأ يهوذا الخائن وعن يمينه يوحنا الرسول، وعلى طرف المائدة الواقعة عن يسار يهوذا، اتكأ بطرس، فكان من السهل على هذا الأخير أن يومىء إلى يوحنا (يوحنا ١٣: ٢٣و٢٤)

١٥ وقال لهم شهوةً اشتهيت

يقع هذا الفصل في ثلاثة أدوار : (١) المسيح يعبّر عن شعوره من جهة الفصح (٢٢:١٥—١٨). (ب) : المسيح يعلن مرسوم الفصح الجديد (٢٢: ١٩و٢٠). (ج) : المسيح يتحدث عن خيانة يهوذا (٢٢:٢١—٢٣).

(١) المسيح يعبر عن شعوره من جهة الفصح (٢٢:١٥—١٨) : يجمل بنا ان نذكر هنا ، الخطوات المتتابعة التي كان يُمارَس بها الفصح اليهودي . الخطوة الأولى : يصلي رب البيت شاكراً الله ربَّ العالمين ، لانه خلق نتاج الكرمة . ثم يجيز كأساً من الخمر على كل الموجودين معه ، و بعدها يجيز عليهم الأعشاب المُرَّة، تذكيراً لهم بمرارة العبودية التي قاسوها في مصر الخطوة الثانية: يُجيز رب البيت كأساً أخرى على أعضاء العائلة، ثم يستوضحه أحد أبنائه عن سبب إقامة الفصح، فيجيبه جواباً رسمياً عن أصل الفصح وغايته. الخطوة الثالثة : يأخذ رب البيت فطيرتين ، و يشكر الله، ثم يكسر احداهما، و يغمس نصفها في عصير خاص، مصنوع من عصير التين و بعض الفاكهة، و يأكله ، ثم يأكل من خروف الفصح مع أعشاب مُرة ، و يحذو حذوه كل أبناء البيت— هذا هو قلب الفصح . ثم تُختَتَم هذه الخطوة الثالثة بشرب كأس ثالثة يسمونها « كأس البركة » . الخطوة الرابعة : يوزّع رب البيت كأساً رابعة ثم يسبحون و يهللون بما جاء في المزامير ١١٢—١١٨ .

عبّر المسيح عن شعوره من جهة الفصح ، بكلمتين : احداهما تختص بالماضي: «شهوة اشتهيت». والثانية تشمل المستقبل: «اني لا آكل منه بعد»:

أن آ كل هذا الفصح معكم قبل ان أتألم ١٦ لاني أقول لكم إني لا
آ كل منه بعد حتى يُكمل في ملكوت الله ١٧ ثم تناول كأساً

(عدد ١٥) : الكلمة الخاصة بالماضي . « وقال لهم شهوة اشتهيت ان آ كل هذا الفصح معكم قبل ان اتألم » . هذا تعبير عبري ، يقابل غالباً ، الخطوة الأولى التي كان يتخذها رب العائلة اليهودية . ان في هذا القول سروراً يمازجه الألم.أما السرور ، فلأنه استطاع ان يأ كل هذا الفصح مع تلاميذه ، ليعطيه صبغة جديدة ليجعله فاصلاً بين عهدين: بين فصح عتيق بالٍ يتكرر ، و بين فصحٍ جديد روحيٍّ قُدِّم مرة واحدة . أما ألمه فلأنه يذكره بخطايا العالم التي لأجلها قد جاء ليُصلَب .

(١٦:٢٢ — ١٨) كلمته الخاصة بالمستقبل . « لأني أقول لكم اني لا آ كل منه بعد ، حتى يُكمل في ملكوت الله » . كان هذا الفصح ناقصاً لأن حمل الهيكل لم يكن قد ذُبح بعد . لكن الفصح الجديد سيكون كاملاً ، لأن ذبيحة المسيح الكفارية ستكون وليمته الدائمة في عشاء عرس الحَمَل (رؤيا ٩:١٩) . و يظهر نقصه أيضاً ، في أن ذبيحته تتجدد كل سنة «لضعفها وعدم نفعها» (عبرانيين ١٠ :١١) .

« ملكوت الله » هو ملك المسيح الذي سيبسطه عند مجيئه الثاني (١ كورنثوس ١١ :٢٦)

ان الكأس المذكورة في عدد ١٧ ، هي في الغالب الكأس الأولى في ممارسات الفصح . هذه تناولها يسوع وشكر ، وأجازها على تلاميذه ، وقال

وشكر وقال خذوا هذه واقتسموها بينكم ١٨ لاني أقول لكم إني
لا اشرب من نتاج الكرمة حتى يأتي ملكوت الله ١٩ وأخذ خبزاً

« خذوا هذه واقتسموها بينكم » . والكلمة « تناول » تفيد ان يسوع أخذ الكأس من يد أحد الخدم بعد ان ملأها وسلمها له. والقول «لا أشرب من نتاج الكرمة حتى» ، يفيد ان المسيح اشترك معهم في هذه «الكأس الاولى» وهي كأس الفصح لا كأس العشاء الرباني . والكلمة «نتاج الكرمة» فيها ترديد لصدى كلمات الشكر التي كان يفوه بها رب العائلة اليهودية . وقول المسيح «لا أشرب من نتاج الكرمة» يقابل ما قاله عن الفصح في عدد ١٦ ، مع شيء من التدرج في المعنى: قصد المسيح بقوله في عدد ١٦ ، ان هذه آخر سنة له على الارض. وقصد بقوله في عدد ١٨ ، ان هذا آخر يوم له على الارض.

(ب) المسيح يضع مرسوم الفصح الجديد (٢٢ : ١٩ و ٢٠). ان ما أجراه المسيح في هذه الفريضة. يتمشى مع الخطوتين: الثانية والثالثة في ممارسات الفصح اليهودي. فلم يضف المسيح شيئاً إلى الفصح العتيق. لكنه مسحه بمسحةٍ خاصة مقدّسة، وأعطاه معنىً جديداً روحياً . ذلك الفصح كان يمارسه اليهود ، ليذكروا به «يهوه» الذي أخرجهم من أرض مصر من بيت العبوديّة، لكن هذا الفصح الجديد ، قد حوّله المسيح لذكرى شخصه : « اصنعوا هذا لذكري » . هذا دليل قاطع على ثقته الكاملة بأنه هو « يهوه » المتجسّد . لانه خصّص لنفسه ، الحقوق التي كانت « ليهوه » في العهد القديم .

(عدد ١٩). «أخذ خبزاً وشكر وكسر وأعطاهم قائلاً هذا هو جسدي

وشكر وكسّر وأعطاهم قائلاً هذا هو جسدي الذي يبذل عنكم. اصنعوا هذا لذكري ٢٠ وكذلك الكأس أيضاً بعد العشاء قائلاً

الذي يُبذَل عنكم. اصنعوا هذا لذكري» . أخذ المسيح هذا الخبز من الفطير الذي كان يُؤكل مع حَمَل الفصح فاستخدمه هو لفصحه الجديد. والقول: « الذي يُبذل عنكم » يقابل الكلام الذي كان يتلوه رب العائلة اليهوديّة على ابنائه، عن الغاية من إقامة «الفصح»—انه ذُبحَ فداءً عنهم . «اصنعوا هذا لذكري» هل تتركّز قوّة هذه العبارة في كلمة «هذا» ام في «ياء» المتكلم في «ذكري»،أم في كلتيهما معاً ؟؟! ربما كان الرأي الاخير هو الاصحّ .هذه الجملة الاخيرة«اصنعوا هذا لذكري»،ذكرها لوقا و بولس فقط.(١ كورنثوس ١١:٢٤)

(عدد ٢٠) « وكذلك الكأس أيضاً بعد العشاء » انقضت فترة بين أكل الخبز و بين تناول الكأس أيضاً «الكأس أيضاً بعد العشاء» . ولعل هذه الفترة انقضت في التحدث عن الفصح العتيق ومقارنته بالفصح الجديد . ان «للكأس» التي استُعملت في العشاء الرباني (عدد ٢٠) هي «الكأس الثالثة» في ولمة عيد الفصح — تلك الكأس المعروفة « بكأس البركة » . هذا يؤيّده قول بولس « كأس البركة التي نباركها أليست هي شركة دم المسيح » (١ كورنثوس ١٠:١٦) ؟؟

وَصَفَ المسيح دلالة هذه الكأس بالقول : «هذه الكأس هي العهد الجديد بدمي الذي يُسفك عنكم »—بمعنى ان هذه الكأس ترمز إلى العهد الجديد،الذي أقطعه معكم وأختمه بدمي.بارك المسيحُ الخبزَ ليعلّمنا ان نشكر

رب السماء على خيراته. وليكشف لنا انه هو - المسيح - صاحب السلطان الذي بركته تغني. وقد شكر «على الكأس» ليرينا مَبلغ تطوّعه وترحيبه بكأس الموت لأجلنا. فاذا شكر هو على كأس الموت، أفلا نشكر نحن على كأس الحياة؟؟

إنّ انفصال الخبز عن الكأس، يرمز إلى موت المسيح، بكيفيّةٍ مريعةٍ على الصليب. «والخبز المكسور» يرمز إلى جسده المطعون لأجلنا، «ونتاج الكرمة»، الذي في الكأس يرمز إلى دمه المسفوك لأجلنا. والخبز والكأس يرمزان معاً، إلى كفارة المسيح الكاملة والكافية للعالم أجمع. ويُستدَل من قوله «خذوا..» ان كل ما يعمله المسيح لأجل خلاصنا، لا ينفعنا ان لم نقبله روحياً في قلوبنا، ونخصّصه بالايمان لذواتنا. فكما ان «الخبز» هو قوام الحياة، «والخمر» هي بهجة الحياة، كذلك فداء المسيح: ينيلنا الحياة ويمتّعنا ببهجة الخلاص في جدّة الحياة. يقول المسيح «أنا حي لذلك أنتم أيضاً ستحيون» ويقول بولس «فأحيا لا أنا بل المسيح يحيا فيّ».

لم يصعب على تلاميذ المسيح، أن يفهموا قصده من هذه الكلمات المجازيّة الروحيّة: «هذا هو جسدي»... «هذا هو دمي»، لأنهم سبقوا فسمعوا منه القول: «أنا هو الباب».. «أنا هو الطريق».. «المزروع على الأرض الجيّدة هم الذين يسمعون»... «أنتم ملح الأرض». «أنتم نور العالم».. «أنا هو نور العالم». ويقول بولس الرسول: «... والصخرة كانت المسيح» (١ كورنثوس ١٠:٤).

العهد الجديد بدمي الذي يُسفك عنكم ٢١ ولكن

وما يساعد على الاعتقاد بان الكلام هنا مجازي لا حرفي، كون جسد المسيح لم يكن قد كُسر بعد، عند ما قال: هذا هو جسدي» ، بل كان سالماً، وكان الخبز موضوعاً على حدة، فلن يكون هو والجسد شيئاً واحداً. فضلاً عن هذا، فإن بولس الرسول يؤكد ان الخبز، بعد حلول البركة عليه، لم يزل بعدُ خبزاً «الخبز الذي نكسره اليس هو شركة جسد المسيح»؟ (١ كورنثوس ١٠: ١٦). فاذاً قد اعتبره الرسول « شركة » جسد المسيح، لا « جسد » المسيح بالذات. وقول المسيح عنه في موضع آخر « كلما أكلتم هذا الخبز » — بعد حلول البركة على الخبز. يزاد إلى هذا، ان المسيح قال عن محتويات الكأس — بعد حلول بركته عليها، و بعد توزيعها — أنها «نتاج الكرمة» (متى ٢٦: ٢٤).

كل آية أجراها المسيح في الكتاب المقدس، قد أيدتها الحواسّ بعد وقوعها. ان ذلك الأعمى لم تُفتح عيناه بالايمان، مع بقائه ضريراً بالعيان، بل انفتحت عيناه بالايمان و بالعيان معاً. لكن البصر، واللّمس، والشمّ، والذوق تشهد معاً على ان «الخبز والخمر» باقيان في جوهرهما كما هما. على ان عدم تحول الخبز والخمر، لا يقلّل من قيمتهما، فإن بركة المسيح حالّة، ونعمته حاضرة فيهما. فكل اهانة، أو عدم مهابة، تصوّب اليهما، تحسب اجراماً في جسد الرب وفي دمه (١ كورنثوس ١١: ٢٧ و ٢٩).

(ج) حديث المسيح عن خيانة يهوذا (٢٢: ٢١—٢٣). « ولكن » — هذه كلمة كالسّيف القاطع! ما أشبهها بسهام الغروب التي تفصل بين النهار

هوذا يدُ الذي يسلمني هي معي على المائدة ٢٢ وابن الانسان
ماضٍ كما هو محتوم . ولكن ويل لذلك الانسان الذي يسلّمه

والليل «العهد الجديد بدمي الذي يُسفك عنكم» — هذا هو النهار. «هوذا يد الذي يُسلمني هي معي» — هذا هو الليل الدامس . كان يهوذا معهم لكنه لم يكن منهم، ولا كان متعاهداً معهم في « العهد الجديد » ، لانه سبق فقطع عهداً آخر مع رؤساء الكهنة: «وعاهدوه فواعدهم» (لوقا ٢٢:٥و٦) ولن يقدر الانسانُ الواحدأن يشربَ كأسَ الربِ وكأسَ شياطين(١ كورنثوس١٠:٢١).
نطق المسيح بهذه الكلمات ، وقلبه تغمرة معه أمواج الحزن — لا على نفسه — «لأن ابن الانسان ماضٍ كما هو محتوم» ،بل على يهوذا المسكين الذي غرقَ وحبلُ النجاة بين يديه . «لكن ويل لذلك الانسان» — يهوذا — «الذي يُسلّمه » . هذه هي أقوى حجة لنقض الاعتراض القائل « إذا كان صلب المسيح مقضياً به من الله،فما ذنب اليد التي تنفذ هذا القضاء ؟؟» . ذنبها أنها يد أثيمة مجرمة،لم تنفِّذ قضاء الله اكراماً لله،بل اطاعةً لشهوات نفسٍ دنيئة قد دفعتها إلى فعلتها الشنعاء . كان يهوذا متمتعاً بكامل حرّيته،عند ما أقدم على فعلته،لانه كان يجهل قضاء الله . لو لم يسلِّم المسيحُ بيد يهوذا،لسلّمه غير يهوذا ، إذاً لماذا باع يهوذا نفسه للشر ، ليكون سهماً قاتلاً بدلاً من أن يكون بلسماً شافياً ؟؟ هذا سؤال نتركه ليهوذا ليقدِّم عليه الجواب .

أما جوابنا نحن فهو : «لأن يهوذا أراد» . «فويل لذلك الانسان» !؟

٢٣ فابتدأوا يتساءلون فيما بينهم من ترى منهم هو المزمع أن يفعل
هذا ٢٤ وكانت بينهم أيضاً مشاجرة

(عدد ٢٣). كان يهوذا قديراً على إخفاء نيَّاته، لأنَّ أمره كان إلى اليوم، مخفيّ عن التلاميذ: حتى أنهم «ابتدأوا يتساءلون فيما بينهم من ترى منهم هو المزمع ان يفعل هذا». يا ليته استخدم قوة ارادته هذه، في قمع شهواته، وكبح جماح مطامعه. بدلاً من انفاقها على إخفاء نيَّاته.

(٣) الأحاديث بعد العشاء — وعود وتحذيرات (٢٢: ٢٤—٣٨)

«افكاري ليست أفكاركم» يقول الرب. كانت افكار المسيح منصرفة إلى آلام الصليب التي كانت تنتظره، فأين كانت افكار تلاميذه في هذا الوقت؟! كانت — لمزيد الأسف — حائمةً حول مراكزهم المرتقبة، في الملكوت المزعوم. ان عقولهم غير الناضجة قد استنتجت من بعض كلمات المسيح عن الملكوت الجديد، انه سيقيم لهم، عما قليل، ملكوتاً منظوراً يكونون فيه حكاماً ووزراء. لذلك أرادوا أن يسبقوا الزمن، فيضمنوا مراكزهم قبل أن يسبقهم اليها سواهم. ربما كان يطمع يهوذا في أن يكون وزير المالية في الملكوت الجديد، وفيلبس وزير الخارجية، ويعقوب وزير الأشغال، وبطرس رئيس الوزراء، ويوحنا مستشار الملك او حامل الأختام!

يظهر ان عوامل هذه المشاجرة، كانت قد بدئت عند ما حان موعد غسل أرجلهم من غبار السفر، قبل أن يتكئوا حول المائدة، لأنَّ النعال التي كانوا ينتعلونها، لم تغطِّ الاّ أخمص القدم. فإذا ما حلَّ التلاميذ

من منهم يُظنّ انه يكون اكبر ٢٥ فقال لهم .

في بعض المنازل ، كان خَدَم هذه المنازل يؤدّون هذه الخدمة . وان حلّوا داراً وضيعة ، قاموا هُم بغسل بعضهم ارجل بعض ، و بما أن هذا العشاء «رسمي» وعظيم ، أخذ كلٌّ واحد منهم يستصعب القيام بهذه الخدمة لرفقائه ، كأنه أحقر منهم مقاماً،لذلك «قامت بينهم مشاجرة من منهم يُظن انه يكون اكبر» . ومن المحتمل ان تساؤلهم عن «أحقرهم» الذي يسلّم سيّده (عدد ٢٣)،قد أدّى بهم إلى تساؤلهم عن «أكبرهم» الذي سيُجلسه السيّد عن يمينه في ملكوته الجديد .

أجابهم المسيح جواباً ينطوي على:(ا) تعنيف لطيف (٢٢:٢٥—٢٧). (ب) وتشجيع عظيم (٢٢:٢٨—٣٠) أما تعنيفه فقد صوّبه إلى عيوبهم ، وأما تشجيعه فقد وجّهه إلى ما رآه فيهم من صلاح – والصلاح كان في عينيه ، لا في أشخاصهم .

(ا) تعنيف لطيف (٢٢:٢٥—٢٧). ما أجلّ وداعة المسيح، وما أجمل صبره ! لقد تحمّل الفادي هؤلاء التلاميذ ، يوم دبّ فيهم الخلاف ، عن العظمة،في حادثة سابقة لهذه (لوقا ٩:٤٦) ، وها هوذا يتحملهم الآن بصبره المعهود ، بعد ان غادرتهم هذه « الحُمّى » ، في هذا الظرف الدقيق ، الذي يجتاز فيه سيّدهم وادي التضحية والألم . الآن ، نرى « الطبيب الأعظم » وقد غض الطرف عن الجراحات التي تنتظره ، لينصرف إلى معالجة هؤلاء المرضى المحمومين . وما ألطف الدواء الذي يعالجهم به . فبدلاً من أن يوبّخ

ملوك الامم يسودونهم والمتسلطون عليهم يُدعَون محسنين ٢٦ وأما
انتم فليس هكذا . الكبير فيكم ليكون كالاصغر . والمتقدِّمُ كالخادم
٢٧ لان من هو اكبر . الذي يتكىءُ أم الذي يَخدُم . أليس الذي يتكىءُ

هؤلاء «الصيادين» ويذكِّرهم بشباكهم ، ليصرفهم بها عن كبريائهم ، اذا به يمثّل لهم بملوك العالم؟! ولِمَ لا ؟ ألم يجعلهم ملوكاً من طراز أرقى ؟ «ملوك الامم يسودونهم... واما انتم فليس هكذا...»...«انا اجعل لكم ملكوتاً... وتجلسوا على كراسيَّ» . لست ادري اكان المسيحُ بوداعته معنّفاً إياهم ، ام كان لطفُه معظِّماً لهم ؟؟

اقام المسيح في كلامه حداً فاصلاً بين مبادىء ملكوت الارض و بين مبادىء ملكوت السماء ، ان ملوك العالم يستمدون ألقابهم الجميلة الخلاّبة، من بطشهم وشدة بأسهم ، فيسودون الامم و يستبدّون بهم ، و يستعبدونهم . ولقاء هذا الاستعباد يتبرّع لهم الناس بلقب « المحسنين » تزلّفاً لهم . هكذا صنع بطليموس «الظالم» ، فتبرّعت له الرعيّة بطبع صورته على قطع النقود ، وأحاطوها بأطار محلّى بهذه الكلمة : « المحسن » . وكثيرون من ملوك اليونان ، قد توّجوا انفسهم بهذا اللقب اغتصاباً . «واما انتم فليس هكذا ، بل الكبير فيكم ليكن كالاصغر والمتقدّم كالخادم » .

(عدد ٢٧) . قد يعظ بعض المعلمين عن الوداعة فينطقون بكلمات جذّابة، براقة، لكنّ المسيح قد علّم بحياته قبل ان يعظ بلسانه: «لانه من هو اكبر ؟ الذي يتكىء ام الذي يخدم .أليس الذي يتكىء ؟» — كان يضع اليهود أشقّ

ولـكني أنا بينكم كالذي يخدم ٢٨ أنتم الذين ثبّتوا معي في تجاربي

الاعمال وأحقرها على الصّغار والشباب (اعمال ٥و٦و١٠)،«ولـكن انا بينكم كالذي يخدم».قد يكون المسيح مشيراً بهذه الكلمة،إلى ما قام به حديثاً،من غسل أرجل التلاميذ قبل العشاء (يوحنا ١٣: ٤و٥) ولـكن من المحتمل ان تكون هذه الكلمة مترجمةً عن كل حياة المسيح بين التلاميذ .

(ب) تشجيع عظيم (٢٢: ٢٨ — ٣٠).ما أجمل هذه الكلمات! انها تستمد جمالها من «الأطار» الأسوَد المحيط بها. قد نفهم أن المسيح يمتدح تلاميذه، في ساعة يكونون قد أظهروا فيها شيئاً من الشهامة . ولـكن ان يمتدحهم السيّد على ثباتهم ، في وقتٍ كانوا يتشاجرون فيه على العظمة ، وهو في ظل الصليب ؟؟— هذا دليل شهامة المسيح،و برهان لطفه الذي يعظّم المحتقَـر ين، والذي ينظر الى «الأفضل» في كل انسان. انتم الذين ثبّتوا معي».هل وراء كلمة « انتم » اشارة ضمنيّـة إلى يهوذا الذي لم يقوَ على الثبات ، فزلّت به القدم الى هاوية الحضيض ؟ ! هل كان جالساً معهم وقتئذ أم كان قد أخذ « اللقمة » وخرج ؟ ؟ اذا أخذنا بقَـول الذين يعتقدون انه كان باقياً معهم ، فان هذه الـكلمات تُحسَـب « عر بون » جهنّـمـه . لانها تذكّره بالمركز السامي الذي هبط منه ، فتثير عليه وخزات ضميره .

يستفاد من كلمة «تجاربي» ، ان الشيطان لم يقصر همه على هجومه على المسيح في البريّة،بل أعاد الـكرّة مرات عديدة. لذلك يقول لوقا «ولما أكمل ابليس كل تجر بة فارقه إلى حين» (لوقا ٤: ١٣).ر بما جُرّب المسيح بان ينثني

٢٩ وأنا أجعل لكم كما جعل لي أبي ملكوتاً ٣٠ لتأكلوا وتشربوا
على مائدتي في ملكوتي وتجلسوا على كراسيّ تدينون اسباط

عن عزمه ، أو ان يختار سبيلاً اكثر نعومة من الصليب ، أو ان يملك العالم بالاستسلام له ، والانقياد لمبادئه . وقد تشير هذه « التجارب » إلى المرات العديدة التي رُفض فيها المسيح من خاصته التي اليها قد جاء .

لا ينسى المسيح كأس ماء باردة تقدم باسمه لاحد اتباعه ، ولن ينسى وقفة شريفة يقفها انسان ضعيف الى جانبه .

جليلةٌ هي المكافأة التي يُثيب بها المسيحُ تلاميذه « . . . ملكوتاً » اذاً سيصبح الصيادون ملوكاً . ان خير تفسير لهذه الكلمة ، هو كلمة أحد هؤلاء الصيّادين: «انا يوحنا اخوكم ... في ملكوت يسوع المسيح ..وجعلنا ملوكاً وكهنة » . (رؤيا ١: ٩و٦) . يراد بالملكوت ، النفوذ الرّوحي ، والسِّيادة الدينيَّـة،وتسلط الحق الالهي الذي وهبـهالمسيح لتلاميذه،اذ جعلهم رسلاً.هذه مكافأة مثلثة تتضمن: (١) شبعاً:«لتأكلوا» في الوليمة الملكيَّـة. (٢) سروراً:«وتشربوا على مائدتي في ملكوتي».(٣) سلطاناً:«وتجلسون على كراسيّ ، تدينون اسباط اسرائيل الاثني عشر » . يقول بولس الرسول ان القديسين سيدينون العالم .. وملائكة». (١ كورنثوس ٦: ٢و٣). فاذا كانت «دينونة» العالم اجمع ستقع من نصيب المؤمنين ، فان دينونة اسباط اسرائيل الاثني عشر ، ستقع من نصيب رسل المسيح . يعتقد « جودي » ان هذا الكلام حرفي، وينبىء بايام ملك المسيح المنظور ، بعد مجيئه الثاني.ويُحتمل

اسرائيل الاثني عشرَ ٣١ وقال الرب سمعان سمعان

ان يكون الكلام هنا روحياً مجازيّاً ، يراد به سيادة النظام المسيحي ، الممثّل في الرسل ، على النظام اليهودي الممثّل في الاسباط الاثني عشر ، وان الدينونة المقصودة، هي دينونة أدبية روحية، وأن المسيح أفرغ كلامه في هذه التعبيرات المجازية ، ليعطيه قوة لدى عقول التلاميذ البطيئة .

لقد أرسل المسيح تلاميذه ليبشروا اليهود ، فعلى قدر ما يقبل اليهود هذه البشارة أو يرفضونها ، تكون دينونتهم ، في محضر الرسل الذين بلّغوهم رسالة الانجيل . ان موعد هذه الدينونة هو يوم الدّين : « ملكة التيمن ستقوم في الدين مع رجال هذا الجيل وتدينهم »... «رجال نينوى سيقومون في الدين مع هذا الجيل و يدينونه» (لوقا ١١: ٣١و٣٢) .

(ب) تحذيرات المسيح لبطرس (٢٢: ٣١—٣٤) : يمكننا ان نتصور الفضاء العالي البعيد، الذي طارت اليه أفكار بُطرس الوثّاب الى العلاء، بعد ان سمع هذه الاعلانات الجيدة عن الملكوت، والكراسي ودينونة الاسباط! وفيما كان بطرس على هذه الحال ، اذا المسيح قد فاجأه في احلامه اللذيذة الخاصة بالمستقبل البعيد ، وأيقظه ، ليواجه حقيقة حاضره . فقدم له (١) تنبيهاً : «سمعان سمعان» . (٢) ضماناً : «ولكني طلبت» . (٣) توصية : «وأنت متى رجعت . . . » .

(١) التنبيه : «سمعان سمعان». مرتين نادى المسيح بطرسَ باسمه الأوّل، « سمعان » ومعناه : الضعيف المطواع، ولم يناده باسمه «بطرس» الذي معناه « الصخر » ، لكي يتنازل بطرس عن عظمة ادعائه ، و يذكر حقيقة بدايته .

هوذا الشيطان طلبكم لـكي يغربلـكم كالحنطة

«هوذا الشيطان طلبكم». لقد ذاق الشيطان حلاوة الانتصار. واستطعم لحمَ يهوذا، لذلك أراد ان يعمل «بغرباله» في جميع التلاميذ. يظهر لنا من القول «طلبكم» ان الشيطان كان مهاجماً المسيح بالذات،حين قصد ان يستميل اليه تلاميذه، اعتقاداً منه ان التلاميذ هم جنود المسيح ومتى أُسِر الجنود، فان مركز القائد يصبح «مكشوفاً» مهدَّداً (يوحنا ١٤ : ٣٠). اراد الشيطان ان يلعب ذات الدور الذي لعبه مع ايوب (ايوب ١ : ١١و١٢). ان هذه الكلمات تريق نوراً على شخصية الشيطان: (ا) في ميله للتعدي: «طلبكم» — ولا عجب. لان اسمه مشتق من «شَطَن» بمعنى عاند، واعتدى. (ب) في عجزه: «طلبكم» لانه لا يقدر ان يعمل شيئاً من غير اذن الله.(ج) في خبثه وشره: «لكي يغربلكم كالحنطة» ليعرف من منكم «قمح»، ومن منكم «زوان». ان استعارة الغربال مستمدَّة من عاموس ٩:٩و٢٠. كان خطاب المسيح موجهاً الى بطرس—مع ان تجربة الشيطان كانت منصبَّة على الجميع—لأن بطرس كان كليمهم، الذي أقام نفسه للزعامة، ولأن بطرس كان أقربهم الى السقوط. ولقد كان لهذا التنبيه أثره الفعال في حياة بطرس—ولكن فيما بعد: «اصحوا واسهروا لأن ابليس خصمكم ..» (١ بطرس ٥:٨و٩).

من العجيب ان الله أجاب الشيطان الى طَلبه هذا الى حدٍّ ما،فضعُفَ إيمان بطرس،حتى أنـكر سيده،وتزعزع إيمان توما،فشكَّ في صَلب سيده، لـكن إيمانهما لم يفنَ مثل إيمان يهوذا، والسر في هذا يرجع الى :—

٣٢ ولكني طلبت من أجلك لكي لا يفنى ايمانك . وأنت متى رجعت ثبّت إخوتك ٣٣ فقال له

(٢) الضمان: (عدد ٣٢) «ولكني طلبت من أجلك لكي لا يفنى ايمانك». «الشيطان طلبهم» - هذا هو المجرب المغري المسيح « طلب من أجل بطرس» هذا هو الشفيع المعزّي (يوحنا ١٧: ٩و ١١). واذا ما طلب المسيح شيئاً أضحى طلبه أمراً واقعاً، فهو « كلمة الله». «ولكني طلبت من اجلك» — هذا هو السر في الفرق بين مصير يهوذا الخائن و بين امجاد بطرس الرسول. ان المسيح لا يمنعنا من دخول التجربة ، لكنه يعدنا بالمحافظة علينا فيها، اذا لم نكن قد أدخلنا انفسنا اليها .

(٣) الوصية: «وأنت متى رجعت ثبّت اخوتك» هذه هي النتيجة التي يظفر بها الانسان بعد نجاته من التجربة، إنه يصبح اهلاً لأن يعين المجرّبين. «فاعلّم الأثمة طرقك» (مزمور ٥١: ١٣). جاء المسيح بعد القيامة، الى بطرس الذي انكره وقال «يا سمعان أتحبني.. ارعَ غنمي» (يوحنا ٢١: ١٧). يظهر ان هذه الكلمات: «متى رجعت ثبت» قد انطبعت بأحرف من نار على قلب بطرس فلم ينسها عند كتابة رسالته: «واله كل نعمة...هو يثبتكم». (١ بطرس ٥: ١٠) «لانكم كنتم كخراف ضالة لكنكم رجعتم الآن» (١ بطرس ٢: ٢٢). «الرجوع» الذي قصده المسيح ، هو قيام بطرس من سقطته وزلته .

عدد ٣٣. مما يؤسفُ له ان هذا التحذير لم يأت بثماره العاجلة في حياة بطرس ، لأن بطرس كان مشتغلاً بثقته بنفسه واعتزازه بقدرته ، فلم يسبر

يا رب إني مستعد أن امضي معك حتى الى السجن والى الموت
٣٤ فقال أقول لك يا بطرس لا يصيح الديك اليوم قبل ان تنكرَ
ثلاث مرات انك تعرفني

غور كلمات للمسيح فقال له «يا رب اني مستعد ان امضي معك حتى الى السجن والى الموت» . هذه اول خطوة في سقوط بطرس — اعتزازه بقدرته . « من يتكل على قلبه هو جاهل» (امثال ٢٨:٢٦).من يظن انه قائم فلينظر ان لا يسقط (١ كورنثوس ١٠:١٢). عجيب ان بطرس كان مستعداً لاقتحام عظائم الأمور ، حتى الى السجن والى الموت، لكنه لم يكن مستعداً لما هو أقل من ذلك — للصلاة والسهر في بستان جثسياني ، ولم يكن مستعداً للوقوف أمام جارية في بيت رئيس الكهنة ! ما كان أعظم ثقة بطرس بنفسه حين قال لمولاه « أمضي معك » ! من اخطر الأمور ان يعتمد الانسان على شعوره ، لأنّ شعور الانسان كوعود الانسان ، كجمال الخيال ، كحقيقة الانسان : « بخار يظهر قليلاً ثم يضمحل » .

(عدد ٣٤) . ان ادعاء بطرس لم يزحزح المسيح عن وداعته ولطفه : « اقول لك يا بطرس لا يصيح الديك اليوم قبل تنكر ثلاث مرات انك تعرفني» . نادى المسيحُ « بطرسَ» باسمه الذي وهبه اياه ، ليذكّره بالمركز السامي الذي رفعه المسيح اليه . يُقال ان الديك كان يصيح ثلاث صيحات منظّمة في الليل : الصيحة الأولى بين الساعة ١٢—١ صباحاً . والثانية نحو الساعة الثالثة صباحاً . والصيحة الثالثة بين ٤—٦ صباحاً .

٣٥ ثمَّ قال لهم حين أرسلتكم بلا كيس ولا مزود ولا أحذية
هل أعوزَكم شيء . فقالوا لا ٣٦ فقال لهم لكن الآن من له كيس
فليأخذهُ

اذا ما قيل ان وعود الليل يمحوها النهار ، فماذا تقول في وعود بطرس ، التي مُحِيت قبل ان تطلع شمس النهار ؟ ؟ هذه أجِنَّة ماتت بُعَيد ولادتها ، فكان مهدُها لحدَها .

من للدهش ان الرسل وكتبة الانجيل ، لم يلقوا ستاراً على عيوبهم ، بل سجلوها على أنفسهم كما هي . ومن العجيب ان الكاتب الذي عُني بتسجيل خطية بطرس بافاضة ، هو مرقس — أقرب الكتَّاب الى قلب بطرس . هذا اكبر دليل على انهم رواة صادقون ، لا يعرفون في حمل سيف الحق موار بة ، ولو كان هذا السيف يقطع رقابهم ، ويودي بحياتهم .

(ج) رب السلام أمْ رجل السيف ؟؟ (٢٢: ٣٥ ٣٨). «ثم قال لهم حين ارسلتكم بلا كيس ، ولا مزود ، ولا أحذية هل أعوزكم شيء ؟ ؟ » بهذه الكلمات ، ذكَّرهم المسيح بقوته التي ظهرت حينما جالوا يبشرون بأمره ، ولم يفتقروا الى شيء ، مع انهم كانوا مجرَّدين عن وسائل المعيشة والحماية (لوقا ٩: ٣ و ٢٠: ٤) ، فاعترفوا له بصدق هذا القول ، وأجابوه قائلين : «لا» : أي لم يعوزهم شيء . ألا يرجع هذا الكلام بذاكرتنا الى «مزمور الراعي» الذي يُستَهل بالقول : « الرب راعيَّ فلا يعوزني شيء » ؟

(عدد ٣٦) . « فقال لهم ولكن الآن ، من ليس له كيس فليأخذه ،

ومزود كذلك ومن ليس له فليبع ثوبه ويشترِ سيفاً . ٣٧ لاني
أقول لكم إنه ينبغي أن يتمّ فيّ أيضاً هذا المكتوب وأُحصيَ مع

ومزود كذلك ، ومن ليس له — أي من ليس له سيف — « فليبع ثوبه ويشترِ سيفاً » . وقد فسّرها بعضهم : « من ليس له مال ليشتري به سيفاً ، فليبع ثوبه ويشترِ به سيفاً . والرأي الأول هو الاقرب إلى المنطق .

مضى الوقت،الذي كانت فيه الجماهير ترحّب بالمسيح و برسله ، وظهرت بوادر أوقات عصيبة ، سيُعامَل فيها المسيحُ معاملة المجرمين «والأثمة» . قبلاً كان الشعب يستمع له، مُصغياً لكلماته،ومرحّباً بشخصه.والآن قد تسمّمت افكار الشعب من جهته بما نفثها فيها الكتبة والفريسيون من سموم قاتلة . لذلك قصد المسيح ان ينبّه التلاميذ،لتكون عيونهم مفتوحة ، وليُهيِّئوا انفسهم و ينظموا استعدادهم ، وفق هذا الانقلاب العظيم « فيلبسوا لكل حالة لبوسها » . « لكن الآن » ـ قبلاً ، كانوا يعتمدون على كَرَم الناس في أمر معاشهم ، و يطمئنون الى مسالمة الشعب لهم في المحافظة على أرواحهم. « لكن الآن . . » يجب عليهم ان يعتمدوا على انفسهم ، وان يستخدموا الحكمة في ترتيب معيشتهم ، وفي الدفاع عن أنفسهم ، لان العالم كله سيقف ضد سيدهم وضدهم . من الواضح ان المسيح لم يكن محدّثاً إياهم عن دفاعهم عنه . وكأني به يقول لهم : انا اتكلم من جهة انفسكم،واما من جهتي «فاني اقول لكم انه ينبغي ان يتمّ فيّ أيضاً هذا المكتوب وأُحصي مع أثمة.لأن ما هو من جهتي له انقضاء » ـ الاشارة هنا الى ما جاء في اشعياء ٥٣: ١٢ .

أثمة . لان ما هو من جهتي له انقضاء ٣٨ فقالوا له يا رب هوذا هنا سيفان . فقال لهم

هذه اقوى حجة على ان المسيح لم يطلب من التلاميذ أن يحملوا السّيف ، ليدفعوا الموت عنه ، لانه عالم أنه لا بدّ ان يموت ليتم المكتوب ، ولانه موقن أنّ بينه و بين الصليب يوماً واحداً (يوحنا ١٩: ٣٠) : «ما هو من جهتي له انقضاء» .

(عدد ٣٨). غاب عن التلاميذ ذلك القصد الروحي الأسمى، الذي كان يرمي اليه المسيح من كلامه المجازي هذا ، فظنوه انه طالباً منهم حمل السيّف البتّار للمدافعة عنه ، « فقالوا يا رب هوذا هنا سيفان » — وما قيمة سيفين في أيدي احد عشر صياداً ، لمواجهة كل قوات اليهود والرّومان ؟!

أجابهم المسيح بكلمة واحدة : «يكفي» ـ هذه ترجمة الكلمة العبرية « دّيير» التي كانت متداولة على ألسنة معلمي اليهود وقتئذ . ليسكتوا بها جهالة بعض تلاميذهم . في بعض الأوقات . وقد وجهها المسيح الى تلاميذه ليصرفهم بها عما كانوا يهرفون به من غير معرفة . وقد وجّهها الله قديماً الى موسى: «بل قال لي الرب « كفاك».لا تعد تكلمني ايضاً في هذا الأمر» (تثنية ٣: ٢٦) . لن يصرّح المسيح لتلاميذه بأن يحملوا سيفين . إنما سيف واحد هو الذي سمح لهم به ـ هو سيف الرُّوح — الذي هو كلمة الله .

يقول يوحنا الذّهبيّ الفم ان هذين «السيفين» لم يكونا سوى سكينين كبيرين ، استخدمهما بطرس و يوحنا في اعداد حمل الفصح . وقد يكون

يكفي ٣٩ وخرج ومضى كالعادة

هذا القول حقاً،ومن المحتمل أن يكون المراد بكلمة : «يكفي» : ان السيفين كافيان ـ لا بل واحد منهما يكفي ـ لتأدية الغرض الذي كان أمام المسيح وقتئذٍ : وهو تقديم فرصة جديدة لمقاوميه ، ليروا فيها شعاعاً جديداً من قدرته ورحمته في اللحظة الاخيرة،حين لمس أُذن عبد رئيس الكهنة وأبرأها، بعد ان قطعها احد تلاميذه بحدّ أحدِ هذين السيفين (لوقا ٢٢:٥٠) . إذاً كان هذان السيفان خادمين للرحمة ، لا رسولين للقضاء . فما اقربهما إلى مشرط الطبيب ، لا إلى سلاح القاتل المهاجم ؟ !

هذا اذاً هو رب السلام ، لا رجل السيف والحرب والصِّدام .

جثسيماني (لوقا ٢٢:٣٩—٤٦)

قام المسيح وتلاميذه، بعد عشاء الفصح الجديد،في وقت كان القمر قد طلع فيه ، فحمات أشعته الفضيَّـة تحيَّـةَ الوداع من «بدر التمام*» الى «شمس البر». فخرج المسيح مع الاحد عشر تلميذاً،من العليَّـة التي اكلوا فيها فصحَهم الجديد، ومرّوا في الأزقة الضـيِّقة،التي حجبت سقوفها نور القمر عنها ـ ما اشبهها بقلوب الفريسيين الضيقة،التي حجب تعصُّبها نورَ «شمس البر» عنها. اجتاز المسيح وتلاميذه هـذه الأزقة الضيقة ، تحت جنح الظلام ، وفي ستار مهيب من السكون والوقار ، الى ان بلغوا وادي قدرون ، حيث كانت كرومه تغتسل

* يقع الفصح اليهودي في الليلة الخامسة عشرة من الشهر القمري . فيكون هذا بدر الليلة الرابعة عشرة .

الى جبل الزيتون . وتبعه أيضاً تلاميذه ٤٠ ولما صار الى المكان

بأشعة القمر ، فتوجهوا شرقاً الى بستانٍ عند سفح جبل الزيتون ، في ضيعة يقال لها « جثسيماني » — أي « معصرة الزيت » .

هنالك في ذلك البستان التاريخي ، الذي يبعد نصف ميل عن أورشليم ، وتحت ظلال اشجار الزيتون العالية الكثيفة ، ذهب المسيحُ ليصارع الشيطان ، ويصرعه ، في معركة فاصلة ، ليُنسي البشريّة خسارة « الفردوس المفقود » ، وليسمو بها الى نعيم « الفردوس المردود » . اذاً كان بستان جثسيماني حلقةَ الاتصال بين « الفردوس المفقود » في جنة عدن ، و بين « الفردوس المردود » في جنة الخلود . في فردوس عدن سقط آدم فغوى ، وفي فردوس النعيم سيتمتع أبناء آدم بهناء مقيم ، وفي بستان (فردوس) جثسيماني أطاع المسيح — آدم الثاني — اطاعة كاملة حتى الموت ، موت الصليب والعار . هذا هو الفرق بين « حمل الله » و بين « حَمَل الفصح » . كان يُقدّم حمل الفصح من غير ان تكون له ارادة ، لكن حمل الله رُفع على الصليب طائعاً مختاراً . في قلب هذا البُستان سلّم المسيح نفسه — بتسليم ارادته — للآب السموي ، قبل ان يسلّم جسده لاعدائه عند باب البستان . فما اقربَ الصلة بين جثسيماني و بين الجلجثة ! في جثسيماني أُكمِلَ الصلب جوهرياً ، وعلى الجلجثة تمّ الصلب عملياً . في جثسيماني صُلبَ المسيح بالحق ، وعلى الجلجثة صُلبَ بالفعل . في جثسيماني اكتسب المسيح المعركة الفاصلة ، وعلى الصليب تمتع بثمرة هذا الظفر .

(٢٢ : ٣٩ — ٤٠) تمهيد : قصد المسيح ذلك البُستان « كعادته » (لوقا ٢١ :

قال لهم صلوا لكي لا تدخلوا في تجربة

٣٧) «وكان يهوذا مسلمه يعرف الموضع لان يسوع اجتمع هناك كثيراً مع تلاميذه» (يوحنا ١٨ : ٢) . ويرجح بعض المفسرين، ان ذلك البستان كان ملكاً لمرقس . «وتبعه أيضاً تلاميذه» — الأحد عشر ، بعد ما سبحوا معاً تسبحة الفصح (مرقس ١٤ : ٣٦) . «ولما صار الى المكان» اجلس ثمانية من الرسل عند مدخل البستان، «وقال لهم صلّوا لكي لا تدخلوا في تجربة» ويغلب على ظننا انهم لم يعملوا بهذه النصيحة بل قضوا وقتهم نائمين تحت كنف الأشجار — هكذا عمل الثلاثة المختارون منهم (مرقس ١٤ : ٤٠) .

علم المسيح أنّ ابليس لا ينوي ان يهاجمه وحده، بل يهاجم أيضاً تلاميذه وجنوده . لذلك حذرهم المسيح منه، وأوصاهم ان يسهروا و يصلّوا، لئلا تتغلب عليهم التجربة العتيدة ان تهاجمهم: «اضرب الرّاعي فتتشتت الغنم» (زكريا ١٣ : ٧)، ثم ترك هؤلاء الثمانية ، وتوغل في البستان آخذاً معه الثلاثة الذين اختارهم عند اقامته ابنة يايرس ، وعند صعوده على جبل التجلّي . هؤلاء شاهدوا منه حزناً واكتئاباً ، كما شاهدوا منه على الجبل بهجةً ومجداً وجلالاً . على جبل التجلّي أراهم شمس عظمته في أوج مجدها ، وهنا في البستان ، أراهم بداية احتجابها وراء أفق الآلام ، لتعود مشرقةً من ذرى القيامة المجيدة .

اذا كان المسيح قد ترك التلاميذ الثمانية ، في « الدار » الخارجية من « هيكل » جثسيماني ، واذا كان قد أخذ الثلاثة المختارين وأدخلهم معه الى « القدس » ، فانه دخل وحده الى « قدس الاقداس » ، وانفصل عنهم نحو

٤١ وانفصل عنهم نحو رمية حجر وجثا على ركبتيه وصلى

«رمية حجر»، لأن عيون التلاميذ لا تقوى على رؤية «العلّيقة الجديدة»، «تتوقّد» بالنار من غير ان تحترق. فلنخلع أحذيتنا من أرجلنا «لأن الموضع الذي نحن واقفون عليه ارض مقدسة»، اذ نحنُ داخلون الى عمق أعماق آلام المسيح.

يسجل لنا لوقا في هذه الحادثة أربعة أمور: (١) صلاة المسيح (٢٢:٤١ و٤٢). (٢) ظهور الملاك وخدمته ليسوع (٢٢:٤٣). (٣) تأثير مصارعة جثسيماني على جسد يسوع (٢٢:٤٤). (٤) وصية المسيح النهائية لتلاميذه (٢٢:٤٥ و٤٦)

(١) صلاة المسيح (٢٢:٤١ و٤٢): يقدّم لنا هذان العددان وصفاً مزدوجاً لصلاة المسيح: (أ) في طبيعتها: صلاة الانفراد والوحدة، (عدد ٤١): «انفصل عنهم نحو رمية حجر». هنا يتم فيه القول «قد دستُ المعصرة وحدي» (اشعياء ٦٣:٣). ان جوّ صلة المسيح بالآب، أقدس من أن يتحمله التلاميذ الاخصاء. هذه منطقةٌ مكتوبٌ على حدودها «ممنوع الدخول». لأننا وان كنا جميعاً ابناء الله، لكن بنوّتنا ليست في مستوى بنوّة لمسيح «ابن الله الوحيد»، فهو الابن الحبيب الذي به وحده قد سُر الآب». واذا جاز لنا ان نخاطب الله بالقول: «ابانا»، فانّ المسيح هو صاحب الحق الأوحد في مخاطبته بالقول «يا ابتاه». يعتقد بعض السائحين ان المكان الذي بلغه المسيح بعد ان انفصل عن التلاميذ، تعيّنه ست أشجار كبرى، لا تزال باقية في موضع البستان الى يومنا هذا.

يقول لوقا ان المسيح «جثا على ركبتيه»، ويقول متى «وخرّ على وجهه» (متى ٢٦:٣٩) وكلاهما يؤيد قول الآخر ويكمّله. لوقا يصفه عند شروعه في الصلاة، ويصفه متى بعد ان تعمّق فيها.

٤٢ قائلاً يا أبتاه إن شئتَ أن تُجيزَ عني هذه الكأس . ولكن

(ب) جوهرها (عدد ٤٢): «قائلاً يا ابتاه ان شئت ان تجيز عني هذه الكأس لكن لتكن لا ارادتي بل ارادتك» — اذاً يليق بنا ان نسمي هذه الصلاة: «الصلاة الربانية» ، اما الصلاة المستهلّة بالقول «ابانا الذي في السموات» فيمكننا ان ندعوها : «صلاة التلاميذ» . هذه هي صلاة التسليم التام للآب ، هي صلاة التكريس الكامل (يوحنا ١٧ : ١٩) . هنا الهيكل الذي فيه قدّم المسيح ارادته — والارادة خلاصة الشخصيّة — ذبيحة مرضية للآب . لا يُستفاد من القول: «لكن لتكن لا ارادتي بل ارادتك» ان المسيح قَبِل الصليب مرغماً، ولا ان ارادته كانت مناقضة لارادة الآب ، بل يُستنتج منه ان المسيح أراد الصليب ، لانه أراد ان يجعل ارادته مطابقة لارادة الآب .

ترمز «الكأس» في العهد القديم الى «نصيب الانسان من الله» (مزمور ١٦ : ٥) . فالى أي شيء تشير « الكأس » هنا ؟ أ كانت هي كأس الموت التي يذوقها كل انسان ؟ اذاً أ كان المسيح أقل شجاعة من بطرس الذي قَبِلَ صليبه — كما يحدثنا التقليد — راضياً مختاراً ؟ أم كان المسيح اقل اقداماً من جمهور الشهداء — المسيحيين وغير المسيحيين — الذين قبلوا الموت راضين، بل رحبوا به ايما ترحيب ؟ ؟ كلا وألف كلا . متى كان نور الشمس أضعف من أنوار الشموع الضئيلة التي تستمد نورها منه ؟ ؟ اذا صارت نار الموت « برداً وسلاماً » على بطرس وعلى غيره ، فما ذلك إلاّ لأن نيران الموت قد أطفِيء لهيبها في صدر المسيح الحنون . كان المسيح عالماً بالآلام التي تنتظره

لتكن لا إرادتي بل إرادتك

منذ القديم ، فما تردَّد لحظة في ان يتجرَّع غُصصها ، بل تقدم اليها متشوقاً .
«يستحيل ان ابن الله البار يخاف من تسليم روحه عند الموت الى ايدي أبيه».
«ان بطل البشرية كافة لا يحني رأسه لآلام طبيعية مهما اشتدت وتفاقمت».
انه بطل السماء،أفلا يكون بالأولى بطل الأرض ؟؟. اذاً ما هي هذه الكأس التي تمنّى ان تعبُر عنه ؟؟ هي كأس الموت . ولكن أي موت ؟؟ هو الموت الذي كان يتهدد جسم المسيح النحيف المنهوك فكاد أن يقضي عليه قبل ان يصل الى الصليب. اذاً لم يكن المسيح خائفاً من الصليب، بل كان متشوِّقاً ومتلهِّفاً الى الصليب. لأن الآلام النفسية المروِّعة، غير المدركة، قد تركَّزت في جسده الهزيل حتى جعلت عرقه يتصبب منه « كقطرات دم نازلة على الأرض » . لاجل ذلك جاء الملاك ليخدمه « ويقويه » في جسده ، لكي لا يموت قبل الصليب. هذا هو الموت الذي يحدثنا عنه كاتب الرسالة الى العبرانيين «الذي في ايام جسده اذ قدَّم بصراخ شديد ودموع طلبات وتضرعات للقادر ان يخلصه من الموت ، وسُمع له من اجل تقواه» . (عبرانيين ٥:٧و ٨) .

ولا يسعنا هنا، ان نغفل الرأي الذي ذهب اليه كثيرون من أئمة المفسرين، الذين يعلِّقون اهمية خاصة على ناسوت المسيح. قالوا: ان المسيح لم يكن خائفاً من الصلب، لكن جسده الطبيعي الطاهر ، الذي لم يعرف خطية، اقشعرَّ من الموت الذي هو قصاص الخطية ، كما يقشعر الجسد الطبيعي من الظلام الدامس — وأي ظلام أشد من ظلام الخطية ! ولان المسيح رأى في هذا الموت

٤٣ وظهر له ملاك من السماء يقوِّيه ٤٤ وإذ كان في جهاد كانَ يصلي
باشد لجاجة وصار عَرَقهُ كقطرَاتِ دمٍ نازلةٍ على الارضِ

مظهراً لغضب الآب عليه «اذ جعل الذي لم يعرف خطية.خطية لاجلنا لكي نصير نحن بر الله فيه» (٢ كو ٥:٢١) . فلو لم تكن في الصلب مرارة، لما صار الصليب صليباً ، ولو لم يذق يسوع مرارة الصلب لما اعتبرت تضحيته ، تضحيةً حقة . الصليب مرّ . لذلك وَجَب على الجسد الذي يتجرّع كأسه ان يقشعرّ . وهنا يَلذّ لنا ان نقتبس كلمة لوثر:

«ان أجسادنا الجامدة الغارقة في بحر الخطية لا تقدّر الاحساس الدقيق الذي جاز فيه جسد المسيح الطاهر عند ما عجت عليه أمواج الموت على صليب العار لاجل خطايا كل العالم» .

(٢) ظهور الملاك وخدمته ليسوع (٢٢:٤٣) اختص لوقا بتسجيل ظهور الملاك ليخدم يسوع ، إذ جاءه حاملا قوة من السماء ، لتقوية جسده ، كما انفرد متى بذكر خدمة الملائكة لحاجات جسد المسيح ، بعد تجربة البرية (متى ٤:١١) . ليست الملائكة خادمة للمسيح وحده لكنها خادمة أيضاً لعبيد المسيح «العتيدين أن يرثوا الخلاص» (عبرانيين ١:١٤) .

(٣) تأثير مصارعة جثسيماني على جسد يسوع (٢٢:٤٤):«واذ كان في جهاد» — هذه هي المرة الوحيدة ، التي وردت فيها كلمة «جهاد» ، في الأصل ، في العهد الجديد— «كان يصلي باكثر لجاجة وصار عرقه كقطرات دم نازلة على الارض» هذا وصف دقيق من قلم طبيب علمي . ويحدثنا التاريخ عن

٤٥ ثم قامَ من الصلوة وجاء الى تلاميذه فوجدهم نياماً من الحزن
٤٦ فقال لهم لماذا انتم نيام . قوموا وصلوا لئلا تدخلوا في تجربة
٤٧ وبينما هو يتكلم إذا جمع

شارل التاسع،ملك فرنسا «ان الدماء كانت تتفجّر من جسمه في الاسبوعين الأخيرين من حياته » . شتان بين لغة دم هابيل و بين لغة دم المسيح . دم هابيل يصرخ طالباً النقمة ، ودم المسيح يصرخ طالباً النعمة

(١) وصية المسيح لتلاميذه (٢٢:٤٥و٤٦) «ثم قام من الصلاة» — قيام الظافر — «وجاء الى تلاميذه فوجدهم نياماً من الحزن» — كما كانوا على جبل التجلّي نياماً من «ثقل المجد» (لوقا ٩:٣٢) . قام من الصلاة فأنذرهم: «لماذا انتم نيام ؟ » ، وذكّرهم : « قوموا وصلّوا » ، وحذرهم . «لئلا تدخلوا في تجربة » . ما اصدق كلمات المسيح ! حالما فرغ من هذه الكلمة ، ظهرت في ضوء القمر اشباح المجرمين للقبض عليه ، بزعامة يهوذا . ان جرمهم يزداد ظلاماً كلما انعكست عليه أنوار القمر في بهائه !

«اليس من الحزن ان محب المسيح نيام، ويهوذا الخائن يقظان ! اليست هذه شهادة التاريخ على أجياله ان «ابناء هذا الدهر احكم من ابناء النور في جيلهم» ؟؟ اليس من المؤلم ان قوات الشر ساهرة،وقوات الخير ساهية ؟؟»

غُرّةُ الصليب

الرؤساء يحاولون القبض على يسوع (لوقا ٢٢:٤٧—٥٣)

كانت حياة المسيح صليباً مستمراً،من المذود الى الجلجثة. لكن الصليب

والذي يُدعى يهوذا أحدُ الاثنيْ عشر

الفعلي ابتدأ بنوعٍ خاص عند ما قبض رؤساء الكهنة، وقوادُ جند الهيكل، والشيوخ، على يسوع. «فاوثقوه وساقوه» الى بيت رئيس كهنتهم. بذلك قد تمّ ما سبق فأنبأ به إشعياء عنه : «كلنا كغنمٍ ضللنا ... أما هو فتذلل .. كشاةٍ تُساق الى الذبح».. كانت الذبيحة « توثق برُبُطٍ الى قرون المذبح» قبل ان تقدّم للذبح ، لذلك كان ينبغي ان يُوثق «حمل الله» الوديع قبل ان يصل الى الصليب . على ان رُبط اولئك الجنود لم تكن لتوثق يديه ، لولا وُثق المحبّة التي سبق فربط نفسه بها لأجلنا .

ثلاثة أمور تتجلّى لنا في هذا الفصل: (١) قُبلة يهوذا (٢٢:٤٧و٤٨). (٢) محاولة التلامذ ان يدفعوا الأذى عن سيدهم (٢٢:٤٩—٥١).(٣) تعنيف المسيح للذين حاولوا القبض عليه (٢٢:٥٢و٥٣) .

(١) قُبلة يهوذا (٢٢:٤٧و٤٨):انتهت مصارعةُ جثسيماني، وفيما كان يتكلم المسيح مع تلاميذه ، عن السهر والصلاة وقُرب قدوم مسلّميه ، اذا «جمع» مؤلف من «رؤساء الكهنة، وقوّاد جند الهيكل القائمين على حراسة الهيكل مدة الأعياد ومعهم بعض جنود الرومان، والكلمة الأصلية تفيد انهم نصف كتيبة، والشيوخ(يوحنا ١٨ :١٢)،والذي يُدعى الفؤاد أنّ يهوذا أحَدُ الاثني عشر يتقدّمهم. فدنا من يسوع ليقبّله» . كان ذلك الجمع متسلحاً «بسيوف وعصي» — السيوف حملها الجنود الرومان ، والعصي حملها جند الهيكل من اللاويين. لكن زعيمهم يهوذا كان يحمل بين شفتيه سلاحاً أشد فتكاً ،

يتقدَّمهم فَدنا من يسوع

وا كثر إيلاماً من كل اسلحتهم — ذلك السلاح هو قُبلة الغدر والخيانة . كان جرم يهوذا مثلثاً : (ا) انه أخطأ ضد حُرمة العيد . كان عيد الفصح أقدسَ أعياد اليهود ، وكان الواجب يقضي على اشرّ الناس ان يتورّعوا — ولو الى حين — فيتعففوا عن ارتكاب شرورهم، احتراماً منهم لحرمة العيد. لكن يهوذا لم يرع شيئاً من هـذا . (ب) فضلاً عن ذلك فانه اخطأ ضد حُرمة الصلاة . كان يعلَم يهوذا ان سيده يغشى ذلك البستان، ليصلي هناك كعادته. فكان ينبغي عليه ان يراعي حرمة الصلاة فلا ينقضّ عليه هو وجماعته ليدوسوا «حَرَم» هذا «الهيكل» المقدّس، لكنه على الضدّ من ذلك قد انتهز فرصة صلاة سيّده واستعانَ بها على القبض عليه . (ج) انه اخطأ ضد « قدس » المحبة والولاء . كانت القُبلة عند اليهود علامةَ ولاء التلميذ لسيده، وبرهان حبه له. لكن يهوذا قد «صكّ» في هذا القالب المقدس، «عُملةً مزيَّفة». و بمناسبة قبلة يهوذا الغادرة، قد امتنعت الكنيسة الأولى عن ممارسة «القبلة المقدسة» في يوم جمعة الآلام . . ومن غريب امر هذا الرجل الوحشي ، المتسربل بزيّ انسان ، انه لم يكتف بتقبيل سيده قبلةً واحدة ، لـكنّه أمطره وابلاً من القبلات الحارّة ، كما يُستفاد من الكلمة الأصلية (متى ٢٦:٤٩ ومرقس ١٤: ٤٥) . اذاً لم تكن هذه « قُبلة» . بل كانت «قنبلة» فتّاكة، مصوّبة الى قدس هيكل العاطفة البشرية . فاذا كان المسيح قد تألم من اللّطمات ، واذا كان قد تأثر من اكليل الشوك الذي ضفره له عسكر الرومان ، فان قبلة يهوذا

ليقبّلهُ ٤٨ فقال له يسوع يا يهوذا أبقبلة تسلّم ابن الانسان ٤٩ فلما
رأى الذين حوله ما يكون قالوا يا رب أنضرب بالسيف

كانت اشد ايلاماً على نفسه من هذه جميعها . « لأنه ليس عدو يعيّرني فأحتمل. ليس مبغضي تعظّم علي فأختبيء منه، بل انت انسان عديلي، إلفي وصديقي الذي معه كانت تحلو لنا العشرة» (مز ٥٥: ١٢— ١٤) .

عدد ٤٨ . لم يردّ المسيح تحية يهوذا بمثلها ، لكنه اجابه جواباً « حياً ، فعالاً وامضى من كل سيف ذي حدين». وهل ينفع السيف الحاد في قلب تحجّر باختياره ؟؟. « فقال له يسوع يا يهوذا ابقبلة تسلم ابن الانسان؟؟» كانت غاية يهوذا من «قبلته» ان يعيّن للرؤساء شخص المسيح لئلا يخطئوه فيلقوا القبض على أحد التلاميذ . إذاً من المحال ان يكون قد « شبّه لهم » ! !

(٢) محاولة التلاميذ أن يدفعوا الأذى عن سيدهم (٢٢: ٤٩ — ٥١). «فلما رأى الذين حوله ما يكون قالوا» — بلسان بطرس — «أنضرب بالسيف؟؟» كان محظوراً على اليهود ان يحملوا سيوفاً في العيد. هذا برهان آخر على ان عيد الفصح ابتدأ يوم الجمعة بين العشاءين لا يوم الخميس. قد احتفظ لنا متى و يوحنا بجواب المسيح عن هذا السؤال : « ردّ سيفك الى مكانه . لان كل الذين يأخذون السيف، بالسيف يهلكون. الكأس التي أعطاني إيّاها الآب الا اشربها. أتظن اني لا استطيع الآن ان أطلب الى ابي فيقدم لي اكثر من اثني عشر جيشاً من الملائكة. فكيف تكمل الكتب انه هكذا ينبغي ان يكون» متى ٢٦: ٥٣ و يوحنا ١٨: ١٠و١١). ربما كان النوم آخذاً بمعاقد اجفان بطرس، فلم يصغ

٥٠ وضرب واحد منهم عبد رئيس الكهنة فقطع أذنه اليمنى
٥١ فاجاب يسوع وقال دعوا الى هذا . ولمس أذنهُ وأبرأَها

لنصح سيده ، بل « ضرب عبد رئيس الكهنة » — واسم العبد « ماخس » (يوحنا ١٨ :١٠) - وربما كان هذا العبد في مقدمة المهاجين ، ليقوم بخدمة ممتازة لمولاه . لم يصب السيف رأس العبد « بل قطع اذنه اليمنى » — وهكذا تكون ضربة السيف الذي يحمله جبانٌ ، مثقَّل بالنوم ، مندفع ، كبطرس .

(عدد ٥١) . فاجاب يسوع وقال «دعوا الي هذا» . هذه عبارة مقتضبة كانت متداولة في فلسطين وقت المسيح . فاذا كانت موجهة للتلاميذ ، كان معناها «لا تقاوموا بل اتركوا اعدائي ليصلوا الى نهاية تدبيراتهم» . أو « كفُّوا عن استعمال هذا السلاح» . واذا كانت مصوَّبة الى الذين جاءوا ليلقوا القبض عليه ، كان معناها « اصفحوا عن هذه الزَّلة التي صدرت من احد تلاميذي » . ويقول بعضهم : ان معناها « حلّوا عني هذا الوثاق قليلاً ، لكي ابرىء هذه الأذن المقطوعة » . لكن يظهر ان المسيح لم يكن قد أُوثق بعد (لوقا ٢٢ :٥٤) . ثمَّ لمس المسيحُ أذنَ ملخس وأبرأها . هذه معجزة طبية يسجلها لوقا الطبيب .

ان بطرس ، باستعماله السيف ، قد اساء الى نفسه والى سيده وهو لا يدري أمّا الى نفسه ، فلانه قد زرع بهذه الضربة ، بزرة الحسد عليه ، وعند ما جاءت ساعة محاسبته على هذه الضربة ، جَبُن وأنكر سيده (يوحنا ١٨ :٢٦) . وقد أساء الى سيده ، لانه كان يضع بسيفه هذا — لولا تدخل المسيح — سلاحاً في

٥٢ ثمَّ قال يسوع لرؤساء الكهنة وقوَّاد جند الهيكل والشيوخ
المقبلين عليه . كأنه على لصٍّ خرجتم بسيوف وعصيّ ٥٣ إذ
كنت معكم كل يوم في الهيكل لم تمدّوا عليَّ الايادي .

أيدي الذين اشتكوا عليه لدى بيلاطس، بأنه يقاوم قيصر (يوحنا ١٨: ٢٦).

(٣) تعنيف المسيح للذين حاولوا القاء القبض عليه (٢٢: ٥٢و٥٣). كان ينتظر أولئك الرؤساء ومن معهم، ان يختبيء المسيحُ من امامهم ويستتر وراء اشجار البستان ، لذلك خرجوا عليه بمشاعل ومصابيح (يوحنا ١٨: ٣) ، وقد نسوا انه لا يختبيء وراء اشجار البستان، سوى آدم الاول الساقط (تكوين ٣: ٨). اما آدم الثاني — المسيح — فلن يختبيء من وجه انسان ، بل يخشاه وجه الشمس «فينكشف»، لأنه بطهارته وبرّه — وهو أعزل — أقوى من ألف قائد على ألف فيلق من الجند. توهّم أولئك الرؤساء ان المسيح سيحرّض تلاميذه على المقاومة ، لذلك أقبلوا عليه حاملين السيوف والعصي، كما لو كانوا خارجين على لص . لكن المسيح قد أفسد عليهم تدبيرهم الذي احكموه بالاتفاق مع يهوذا «فخرج يسوع وهو عالم بكل ما يأتي عليه وقال لهم من تطلبون ؟؟» ثم زاد على ذلك فأنبهم على جبنهم وقال «اذ كنت معكم كل يوم في الهيكل لم تمدوا عليَّ الأيدي. ولكن هذه ساعتكم وسلطان الظلمة» كان المسيح معهم في الهيكل في وضح النهار . فلو كانوا «ابناء النور» لتجاسروا بان يواجهوه في وضح النهار بدلاً من ان يفرُّوا امامه . اما الآن ، وقد خرجوا في ظلمة الليل ليتمموا مآربهم ، فقد حكموا بذلك على انفسهم بأنهم « ابناء الظلمة » . ان

ولكنَّ هذه ساعتكم وسلطان الظلمةِ ٥٤ فاخذوه وساقوه وأدخلوه

انسب وقت لاعمال الفضيلة هو النهار «لأن كل ما أُظهر فهو نور» . كما ان أنسب وقت لارتكاب الآثام هو ساعة الظلمة ، ليتمكن فيها المجرم من ان يختفي عن عيون الناس ، وعن عيني « نفسه الشريفة » قبل ان يُقدم على اجرامه . فما اقرب التوافق بين قلوب البشر و بين قلب الطبيعة ! !

لا شك ان جلال الظفر الذي ناله المسيح في جثسيماني كان يحفُّ به ، لذلك سقط اضداده أمامه ، فبدلاً من ان يلقوا القبض عليه ، اذا به قد هاجمهم وأوقفهم موقف المتّهمين . بدلاً من ان يفاجئوه ، قد فاجأهم هو ، ودهَمهم في معاقلهم .

محاكمة يسوع (لوقا ٢٢:٥٤—٢٣:٢٥)

ان الذين فكروا في صلب المسيح ، لم يجدوا بدّاً من ان يُوقفوه امام محكمتين :المحكمة الدينية،والمحكمة السياسية (المدنيّة) ، لأن اليهودية كانت وقتئذ خاضعة للحكم الروماني ، وكان للرومان قصر فخم في أورشليم يقيم فيه حيناً ، الوالي الممثل لحكومة الرومان . على أنَّ الرومان كانوا متسامحين مع اليهود،فلم يغتصبوا منهم كل سلطة،بل سمحوا لهم بتشكيل محكمة دينية خاصة بهم،معروفة بمجمع السنهدريم،لمحاكمة المجرمين الدينيين،على شرط ان لا تبلغ العقوبة حد الاعدام ، والا فان القضية التي يُحكم فيها بالاعدام ، تُرفع الى الحاكم الروماني ليبدي رأيه فيها قبل «النفاذ» لذلك كان من المحتم ان يجتاز المسيح هاتين المحاكمتين قبل ان يُنفـذ فيه حكم الصلب . على ان كلاً

الى بيت رئيس الكهنة .

من هاتين المحاكمتين اتخذت ادواراً متتابعة . فالمحاكمة الدينية، بدئت بالمثول امام حنان ، ثم امام قيافا، ثم امام السنهدريم، قبل ان تشرق الشمس (يوحنا ١٨:١٩—٢٣ ومتى ٥٧:٢٦—٦٦ ومرقس ٥٣:١٤—٦٤) وقد أعيدت محاكمته امام هذه الهيئات الثلاث بعد طلوع النهار (لوقا ٦٦:٢٢ ومتى ١:٢٧ ومرقس ١:١٥) . اما المحاكمة السياسية ، فقد ابتدأت بوقوف المسيح امام بيلاطس . ثم رده بيلاطس الى هيرودس الذي كان آنئذٍ في أورشليم ، ثم ردَّه هذا الى بيلاطس الذي أيد حكم المحكمة الدينية، «خوفاً من اليهود» « فأسلم يسوع لمشيئتهم ليُصلب » .

— ١ — المحاكمة الدينية (لوقا ٥٤:٢٢ ـ ٧١)

يقول يوحنا ان المسيح وقف أولاً امام حنان، الذي اضحى الآن شيخاً يناهز السبعين . وقد كان رئيس كهنة ، لكن السياسة الرومانية اقالته من وظيفته منذ عشرين عاماً ، وتولى وظيفته بالتتابع ابناؤه الخمسة ، حتى آلت وظيفته ، وقت محاكمة المسيح، الى صهره قيافا، الذي كان يسكن وإيَّاه داراً واحدة . إذاً كان حنان رئيس الكهنة الحقيقي، وكان قيافا الرئيس الاسمي. لذلك كان من الضروري ان يُوقف المسيح أولاً امام حنان ، الذي كان لا يزال محتفظاً ببعض نفوذه ، فكان على استعداد ان ينفث سمومه ضد المسيح ، كما تفعل الحية القديمة . لأن المسيح قضى على ارباحه الطائلة ، التي كان يجنيها من المتاجرة في الهيكل . أُوقف المسيح امام حنان ، وفي هذه

وأمّا بطرس

الاثناء ذهب اليهود ليطلبوا انعقاد السنهدريم ، تحت جنح الظلام ، حتى يتمكنوا من الحكم على يسوع، وتسليمه الى أيدي الرومان، قبل ان تشرق الشمس وتفضح اعمالهم امام عيون الشمس ولكي ينفّذوا حكم الصلب قبل موعد ذبيحة الفصح. وهكذا كان لهم ما أرادوا، والتأم السنهدريم في فحمة الليل في بيت قيافا . لكن اليهود لم يكتفوا بالمحاكمة الليلية، لأنها كانت غير رسميَّة ، لانّ تلمودهم يقول « يصير الحكم لاغياً اذا اصدره السنهدريم في الليل » ولأنهم أرادوا ان يتشاوروا ملياً في تهمة « تلفيق » سياسية ، تصادف هوى في قلب الوالي الروماني ، الذي لا يعبأ بالتهم الدينية ، لكي ينصاع لرأيهم ، ويسلّم يسوع ليُعدَم حسب مشيئتهم .

يقع هذا الفصل في ثلاثة أدوار (١) بطرس ينكر سيده (٢٢:٥٤—٦٢) (٢) اليهود يستهزئون بالمسيح و يجلدونه (١٢:٦٣—٦٥) السنهدريم يصدر على المسيح حكماً بالاعدام (٢٢:٦٦—٧١) .

(١) بطرس ينكر سيده : (٢٢:٥٤— ٦٢). عجيب هذا الاتفاق المحزن، ان الساعة التي كان المسيح يفوه فيها « بالاعتراف الحسن » امام مجمع السنهدريم، هي عين الساعة التي كان ينكر فيها بطرس اعترافه بالمسيح ! !

(عدد ٥٤). بعد نهاية المصارعة في جتسيماني ، اقبل رؤساء الكهنة ،وقوّاد جند الهيكل والشيوخ ، على يسوع « فأخذوه » — وأوثقوه — « وساقوه وأدخلوه الى بيت رئيس الكهنة» .أما تلاميذه،فقد اختفوا وراء ظلال اشجار

فتبعهُ من بعيد ٥٥ ولما أضرموا ناراً في وسط الدار وجلسوا معاً جلس بطرس بينهم

البستان،الاثنين: يوحنا الذي تبعه حتى دخل معه الى دار رئيس الكهنة لانه كان معروفاً من الخدَم،و بطرس الذي «تبعهمن بعيد»،لكنه لم يستطع دخول الدار، حتى خرج اليه يوحنا واستأذن الجارية — البوّابة — فأدخل بطرس داخل الباب الخارجي ، حيث ظل هناك مع الخدم . أما يوحنا فدخل الى دار المحاكمة حيث كان يسوع. ففتح يوحنا الباب الخارجي فأدخل بطرس، اعتقاداً منه انه يصنع معروفاً لزميله ، ولم يدرِ انه بعمله هذا قد فتح « باب التجربة » على بطرس !

(ا) (عدد ٥٥) طلائع التجربة: كانت محاكمة يسوع في غرفة مفتوحة تشرف على الدار الخارجيّة،حيث تجمّع الخدام والعبيد،حول الموقد، ليتقوا البرد الذي كان يشتد في شهر نيسان قبل الفجر.فما كان من بطرس الا ان أدخل نفسه في زمرة الجالسين حول النار ليستدفئ معهم . مسكين بطرس ! لانه انتبه لحاجة جسده.فقصد ان يقيهشر البرد،وتغافل عن حاجة نفسه فلم يقها شر الزلل والعثار. كان أولئك الجالسون حول النار يسلّون انفسهم بالاستهزاء بذلك «المجرم» الناصري،الذي كان واقفاً ليُحاكم في الدار الداخليّة.فكان من الواجب على بطرس،ان يذكر ذلك القول الذي يُستهلّ به سفر المزامير.لكنه بجلوسه بينهم حول النار ، شرع «يلعب بالنار» وهو لا يعلم.«وجلسوا معاً» يستهزئون بالفادي،«فجلس بطرس بينهم» يستمع لأقوالهم الجهنمية،من غير ان

٥٦ فرأته جارية جالساً عند النار فتفرّست فيه وقالت وهذا كان
معه ٥٧ فانكره قائلاً لستُ أعرفه يا امرأةُ ٥٨ و بعد قليل رآه

يبدي امتعاضاً ولا احتجاجاً — هذا هو جوهر خطية انكار المسيح ، لان الذي ينكر المسيح بالفعل ، لا بد ان ينكره بالكلام . لأن عدم الاعتراف بالمسيح باللّسان هو الخطوة الأولى لانكاره بالفعل .

(ب) بطرس ينكر سيده للمرة الأولى (٢٢: ٥٦و٥٧) . كانت نوبة حراسة الجارية للباب الخارجي قد انتهت ، وحلت جاريةٌ أخرى مكانها ، فدخلت أولاهما الى مجتمع الخدّام في الدار، حيث كان بطرس جالساً وكان من السهل عليها ان تعرفه، لأنها فتحت له الباب منذ مدة وجيزة . «فتفرّست فيه وقالت . وهذا كان معه » . كانت كلمتها هذه كالبرق الخاطف ، فأخذت بطرس على غرّة ، فاستولى عليه الرعب ، واستحى من ان يُعرَف عنه انه تلميذ ذاك، الذي صار اسمه مضغة في افواه الخدَم ، وهو صامت، فاخذته نشوة الكبرياء ، وعبثت به تيارات الاندفاع ، ولعبت به عوامل الجبن ، فانكره قائلاً : «لست اعرفه يا امرأة» . ما أضعفك يا بطرس ! كنتَ تعتقد انك انت « الصخر » الذي لا تهزه العواصف والأمواج، واذا بك اضعف من «القصبة المرضوضة» ، التي مالت أمام صوت امرأةٍ جارية ! ! «اذاً من يظن انه قائم فلينظر أن لا يسقط » (١ كورنثوس ١٠: ١٢) .

(ج) بطرس ينكر سيّده للمرّة الثانية (عدد ٥٨) . شعر بطرس بشيء من الخيبة، حين انكر سيده لأول مرّة، واتقدت في قلبه نيران الحسرة، لدرجة أنسته البرد

آخرُ وقال وأنت منهم . فقال بطرس يا انسان لست أنا ٥٩ ولما
مضى نحو ساعة واحدة أكد آخر قائلاً بالحق ان هذا ايضاً كان
معه لانه جليلي أيضاً ٦٠ فقال بطرس يا انسان لست اعرف ما

المحيط به ، فترك مجلس الخدّم —ولكن بعد فوات الفرصة — وخرج خارجاً الى الدهليز . و بينما هو هناك ، اعترضه آخر « وقال وانت منهم . فقال بطرس يا انسان لست انا» . الكلمتان « آخر» «وانسان» ، تُستعملان في الاصل للجنسين . يقول مرقس ان هذا «الانسان» هو جارية أخرى، ولعلها الجارية التي قامت بدورها في حراسة الباب بدلاً من الجارية الأولى. هذه هي المرة الثانية التي «تزحزح» فيها ذلك «الصخر» أمام ملامس المرأة الضعيفة ! !

(د) بطرس ينكر سيده للمرة الثالثة (٢٢: ٥٩و٦٠). الآن بعد ان سقط بطرس مرتين، أمام جاريتين، عاد فجلس مع الخدّم حول النار، وهو خائر القوى، لانه فقد توازنه النفسي ، وصارت العوامل المتنازعة تغلي في قلبه غليان الماء في القدر. «ولما مضى نحو ساعة واحدة» — لأن الأقدام المنحدرة في المزالق تهوي بغاية السرعة — «أكد آخر » — يقول يوحنا ان هذا الآخر هو واحد من عبيد رئيس الكهنة وهو نسيب الذي قطع بطرس أذنه — « قائلاً بالحق ان هذا أيضاً كان معه لانه جليلي أيضاً » فاتفقت كلمة الخدام مع كلمة عبد رئيس الكهنة، وقالوا لبطرس إن لهجتك الجليلية الريفية تدل على ذلك. فلما حميت نار السخرية الى هذا الحد ، ورأى بطرس شدة الخطر المحدق به ، عرف ان مجرد الانكار لا يكفي ، فاستسلم لقياد المجرّب العظيم ، واراد ان يقدم برهاناً

تقول . وفي الحال بينما هو يتكلم صاح الديك . ٦١ فالتفت الرب
ونظر الى بطرس . فتذكر بطرس كلام الرب كيف قال له إنك

عملياً، خُلُقياً، على ان مشرب به لا يتفق ومشرب ذلك المعلم الجليلي القدوس، لذلك اندفع — وعادته دائماً الاندفاع وانحدر في الحلف واللعن ، مؤكداً انه لا يعرف ذاك . يظهر ان بطرس كان معتاداً على هذا النوع من الحلف واللعن قبل ايمانه بالمسيح ، ثم عاوده الآن « سمعان العتيق » . « وفي الحال بينما هو يتكلم صاح الديك » .

(هـ) النظرة المنقذة (٢٢: ٦١و٦٢): بينما كان بطرس غارقاً في « لُجّ النكران » ، اذا بعيون الجالسين معه تحوّلت الى «منظر عجيب» ظهر قبالتهم خارج غرفة المحاكمة . هو منظر حمل الله — يسوع — موثقاً بيد أعدائه ، بعد ان انتهت محاكمة الليل، ليبقوه تحت الحفظ، مدة ساعتين أو ثلاث ساعات، حتى تُبدأ محاكمة النهار. اتجهت عيون الخدم إلى ذلك الشخص العجيب، فاتجهت معها عين بطرس ، في وقت كان «الرب قد التفت فيه ونظر إلى بطرس»، فالتقت العينان ، وأيّ لقاء ! ! قد يستطيع المصورون ان يرسموا ما للغروب من ألوان متقاربة ومتباعدة ، فمن منهم يستطيع أن يرسم لنا الألوان الكثيرة المتباينة التي اجتمعت في نظرة المسيح هذه ؟ أهي نظرة التذكير المؤلمة، قد صوّبها المسيح إلى قلب بطرس، ليذكّره بوعوده وعهوده التي ذابت كالشمع أمام النار التي جلس حولها الخدّام ؟ أم هي نظرة العتاب الهادئة، قد وجهها المسيح إلى نفس بطرس، ليعرّفه بها أنه عالم بما اقترف بطرسُ من سيئآت ؟ أم هي نظرة

قبل ان يصيح الديك تنكرني ثلاث مرّات ٦٢ فخرج بطرس
الى خارج وبكى بكاءً مراً ٦٣ والرجال الذين كانوا ضابطين يسوع
كانوا يستهزئون به وهم يجلدونه ٦٤ وغطوه وكانوا يضربون وجهه

الغفران الملتهبة، قد نفذت إلى سحُب خطايا بطرس فأذابتها. وصاغت منها قطرات التوبة اللؤلؤية التي نزلت بشكل دموع على خدّي الصياد؟ أم هي نظرة الانقاذ، قد القاها المسيح إلى بطرس الغارق في بحر الكفر، فانتشله بها من وهدة الهلاك، التي ذهب اليها يهوذا فيما بعد؟ أم كانت كل هذه معاً ؟؟. «فالتفت الرب... فتذكر بطرس... فخرج بطرس إلى خارج و بكى» هذه هي الدرجات الثلاث التي وُلدت فيها توبة بطرس، وتربّت وترعرعت. «فالتفت الرب» — هذا نبع التوبة ومَنْشَؤُها — نعمة الله. «فتذكر بطرس» — هذا هو قلب التوبة: تغيير الفكر، بالذكرى والندامة. «فخرج بطرس إلى خارج و بكى» هذه هي لغة التوبة: الدموع التي يسكبها التائب على انفراد.

إلى أي حال كان ينتهي مصير بطرس لولا نظرة المسيح ؟!

«خرج يهوذا وكان ليلاً» (يوحنا ١٣: ٣٠) «خرج بطرس و بكى بكاءً مراً». شتان بين الخروجين! خرج يهوذا إلى الليل الذي أعقبته ظلمة الأبد. وخرج بطرس إلى ضوء الفجر الذي تلاه نور الغفران المجيد.

(٢) اليهود يستهزئون بالمسيح و يجلدونه (٢٢: ٦٣— ٦٥): ان المعاملة السيئة المسجّلة في هذه الأعداد قد عُومِلَ بها المسيح، بعد محاكمته أمام السنهدريم في الجلسة الليليّة. في هذه المعاملة نرى سهام السخرية مصوّبة من جعبة اليهود

ويسألونه قائلين تنبأ . من هو الذي ضربك ٦٥ وأشياء أخر كثيرة
كانوا يقولون عليه مجدفين ٦٦ ولما كان النهار اجتمعت مشيخة
الشعب رؤساء الكهنة والكتبة وأصعدوه الى مجمعهم ٦٧ قائلين إن
كنت أنت المسيح فقل لنا .

إلى وظيفة المسيح النبويَّة . وفيما بعد سنرى سهام الهُزء مصوَّبة نحوه من كنانة الرومان .

(٣) المسيح أمام السنهدريم في جلسة النهار الرسمية (٢٢: ٦٦—٧١) . « ولما كان النهار » بين الساعة الخامسة والسادسة صباحاً ، اجتمت الثلاث الطبقات التي كان يتألف منها السنهدريم — « مشيخة الشعب ، رؤساء الكهنة والكتبة، وأصعدوه إلى مجمعهم ». كان مجمعهم مقاماً —طبيعياً— على مرتفعةٍ ، ورُوحياً على منخفضة ! !

(أ) استجوابهم إياه (عدد ٦٧). «قائلين ان كنت أنت المسيح فقل لنا ..». كانت غاية اليهود من تقديم المسيح إلى جلسة السنهدريم الصباحية، خلاف غايتهم التي قصدوها من محاكمته أمام قيافا في الليل . كان غرضهم من محاكمته أمام قيافا ، أن «يلصقوا به» تهمة التجديف،لكن لعلمهم أن تهمة التجديف،تهمة دينية لا يُقام لها وزن في نظر الحاكم الروماني،لذلك عقدوا جلسة السنهدريم الصباحية لكي «يلصقوا به» تهمةسياسية،ليظهروه بمظهر المقاوم لقيصر،والمزاحم له في ملكه . هذا كان جلّ مرادهم من قولهم «هل أنت المسيح» ؟ أي هل أنت المسيح الذي جئتَ لترد الملك لاسرائيل بانتزاعه من أيدي الرومان.؟؟

فقال لهم ان قلت لكم لا تصدقون ٦٨ وان سألت لا تجيبونني
ولا تطلقونني ٦٩ منذ الآن يكون ابن الانسان جالساً عن يمين
قوة الله ٧٠ فقال الجميع أفأنت ابنُ الله . فقال لهم أنتم تقولون إني
أنا هو ٧١ فقالوا ما حاجتنا بعد الى شهادة لاننا نحن سمعنا من فمه

(ب) جواب المسيح (٢٢:٦٧—٦٩). عَلِمَ المسيح بنيّاتهم، فأوقفهم موقف المتهمين، مع أنهم كانوا جالسين في منصة القضاء. فألصق بهم تهمتين: (١) تهمة عدم الاخلاص: «إن قلت لكم لا تصدقون» لانكم لستم على استعداد لأن تكونوا من تلاميذي. (٢) تهمة عدم النزاهة: «وإن سألت لا تجيبونني ولا تطلقونني» لانكم قد كتبتم حكمكم قبل أن تجلسوا للقضاء. بعد أن انتهى المسيح من «كتابة ورقة» اتّهامهم، ساقهم موثقين بسلاسل آثامهم، وجرّهم إلى المحكمة العليا السماويّة وأوقفهم أمام العرش الأبيض العظيم الذي هو جالسٌ عليه: «منذ الآن يكون ابن الانسان جالساً عن يمين قوة الله» هذه الكلمات ترجع بالفكر إلى ما جاء في دانيال ٧:١٣ و ١٤.

(ج) سؤالهم الثاني وجواب المسيح (٢٢:٧٠و٧١): «فقال الجميع أفأنت ابن الله» بذلك قصدوا أن يضموا التهمتين معاً — التهمة السياسية: «التطلع إلى عرش قيصر» والتهمة الدينية: «التجديف». فقال لهم «أنتم تقولون اني أنا هو». لا شك أنهم ابتهجوا بهذا الجواب إذ توهموا أن الفريسة قد وقعت في الفخ من غير كبير عناء «فقالوا ما حاجتنا بعد إلى شهادة لأننا نحن سمعنا من فمه»، ثم حكموا باعدامه.

الاصحاح الثالث والعشرون

١ فقام كل جمهورهم

(ب) المحاكمة السياسية (المدنية) (لوقا ٢٣:١—٢٥)

يسوع امام بيلاطس

انتهى الاصحاح السابق بارفضاض جلسة مجمع السنهدريم — مجمع السبعين — بعد أن أصدر حكمه على يسوع بالاعدام. وقد كان يلذّ لليهود أن ينفذوا فيه هذا الحكم، ليرووا غليلهم من دمه، لولا أن الدولة الرومانيّة الحاكمة، كانت قد سلبت منهم هذا الحق (يوحنا ١٨:٣١). يقول التلمود: «قبل خراب الهيكل بأربعين عاماً، انتُزعَ من اسرائيل حق الحكم بالاعدام». ولئن تمّ لليهود مرةً أن يحكموا على اسطفانوس بالاعدام، رجماً بالأحجار، لأن الحاكم الروماني كان غائباً عن أورشليم في ذلك الأوان، إلا أنهم لم يستطيعوا أن يوقعوا هذه العقوبة على المسيح، لسببين: أولهما، لأن الحاكم الروماني — بيلاطس — كان موجوداً وقتئذٍ في «دار الولاية» في أورشليم، لمراقبة اليهود في أثناء عيد الفصح. أما السبب الثاني — وهو الأهمّ — فهو ان السماء كانت قد سبقت فقضت بأن يموت المسيح مصلوباً ولا بد أن يتمّ المكتوب، فيتمّ ما قاله المسيح عن نفسه «ينبغي أن يُرفع ابن الانسان». لقد حلّت اللعنة على العالم أجمع بعد خطية آدم وذريّته. لأنه مكتوب: «ملعون كل من لا يثبت في جميع ما هو مكتوب في كتاب الناموس ليعمل به»، لذلك كان من المحتّم أن يموت

وجاءوا به الى بيلاطس

المسيح مصلوباً ، « لـكي يفتدينا من لعنة الناموس بصير ورته لعنة لأجلنا ، لانه مكتوب أيضاً : « ملعون كل من عُلّق على خشبة » .

(عدد ١) من أجل ذلك كان من المحتم على اليهود أن يلتجئوا إلى الحكومة الرومانيّة في تنفيذ حكم الصلب على يسوع فبادر « كل جمهورهم ، وجاءُوا به ـ مبكرين ـ إلى بيلاطس » ـ ممثل الحكم الروماني ـ ليتفرّغوا ـ فيما بعد لأكل الفصح الذي صار على الأبواب . كأنهم صمّموا على أن يترنحوا أولا بكأس دم « حمل الله » الوديع ، قبل أن يأكلوا « حَمَل الفصح » !

كان بيلاطس ، وقتئذ ، مقيماً في دار الولاية ، وهي قصر ملكي بناه هيرودس الاكبر ، على جبل صهيون مقابل هيكل اليهود ، ليضارعه في العظمة والجلال والجمال . كانت تتكون تلك الدار الجميلة ، من جناحين عظيمين ، مترامين ، يجمع بينهما بناء فخم ، تمتدُ أمامه ساحة فسيحة . هنا في هذه الساحة الفسيحة « المكشوفة » قد حوكم يسوع ، لانّ رؤساء اليهود لم يريدُوا أن يدخلوا تحت سقف روماني « لكي لا يتنجسوا فيأكلون الفصح » (يوحنا ١٨ : ٢٨) ! مساكين أولئك الناس ! يحرصون على أن لا يقع ظلّ روماني على رؤوسهم ، وفي الوقت نفسه يلطخون أيديهم بدم المسيح البار . حقاً لقد تمّ فيهم قول المسيح عنهم « يُصفّون عن البعوضة و يبلعون الجمل . . ينقون الكأس والصحفة ، وهما من داخل مملوءآن اختطافاً ودعارة » .

هنالك في ذلك الفضاء ، أقيمت منصة للقضاء ، صعد عليها بيلاطس

٢ وابتدأوا يشتكون عليه قائلين إننا وجدنا هذا

وأعوانه، ويسوع، وحضر أيضاً المشتكون عليه بزعامة قيافا. هذا هو مشهد انتحار الأمة اليهودية التي أوثقت مسيحها وملكها المعظم «وساقته، وسلمته» إلى الحاكم الغريب المستبد. لكن السماء قد رأت شيئاً أفضل، فأراقت نوراً ساطعاً، لنرى به هذا المنظر في شكل جديد. تقول الارض: لقد أوقف المسيح أمام اليهود والرومان ليحاكم منهما كليهما. وتقول السماء: بل وقف حمل الله بين اليهود والرومان ليصالح الاثنين معاً بدم صليبه ويزيل ما بينهما من تباعد، وخلاف، وعداوة.

(عدد ٢). «ورقة الاتهام»: سألهم بيلاطس «أية شكاية تقدمون على هذا الانسان؟» . كان جوابهم على هذا السؤال صادراً عن جبن، ممتزج بدهاء، مختلط بكبرياء. «أجابوا وقالوا له لو لم يكن فاعل شر لما كنا قد سلمناه اليك» كأنهم أرادوا من بيلاطس أن يكتفي بان يضع ختمه على حكمهم من غير نقض ولا إبرام. لكن بيلاطس الداهية، عنيد، متكبر — ولا يفل الحديد إلا الحديد — لذلك لطمهم لطمة شديدة أصابتهم في عزتهم القومية، إذ قال لهم «خذوه أنتم واحكموا عليه حسب ناموسكم» خر اليهود أمام هذه اللطمة صاغرين، واعترفوا بالحقيقة المرة التي كانوا يتجرعون غصصها في أعماق نفوسهم وهم صامتون، فقالوا له «لا يجوز لنا أن نقتل أحداً» (يوحنا ١٨: ٢٩ - ٣١) هذا اعتراف منهم باستعبادهم للحكم الروماني، الذي سلبهم حق الحكم بالاعدام على أحد. عندئذ «ابتدأوا يشتكون عليه قائلين أننا وجدنا هذا» -

يفسد الامة ويمنع ان تعطى جزية لقيصر قائلاً انه هو مسيح ملك

ما أمرّ التحقير الذي أحاطوا به كلمة «هذا» — «يُفسد الامة ويمنع أن تُعطى جزية لقيصر. قائلاً أنه هو مسيح ملك» هذه هي التهم الثلاث التي تقدموا بها إلى بيلاطس. التهمة الأولى جوفاء، قد تُطلَق على أي إنسان، وقد تُطلَق عليهم، من باب أولى : « هذا يُفسد الامة » . أليسوا هم الذين أفسدوا «ضمير» الشعب الطيب القلب ! ؟ والتهمة الثانية باطلة بُطلاناً أصلياً: «ويمنع أن تُعطى جزية لقيصر» . ألا يذكرون قول المسيح : «اعطوا إذاً ما لقيصر ليقصر» . (لوقا ٢٠:٢٥) ؟؟ أما التهمة الثالثة ، فقد أجادوا تلفيقها ، وأحكموا سبكها في قالب يسترعي التفات بيلاطس الروماني : « قائلاً أنه هو مسيح ملك» . نعم قال الفادي إنه هو المسيح، وإنه مسيح ملك ، لكنه لم يقل إنه «ملك» بالمعنى الذي قصدوا أن يلبسوه لهذه الكلمة أمام عين بيلاطس، وفي ذهنه . لأن المسيح ، إذ علم مرّة أن اليهود مزمعون أن يأتوا ويختطفوه ليجعلوه ملكاً ، انصرف أيضاً إلى الجبل وحده (يوحنا ٦:١٥) ما أبعد هذه التهم الثلاث عن السبب الحقيقي الذي لأجله وقف اليهود ليشتكوا على يسوع ان السبب الحقيقي الذي لاجله قد خاصمَ اليهودُ المسيح ، هو لأنه عرّفهم بوضوح ، ان ملكوته ليس من هذا العالم . فخيّب انتظاراتهم فيه . لانهم كانوا يرجون منه أن يكون هو الملك الذي يغتصب الملك من قيصر ويرده لاسرائيل. أما وقد هدم صرحَ آمالهم العالمية، لذلك تقدموا به إلى بيلاطس، فتبرّعوا لرئيس السلام بتهمة التحريض « السياسي » ! !

٣ فسأله بيلاطس قائلاً أنت ملك اليهود .

(عدد ٣). بيلاطس يفحصه و يصدر حكمه: لم يتلفت بيلاطس إلى التهمتين الأوليين، لكنه أعار التهمة الثالثة شيئاً من انتباهه ، لئلا يجعل نفسه مضغة في أفواه اليهود فيدسّوا له عند قيصر. لذلك دخل بيلاطس إلى دار الولاية ودعا اليه يسوع وحده . أما المشتكون عليه فقد ظلوا خارجاً . وكأني بالمسيح في دخوله القصر الروماني، جاعلاً اليهود خلفه، قد ترك اليهود ليتوجّه إلى الأمم. هنالك في قاعة بيلاطس الجليلة ، والسكون الرّهيب مخيّم على المكان ، جلس بيلاطس الملك «المزيّف» ، وأوقف أمامه المسيح «ملك الملوك» هناك واجه بيلاطسُ المسيحَ على انفراد وسأله «أأنت ملك اليهود» ؟ أجابه يسوع «أمن ذاتك تقول هذا أم آخرون قالوا لك عني» ؟ أي أتقصد بكلمة «ملك» ما تفهمه أنت منها ، أو ما يفهمه اليهود منها ؟ أجابه بيلاطس جواباً فيه شيء من الترفّع وعدم المبالاة «أمّتك ورؤساء الكهنة أسلموك إليّ . ماذا فعلت» أجاب يسوع « مملكتي ليست من هذا العالم لو كانت مملكتي من هذا العالم لكان خدامي يجاهدون لكي لا أسلّم إلى اليهود ولكن الآن ليست مملكتي من هنا » . انزعج بيلاطس لما سمع المسيح يكرر كلمة « مملكة » ثلاث مرات في جوابه، فقال له «أفأنت إذاً ملك» ؟ أجاب يسوع «أنت تقول اني ملك. لهذا قد وُلدت أنا، ولهذا قد أتيت إلى العالم لاشهد للحق . كل من هو من الحق يسمع صوتي». هنا أحس بيلاطس أن كرسيه تزحزح من تحته، وأن المحاكمة قد انقلبت عليه ، وأن ذلك «المتهم العجيب — المسيح — قد

فأجابه وقال أنت تقول ٤ فقال بيلاطس لرؤساء الكهنة والجموع اني
لا أجد علةً في هذا الانسان ٥ فكانوا يشددون قائلين انه يهيّج
الشعب وهو يعلِّم في كل اليهودية مبتدئاً من الجليل إلى هنا ٦ فلما
سمع بيلاطس ذكر الجليل سأل هل الرجل جليلي ٧ وحين علم انه

وقف موقف القاضي ، وأوقفه هو موقف المتهم بقوله لبيلاطس « كل من هو من الحق ... » كأنه شعر أن المسيح يقول له: «أنت من الباطل». واذ أدرك بيلاطس أن إطالة مدة الانفراد بهذا المتهم لا تزيده إلاّ تورُّطاً ، قصدَ أن يصرف الموضوع ، بسؤال التافه — بين هازل وعابث — من غير أن ينتظر له جواباً: «ما هو الحق». ولما قال هذا، خرج أيضاً إلى اليهودية وقال لهم «أنا لست أجد فيه علة واحدة » . (يوحنا ١٨: ٣٣—٣٨) . بذلك قد حكم بيلاطس على نفسه وهو لا يدري وكل حكم يصدره أي إنسان على يسوع ، إنما هو حكم يصدره على نفسه من حيث لا يدري .

(عدد ٥). وقعت هذه الكلمة، التي نطق بها بيلاطس عن براءة المسيح، وقع الصاعقة على رؤساء الكهنة والجموع ، فكانوا « يشددون قائلين إنه يهيّج الشعب وهو يعلّم في كل اليهودية مبتدئاً من الجليل إلى هنا» .

(٢٣: ٥ و ٦). بيلاطس يحيل الأمر إلى هيرودس : سمع بيلاطس هذه الكلمة الأخيرة منهم : « مبتدئاً من الجليل » فوَجد فيها منفذاً للخروج من هذا المأزق الحرج، الذي أدخلته فيه هذه المحاكمة الغريبة، وقصد في الوقت نفسه — ليضرب عصفورين بحجر واحد — أن يشتري رضى هيرودس

من سلطنة هيرودس أرسله الى هيرودس إذ كان هو ايضاً تلك الايام في اورشليم ٨ وأما هيرودس

الذي كان وإياه على خلاف، فأرسله إلى هيرودس «إذ كان هو أيضاً تلك الأيام في أورشليم». كان من الواجب على بيلاطس أن يحكم في المسألة بنفسه، لكنه قد باع ضميره ليشتري رضى هيرودس. فما أغلى هذا الثمن!!!

« الحمَل الصامت » امام هيرودس (لوقا ٢٣: ٨—١٢)

... من حنان إلى قيافا، ومن قيافا إلى بيلاطس، ثم من بيلاطس إلى هيرودس، ومن هيرودس إلى بيلاطس— هذا هو الطريق المملّ، والمذلّ، الذي سِيقَ اليه « حمل الله » الوديع وهو موثَق. في كل هذا لم يفتح فاه. وهكذا رضي « الملك » أن يكون ألعوبة في أيدي رعاياه، يتقاذفونها كما يريدون — هذه آلام لا تقل في مرارتها عن مرارة الصليب، لا بل هي أول الجرعات في كأس الصليب المريرة، لا بل هي صليب النفس، أو قُلْ هي نفس الصّليب.

(عدد ٨). «أما هيرودس»— مَنْ هو هذا « الهيرودس » ؟ يحدّثنا العهد الجديد عن أربعة أشخاص يحملون هذا الاسم الذي لا يُحسَدون عليه. أوّلهم هو هيرودس الكبير الذي ذبح أطفال بيت لحم. هذا هو النمر فيهم. وثانيهم هو انتيباس هيرودس الذي نحن بصدده الآن— هذا هو ثعلبهم لأنه ورث عن أبيه دهاءه وفساده، لكنه لم يرث قوّته. وثالثهم هو حفيد الأول الذي أغمس يديه في دماء يعقوب الرسول، وكان متحفزاً ليقضي على بُطرس، وكان

فلما رأى يسوعَ فرح جداً لانه كان يريد من زمان طويل ان يراه لسماعه عنه اشياء كثيرة وترجّى ان يرى آية تُصنع منه ٩ وسأله

يفخر بمجده حتى ضُرب ومات — هذا هو الطاؤوس فيهم . ورابعهم هو هيرودس أغريباس،ابن ثالثهم. هذا هو الذي وقف أمامه بولس في المحاكمة (اعمال ٢٥: ٢٣) — هذا هو الأفعى فيهم .

نلاحظ في هذا الفصل : (ا) ما شعر به هيرودس عدد ٧ . «وأما» — أنتيباس — «هيرودس فلما رأى يسوع فرح جداً» .(ب) ما ترجّاه هيرودس : «ترجى أن يرى آية تُصنع منه وسأله بكلام كثير» .(ج) ما سمعه هيرودس «فلم يجبه بشيء ... ووقف رؤساء الكهنة والكتبة يشتكون عليه» (٢٣: ٩ و١٠) . (د) ما فعله هيرودس (عدد ١١).(ه) ما ربحه هيرودس(عدد ١٢).

(ا) ما شعر به هيرودس (عدد ٨) . «لما رأى يسوع فرح جداً» . فرح هيرودس لسببين:أولهما لانه وجد في رؤية المسيح، استرداداً لسلطته التي كان قد اعتدى عليها بيلاطس فيحادثة سابقة (لوقا ١٣: ١).وثانيهما لانه سمع عن المسيح كثيراً وكان يود أن يراه . هذه أول مرّة يلتقي فيها هيرودس الملك «المزيّف» بيسوع المسيح «ملك الملوك». كان فرح هيرودس دليلاً على أن ضميره قد مات فلو كانت فيضميره بقيّة من حياة، لأصبحَ منظر المسيح مثيراً لحزنه لا لفرحه.ألم يقتل يوحنا المعمدان الذي كان صوتَ المسيح «الصارخ» ؟ ألم يخف مرّة إذ سمع بالمسيح لئلاّ يكون هو يوحنا المعمدان الذي قطع رأسه ؟ ؟ أما الآن فقد استطاع هيرودس أن يفرح،لانه قتل ضميره، بعد أن

بكلام كثير فلم يجبه

قتل يوحنا المعمدان — وفي مأتم الضمير ترقص الشياطين .

(ب) ما ترجّاه هيرودس (٢٣: ٨و ٩) «ترجّى أن يرى آية تُصنع منه وسأله بكلام كثير». مسكين هيرودس ! لانه نظر إلى المسيح كمن ينظر إلى ساحر يجيد الالعاب السيمائيّة،فترجّى ان يرى آية تُصنع منه.كان بيلاطس — على رغم شرّه — جاداً في محاكمة يسوع . لكن هيرودس كان هازلاً ، لا يهمه من كل المحاكمة إلا أن يتمتع لذّاته العقيمة . هذه نهاية الانسان الذي يبتدىء بالاستماع لصوت يوحنا المعمدان ، ثم يُخفت هذا الصوت في إحدى ساعات سكره ومجونه .

(ج) ما سمعه هيرودس (٢٣: ٩و١٠) سمع هيرودس صوتين : احدهما—صوت المسيح، هو صوت الصمت، وربّ صمتٍ أبلغ من كلام. « فلم يجبه بشيء» ما أعجب هذا الصمت ! ألم تكن هذه فرصة أمام المسيح ليُسمِعَ فيها هيرودس صوته للمرة الأولى والأخيرة في حياته،لعله يخلّص نفسه الضالة ؟ ألم تكن هذه فرصة لينجو بها المسيح من الصليب إذا أرضى هيرودس بمعجزةٍ من معجزاته ؟ ألم يكلّم المسيحُ ذلك الأعمى الذي استوقفه عند أريحا ؟ فلِمَ لا يكلّمُ ملكاً استوقفه في بلاطه ؟؟ حقاً انه صمت عجيب. ولكننا متى عرفنا السبب بَطل العجب:(١) صَمَتَ المسيح ترفعاً و إباء . لأن معجزاته أرفع من أن تكون تسلية لهيرودس،ولأن دُرَر كلماته أثمن من ان تطرح عند قدمي ذلك الثعلب لقد سبق هيرودس فسمع يوحنا المعمدان الذي

بشيء ١٠ ووقف رؤساء الكهنة والكتبة يشتكون عليه باشتداد

كان «صوت» المسيح الصارخ، لكن صوت ابنة هيروديا الراقصة، كان على مسمعه ألذ من ذلك الصوت وأعلى، فقطع رأس يوحنا واستراح. فما نفع صوت المسيح لانسان باع نفسه للشر، فأباح لنفسه أن يغتصب هيروديا زوجة فيلبس أخيه، في حياته ؟ (٢) صمت المسيح فداء عنا نحن المحكوم علينا بالوقوف صامتين أمام الملك العظيم في يوم الدين لذلك وقف المسيح صامتاً أمام ذلك الملك الارضي فداءً عنا، فتم فيه قول اشعياء (٥٣: ٧) « ظلم أما هو فتذلل ولم يفتح فاه». (٣) صمت المسيح ليعطي هيرودس فرصة يستعيد فيها ما قد سبق فسمعه من يوحنا. وليقدم لضمير هيرودس فرصة ليستقيظ فيها من سباته. لان المسيح عالم أن هيرودس لم يعوزه السمع. إنما كان يعوزه العمل بما سمع. يا ليت هيرودس كان كالأعمى الذي استرحم يسوع قائلاً « يا ابن داود ارحمني » ! (٤) صمت المسيح لانه لم يرد أن يسترضي هيرودس لئلا يأمر هيرودس باطلاقه، فيفسد عليه الغرض الذي جاء إلى العالم لأجله: «ليُرفع ابن الانسان على الصليب لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الابدية». (يوحنا ٣: ١٥). نعم صمت المسيح أمام هيرودس، ولكن ألم يرسل اليه رسالة في نظرة خاصة القاها عليه ؟؟!

أما الصوت الثاني الذي سمعه هيرودس فهو صوت رؤساء الكهنة والكتبة — هؤلاء وقفوا يشتكون على المسيح باشتداد (عدد ١٠). لسنا ندري

١١ فاحتقره هيرودس مع عسكره واستهزأوا به وألبسه لباساً لامعاً
ورده الى بيلاطس ١٢ فصار بيلاطس وهيرودس صديقين مع
بعضهما في ذلك اليوم لانهما كانا من قبل في عداوة بينهما

ما هو الداعي لهذا التمسك أو التشدد ، والمشتكى عليه صامت . أليس ذلك ليتم المكتوب « كنعجة صامتة أمام جازيها فلم يفتح فاه ؟؟ » (اشعياء ٥٣:٧) .

(د) ما فعله هيرودس : رأى هيرودس أن صمت المسيح كان مهيناً له . لذلك قصد أن ينتقم لنفسه . « فاحتقره مع عسكره واستهزأ به ، وألبسه لباساً لامعاً ، ورده إلى بيلاطس » . كان هذا الرداء اللامع أبيض ، وهو يماثل الرداء الذي كان يلبسه بعض ملوك الرومان واليهود ، في بعض الحفلات الرسمية وقتئذ . و يقول «روزنباخ» ، أحد مفسري الألمان ، ان هذا الرداء الأبيض ، يشبه رداء الكاهن — هذه إذاً إهانة موجهة إلى المسيح الكاهن . كما أن الاهانة الواردة في لوقا ٢٢:٦٤ ، موجهة إلى المسيح النبي ، والاهانة الواردة في متى ٢٦:٢٩ ، موجهة إلى المسيح الملك . بذلك تمت الاهانة الكاملة — فالثلاثة عدد كامل — للمسيح النبي ، والكاهن ، والملك .

(هـ) ما ربحه هيرودس (عدد ١٢) : ربح هيرودس صداقة بيلاطس . وهذا يكفيه ، فالغربان تكفيها الجثث طعاماً وولمية الذئاب عظام ملوثة . « فصار بيلاطس وهيرودس صديقين مع بعضهما في ذلك اليوم لانهما كانا من قبل في عداوة بينهما » . بذلك قدم كلاهما شهادة عملية للمسيح بأنه

١٣ فدعا بيلاطس رؤساء الكهنة

هو : صانع السلام « ورئيس السلام » . (اشعياء ٩:٦) . لقد تمّ الصلح بينهما ، فتمّ بذلك قول المزمور الثاني : «قام ملوك الارض والرؤساء معاً» .

هذه بداية اتفاق الوثنية مع اليهودية ، ضدّ المسيح والمسيحية .

بيلاطس أمام المسيح (لوقا ٢٣:١٣—٢٥)

هذا مشهد يتصارع فيه بيلاطس مع ضميره من الداخل ، ومع غوغاء اليهود من الخارج. فيتغافل في النهاية عن صوت الضمير و يستسلم للغوغاء . خاب قصد بيلاطس في ارساله يسوع إلى هيرودس، أملاً في التخلّص من محاكمته، لان هيرودس ردّه اليه ، فوجدَ نفسه مضطراً لأن يواجه المسيح من جديد. ان بيلاطس لغزٌ من الألغاز. فبينما تراه يحب الحق ، اذا به يختار الباطل. ومع أنه يرى الأفضل ، لكنّه يختار الأدنى . فبينما كان بيلاطس جالساً ليحاكم المسيح، إذا به في الوقت نفسه واقفٌ أمام المسيح ليحاكَمَ منه. كان عقله المستنير، في جانب ، وكانت أمياله السُّفلى في الجانب الآخر . وفي النهاية انتصرت أمياله الدنيا على عقله، فمالت ارادته الى جانب أمياله، وخُذل عقله ، فأُذِلَّ ضميره . هذا رجل باع نفسه ليشتري مركزه، فما ربحت تجارته، لانه خسرهما كليهما إذ عُزل في النهاية من وظيفته ومات منتحراً .

بين بيلاطس وهيرودس ، ظلّ المسيح متنقلاً ، فلم ينتفع هذان الرجلان بهذه الفرصة الثمينة . ان وجود المسيح بين لصّين على الصليب ، قد أتى بثمرة ناضجة ، فآمن به أحدهما. لكن وجوده بين هذين الحاكمين لم

والعظماء والشعب ١٤ وقال لهم . قد قدَّمتم اليَّ هذا الانسان كمن يفسد الشعب . وها أنا

ينفعهما ، بل أوقعهما في مسئوليّة جديدة . كان هيرودس شهوانياً ، عبداً للذّاته ، وكان بيلاطس نفسانياً عبداً لذاته . وكلاهما مكرهة لدى الرب .

(عدد ١٣). لما لم تنجح حيلة بيلاطس في التخلّص من محاكمة يسوع بارساله الى هيرودس ، وجد أمامه منفذين مفتوحين . فقصد أن يلج أحدهما بعد الآخر ، للخروج من هذا المأزق الحرج:(ا) المنفذ الأول:(٢٣: ١٤—١٦) هو أن يلتجيء إلى عواطف اليهود فيعرض عليهم أن يجلد المسيح،لعلّه يشبع شهوة انتقامهم ، بالدماء التي تسيل من جسمه بعد جلده ، فيأمر باطلاقه . (ب) المنفذ الثاني (٢٣: ١٧—٢٣):هو أن يلتجيء إلى عدالتهم فيخيّرهم بين اطلاق سراح المسيح البار ، و بين إطلاق باراباس المجرم.غريب أن بيلاطس المعروف بقوة الشكيمة ، تلين قناته أمام الشعب الأعزل . عجيب أن «تمثال القوة والجبروت» يستضعف أمام اليهود . يظهر أن صدر هذا «التمثال» كان مصنوعاً من حديد ، لكن قدميه كانتا مصنوعتين من خَزَف ، فلم يقوَ على الوقوف أمام تيار الشعب الجارف في هذه المرّة، مع أنه في مرّة سابقة ، قد اعتدى على جماعة منهم « وخلط دمهم بذبائحهم » (لوقا ١٣: ١).

(ا) المنفذ الاول (٢٣: ١٤—١٦) : لما استوثق بيلاطس من براءة المسيح ، « دعا » مجمع السنهدريم المؤلف من رؤساء الكهنة والعظماء والشعب وقال لهم «قد قدمتم اليَّ هذا الانسان كمن يفسد الشعب . وها أنا

قد فحصت قدّامكم ولم أجد في هذا الانسان علّة مما تشتكون به
عليه ١٥ ولا هيرودس ايضاً . لاني أرسلتكم اليه . وها لا شيء
يستحق الموت صُنع منه ١٦ فأنا أؤدبه وأطلقه

قد فحصت قدامكم» ــ وعلى انفراد (يوحنا ١٨ : ٣٣ ــ ٣٧) ــ «ولم أجد في هذا الانسان علةً مما تشتكون به عليه . ولا هيرودس أيضاً ، لاني أرسلتكم اليه » بذلك قد بيّن لهم بيلاطس ــ بطريقة لطيفة أو ضعيفة ــ انهم لن يكونوا اكثر غيرة منه ومن هيرودس على سلامة الدولة الرومانيّة، التي كان هو وهيرودس ممثلين لها . «وها لا شيء يستحق الموت صُنع منه . فأنا ...» كان ينبغي أن تقول يا بيلاطس «فأنا أفكّه من قيوده وأطلقه» لان هذه هي النتيجة الطبيعية التي تلي الحكم بالبراءة . لكنك بقولك : « فأنا أؤدبه وأطلقه» قد وضعت نفسك تحت رحمة الشعب اليهودي الثائر ، و بذلك قد هبطتّ من مركز القاضي الروماني العادل ، إلى موقف المستجدي الضعيف. هذه أول خطوة في طريق بيلاطس إلى الانحدار ، هذه أول نافذة رأى فيها اليهود ضعف بيلاطس فاستمدّوا من ضعفه قوةً لهم .

ان بيلاطس ، بقوله « لم أجد في هذا الانسان علةً . . . فأنا أؤدبه وأطلقه» ، كان كمن يقول عن الشيء الواحد أبيض وأسود في وقتٍ واحد . لان الجلد كان ــ في قانون الرومان ــ الخطوة الأولى الممهدة للصلب . فإذاً قد حكم بيلاطس على المسيح بان يتجرّع أول جرعة في كأس الصليب، مع اعتقاده بأنه لم يفعل شيئاً يستحق الصلب .

١٧ وكان مضطراً ان يطلق لهم كل عيد واحداً ١٨ فصرخوا بجملتهم
قائلين خذ هذا وأطلق لنا باراباس ١٩ وذاك كان قد طُرح في

(ب) المنفذ الثاني (عدد ١٧:١٧—٢٣) : كانت الدولة الرومانيّة قد عوّدت الأمة اليهودية — تودّداً منها ومداهنة — ان تطلق لها في كل عيد واحداً من مجرميها (يوحنا ١٨: ٣٩) ، فظن بيلاطس أن يجد في هذه العادة منفذاً ، يناشد منه عدالة اليهود ، ووطنيّتهم ، فقال لهم « لكم عادة أن أطلق لكم واحداً في الفصح . أفتريدون أن أطلق لكم ملك اليهود (يوحنا ١٨: ٣٩) أم أن أطلق باراباس القاتل؟» لكن هذه المحاولة قد ذهبت ضياعاً ، بل زادتهم هياجاً ، لان « رؤساء الكهنة والشيوخ حرضوا الجمع على أن يطلبوا باراباس ويهلكوا يسوع » (متى ٢٧: ١٠) ، فصرخوا لدى بيلاطس ، بجملتهم ، قائلين « خذ هذا وأطلق لنا باراباس » . مرّة أخرى يحيطون كلمة «هذا» بشيء غير قليل من التحقير والازدراء .

الكلمة « باراباس » ، أرامية،في قالب يوناني. وهي تتركب من مقطعين «بار—أبا» . أي « ابن الأب » ويعتقد بعضهم أن معناها « ابن أبيه » أي المماثل لأبيه في الشر .أو «ابن المعلم» ولعله كان ابن أحد معلمي الناموس!!!. ما أسود الاطار الذي أحاط به لوقا صورة هذا الرجل ! «وذاك كان قد طُرح في السجن لاجل فتنة حدثت في المدينة وقتل » . ولعله كان زعيم الفتنة المذكورة في مستهل الاصحاح الثالث عشر من هذه البشارة . « باراباس... ويسوع !» شخصان يختلفان في كل شيء أولهما قاتل،وثانيهما رب الحياة .

السجن لاجل فتنة حدثت في المدينة وقتل

أولهما مثير فتنة ، وثانيهما رئيس السلام . أولهما ابنُ «أب» أرضيٌ ، وثانيهما ابن الآب السموي. أولهما إنسان تتبرأ منه البشرية، وثانيهما «الانسان» الذي رفع البشرية إلى ذرى الامجاد (يوحنا ١٩ : ٥) . أولهما ليل ، وثانيهما نهار ، و بيلاطس وقف بينهما ظلاً ضئيلاً كالغروب. فأي الاثنين اختاره اليهود ؟ مما يُؤْسف له أنهم اختاروا باراباس وفضلوه على يسوع. انهم باختيارهم هذا، قد شهدوا على أنفسهم شهادتين: أولاهما أمام بيلاطس: أنهم كانوا كاذبين في تظاهرهم بالغيرة على سلامة الامبراطورية الرومانية . لان باراباس الذي طلبوا إطلاق سراحه ، كان مشهوداً له ، من القريب والبعيد ، انه ألدّ أعداء الدولة الرومانية. أما الشهادة الثانية فقد قدموها للعالم أجمع، وهي: انهم بتفضيلهم القاتل على رب الحياة، قد حكموا على بأنفسهم أنهم قتلة يستحقون حكم الاعدام ، الذي أصابهم منذ خراب أورشليم إلى يومنا هذا . « وشبيه الشيء منجذبٌ اليه» . «خذ هذا ...... لنا باراباس» .

(عدد ٢٠). لما كان إطلاق باراباس يقتضي بعض الاجراءآت القضائية الرسمية ، عاد بيلاطس فجلس على كرسي الولاية ، وهنا جاءته رسالة من زوجته* تقول له فيها : «إياك وذلك البار لاني تألمت اليوم كثيراً في حلم من أجله» (متى ٢٧ : ١٩) . كانت هذه الرسالة تحريضاً جديداً لبيلاطس، ليثابر

(*) في كتابات اوريجانوس تسمّى هذه الزوجة « كلوديا » . ويُروى عنها أنها صارت مسيحية فيما بعد .

٢٠ فناداهم ايضاً بيلاطس وهو يريد ان يطلق يسوع ٢١ فصرخوا
قائلين اصلبه اصلبه ٢٢ فقال لهم ثالثةً فأي شر عمل هذا . اني لم اجد فيه
علةً للموت . فأنا أؤدبه وأطلقه ٢٣ فكانوا يلجّون

ويصمد ضد ارادة الشعب، «لذلك ناداهم أيضاًوهو يريد ان يطلق يسوع...». لا يقول لنا لوقا ماذا قال بيلاطس في هذه المرة،لانه يظهر ان الشعب قاطعه، بكثرة الهتاف والصياح ، «فصرخوا قائلين : اصلبه . اصلبه» . هذه أول مرة عيّنوا فيها نوع الموت الذي يموته يسوع : « اصلبه اصلبه » ، هل هذا هو الشعب الذي هتف للمسيح يوم دخوله أورشليم: «اوصنا.اوصنا» ؟ أم كان ذلك شعب الجليل،وهذا شعب أورشليم؟ اوَليست كل الشعوب من طينة واحدة ؟؟ يقع اللوم الاكبر فيهذا على بيلاطس،لانه هو الذياقترح عليهم المقدمة — وهي الجلد،فلا يعابون هم اذا اختاروا الخاتمة — وهي الصلب هذا احط درك هبط اليه الشعب اليهودي ، اذ طلبوا إلى بيلاطس ان يحكم على «ماسكهم» بالصلب. لان الرومان لم يحكموا بالصلب على رعاياهم ، بل على عبيدهم و إمائهم ! !

(عدد ٢٢) على فم شاهدين أو ثلاثة تقوم كل كلمة. «فقال لهم ثالثةً» — المرّة الأولى في (عدد ٤).والثانية في (عدد ١٤) — « ناداهم بيلاطس فأي شر عمل هـذا ؟ اني لم أجد فيه علة للموت . فأنا أؤدبه وأطلقه » — وهنا أمر بيلاطس بجلده أمام عيونهم ، ليستدرّ عطفهم وليروي بدمه غلّـهم..عندئذ «ضفر العسكر اكليلاً من شوك ووضعوه على رأسه وألبسوه ثوب أرجوان» .

استسلام بيلاطس (٢٣:٢٣—٢٥) : كان الشعب اليهودي يرى ضعفاً

بأصوات عظيمة طالبين ان يُصلب . فقويت اصواتهم واصوات رؤساء الكهنة ٢٤ فحكم بيلاطس ان تكون طلبتهم

جديداً في كل اقتراح جديد يقدمه بيلاطس ، فاستسلموا للعناد ، وصاروا كالجواد الجموح الذي استهوته الريح ، « فكانوا يلجُّون باصوات عظيمة ، طالبين أن يصلب فقويت اصواتهم » — إذاً لم تقوَ حججهم، ولا براهينهم، بل قويت أصواتهم «وأصوات رؤساء الكهنة» — أين كان السوط الروماني الذي يُخفت هـذه الاصوات ؟؟ « فقال لهم بيلاطس خذوه أنتم واصلبوه ، لاني لست أجد فيه علة».اجابه اليهود لنا ناموس وحسب ناموسنا يجب أن يموت . لانه جعل نفسه ابن الله . فلما سمع هذا القول ازداد خوفاً . فدخل أيضاً إلى دار الولاية وقال ليسوع: «من أين أنت».وأما يسوع فلم يعطه جواباً— وما الداعي لان يجيبه الآن بعد أن اقتنع ببراءته وحكم باداناته ؟ — فقال بيلاطس « أما تكلمني . ألست تعلم أن لي سلطاناً أن أصلبك وسلطاناً أن أطلقك » ؟ أجاب يسوع « لم يكن لك عليَّ سلطان البتة لو لم تكن قد أُعطيت من فوق . لذلك الذي أسلمني اليك له خطية أعظم. من هذا الوقت كان بيلاطس يطلب أن يطلقه ، ولكن اليهود كانوا يصرخون قائلين إن أطلقت هذا فلست محباً لقيصر . كل من يجعل نفسه ملكاً يقاوم قيصر » (يوحنا ١٩:٧—١٢) . أمام هذا السلاح الجديد المرهف ، أحنى بيلاطس رقبته، «وحكم ان تكون طلبتهم». يظهر ان بيلاطس لم يلفظ كلمة الصلب في حكمه ، من كثرة انزعاج ضميره — حينئذٍ «أخذ ماء وغسل يديه أمام الجميع

٢٥ فأطلق لهم الذي طُرح في السجن لاجل فتنة وقتل الذي طلبوه
واسلم يسوع لمشيئتهم ٢٦ ولما مضوا به

قائلاً اني بريء» (متى ٢٣: ٢٤)—وهو لا يدري أن الماء لن تغسل الدماء . « فاطلق لهم الذي طُرح في السجن لاجل فتنة وقتل الذي طلبوه وأسلم يسوع لمشيئتهم » . بهذه الجملة الأخيرة كتب لوقا مرثية بيلاطس والشعب اليهودي : «فاطلق لهم الذي طُرح في السجن لاجل فتنة وقتل» — هذه لطخة سوداء في حياة بيلاطس القاضي الروماني لان العدل الروماني كان مضرب الأمثال . «....الذي طلبوه .... لمشيئتهم» — هذه لطخة سوداء في جبين الأمة اليهودية انه لأمر خطير أن ينزل بيلاطس عن مستوى العدالة، إلى هذا الدرك السافل. ولكن أخطر منه، ان تريد الأمة اليهودية، وان تطلب صلب مليكها . كان ظلم بيلاطس البنطي غلطة من غلطات حياته ، لكن إرادة الأمة اليهودية هي المرآة التي تجلّت فيها كل صفاتها وميولها الخبيثة . عظيمة هي مسئولية بيلاطس ، وأعظم منها ، مسئولية اليهود .

هل أدرك باراباس ، فيما بعد ، معنى القول : «مات من أجلي» ؟!!

الى الجلجثة (لوقا ٢٣: ٢٦—٣٢)

سمعان القيرواني . وبنات اورشليم

(١) سمعان القيرواني (عدد ٢٦) : «ولما مضوا به » . كان يتم الصلب عادة خارج المدن، وعلى قارعة طريق عام ، أو في ميدان فسيح الأرجاء، لكي

امسكوا سمعان رجلاً قيروانياً كان آتياً

يكون المصلوب عبرةً للجماهير التي كانت تحتشد حول منظره المفجع . لذلك أُخرجَ المسيح من أورشليم الارضية ، فقبلته أورشليم السماوية ذبيحةً حيةً مرضيّة . «فإنَّ الذبائح التي يُدخل بدمها عن الخطية بيد رئيس الكهنة ، تُحرَق اجسامها خارج المحلة . لذلك يسوع أيضاً لكي يقدِّس الشعب بدم نفسه ، تألم خارج الباب . فلنخرج اليه خارج المحلة» ، مشتركين مع سمعان القيرواني في حمل عاره .

يقول بلوطارخوس، حجة التاريخ القديم : «ان قوانين الرومان كانت تَفرض على المحكوم عليه بالصلب،أن يحمل صليبه بنفسه إلى موضع الصلب، مسوقاً بأربعة حراس من الجند» . غير أن الآلام النفسيّة والجسدية، كانت قد أخذت من المسيح كل مأخذ ، فانهكت جسمه الرقيق. فمن هذه الآلام: مصارعة جثسيماني ، وخيانة يهوذا ، وسقوط بطرس ، وانهزام جميع الرسل ، وحرمانه من النوم طوال الليلة الماضية ، ومعاملات العنف والهزء والسخرية، وذهابه إلى قصر رئيس الكهنة،ثم إلى دار المحاكمة في قصر بيلاطس،فذهابه إلى قصر هيرودس ، فرجوعه الى قصر بيلاطس — الى الجلد الذي لا نعلم مقداره . كل هذه الآلام تجمّعت معاً على جسد المسيح ، فأضعفته حتى رزح تحت الصليب. لانه كان من الضروري أن لا يسند لاهوتُه ناسوتَه في الآلام، لكي يتجرَّع غُصص الصلب بمرارتها كما هي ، من غير تلطيف ولا تخفيف. فلما رأوا ضعف جسده ، «امسكوا سمعان رجلاً قيروانياً كان آتياً

من الحقل ووضعوا عليه الصليب ليحمله خلف يسوع

من الحقل ، ووضعوا عليه الصليب * ليحمله خلف يسوع » إن القيروان مدينة يونانية تختلف عن القيروان العربية الاسلامية. فالأولى حلّت مكانها «برقة» الحالية،والثانية في تونس. الأولى بُنيت في القرن السابع قبل الميلاد ، وبُنيت الثانية في صدر الاسلام ، بعد أن افتتحها عُقبة بن نافع . لكنهما تتشابهان نفعاً ووسيلة وغاية، اذ كانت كل منهما حصناً وقاعدة حربية وقلعة. لان القيروان اليونانية ، اتخذها اليونان معقلا لهم ، لما فيها من ينابيع وآبار ترويها ، وما يجاورها من سلسة جبالٍ تظللها وتقيها ، ومن نجاد ومرتفعات تحصنها وتحميها . كذلك اختار العرب «قيروانهم» ، لبعدها عن البَر . لئلا تطرقهامراكب الرومفتهلكها.وهي في وسط البلاد وبها آجاموآكام. الكلمة « قيروان » فارسية الأصل ، معناها القافلة ، أو الكتيبة ، أومحطّ رحال الجيش. «فامسكوا سمعان. ووضعوا عليه الصليب ليحمله خلف يسوع» هل أدرك سمعان معنى القول «ان أراد أحد أن يأتي ورائي،فلينكر نفسه،ويحمل صليبه كل يوم ويتبعني» ؟ لم تكن هذه إرادة سمعان ، بل كانت إرادة الذين سخروه . ويقول التقليد ان هذه أصبحت إرادته فيما بعد ، لانه صار تلميذاً ليسوع . ألم يكن سمعان بطرس ، أولى من سمعان القيرواني بحمل صليب

(*) كان الصليب الروماني على ثلاثة اشكال: (أ) x — مثل صليب القديس اندراوس . (ب) T — مثل صليب القديس انطونيوس (ج) † — وهو الشكل العادي — هذا هو صليب المسيح .

٢٧ وتبعه جمهور كثير من الشعب والنساء اللواتي كنَّ يلطمن ايضاً
وينحنَ عليه ٢٨ فالتفت اليهنَّ يسوع وقال . يا بنات اورشليم لا
تبكين عليَّ بل ابكين على انفسكن وعلى اولادكنَّ ٢٩ لأنه هوذا
ايام تأتي يقولون فيها طوبى للعواقر والبطون التي لم تلد والثدي التي
لم ترضع ٣٠ حينئذ يبتدئون يقولون للجبال اسقطي علينا وللآكام
غطينا

سيده ؟ ولكن اين سمعان بطرس الآن ؟ لعله كان في عزلة ، غارقاً في بحر من الانزعاج والاضطراب .

(ب) بنات اورشليم (٢٣: ٢٧—٣١): «وتبعه جمهور كثير من الشعب والنساء اللّواتي كنَّ يلطمن أيضاً » . يحدثنا الانجيل عن رجال كثيرين قد أساءوا إلى المسيح ، لكنه لم يذكر لنا حادثة واحدة كانت فيها المرأة مسيئة له ، أكان ذلك لانه رفع مقام المرأة في نظر المجتمع ؟

يظهر أن النساء المذكورات هنا ، غير النساء اللواتي تبعن يسوع من الجليل . امام بكاء النساء ، نسي المسيح آلامه ، وحذَّرهن من الاستسلام لدموع الاشفاق عليه ، فعطف هو عليهن ، بدلاً من أن يعطفن هنَّ عليه، لانه يفضل دمعة التائب ، على دمعة المشفق . « يا بنات اورشليم لا تبكين عليَّ . بل ابكين على أنفسكنَّ وعلى اولادكنَّ . لانه هوذا ايام . . . » . (هوشع ١٠: ٨) يشير المسيح بهذه الكلمات الاخيرة ، وما بعدها ، الى قضاء

٣١ لانه ان كانوا بالعود الرطب يفعلون هذا فماذا يكون باليابس
٣٢ وجاءوا ايضاً باثنين آخرين مذنبين ليُقتلا معه ٣٣ ولما مضوا به

الله الذي حل باورشليم بعد خرابها . « لانه ان كانوا بالعود الرطب يفعلون هذا فماذا يكون باليابس» ؟ يُكنى « بالعود الرطب» عن المسيح البار الذي قَبِل حكم الرومان بصبر وتسليم . ويُكنى « بالعود اليابس » عن الشعب اليهودي ، المذنب ، المتمرد ، والعنيد ، الذي حصدت رقابه سيوفُ الرومان. ويعتقد بعضهم ان العود الرطب، يُكنى به عن اورشليم في ايام عزّها،و بالعود اليابس ، عن اورشليم في ايام اضمحلالها ، ونرجح نحن الرأي الأول .

هذه كتابة مستعارة من حزقيال ٢١ : ٣—٨ .

قد تكون الكلمة « بنات اورشليم » منطوية على استعارة تشمل الأمة اليهودية كلّها .

عدد (٣٢). لكي يضيف اليهود واعوانهم. الى مرارة صليب المسيح، مرارةً وعلقماً ،وضعوه في مستوى المجرمين «لجاءوا أيضاً باثنين آخرين مذنبين ليُقتلا معه» . بهذا قد تمّ المكتوب : «وأُحصي مع أثمة» (اشعياء ٥٣ : ١٢) .

الصّلب (لوقا ٢٣ . ٣٣—٤٦)

لم يكن الصليب أمراً جديداً على المسيح، فقد أنبأ هو به نيقوديموسَ في مستهلّ خدمته (يوحنا ٣ : ١٤)، وأعلنه لليهود في قلب خدمته (يوحنا ١٢ : ٣٢) وأخبر به تلاميذه ثلاث مرّات عند نهاية خدمته . ان الصليب هو المرآة التي تجلّى فيها برّ الله (رومية ٣ : ٢٥ و ٢٦)، وفيها ظهرت الخطيّة خاطئةً جداً، لانها

الى الموضع الذي يُدعى جمجمة صلبوه هناك مع المذنبَين واحداً عن يمينه والآخر عن يساره

صلبت ربّ المجد، وفيها رأت البشريةُ نفسَها : في أتعس حال — اذ صلبت ربها، وفي أقدس حال — لانها بالصليب تمتّعت بالغفران .

يقع هذا الفصل في دورين . (١) الصَّلب (٢٣: ٣٣و٣٤) . (٢) شهود الصَّلب (٢٣: ٣٤—٤٦) .

(١) الصلب (٢٣: ٣٣و٣٤) . «ولما مضوا به إلى الموضع الذي يُدعى جمجمة،صلبوه هناك مع المذنبَين.واحداً عن يمينه والآخر عن يساره». يُظن ان هذين اللصين كانا رفيقي باراباس،وان صليب يسوع كان معداً لرئيسهما ، فحلّ يسوعُ محلّه.هل عرف يعقوب ويوحنا معنى الجلوس عن يمين المسيح وعن يساره ؟؟.الكلمة «جمجمة» مترجمة عن الارامية «جلجثة».وسُمّيت كذلك بالنسبة لشكلها . ومعناها الشيء المستدير. لان هذه المرتفعة تُرى من بعيد، كأنها جمجمة انسان . ويقول بعضهم انها سُمّيت كذلك لانها منذ القديم كانت موضع الصلب ، فكانت تكثر فيها جماجم المصلوبين .

هنا في هذا المكان،رُفع المسيح معلّقاً بين السماء والارض — كأن السماء لفظته فلم تعطه مكاناً ، وكأن الارض رفضته فلم تجد عليه بمكان يسند اليه رأسه عند مماته.رُفع المسيح مصلوباً بين السماء والارض،ليصنع بصليبه سلاماً بينهما . صُلبَ ممدود اليدين ، ليقدّم بيديه للتائبين غفراناً وعزاءً ونعماً . صُلب وعلى رأسه اكليلٌ من شوك،ليمجّد الألم . صُلب عاري الجسد،لكي

٣٤ فقال يسوع

يفتدينا من عار الخطية وخزيها . صُلب وجنبه مفتوح بطعنة الحربة ، لكي يرحِّبَ بنا و يقدّم لنا من قلبه مَعيناً لا ينضب من الحبّ والحنان .

(عدد ٣٤) . الكلمة الأولى التي فاه بها المسيح على الصليب : «يا ابتاه اغفر لهم لانهم لا يعلمون ماذا يفعلون». هذه أولى الكلمات السبع، التي نطق بها المسيح على الصليب. الكلمة الثانية : «الحق اقول لك انك اليوم تكون معي في الفردوس» . (لوقا ٢٣:٤٣) . الكلمة الثالثة : «قال لأمه يا امرأة هوذا ابنك . ثم قال للتلميذ هوذا أمك» (يوحنا ١٩:٢٦و٢٧) . الكلمة الرابعة : «الهي الهي لماذا تركتني» . (متى ٢٧:٤٦ ومرقس ١٥:٣٤) . الكلمة الخامسة : «أنا عطشان» (يوحنا ١٩:٢٨) . الكلمة السادسة : «قد أُكمل» (يوحنا ١٩:٣٠) . الكلمة السابعة : «يا أبتاه في يديك استودع روحي» (لوقا ٢٣:٤٦) .

الثلاث الكلمات الأولى ، قيلت قبل الظلام . والثلاث الكلمات الاخيرة ، قيلت بعد الظلام . والكلمة الوسطى قيلت في أثناء الظلام .

في الكلمة الأولى صَفْحٌ ، وفي الثانية يقين ، وفي الثالثة عناية ، وفي الرابعة عتاب . وفي الخامسة شوق ، وفي السادسة ظفر ، وفي السابعة اطمئنان.

الكلمة الأولى خاصة باعدائه، والثانية مصوَّبةٌ الى شريكه، والثالثة خاصة باقرب الاقربين اليه، والرابعة ناطقة بمبلغ آلامه النفسية، والخامسة معبّرة عن

يا ابتاه اغفر لهم لانهم لا يعلمون ماذا يفعلون

آلامه الجسديّة، والسادسة معلنة نهاية مهمّته على الأرض، والسابعة مظهرة ثقته الوطيدة بالآب .

في كلمته الأولى ترحيب بالعالم الساقط . في الثانية خير مكافأة للتائبين اليه . في الثالثة وصيّة المسيح لاتباعه على الأرض . في الرابعة قلب الألم. في الخامسة مدى اتساع قلبه وأشواقه . في السادسة هتاف الانتصار . في السابعة ختم الايمان والثقة والتسليم .

من هذه الكلمات السبع ، سجّل لوقا : الأولى ، والثانية ، والسابعة .

الكلمة الأولى: صرخ الشعب إلى بيلاطس قائلين اصلبه اصلبه» . وصرخ المسيح الى الآب قائلاً : «يا أبتاه اغفر لهم» . فما أعظم محبته وما أشنع خطيتهم. في هذه الكلمة، ثلاثة أمور : (ا) نداء : «يا أبتاه» — هذه كلمة ترينا أن ثقة المسيح بالآب، لم يعترها أي وهن بسبب كل هذه الآلام التي حلّت به. فناداه قائلاً « يا أبتاه » . (ب) تشفّع : «اغفر لهم» — الكلمة «لهم» تشمل كل الذين اشتركوا في صلبه ، من الجنود البسطاء ، الى رؤساء اليهود الذين دبّروا الصّلب في الخفاء . ألم يوصنا المسيح قائلاً « أحبوا أعداءكم » . ؟ وهل يكون هو أقل منّا في العمل بهذه الوصيّة ؟ ؟ ان مجازاة الخير بالشر ، عمل شيطاني . ومجازاة الشرّ بالشر ، عمل وحشي . ومجازاة الخير بالخير ، عمل انساني. لكن مجازاة الشر بالخير، هي عمل الهي لا يقوى عليه سوى المسيح. (ج) اعتذار : «لانهم لا يعلمون ماذا يفعلون» : عجيب ان ينسى المسيح

واذ اقتسموا ثيابه اقترعوا عليها

آلامه، ليلتمس العذر لهؤلاء المجرمين . لكن أعجب من هذا، أن يكون هو المسيح الفادي، ولا ينسى نفسه ليشفع في المذنبين؟ (اشعياء ٥٣: ١٢).يقول بطرس: «انا أعلم انكم بجهالة عملتم كما رؤساؤكم أيضاً» . اذاً هذه الكلمة «لا يعلمون» تتناول الجنود ، و بيلاطس ، وهيرودس ، واعضاء السنهدريم ، حتى تصل الى يهوذا، الذي هو اكثرهم معرفة بما فعل. من المهم ان نلاحظ ان المسيح لم يطلب لهم المعذرة ، كأنهم غير مسئولين بل طلب لهم المغفرة ان الابدية وحدها كفيلة بان تعلن لنا الى أي مدى أجيبت هذه الصلاة.

حول الصليب (لوقا ٢٣: ٣٤—٤٢)

صُلبَ المسيحُ في غُرّة عيد الفصح ، وعلى قارعة الطريق ، فكان من الطبيعي ان يشهد صليبه جمعٌ غفير. وبين الذين شاهدوا هذا المشهد العجيب:

(١) الجنود الرومان الذين اقتسموا الغنائم (عدد ٣٤). «واذ اقتسموا ثيابه اقترعوا عليها» . لم يبق لهم، بعد ان اتموا عمليّة الصلب، الا ان يفوزوا باكبر نصيب ممكن من الغنائم التي «خلفها» المصلوبون «تركاتٍ» من بعدهم. ولم تكن للمسيح «تركة» مادية «يخلفها» ، سوى ملابسه البسيطة التي هي: رداء خارجي ، وغطاء الرأس ، ومنطقة ، ونعلين — هذه اقتسمها الجند . أما قميصه المنسوج كله بغير خياطة ، فقد اقترعوا عليه، فتمّ ما جاء في مزمور ٢٢: ١٨ . « يقتسمون ثيابي بينهم وعلى لباسي يقترعون » .

ما أفقرهم! هذا كل ما استطاعوا ان «يرثوه» من المسيح! أمّا غنى المسيح

٣٥ وكان الشعب واقفين ينظرون . والرؤساء ايضاً معهم يسخرون به قائلين خلص آخرين فليخلص نفسه إن كان هو المسيح مختار الله

الذي لا يُستقصى ، فقد فات أمام عيونهم وهم لا ينظرون . كانوا على قيد ذراع من نبع الخلاص ، لكنهم ماتوا هالكين هؤلاء هم الماديون .

(٢) الشعب الغبي (عدد ٣٥) . وكان الشعب واقفين ينظرون » — ولكن من أي نوع كانت نظراتهم ؟ لم تكن نظرة الخلاص ، ولا نظرة الرجاء ، لكنها كانت نظرة جامدة ، كنظرة عين التمثال المفتوحة وهي لا ترى . هؤلاء هم الاغبياء الغافلون .

(٣) الرؤساء المستهزئون (عدد ٣٥). «والرؤساء أيضاً معهم يسخرون به قائلين « خلص آخرين فليخلص نفسه ان كان هو المسيح مختار الله » الآن وقد تمم الرؤساء — أعضاء السنهدريم — كل مشورتهم، قصدوا الى موضع الصلب،لكي يتلذذوا بنتائج ظفرهم.ومن فضلة قلوبهم العامرة بالشر، تكلمت ألسنتهم بالسخرية والهزء . وكانوا يظنون انهم يتكلمون بالمنطق المعقول ، حين قالوا:«خلص آخرين فليخلص نفسه ان كان هو المسيح مختار الله» ، وقد تغافلوا عن هذه الحقيقة : وهي انه لو خلص نفسه لما كان هو المسيح . لانه مسيح بالصلب أولاً . وانه لن يقوى على تخليص غيره الا من يضحي بنفسه.لكن تعصبهم الأعمى قد طمس قلوبهم،فلم يذكروا ما جاء فى مزمورهم (مزمور ٢٢:٨) «اتكل على الرب فلينجه. لينقذه لانه سُر به» . هؤلاء هم المعاندون المستهزئون .

٣٦ والجند ايضاً استهزئوا به وهم يأتون ويقدّمون له خلاً ٣٧ قائلين
ان كنت ملك اليهود فخلص نفسك ٣٨ وكان عنوان مكتوب
فوقه بأحرف يونانية ورومانية وعبرانية هذا هو ملك اليهود

(٤) الجند المستهزئون (٢٣: ٣٦و٣٧) . « والجند أيضاً » . قدم الرؤساء باستهزائهم شرّ مثال، فحذا حذوهم الجند، «واستهزأوا به وهم يأتون ويقدّمون له خلاً » . يُظن ان هذا الخل كان يستعمله الجند شراباً لهم وانهم كانوا يقدمون الأوعية المملوءة خلاً ، ويقرّبونها من فم المسيح، ثم يختطفونها، استهزاءً به . كان الرومان يقدمون الخل للمصلوبين، لكي يخففوا عنهم حدّة الألم .

اذا كان الرؤساء قد استهزأوا بالمسيح «الكاهن» ، فان الجند استهزأوا بالمسيح «الملك» . يعتقد « جودي » ان الجند كانوا يقدمون كاسات الخل ويستهزئون بالمسيح ، كما لو كان ملكاً في وليمةٍ ملكيّةٍ ، وكاسات الخمر والشّراب تُقدَّم له فيها .

(٥) اللُّغات الثلاث (عدد ٣٨) . هذه أيضاً شاهدت صليب المسيح فشهدت له. «وكان عنوان مكتوب فوقه بأحرف يونانية ورومانية وعبرانية : هذا هو ملك اليهود» . اللغة العبرانية هي لغة الدين: هذه شهدت بأنه هو المسيح الموعود به ، ابن داود وابن الله . واليونانية هي لغة العلم: هذه قدمت شهادة على ان فيه كنوز العلم والحق الازلي. والرُّومانيّة — لغة السياسة: هذه قدمت شهادة على انه ملك اسرائيل ، وملك القديسين ، وملك الملوك ورب الارباب. هذه نبوة غير مقصودة من هذه اللغات ، على ان كل ممالك العالم ، الممثلة في هذه

٣٩ وكان واحد من المذنبَين المعلقين يجدف عليه قائلاً إن كنت انت المسيح فخلّص

اللغات ، ستخرّ ساجدةً عند قدمي المسيح على مَرّ الاجيال ، وعلى ان الدين والعلم والسياسة، تستمد حياتها من نبع قداسة المسيح ونوره وحكمته لأنّ «على رأسه تيجان كثيرة» (رؤيا ١٩:١٢) .

(٦) اللصّان (٢٣:٣٩ ٤٢). في بداية الأمر، كان اللصّان المصلوبان معه يعيّرانه (متى ٢٧:٤٤) لكن أحدهما تأثر من وداعة المسيح وحلمه في احتماله آلام الصليب، ومن تشفّعه لاجل الذين اساءوا اليه، فتاب. ويقول تقليد قديم ان ظل المسيح وقع عليه فجدده وغيّره ! ويقول تقليد آخر : ان هذا اللص التائب، كان قد التقى بيوسف ومريم والطفل يسوع، في طريق هروبهم من وجه هيرودس الى مصر ، فانقذهم من أيدي بعض اللصوص الذين هجموا عليهم، فحفظ له المسيح هذا الجميل ! ! لكن هذه اقوال خياليّة، وان كانت لا تخلو من اللذة لان الرجل لم يخلُص ولن يخلُص غيرُه — الا بالايمان بالمسيح

(١) اللص المجدّف (عدد ٣١) . « وكان واحد من المذنبين المعلقين يجدّف عليه قائلاً : ان كنت أنت المسيح فخلّص نفسك وإيانا». في الحديد ، ولا يلين ! في آتون النار ، وقلبه لا يذوب ! على قيد شبر من المخلص ، ويموت مجدّفاً . هذا رجل مات في خطاياه

على أنّ مسئولية هذا اللص المجدّف ، أخفّ بكثير من مسئولية الرؤساء المستهزئين . أولئك عرفوا المسيح قبل الصلب ، وسمعوه ، وشهدوا

نفسك وإيانا ٤٠ فأجاب الآخر وانتهره قائلاً أَوَلاَ انت تخاف الله
اذ انت تحت هذا الحكم بعينه ٤١ اما نحن فبعدل لاننا ننال استحقاق
ما فعلنا . واما هذا

بعض معجزاته. لكن هذا اللص لم يكن — غالباً — قد عرفه من قبل . أولئك كانوا يستهزئون وهم في اطمئنانهم وسلامتهم ، لكن هذا اللص قد عبثت به كثرة الآلام المبرّحة على الصليب، وتلاعبت به حمّى الجروح. اذاً كانت كلماته هذه ، نفثات محموم، اكثر منها لعنات مجدّف، أولئك الرؤساء غرسوا بذار التجديف (عدد ٣٥) ، وكل ما عمله ذلك المسكين ، هو أنه أكل من ثمارهم . أولئك كانوا لصوصاً في الهيكل ، لكن هذا كان لصاً في قارعة الطريق فهو بلا شك لصّ «أشرف» منهم .

ربما كان ذلك اللص منتظراً ملكاً أرضياً ، فخابت آماله في المسيح

(ب) اللص التائب*(٢٣ : ٤٠ — ٤٣) هذه ثمرة ناضجة، جادت بها شجرة الصليب المرّة. لكنها مرارةٌ ما احلاها. فهي ثمرة التوبة. في كلمات هذا اللص قد تجلت كل مظاهر التوبة الحقيقية : (١) توبيخ اعمال الظلمة غير المثمرة: «فأجاب الآخر وانتهره قائلاً أولاً أنت تخاف الله اذ أنت تحت هذا الحكم بعينه ؟» (عدد ٤٠) — بهذا قد برهن على انه افضل من بطرس، الذي جلس صامتاً في مجلس المستهزئين. (٢) تبكيت على خطاياه: «اما نحن فبعدل . لاننا ننال استحقاق ما فعلنا» . (عدد ٤١) . (٣) شهادة صادقة للمسيح : «وأما هذا فلم

(*) يقول تقليد قديم ان هذا اللص ، اسمه « دسماس » .

فلم يفعل شيئاً ليس في محله ٤٢ ثم قال ليسوع اذكرني يا رب متى
جئتَ في ملكوتك ٤٣ فقال له يسوع الحق اقول لك

يفعل شيئاً ليس في محله» :- بهذا قد برهن على انه أفضل من بيلاطس، لان بيلاطس شهد لبر المسيح، ثمّ جلده وأسلمه للصلب، لكن اللص شهد لبر المسيح وآمن، به . (٤) ايمان عظيم بأنّ المسيح رب: «يا رب» . و بانه ملك : «ملكوتك» (عدد ٤٢) . ان ايمان هذا اللص ، معجزة من معجزات النعمة . لانه لم يرَ المسيح في مجد قوته، بل رآه في أضعف حالاته—على الصليب. لكنه آمن ان المسيح، وهو على الصليب، أقوى من اكبر ملك على أعظم عرش—بهذا قد برهن على انه أفضل من رؤساء الكهنة الذين اصطدموا بصليب المسيح وعثروا. (٥) رجاء وطيد: «اذكرني متى جئت». كان يرجو ذلك اللص انه كما شارك المسيح في صليبه ، يكون شريكَ مجده في ملكوته العتيد . لم يطمع في الجلوس عن يمين المسيح ولا عن يساره بل طلب مجرد «الذكرى»، وترك للمسيح حرية اختيار النصيب الذي يعطيه إياه—بهذا قد برهن على انه أفضل من يعقوب و يوحنا، اللذَين طلبا الجلوس عن يمين المسيح وعن يساره في ملكوته.

فاذا كان اللّص الأول قد مات في خطاياه ، فان هذا اللّص الثاني قد مات عن خطاياه .

(عدد ٤٣) «فقال له يسوع: الحق أقول لك انك اليوم تكون معي في الفردوس» . هذه هي الكلمة الثانية التي فاه بها المسيح على الصليب . فاذا كانت كلمته الأولى صادرة عن « الكاهن » المتشفّع ، فان هذه صادرة عن

إنك اليوم تكون معي في الفردوس ٤٤ وكان نحو الساعة السادسة . فكانت ظلمة على الارض كلها الى الساعة التاسعة ٤٥ وأظلمت الشمس وانشق حجاب الهيكل من وسطه

«الملك» الظافر فيما نرى:(١) توكيداً:«الحق اقول لك».(٢) وعداً عاجلاً: « انك اليوم » . لقد نال هذا اللص أفضل مما طلب او افتكر . تمنى مجرد الذكرى في المستقبل البعيد، فقال له المسيح: «اليوم».(٣) شركة مجيدة:«معي». (٤) نعيماً مقيماً : « في الفردوس » . وكل مكان نكون فيه مع المسيح ، هو نعيم مُقيم . الكلمة «فردوس» من أصل فارسي ، معناها «جنة ملكيّة» ، أطلقها كتبة الوحي على جنة عدن ، وعلى سماء الخلود .

(٧) الطبيعة تشهد للصلب(٢٣:٤٤و٤٥). «وكان نحو الساعة السادسة» — بالحساب اليهودي — «فكانت ظلمة على الارض كلها. وأظلمت الشمس» لم تنتج هذه الظلمة عن كسوف طبيعيّ للشمس ، لان الشمس لا تُكسف بطبيعتها والقمر في دور التمام . لكن هذه معجزة . فهل عبّرت الطبيعة بهذه الظلمة ، عن استنكارها لخطية البشرية التي تركزت في صلب رب المجد؟ أم كانت بهذه الظلمة مشتركة مع باريها في آلامه ؟ أم ألقت بهذه الظلمة ستاراً على ذلك المنظر المفجع ، الذي يحْمَرّ له جبين البشرية خَجَلاً ؟

(٨) حجاب الهيكل المنشق (عدد ٤٥). كان في الهيكل حجابان، احدهما على مدخل القدس. والثاني بين القدس وقدس الاقداس. وهذا الحجاب الثاني هو المقصود هنا (عبرانيين ٦:١٩و ٩:٣و ١٠:١٩و٢٠). ان في انشقاق هذا الحجاب

٤٦ ونادى يسوعُ بصوت عظيم وقال يا أبتاه في يديك استودع
روحي . ولما قال هذا أسلم الروح ٤٧ فلما رأى قائد المئة ما كان مجَّد
الله قائلاً

رسالتين : احداهما، ان صليب المسيح قد فتح لنا بسعة ، باب الدخول الى الله في كل وقت،وفي اي حال نريد . والرسالة الثانية هي ان المسيح المصلوب قد أبطل الهيكل المادّي المنظور ، لانه قدم نفسه مرة واحدة ، ذبيحة حية لله . فلم يبقَ داع لتقديم ذبائح أخرى في الهيكل .

(عدد ٤٦) . كلمة المسيح الأخيرة على الصليب:«ونادي يسوعُ بصوت عظيم» — يُرجَّح ان قلب المسيح انفطر عند هذا النداء — «وقال يا ابتاه فى يديك استودع روحي» . هذه الكلمة الأخيرة تريق نوراً على : (١) ثقة المسيح الوطيدة بالآب : «يا ابتاه» على رغم كل هذه الآلام . (ب) نظرة المسيح الى الموت : « في يديك استودع روحي » . (ج) سلام المسيح التام « في يديك » .

« ولمّا قال هذا أسلم الروح » . بذلك تمّ قوله: «لي سلطان ان اضعها ولي سلطان ان آخذها أيضاً» (يوحنا ١٠: ١٨) .

(٩) قائد المئة (عدد ٤٧) . لا تخلو الليلة الظلماء من كواكب تلمع فى سمائها . هذا احد هذه الكواكب . « فلما رأى قائد المئة ما كان ، مجد الله قائلاً بالحقيقة كان هذا الانسان باراً » . حضر هذا القائد على رأس جند الرومان الذين تولوا أمر الصلب . (١) ما رآه القائد : « رأى ما كان » —

بالحقيقة كان هذا الانسان باراً ٢٨ وكل الجموع الذين كانوا مجتمعين لهذا المنظر لما أبصروا ما كان رجعوا وهم يقرعون صدورهم . وكان جميع معارفه ونساءُ كنّ قد تبعنه من الجليل واقفين من بعيد ينظرون ذلك ٥٠ وإذا رجل اسمه يوسف

من صبر المسيح وكلامه . (ب) ما فعله : «مجد الله» . (ج) ما قاله : «بالحقيقة كان» . ويُلاحظ ان قادة المئة ، المذكورة سيرتهم في الأنجيل ، كانوا من عنصر طيب (لوقا ٧:٢ واعمال ١٠:١ و٢٢:٢٦ و٢٧:٤٣) .

(١٠) جمهور المخلصين ليسوع (٢٣:٤٨و ٤٩). «وكل الجموع الذين كانوا مجتمعين لهذا المنظر ، لما ابصروا ما كان رجعوا وهم يقرعون صدورهم» — تعبيراً عن حزنهم وحسرتهم، وندامتهم . قد قيلت هذه الكلمة عن العشار (لوقا ١٨:١٣) — « وكان جميع معارفه » — بينهم يوحنا و بعض التلاميذ والاتباع ، «ونساءُ كنّ قد تبعنه من الجليل» — بينهن مريم امه ، ومريم المجدلية ، ومريم اخت لعازر ، وأم ابني زبدي ، وزوجة كلوبا .

كان كل هؤلاء « واقفين من بعيد » . بذلك قد تمّ ما جاء في مزمور ٣٨:١١ «أحبائي.واصحابي يقفون تجاه ضربتي . وأقاربي وقفوا بعيداً» .

في قبر منحوت (لوقا ٢٣:٥٠—٥٦)

(١) يوسف الرامي (٢٣: ٥٠—٥٤): في دخول المسيح الى الارض، جاء من مريم العذراء — خطيبة يوسف،وفي خروجه من الارض، استعار قبراً في

وكان مشيراً ورجلاً صالحاً باراً ٥١ هذا لم يكن موافقاً لرأيهم
وعملهم . وهو من الرامة مدينة لليهود . وكان هو ايضاً ينتظر ملكوت
الله ٥٢ هـذا تقدّم الى بيلاطس وطلب جسد يسوع ٥٣ وأنزله
ولفّـه بكتان ووضعه في قبر منحوت حيث لم يكن احد وُضع قط
٥٤ وكان يوم الاستعداد والسبت يلوح

عذراويّته ، كان ملْـكاً ايوسف آخَـر يوسف الرامي .

تقدّم لنا هذه الاعداد : (١) وصفاً ليوسف الرامي ، في : (١) وظيفته : « كان مشيراً » . (عدد ٥٠) — أي من اعضاء السنهدريم . (ب) استقامته : « رجلاً صالحاً و باراً » . البر هو استقامة الانسان في ذاته . والصلاح يُعيّن صلته الطيّبة بالآخرين . وقد يتضمن الاحسان (رومية ٥ : ٧) . (ج) نزاهته (عدد ٥١) « هذا لم يكن موافقاً لرأيهم وعملهم » . (د) مدينته « الرامة » ومعناها المرتفعة — « مدينة لليهود » ، مبنية على جبل أفرايم ، وهي مسقط رأس صموئيل النبي (١ صموئيل ١ : ٢) . (هـ) ثقته : « وكان هو أيضاً ينتظر ملكوت الله » — مثل سمعان (لوقا ٢ : ٢٥) ، وحنّة (لوقا ٢ : ٣٨) . (و) شجاعته : (عدد ٥٢) « تقدّم الى بيلاطس وطلب جسد يسوع » . (ز) مروءته : (عدد ٥٣) . « وانزله ولفّـه بكتّان » — غالي الثمن — « ووضعه في قبر منحوت » — في صخر في بستان — « حيث لم يكن أحد وُضع قط » .

(عدد ٥٤) : « وكان يوم الاستعداد والسبت يلوح » . كان هذا سبتاً

٥٥ وتبعته نساءٌ كُنَّ قد أتين معه من الجليل ونظرنَ القبر وكيف وُضع جسده ٥٦ فرجعن وأعددن حنوطاً وأطياباً . وفي السبت استرحن حسب الوصية

مضاعفاً ، لانه سبت عادي ، ولانه أول يوم في الفصح (لاويين ٢٣: ٧) .

(٧) النساء (٢٣: ٥٥ و ٥٦): مات المسيح موت «المجرمين» حسب النبوَّة، لكنه دُفن باكرام كامل . لأن يوسف الرامي، ونيقوديموس، قدما لجسده كل اكرام، بعد ان فاتهما تقديم الاكرام لشخصه قبل الصَّلب . على ان يوسف ونيقوديموس لم يحتكرا هذا الاكرام، لان النساء الأمينات اللواتي تبعنه من الجليل ، أتينَ «ونظرن القبر وكيف وُضع جسده» ، ليتحققن من دفن الجسد ، والكيفية التي دُفن بها . «فرجعن واعددن حنوطاً واطياباً» — لا كما كان يعمل المصريُّون القدماء ، لحفظ الاجساد ، لكن ليملأْنَ القبر رائحة زكية . «وفي السبت» - العادي ، وهو أيضاً سبت الفصح — «استرحن حسب الوصية» .

هذا السبت هو خاتمة «سبوت» العهد القديم ، وبه زال المجد عن اسرائيل .

الاصحاح الرابع والعشرون

ثم في أول الاسبوع

القيامة

بمعجزةٍ وُلد المسيحُ، وبمعجزةٍ عاش، وبمعجزةٍ أيضاً كان ينبغي ان يقوم. لقد ظفر المسيح بالموت، قبل موته، اذ أقام لعازر من الأموات بمعجزة. لكنَّ اعظم معجزة ظفَرَ بها على الموت، هي معجزة قيامته هو. وكيف يعجز عن اتيان هذه المعجزة مَن كان في ذاته معجزة المعجزات ؟؟ اذاً ليست المعجزة ان المسيح قد قام، بل المعجزة هي أن يكون يسوعُ هو «المسيح»، ويعجز عن القيامة. فلو لم يكن قد قام، لكان من المحتَّم ان يقوم.

ان الموت هو ضريبة الفناء على كل من له حظ في هذا الوجود، لان حياتنا التي نحياها على الارض، منسوجة خيوطها من اكفان العدم، فهي في حقيقتها موتٌ بطيء. هذا حق الله علينا. بل هذه أجرة الخطية تفرضها علينا أقساطاً، فندفعها دفعة واحدة، جزيةً مضاعفةً بالموت. بل هذه ثمرة برّية هذا الوجود، وقد انتُزعت منها شجرة الحياة.

غير أن حياة المسيح لم تكن كذلك. فهو الوحيد الذي لم يعرف خطية، ولم تجد الخطية لنفسها فيه باباً. هو الحياة، الذي كانت حياته — ولا تزال — نبعَ الحياة، وغذاء الحياة، وحياة الحياة. لذلك كان من المحتم ان تنتهي حياته على الارض بالقيامة، التي هي ملؤ الحياة وتاج الحياة.

أولَ الفجر أتينَ الى القبر

من تراب خُلق كل ذي جسد ، والى التراب الذي منه نشأ ينبغي ان يعود . فكل ذي جسد ينحدر الى الارض ، بعد اتمام رسالته ، لان ثقله النوعي يهبط به الى أمّه الارض التي صُوّر منها. أما المسيح،فان مجد رفعته الممتاز قد سما به الى أعلى عليّين — هناك مركز الجاذبية .

سهمٌ من النور ، القته السماء من كنانتها الى الارض ، فأتمَّ رسالته ، والى كنانته في السماء قد عاد .

« كلمةُ » الله ، القاه الى الارض ، ليحمل رسالته الى العالمين ، فأكمل رسالته ، والى المكان الذي خرج منه قد عاد .

هو «الحق»، خرج من عند «الحق» ليقضي على البطل.فاشتبك الحق والبطل في معركة حامية ، انتهى دورها الأول بصلب « الحق » على مذبح البطل . وسرعان ما خُذِل البُطل وارتدَّت سهامه الى صدره ، فظفر «الحق» وقام ، والى «الحق» الذي منه اشتقّ قد عاد .

«حكمة الله في سرّ» ارسله الله الى ارض الجهالة، ليكون للناس «حكمة، وبراً وقداسة ، وفداء » ، فاشتد الصراع بين الحكمة والجهالة . وفي الشوط الاول ، « انكسر » الحكمة ، فتهللت الجهالة بهذا الظفر الموهوم ، وسرعان ما انتصر «الحكمة» بالقيامة ، « والحكمة » الى قلب القدير قد عاد .

فالقيامة اذاً، هي حجر الزاوية في الانجيل،وهي رأس الزاوية في ايماننا، وهي الضمان على ان الرسل صادقون في أقوالهم عن سيّدهم، وهي الحجة على

صدق نبوءة سيدهم ، وهي محط نبوات الاقدمين .

كل ذبيحة مقبولة لدى الله،لم تكن الارض مقصدها النهائي، بل كانت السماء غايتها،لان الله كان يرسل ناراً لترفعها،علامة قبوله اياها . اما وقد صار المسيح ذبيحتنا المقبولة لدى الله،فكان من المحتم ان يقوم بالروح القدس — والروح نار — برهاناً على ان ذبيحته الكفارية قد قبلت . فلو لم يكن المسيح قد قام ، لانتظرنا «مسيحاً» غيره . لانه من المحتم ان يقوم المسيح .

هوذا قد بلغنا الأصحاح الرابع والعشرين ـ اصحاح «الفتح» .فيه نرى:(١) القبر المفتوح:(٢٤:١ — ١٢) (٢) العيون المفتوحة : (٢٤:١٣ — ٣٥) : (٣) الذهن المفتوح : (٢٤:٣٦ — ٤٩) . (٤) السماء المفتوحة : (٢٤:٥٠ — ٥٣) .

(١) القبر المفتوح (لوقا ٢٤:١ — ١٢)

أجمع البشيرون الاربعة على تقرير هذه الحقيقة: «ليس المسيح في القبر. لأنه قام كما قال»، لكن كلا منهم، كتب عن القيامة،وظهور المسيح للتلاميذ، من وجهة نظره الخاصة . متى كتب عن ظهور المسيح في الجليل.لانه كتب عن المسيح الملك. ولوقا كتب عن ظهوره في أورشليم .لأنه كتب عن المسيح مخلص جميع الأمم ، مبتدئاً من أورشليم . ويوحنا كتب عن ظهوره في اليهودية والجليل معاً. لأنه كتب عن المسيح ابن الله الأبدي، صخر الدهور. ومرقس كتب عن ظهور المسيح للتلاميذ في فترات متقطعة ، ليشدد عزائمهم للقيام بالخدمة التي تنتظرهم، لانه كتب عن المسيح الذي جاء ليخدم البشرية

الذي أعددنه

ويرفعها الى مستوى الكمال . كل هذا لكي يوقّع البشيرون الأربعة ، نغمةً شجيّة متنوعة العناصر ، لانشودة القيامة المجيدة . فلئن تنوّعت رواياتهم ، إلاّ أنّها لا تتناقض .

يقع هذا الفصل في دورين: (ا) ذهاب النساء الى القبر (٢٤: ١ — ١٠). (ب) ذهاب بطرس الى القبر (٢٤: ١١و١٢) .

(ا) ذهاب النساء الى القبر: (٢٤: ١ - ١٠). ينتهي الاصحاح السابق، بآخر سبت في العهد القديم. ويبتدىء هذا الاصحاح باول «سبت» جديد في العهد الجديد : «وفي السبت» — اليهودي — «استرحن حسب الوصية ... . ثم في أول الاسبوع » — السبت المسيحي — أول الفجر ، أتين الى القبر » . هذا «السبت» المسيحي هو يوم الأيام. قبلاً كان هذا يوماً عادياً لكل انسان. لكنه منذ ذلك الوقت ، قد صار « يوم الرب » خلق الله البشرية مرتين : المرة الأولى : يوم خلق السماوات والأرض ، فخلق آدم . هذا هو الخلق الاول ، الطبيعي. والمرة الثانية : يومَ قام المسيح ـ آدم الثاني ـ فتمّم الفداء . هذا هو الخلق الثاني ، الروحيّ . للخلق الاول سبته (راحته) ـ السبت اليهودي الطبيعي يومَ استراح الله من الخلق «فاستوى على العرش» . وللخلق الثاني سبته (راحته) ـ يوم اكمل الله الفداء بقيامة المسيح من الاموات. ليس هذا «الابدال» بدعة في المسيحية، لان له سابقة في اليهودية. لأنّ لليهود في عصرنا تقويمين. التقويم الأول يبتدىء بشهر تشرين (سبتمبر — اكتوبر). هذا هو

ومعهنّ أناس ٢ فوجدن الحجر مدحرجاً عن القبر ٣ فدخلن ولم

«التقويم المدني» الذي في بدايته خلق الله السماء والأرض. والتقويم الثاني ـ وهو الأهم عندهم ـ يبتدىء بشهر نيسان (مارس—ابريل). هذا هو «العام الديني» أو «العام الفدائي» الذي يذكّرهم بخلاصهم من أرض مصر، من بيت العبودية. في شهر نيسان. ولهذا العام الثاني «سبوته» الخاصة، مع ان هذه السبوت قد تقع في أول الاسبوع أو في وسطه. لكنها سبوت محترمة فوق السبت الطبيعي. هذا نوع من «النّسْخ» والإبدال.

(١) يقظة المحبة (عدد ١): «ثم في أول الاسبوع اولَ الفجر أتين الى القبر حاملات الحنوط الذي أعددنه ومعهن أناس». قبل ان تقوم شمس الطبيعة من خدرها. قام «شمس البر» من قبره، وأشرق على العالم إشراقاً ليس له مغيب. ومن حسن حظ المرأة انها كانت أول من رأى المسيح المقام. إذا كانت المرأة آخرَ من رأى المسيح المصلوب (لوقا ٢٣: ٥٥ و ٥٦)، وأولَ من رأى المسيح المقام. فأين كان بطرس «الصّخر»، حتى سبقته المرأة الضعيفة الى هذا الشرف العظيم؟!! أسرعت النساء مبكرات في أول الفجر. لأن الحزن والمحبة لا يعرفان النوم. فلقد أحبته المرأة كثيراً، لأنه غفر لها كثيراً.

(٢) انتصارات المحبة (عدد ٢): متى كان القلبُ مخلصاً في أمر شريف. فان أحجار الصعوبات تتدحرج من أمامه: «فوجدن الحجر مدحرجاً عن القبر».

(٣) إقدام المحبة (عدد ٣): اذا كانت أقدام المحبة سريعة، فان قلبها

يجدنَ جسد الرب يسوع ٤ وفيما هنَّ محتارات في ذلك إذا رجلان
وقفا بهنَّ بثياب برَّاقة ٥ واذ كنَّ خائفات ومنكسات وجوهن الى

عامر بالإقدام والتضحية. فالمرأة الضعيفة استطاعت من غير خوف ولا وجل، ان تدخل القبر في الظلام : «فدخلن ولم يجدن جسد الربّ يسوع» .

(٤) مكافأة المحبة (٢٤: ٤—٧): «وفيما هنّ محتارات في ذلك، اذا رجلان وقفا بهنّ بثياب برّاقة» . يقول بولس رسول الامم : « متحيّرين لكن غير يائسين» (٢ كورنثوس ٤: ٨) . امتزج الحزن بالحيرة في قلوب النساء ، لأنهن لم يجدن جسد يسوع . « وفيما هن محتارات في ذلك ، اذا رجلان وقفا بهنّ بثياب برّاقة. واذ كنّ خائفات...» — الآن اجتمع في قلوبهن ثالوث الاضطراب: الحزن ، والحيرة ، والخوف — « ومنكسات وجوههن الى الأرض » - حياءً ومهابةً — « قالا لهنّ لماذا تطلبن الحي بين الاموات . ليس هو ههنا لكنه قام . اذكرن كيف كلّمكنّ وهو بعد في الجليل قائلاً ...» .

«الرجلان» ، هما ملاكان تمثّلا في « شبه » الناس ، لكي يبلّغا رسالة القيامة للنساء . يظهر ان النساء رأين ملاكاً واحداً خارج القبر (متى ٢٨: ٢)، ثم دخل هذا الملاك الى القبر وجلس مع الملاك الآخر الذي كان داخل القبر (مرقس ١٦: ٥) ، « فجلس احدهما عند الرأس والآخر عند الرجلين ، حيث كان جسد يسوع موضوعاً» (يوحنا ٢٠: ١٢) .

تتضمن رسالة الملاكين: (أ) تعنيفاً لطيفاً للنساء: (عدد٥). «لماذا تطلبن الحي بين الأموات»؟ فإذاً كانت عندهن غيرة، ولكن ليس حسب المعرفة. (ب) شهادة

الارض قالا لهن . لماذا تطلبن الحي بين الاموات ٦ ليس هو ههنا
لكنه قام . أذكرن كيف كلمكن وهو بعد في الجليل ٧ قائلاً انه
ينبغي ان يُسلَّم ابن الانسان في ايدي اناس خطاة ويُصلَب وفي اليوم
الثالث يقوم ٨ فتذكرنَ

حية للمسيح الحيّ : « الحي بين الاموات » . يقول أيوب مؤكداً : « اما أنا فقد علمت ان وليّ حيّ » (أيوب ١٩ :٢٥) . هذه رسالة عصرية يوجهها الملاكان الى كل الذين يحاولون ان يضعوا المسيح ، وبني البشر في مستوى واحد . الكلمة : «الحيّ» ، كما وردت في الاصل ، تُفيد الدوام المتواصل .
(ج) إعلاناً وثيقاً : (عدد ٦) . «ليس هو ههنا ، لكنه قام» . (د) تذكيراً : (٦و٧) « اذكرن كيف كلمكن وهو بعد في الجليل » (متى ١٧ :٢٢و٢٣ ولوقا ٩ :٢٢ومرقس ١٤ :٢٨ومتى ٢٦ :٣٢) لا شك ان كلمات المسيح الخاصة بقيامته،لم تكن مقصورةً على رسله، بل كانت موجّهةً الى كل أتباعه.ان اكبر شهادة لصدق كلمة الله ، هي « كلمة الشهادة» واكبر سند لكلمة الله المكتوبة ، هو «كلمة الله الحيّ» : «اذكرن كيف كلمكن . . . . ينبغي ان يسلَّم . ويُصلب ، ويقوم » — هذه خطوات متتابعة ، تلازم احداهن الأخرى على هذا الترتيب :— خيانةً : « يُسلَّم» ، فصلب : « يُصلب» . فقيامة : «يقوم» كالبزرة ، والساق ، والثمرة . فكما كان تسليمه بيد الناس، أمراً محتوماً ، كذلك كان صلبه وقيامته .

(٥) ذاكرة المحبّة (عدد ٨) : « فتذكرن كلامه » . قد تتراكم بعض

كلامه ٩ ورجعنَ من القبر وأخبرنَ الاحد عشر وجميع الباقين بهذا
كله ١٠ وكانت مريم المجدلية

الهموم على ذاكرة المحبة ، فتُنسيها بعض الامور . كما تتراكم بعض الأتربة على الذهب الابريز ، ولكن الى حين . فسرعان ما تعود ذاكرة المحبة مصقولةً لامعة كما كانت : « فتذكَّرن كلامه » .

(٦) بشارة المحبة (عدد ٩) : « ورجعن من القبر وأخبرن الاحد عشر وجميع الباقين بهذا كله » يُستفاد من رواية البشيرين الاربعة ان مريم المجدلية جاءت الى القبر مع بقية النساء ، وانها حالما رأت الحجر مرفوعاً عن القبر ، ركضت وجاءت الى بطرس ويوحنا وابلغتهما الخبر . اما بقية النساء فقد بقين عند القبر ، حتى ابلغهن الملاكان رسالة القيامة ، فخرجن سريعاً وهربن من عند القبر . ثم عادت مريم المجدلية ومعها بطرس ويوحنا ، فرجع كلاهما بعد ان نظرا «القبر المفتوح» : وبقيت مريم المجدلية وحدها ملازمة للقبر ، حتى ظهر لها المسيح . فكانت اولَ من تمتع برؤية المسيح المقام . ثمَّ انتشر الخبر بين التلاميذ عن طريق مريم المجدلية ، وبقية النساء ، بعد ان ذهب عنهن الخوف .

«قائمة الشرف» (عدد ١٠) : هذه هي قائمة الشرف. ومما يُذكر للمرأة باعجاب ، هو ان الرجل ليس له نصيب مذكور فيها ، وان المرأة التي توّجت هذه القائمة ، هي اكثر النساء ضعفاً — مريم المجدلية ، التي أخرج منها الرب سبعة شياطين . إذاً هذه قائمة سجّلتها يد النعمة — التي انزلت الاعزاء عن

ويوَنّـا ومريم أم يعقوب والباقيات معهن اللواتي قلنَ هذا للرسل
١١ فتراءى كلامهن لهم كالهذيان ولم يصدّقوهن ١٢ فقام بطرس
وركض إلى القبر فانحنى ونظر الأكفان موضوعةً وحدها فمضى
متعجباً في نفسه مما كان

الكراسي ، ورفعت المتضعين . وأشبعت الجياع خيرات ، وصرفت الاغنياء فارغين » .

« مريم المجدلية » — هذه قد ذكرها الاربعة البشيرون . (انظر لوقا ٨: ٢) . «ويونّا» — هذه ذكرها لوقا وحده . (لوقا ٨: ٣) . « مريم ام يعقوب» ـ هذه ذكرها متى ومرقس ولوقا . «والباقيات...» : منهنّ سالومة التي ذكرها مرقس وحده .

(ب) بطرس يذهب الى القبر (٢٤: ١١و١٢) : (١) تأثير كلام النساء على الرسل : (عدد ١١) . « فتراءى كلامهنّ لهم » ـ للرسل عدا بطرس ويوحنا ويعقوب ـ « كالهذيان ولم يصدقوهن» . الكلمة «هذيان» هي تعبير طبي كان يستعمل وقتئذٍ عن المحمومين . لأن الرسل ظنوا ان كلامهنّ من أحاجي النساء ، لا من الحقائق الصادقة .

(٢) تأثير كلامهن على بطرس (عدد ١٢) . اما بطرس فقد افاده اندفاعه في هذه المرة . لانه « قام وركض الى القبر فانحنى ونظر الأكفان موضوعة وحدها فمضى متعجباً في نفسه مما كان» . يا ترى هل كان «تعجبه في نفسه» في هذه المرة ، نظير تعجبه من نفسه بعد سقوطه ؟؟ يا ليته كان قد ذكر فآمن ،

١٣ واذا اثنان منهم كانا منطلقَين في ذلك اليوم

بدلاً من أن يرى و يتعجب . ان العيان لا يلذّ له سوى التعجُّب ، لكن الايمان يثق و يعتمد .

(٢) الاعيُن المفتوحة (لوقا ٢٤:١٣—٣٥)

(ا) مقدمة تاريخية (٢٤:١٣—١٦) : الآن، وقد ضُرِب «الراعي»، لم يبقَ للرعية إلاّ ان تتشتّت . الآن ، وقد رُفعت من بين التلاميذ تلك «الشخصية» الجذّابة الجامعة،لم يجد التلاميذ مناصاً من ان يتفرّقوا فبعد ان عاد بطرس و يوحنا حاملين بُشرى « القبر المفتوح » ، وقبل ان تعود مريم المجدلية مبشرة برسالة المسيح الحي المقام ، « اذا اثنان منهم » – اي من تلاميذه لا من رسُله المختارين : اسم احدهما «كليوباس» (عدد ١٨). هذه كلمة يونانية مختصرة من كلمة : « كليوباتروس » ومعناها « المجد الكامل». وقد ظن بعضهم خطأً انها الصيغة اليونانية للكلمة العبرية «حلفا» . لكن التباين بين الكلمتين عظيم.لأن كلمة «حلفا» معناها «المجدّد» او «الرئيس». كان « كليوباس» دخيلاً يونانياً ، كما يُستدل من اسمه .

يعتقد بعض المفسرين ان التلميذ الثاني هو لوقا الطبيب ، كاتب هذه البشارة . غير ان البعض الآخر يستنتج من قول لوقا في (لوقا ١:٢) : «الذين كانوا منذ البدء معاينين وخداماً للكلمة » ، ان لوقا لم يكن احد هؤلاء المعاينين للمسيح. لكن هذا الاعتراض يضعف – أو يسقط – متى ذكرنا ان لوقا لم يقصد بقوله هذا،ان يُخرج نفسه من زمرة الذين عاينوا المسيح، انما قصد

لى قرية بعيدة عن أورشليم ستين غلوة ً اسمها عمواس ١٤ وكانا يتكلمان بعضهما مع بعض عن جميع هذه الحوادث

ان يفهمنا انه لم يكن من المعاينين إيّاه « منذ البدء » . ويرّجح انه آمن بالمسيح في السنة الثانية من خدمته ، فصار واحداً من السبعين تلميذاً . كان هذان التلميذان « منطلقين في ذلك اليوم » ـ يوم الاحد غروباً ـ « الى قرية تبعد عن أورشليم ستين غلوة » — أي نحو سبعة أميال ، وهي سفر ساعتين ونيف على الاقدام ـ « اسمها عمواس » . إنّ موقع عمواس مجهول تماماً. الا ان يوسيفوس يذكر قرية باسمها تبعد عن أورشليم بقدر هذه المسافة. ويرّجح ان عمواس كانت في موقع قرية «الخماسية» او « القبيبة »

كان غياب هذين التلميذين عن محضر بقية التلاميذ في هذه الساعة الدقيقة،شبيهاً بغياب توما عن محضر الرسل حين ظهر لهم المسيح.لكن المسيح تداركهما بلطفه، كما تدارك توما ، فظهر لهما ظهوراً جلياً ممتازاً هذه هي المرة الثالثة التي ظهر فيها المسيح بعد القيامة ، ليجمع شمل تلاميذه وليبعث فيهم الأمل ، لئلا يصيبهم ما أصاب اتباع ثوداس والجليلي

(١) حديثهما (عدد ١٤) : «وكانا يتكلمان بعضهما مع بعض عن جميع هذه الحوادث» ـ يظهر انهما لم يستطيعا التكلم في أورشليم عن موت المسيح وآلامه ، وعن خبر «القبر المفتوح» ، خوفاً من ان يحاكمهما اليهود ، فانتهزا فرصة وجودهما منفردين في الطريق ، وتكلما عن ذاك الذي هو « الطريق والحق، والحياة» . وما احلاها ساعة تلك التي ينشغل فيها الانسان بالتحدث

١٥ وفيما هما يتكلمان ويتحاوران اقترب اليهما يسوع نفسه وكان يمشي معهما ١٦ ولكن أمسكت أعينهما

عن المسيح . ان سيرته هي أفضل «رفيق» لكل طريق .

(٢) اقتراب المسيح منهما (عدد ١٥): «وفيما هما يتكلمان ويتحاوران» — يظهر أنهما كانا يتحاوران فيما اذا كان يسوع هو «المسيح» المنتظر أم لا ، وفيما اذا كان خبر «القبر المفتوح» خبراً يقينياً أم هو حديث خرافة. وواضح ان احدهما كان متخذاً جانباً، وكان الثاني في جانب آخر. وبينما هما كذلك، «اقترب اليهما يسوع نفسه وكان يمشي معهما» . يُستفاد من هذا القول، ان المسيح ظهر بغتةً ، ومشى وراءهما مسافة قصيرة، ثم ادركهما وكلمهما، فظناه احد المسافرين ، اذ لا شيء في هيئته الظاهرة يذكّرهما بسيّدهما. وقد غاب عنهما انه كان معهما قبل ان ينظراه . أليس هو القائل «حيثما اجتمع اثنان او ثلاثة باسمي فهناك اكون في وسطهم» ؟ (متى ١٨: ٢٠) . كان اسمه موضوع حديثهما ، فصار شخصه خير مشجع لهما . «اقترب اليهما يسوع نفسه». كانا كلاهما فتيلتين مدخّنتين ، فاقترب منهما يسوع ومشى معهما ، فتم بذلك «الخيط المثلوث الذي لا ينقطع سريعاً» (جامعة ٤: ١٢) . «حينئذ كلّم متقو الرب كلٌّ واحد قريبه . والرب اصغى وسمع» (ملاخي ٣: ١٦) .

(٣) الكنز المخفى (عدد ١٦): «ولكن أُمسكت أعينهما عن معرفته». سواءٌ أكانت أعينهما قد أُمسكت بقصد الهيّ خاص أم أُمسكت لتباطئهما في الفهم ، ام لأنّ روح المسيح لم يكن قد أعلن لهما حقيقة المسيح

عن معرفته ١٧ فقال لهما ما هذا الكلام الذي تتطارحان به

بعد، ام لأن جسد المسيح بعد القيامة، كان يختلف عنه قبلها، ام لانهما كانا غير منتظرين قيامة الفادي وظهوره، لكن هذا ما حصل. ورد هذا الوصف عن مريم المجدليّة (يوحنا ٢٠: ١٤)، وعن التلاميذ حين كانوا على شاطىء البحيرة (يوحنا ٢١: ٤).

(ب) بداية المحادثة بين المسيح و بينهما (٢٤: ١٧—١٩): (١) المسيح يفتتح باب الحديث (عدد ١٧). «فقال لهما ما هذا الكلام الذي تتطارحان به وانتما ماشيان عابسين»؟. فتح المسيح معهما باب الحدث، فكان بذلك فاتح «طريقَ» الصّلة بينه و بينهما — وعندما تتوتّر الصلة بين الله و بين الانسان، فَمَن الذي يستعيدها و يجدّدها، غير الله؟ ألم يفتتح الله الحديث مع آدم، منادياً إيّاه «أين أنت» (تكوين ٣: ٩)؟ ألم يلتفت الرب و ينظر الى بطرس، حتى ردّه من سقطته؟؟ بسؤال فتح المسيح به باب الحديث بينه و بين التلميذين، فكان بذلك خير معلم. وكثيراً ما التجأ هذا «المعلم الأعظم» الى طريقة الاستجواب، في تبليغ الحقّ لقلوب محدّثيه (يوحنا ١: ٣٨). لم يكن سؤاله مجرد كلمة توسّل بها لبدء الحديث، بل كان سؤاله مفتاحاً لقلبيهما، ونوراً لسبيلهما، و بصيرة لعيونهما. سألهما المسيح عن أمرين: عن كلامهما: «فقال لهما ما هذا الكلام الذي تتطارحان به»، وآلامهما: «وأنتما... عابسين». لم يكن هذا سؤال الفضولي المتداخل في شؤون غيره، لكنّه سؤال الطبيب الذي يستجوب المريض ليعالج الداء. وهو سؤال الصديق الذي

وأنتما ماشيان عابسين ١٨ فأجاب أحدهما الذي اسمه كليوباس وقال له هل أنت متغرب وحدك في أورشليم ولم تعلم الامور التي حدثت فيها في هذه الايام ١٩ فقال لهما وما هي .

يشترك مع صديقه في آلامه. (تكوين ٤٠: ٧). إذاً لم يستطع الموت ان يقيم حاجباً فاصلاً بين المسيح و بين تلاميذه . ولم تقدر القيامة على ان تنسج حجاب التباعد بينهما. ألم يقل هو «وأنا ان ارتفعت عن الارض أجذب اليّ الجميع»؟؟

(٢) جواب كليوباس (عدد ١٨): «فأجاب احدهما الذي اسمه كليوباس وقال له هل أنت متغرّب وحدك في أورشليم ولم تعلم الامور التي حدثت فيها في هذه الأيام ؟ » . لئن أُمسكت عُيون التلميذين عن معرفة المسيح ، إلا أنّ لسان احدهما — كليوباس — لم يُمسك عن التحدث عنه ، بهذه الصّراحة، التي دلّت على صدق ايمانه، وقوّة محبته، وشدة جرأته، في اظهار علاقته بالمسيح في هذه الظروف الحرجة . كان كليوباس غيوراً على المسيح ، لدرجة لم يخلُ فيها سؤاله من التعنيف اللطيف . لانه أراد ان يُفهّم هذا « الرفيق الجديد » ، ان كل من لا يعرف شيئاً عن المسيح ، فهو عائش في عالمٍ وحده . « هل أنت متغرب وحدك في أورشليم » ؟ هذه حقيقة خالدة تتناول عصرنا الحاضر . لأن المسيح لم يترك نفسه بلا شاهد في كل زمان ومكان ، فكل من يجهله أو يتجاهله ، فهو غريب عن كل شيء حتى عن نفسه الحقيقية .

(٣) جواب المسيح (عدد ١٩) : الى الآن لم يرد اسم المسيح على لسان

فقالا المختصــة بيسوع الناصري الذي كان انساناً نبياً مقتدراً في الفعل والقول امام الله وجميع الشعب ٢٠ كيف أسلمه رؤساءُ الكهنة

كليو باس ، لذلك ظل المسيح مخفياً نفسه عنهما ، ليقدّم لهما فرصة ليكشفا له فيها عما في قلبيهما من جهته. وليهيء لنفسه فرصة ليكشف فيها عن عيونهما ، حتى ينظراه كما هو فقال لهما « وما هي » — هذه الأمور ؟؟

فما اجل حكمة المسيح إذ تجاهل لـكي يعلّمهما !

(ج) القلوب المفتوحة (٢٤: ١٩ — ٢٤) : بعد ان أمسكت أعينهما ، وانعقد لسان احدهما، تدفّقا في كلامهما كالسّيل، وفتحا قلبيهما لهذا الرفيق «الغريب» ، فقدّما لرب الاجيل، انجيلاً جديداً خاصاً به. لكن «انجيلهما» كان ناقصاً على قدر نقص معرفتهما . ان « انجيلهما » هو انجيل العقل الطبيعي، فيه سبعة فصول: (١) شخصيّة المسيح: (عدد ١٩): «يسوع الناصري». لم يستطيعا ان يقولا عنه انه هو « المسيح » ، لانهما كانا يرجوان ان يكون هو « المسيح » المزمع ان يفدي اسرائيل ، فخابت فيه آمالها . (٢) نبوّته : « الانسان النبي » — الى الآن لم يؤمنا بلاهوته « لانه لا يستطيع احد ان يقول ان يسوع رب الا بالروح القدس» لكننا لا ننكر عليهما انهما كانا مؤمنين بنبوّته . (٣) قدرته : « مقتدراً في الفعل » أي في عمل المعجزات . (٤) حكمته : «والقول» . (٥) نعمته: «امام الله» أي واجد نعمة في عيني الله ومتمتع برضـاه . « وجميع الشعب » — أي مكتسب ثقتهم وتقديرهم . (٦) محاكمته (عدد ٢٠): « كيف أسلمه رؤسا الكهنة وحكامنا لقضاء الموت».

وحكامنا لقضاء الموت وصلبوه ٢١ ونحن كنا نرجو أنه هو المزمع
ان يفدي اسرائيل . ولكن هذا كله اليوم له ثلاثة ايام منذ
حدث ذلك ٢٢ بل بعض النساء منّا حيرننا إذ كنّ باكراً عند القبر
٢٣ ولما لم يجدن جسده أتين قائلات إنهنّ رأين منظر ملائكة قالوا

---

(٧) صلبيه : « وصلبوه »

بعد ان تكلما عما يعرفانه عن المسيح، انتقلا الى الكلام عن تأثراتهما من جهته (٢٤: ٢١—٢٤) فعبّرا عن : (١) خيبة آمالهما (عدد ٢١). «ونحن كنا نرجو أنه هو المزمع ان يفدي اسرائيل» : لم يكن المسيحُ السببَ في خيبة آمالهما ، لكن كل السبب كان في سوء فهمهما لمعنى «الفداء» . كانا ينظران الى « الفداء » نظرةً عالمية سياسية ، قومية . ويعتقدان ان فداء اسرائيل ، هو كسر نير الحكم الروماني عن رقبة الأمّة اليهودية ، بواسطة ملك يهوديّ ، حديديّ اليد (اعمال ١: ٦) . (٢) بقية آمالهما : «ولكن مع هذا كله، اليوم له ثلاثة أيام منذ حدث ذلك» . لئن كان صلب المسيح قد خيّب آمالهما، إلاّ أنّ وعد المسيح بقيامته في اليوم الثالث، قد أبقى لهذه الآمال بقية عندهما : «لكن مع هذا كله اليوم له ثلاثة ايام»—أي هذا هو اليوم الثالث —«منذ حدث ذلك»—منذ صُلب . (٣) حيرتهما (٢٤: ٢٢— ٢٤) «بل بعض النساء مِنّا»—من أتباع المسيح— «حيّرننا..» الاشارة هنا الى ما جاء في بدء هذا الاصحاح (٢٤: ١—٩) ، واضح من كلامهما انهما تركا زمرة

انه حي ٢٤ ومضى قوم من الذين معنا الى القبر فوجدوا هكذا كما
قالت ايضاً النساء واما هو فلم يروه ٢٥ فقال لهما ايها الغبيان والبطيئا
القلوب في الايمان بجميع ما تكلم به الانبياء ٢٦ أما كان ينبغي ان
المسيح يتألم بهذا ويدخل الى مجده ٢٧ ثم ابتدأ من موسى ومن

التلاميذ بعد رجوع بطرس ويوحنا من عند القبر (عدد ٢٤)، وقبل رجوع مريم المجدلية للمرة الثانية، بعد ان رأت المسيح المقام.

لا شيء يفتح القلب ويملؤه راحة، الا شخصه هو: «واما هو فلم يروه»

(د) الكتب المفتوحة ٢٤: ٢٥ — ٢٧: بدأ الحجاب الدقيق الذي كان يستتر به «الرفيق الغريب»، يرق تدريجاً، ويكشف عن «المعلم العظيم» الذي له السلطان الكامل ليوبخ تلميذيه. فقال لهما: «ايها الغبيان» — وردت هذه الكلمة مرتين آخريين في العهد الجديد (لوقا ١١: ٤٠ وغلاطية ٣: ١).

ينطوي كلام المسيح لهما على: (١) تعنيف لطيف: (عدد ٢٥). «ايها الغبيان والبطيئا القلوب» — القلب في لغة اليونان هو مركز التمييز والادراك. (٢) تذكير: (عدد ٢٦). «أما كان ينبغي ان يتألم المسيح بهذا ويدخل الى مجده» — اذاً كان الصليب باب خروجه من الارض (لوقا ٩: ٣١)، كما كان التجسد باب دخوله اليها. (٣) تعليم: (عدد ٢٧). «ثم ابتدأ من موسى ..» لم يكن معلمنا العظيم موبخاً تلميذيه حباً بالتوبيخ، بل كان موبخاً اياهما، تمهيداً لارشادهما وتعليمهما. «ثم ابتدأ من موسى» — أي من أسفار موسى الخمسة.

جميع الانبياء يفسر لهما الامور المختصة به في جميع الكتب ٢٨ ثم اقتربوا

يغلب على اعتقادنا،انه ابتدأ بالوعد لحوّاء: (تكوين ٣: ١٥)، إلى ان وصل إلى الوعد لابرهيم: (تكوين ٢٢: ١٨)، ثم افهمهما سرّ الفصح: (خروج ١٢)، وكشف لهما مرموز الحية النحاسية:(عدد ٢١: ٩)، وارشدهما الى حقيقة «النبي» الموعود به: (تثنية ١٨: ١٥)، وبيّن لهما مدلول الصخرة: (عدد ٢٠: ١١و١٢و١كو١٠: ٤)—«ومن جميع الأنبياء يفسّر لهما الامور المختصة به في جميع الكتب»—من «عمّانوئيل»: (اشعياء ٧: ١٤) إلى «مولود العذراء»: (اشعياء ٩: ٦و٧)_ الى «الرّاعي الصالح»: (اشعياء ٤٠: ١٠ و ١١)_ الى «الفادي المتألم»: (اشعياء ٥٣)_ الى «الغصن»: (ارميا ٢٣: ٥و٣٣: ١٤و١٥)_ الى «رئيس بيت داود»: (حزقيال ٣٤: ٢٤)_ الى «المتألم المطعون»: (زكريا ١٢: ١٠)_ الى «ملاك العهد»: (ملاخي ٣: ١)_ الى «شمس البر»: (ملاخي ٤: ٢).

(هـ) القلب الملتهب: ٢٤: ٢٨ _ ٣٢. كان التلميذان يسيران على مهل، «والرفيقُ الغريب» يوضح لهما ما في الكتب. لأنهما خرجا من أورشليم في الصباح،قبل رجوع مريم المجدلية من القبر، وظلاّ في مسيرهما، حتى دنا المساء ومال النهار. ولما آذنت شمس الطبيعه بالغروب. التفتا واذا «بشمس البرّ» ماثل أيضاً الى المغيب عنهما.

تحدّثنا هذه الاعداد عن: (١) تباعد المحبة: عدد ٢٨ «ثم اقتربوا

الى القرية التي كانا منطلقين اليها وهو تظاهر كأنه منطلق الى
مكان ابعد ٢٩ فألزماه قائلين امكث معنا لانه نحو المساء وقد مال
النهار . فدخل ليمكث معهما ٣٠ فلما اتكأ معهما اخذ خبزاً وبارك
وكسّر وناولهما

الى القرية التي كانا منطلقين اليها،وهو تظاهر كأنه منطلق الى مكان أبعد». هذا هو تباعد المحبة ، لا بعدها ، لان المسيح لا يقبل ان يذهب الى مكان لا يدعوه اهله اليه ، كما انه لن يتردد في قبول دعوةٍ خالصةٍ توجّه اليه . ولقد اظهر هذا التباعد ليبعث فيهما الشوق اليه ، وليعدّهما لبركات أفضل ، وأتمّ . (٢) لحاجة المحبة : (عدد ٢٩) . لم يطق التلميذان صبراً على تحمّل منظر غياب شمس الطبيعة ، و « شمس البر » في آن واحد ، « فألزماه قائلين : امكث معنا لانه نحو المساء وقد مال النهار »، فاجابهما الى طلبهما، « ودخل ليمكث معهما » . ولو لم يلزماه لمضى الى سبيله . (٣) ولمية المحبّة : (عدد ٣٠) : « فلما اتكأ معهما أخذ خبزاً و بارك وكسر وناولهما » . قضت العادات الشرقية ان صاحب البيت — لا الضيف — هو الذي يكسر و يعطي. أليس المسيح هو رب البيوت والقلوب ؟ ؟ فاذا ما حلّ المسيح ضيفاً في مكانٍ ما،أضحى عمّا قليل ربّاً ومضيفاً. قال المسيح : «هئنذا واقف على الباب وأقرع . ان سمع احد صوتي وفتح الباب ادخل اليه وأتعشى معه » — إذ يكون المسيح ضيفاً . «وهو معي» إذ يصير المسيح مُضيفاً . إذاً قد صار ذلك البيت القروي ، عليّة جديدة أكل عليها المسيح مع تلاميذه ،

٣١ فانفتحت اعينهما وعرفاه ثم اختفى عنهما ٣٢ فقال بعضهما لبعض
ألم يكن قلبنا ملتهباً فينا اذ كان يكلمنا في الطريق ويوضح لنا
الكتب ٣٣ فقاما في تلك الساعة ورجعا الى اورشليم

أولَ « عشاء » بعد القيامة . (٤) نور المحبة : (عدد ٣١) . « فانفتحت أعينهما وعرفاه » — نفهم من عدد ٣٥ ، « انهما عرفاه عند كسر الخبز » . ويعتقد كثيرون من المفسرين، انّ السّبب في ذلك : هو أنهما سمعاه يشكر كعادته . ولكننا نعتقد ان السبب الأهم : هو انّه عند ما مدّ يديه ليكسر الخبز ، ظهرت عليهما آثار جروح الصليب، فعرفاه . هذه هي العلامة الممتازة التي يميز بها المؤمنون فاديهم — الصليب ! بعد ان عرّفهما المسيح بنفسه لم يرغب في ان تكون صلتهم به ، صلةً جسدية ، لذلك « اختفى عنهما » ليكون في حضوره معهما بالروح ، أقرب اليهما ، منه في حضوره معهما بالجسد . « فاختفى عنهما » بمعجزة . كما ظهر لهما بمعجزة .

لقد آمن هذان التلميذان بعد أن رأيا ، وطوبى لمن آمن ولم يرَ .

(٥) لهيب المحبة . (عدد ٣٢) : يقول تقليد قديم، ان المسيح كان معتاداً ان يقول لتلاميذه « من كان قريباً مني فهو قريب من نار التطهير » . فلا غرابة اذا كان «قلب التلميذين ملتهباً فيهما ، اذ كان يكلمهما في الطريق» .

(و) خاتمة تاريخية (٢٤: ٣٣—٣٥) «فقاما في تلك الساعة ورجعا الى اورشليم»—لم يبقَ للخوف في قلبيهما مكان لانّ من يسير في نور «شمس البر» ، لا يخاف ظلمة الليل . ومن يمشي في حمى المصلوب المقام ، فالخوف

ووجدا الاحد عشر مجتمعين هم والذين معهم ٣٤ وهم يقولون ان
الرب قام بالحقيقة وظهر لسمعان ٣٥ واما هما فكانا يخبران بما حدث
في الطريق وكيف عرفاه عند كسر الخبز ٣٦ وفيما هم يتكلمون بهذا

يخشاه — « ووجدا الاحد عشر مجتمعين هم والذين معهم وهم يقولون : إنّ الرب قام بالحقيقة وظهر لسمعان » . أمّا هما فلم يكونا في حاجة الى أن يعيشا على الفتات المتساقط من موائد غيرهم ، بعد أن شبعا من « خبز الحياة » المقدّم اليهما باليد المثقوبة ، لذلك « كانا يخبران بما حدث في الطريق وكيف عرفاه عند كسر الخبز » .

(٣) الذهن المفتوح (لوقا ٢٤: ٣٦—٤٩)

في أورشليم ، وفي تلك العلية التاريخية الهادئة ، حيث أكل المسيح الفصح الأخير مع تلاميذه اجتمع التلاميذ — ما عدا توما — وأغلقوا الابواب، خوفاً من اليهود ، ليتحدّثوا معاً عن سيّدهم الذي قام حديثاً من الاموات . وفيما هم يتكلمون عن قيامة فاديهم ، « وقف يسوع نفسه في وسطهم » — فأغناهم بذاته عن سيرته . هذا هو مركز الدائرة في المسيحية . ظهر لهم المسيح بذاته بطريقة معجزية ، كما ظهر لتلميذي طريق عمواس ، واختفى عنهما . هذا هو الظهور الخامس .

في هذه المرة قدّم المسيح لتلاميذه هبات جليلة : (١) تحية : (عدد ٣٦). « قال لهم سلام لكم » . لم يقل لهم « سلام عليكم » كأنّه سلام خارجيّ ،

وقف يسوع نفسه في وسطهم وقال لهم سلام لكم ٣٧ فجزعوا
وخافوا وظنوا انهم نظروا روحاً ٣٨ فقال لهم ما بالكم مضطربين
ولماذا تخطر افكار في قلوبكم ٣٩ انظروا يديّ ورجليّ اني انا هو.
جسوني وانظروا فان الروح ليس له لحم وعظام كما ترون لي ٤٠ وحين

أو كأنه خيمةٌ تحلّ عليهم، بل قال «سلام لكم»، لان سلامه روحي داخليّ، اشتراه المسيح بدمه، وقدّمه هدية لتلاميذه ليكون مِلكاً لهم. وردت هذه التحية على لسان الملاك الذي بشَّر مريم بميلاد المخلّص. هذا هو الميراث الذي تركه المسيح لتلاميذه في خطابه الوداعي، حيث قال: «سلاماً اترك لكم سلامي اعطيكم. ليس كما يعطي العالم اعطيكم انا». وقد ثبّت لهم هذا الميراث بموته. ثم قام ليملكهم اياه بنفسه. فالسلام هو كلمته الأولى في اجتماعه الأول بهم، كهيئة،والآن يسكّن «رئيس السلام» قلوبهم بقوله «سلام لكم»، كما سكّن سابقاً اضطراب البحيرة بكلمة.هذا هو سلام المؤمنين مع الله، ومع ضمائرهم، ومع البشر في العيشة اليوميّة.

(ب) بيّنةٌ (٢٤: ٣٨ — ٤٣).لم تكن افكار التلاميذمهيّأة لهذا الظهور الفجائي،والأبواب مغلقة، «فجزعوا وخافوا وظنوا انهم نظروا روحاً».(عدد٣٧). ولكي يقنعهم ان له جسداً قدم لهم بيّنة: (عدد ٣٨). هذه بيّنة مثلّثة: (١) بينة نظريّة.(عدد ٣٨). «فقال لهم ما بالكم مضطربين ولماذا تخطر افكار في قلوبكم».(٢) بيّنة محسوسة (٢٤: ٣٩و٤٠): «انظروا...جسّوني ..اراهم

قال هذا اراهم يديه ورجليه ٤١ وبينما هم غير مصدقين من الفرح ومتعجبون قال لهم أعنـدكم ههنا طعام ٤٢ فناولوه جزءاً من سمك مشوي وشيئاً من شهدِ عسل ٤٣ فأخذ وأكل قدامهم ٤٤ وقال لهم هذا هو الكلام الذي كلمتكم به وانا بعد معكم انه لا بدَّ ان يتم جميع ما هو مكتوب عني

يديه ورجليه » . هذه بيّـنة شهد لصدقها النظر ، واللمس . لم يكتفِ المسيح باقناعهم بان له جسداً ، بل اراد ان يؤكد لهم ان هذا الجسد ، هو جسده بالذات. لذلك اراهم اثار الجروح في يديه ورجليه . (٣) بيـنة عملية (٢٤: ٤١ — ٤٣). «وفيما هم غير مصدقين من كثرة الفرح، ومتعجبون» — والشيء اذا زاد عن حده انقلب الى ضده — « قال لهم أعندكم ههنا طعام. فناولوه،...فأخذ وأكل قدامهم» . هذه شهادة مثلّـثة — وعلى فم شاهدين او ثلاثة تقوم كل حجة — أثبتت بكل وضوح وجلاء ، ان المسيح قام بجسده الذي صُلب به . لم يحدثنا الـكتاب كثيراً عن طبيعة جسد المسيح ، الذي كان يلبسه بعد القيامة وقبل الصعود ، لان جسده هذا كان في دور الانتقال . وكل ما يهمنا ان نعلمه : هو ان المسيح لابسٌ الآن جسد مجده على العرش ، وانه « سيغير شكل جسد تواضعنا ليكون على صورة جسد مجده بحسب عمل استطاعته ان يُخضع لنفسه كل شيء » (فيلبي ٣: ٢١) .

(ج) تذكرةٌ (٢٤: ٤٤). «وقال لهم هذا هو الـكلام الذي كلمتكم به وانا بعد معكم» (لوقا ١٨: ٣٣) — «انه لا بد ان يتم جميع ما هو مكتوب عـني في

في ناموس موسى والانبياء والمزامير ٤٥ حينئذ فتح ذهنهم ليفهموا
الكتب ٤٦ وقال لهم هكذا مكتوب وهكذا كان ينبغي ان المسيح
يتألم ويقوم من الاموات في اليوم الثالث ٤٧ وان يكرز باسمه بالتوبة

«ناموس موسى ، والانبياء ، والمزامير» — هذه هي الثلاثة الاقسام التي كانت تقسم اليها اسفار العهد القديم وقتئذ ، والى وقتنا الحاضر .

(د) نوراً (٢٤: ٤٥و٤٦). «حينئذ فتح ذهنهم ليفهموا الكتب» — إذاً لم يكتف بان يفتح باب البيت الذي كانوا فيه . بل فتح ذهنهم . لان عنده مفاتيح البيوت والقلوب والاذهان. «وقال لهم هكذا هو مكتوب وهكذا كان ينبغي ان المسيح يتألم ويقوم من الاموات في اليوم الثالث» . ما اشد تمسك المسيح بسيف الروح الذي هو كلمة الله . وما اقرب الصلة بين « كلمة الله » المكتوبة ، و « كلمة الله المتجسد » ! هذا ظاهر من كثرة ترديده للكلمة «مكتوب» . وما اكثر احترامه للوصية التي قبلها من الآب ! هذا ظاهر من ترديده لكلمة « ينبغي » . في تفسير كلمة «ينبغي» ، انظر لوقا ٩:٢٢ .

(ه) وصيةً (٢٤: ٤٧). «وان يكرز باسمه بالتوبة...» يعتبر عدد ٤٦، حلقة اتصال بين نبوات الماضي،و بين برنامج المستقبل. يراد بكلمة «اسمه» السلطان المرافق لهذا الاسم.والقول: «التوبة و مغفرة الخطايا» ، معناها التوبة التي تؤدي الى غفران الخطايا،مع انها لا تشتري الغفران. والقول «لجميع الأمم» يتفق تمام الاتفاق مع نبوات العهد القديم والجديد : « وتتبارك فيك جميع

ومغفرة الخطايا لجميع الامم مُبْتَدَئاً من اورشليم ٤٨ وانتم شهود لذلك
٤٩ وها انا ارسل اليكم موعد أبي . فأقيموا في مدينة اورشليم الى

قبائل الارض» (تكوين ١٢ :٣). «كل قبائل الامم» (مزمور ٢٢ :٢٧)، «جعلتك نوراً للامم لتكون خلاصي الى اقصى الارض» (أشعياء ٤٩ :٦) «نور اعلان للأمم» (لوقا ٢ :٣٢). والقول «مبتدئاً من اورشليم» يتفق مع قول اشعياء «لانه من صهيون تخرج الشريعة ومن اورشليم كلمة الرب» (اشعياء ٢ :٣). ومع قول ميخا (ميخا ٤ :٢). أليس عجيباً ان يتغاضى المسيح عن سيئات اورشليم التي صلبته ، فيخصّها قبل غيرها ، ببشارة الانجيل ؟. «مبتـدئاً من اورشليم»—وكم من كثيرين بلغوا في اجرامهم ما بلغته اورشليم، ومع كلٍ فان غفران المسيح يتناولهم اولاً ، ليُظهر فيهم مجده ! ألم يكن بولس الرسول واحداً من هؤلاء المجرمين ؟؟

(و) وديعةً . (عدد ٤٨) . «وأنتم شهود لذلك»—هذا هو كل التدبير الذي دبَّره المسيح لتبليغ الانجيل للعالم.فالتلاميذ هم شهود «البشارة الصليبيّة» وليسوا جنوداً في «الحرب الصليبيّة» .

(ز) موعد القوة . (عدد ٤٩) : «وها انا ارسل اليكم موعد أبي..» لا يكلّفنا المسيح بمهمّة،الا ويقدّم لنا القوة اللازمة للقيام بهذه المهمّة.«ها انا ارسل» . سُمّي الروح القدس «بموعد الآب» نسبة الى مصدره ، لانه من عند الآب ينبثق . وسمّي احياناً «موعد الروح» نسبة الى جوهره . والكلمة «تُلبَسوا» ترينا ان قوة الروح مشبّهة بالرداء . هذا رداء لا يلبسه الا المطهّرون

ان تُلبَسوا قوةً من الاعالي

بدم المسيح ، المقدّسون بنار الروح . والقول « من الاعالي » يرينا عدم نفع الاعتماد على القوات العالمية ، والعلمية ، والسياسية ، في الكرازة . لان هذه قوات « من اسفل » .

السماء المفتوحة – الصعود (لوقا ٢٤:٥٠–٥٣)

« ... وأُصعد الى السماء » .. وهكذا انتهت الزيارة الملكية القصيرة ، التي قضاها ملك المحبة في ارض البؤس والعار . وفي نهايتها عاد الى السماء كما كان ، محققاً بذلك قوله المأثور : « خرجت من عند الآب . وقد اتيت الى العالم . وايضاً اترك العالم واذهب الى الآب » . وهكذا اسدلت السماء ستاراً من السحب، فاختتمت آخر فصل من حياة المسيح على الارض. أكانَ من الممكن ان تُختَتَم حياة المسيح بغير هذا الختام ؟

ان لصعود المسيح معنى مثلثاً : صعوده خاتمة طبيعية لحياته المجيدة ، و باكورة عصر جديد للكنيسة ، ونبوءة لمجيئه الثاني .

اذا جاز لكل دين ان يفخر بأمرٍ ما ، فان فخر المسيحية مثلّث — في الصليب الخالي،وفي القبر الفارغ،وفي العرش الذي جلس عليه سيّدها ورأسها. في الصليب الخالي ، تجد البشرية غفراناً لخطاياها السالفة وفي القبر الفارغ ، ترى نوراً ينبعث منه رجاء القيامة الظافرة . وعلى العرش ، ترى الجبار منتصراً ، والفادي منتظراً ، والبشرية ممجّدة ، والحق ظافراً .

٥٠ واخرجهم خارجاً الى بيت عنيا. ورفع يديه وباركهم ٥١ وفيما
هو يباركهم انفرد عنهم وأُصعد الى السماء ٥٢ فسجدوا له ورجعوا
الى اورشليم بفرح عظيم ٥٣ وكانوا كلَّ حين في الهيكل يسبحون
ويباركون الله. آمين.

امامنا في هذه الخاتمة الجليلة،ثلاث كلمات:(ا) قبل الصعود. (عدد ٥٠). «وأخرجهم خارجاً..».(ب)في اثناء الصعود (عدد ٥١). «وفيما هو يباركهم انفرد عنهم وأُصعد الى السماء».(ج) بعد الصعود.(٢٤: ٥٢و٥٣) «فسجدوا ...».

(ا) قبل الصعود:(عدد ٥٩) «واخرجهم خارجاً» — بعد مضي الأربعين يوماً التي توسَّطت بين القيامة والصعود ـ «الى بيت عنيا» ـ عند جبل الزيتون ـ «ورفع يديه وباركهم» ـ ما اجملها بركة تلك التي تأتي من اليدين المثقوبتين!

(ب)في اثناء الصعود:(عدد ٥١). «وفيما هو يباركهم»هذا آخر شيء ودَّعهم به— البركة. «انفرد عنهم» واخذته سحابة عن اعينهم «فارتفع وهم ينظرون»

(ج) بعد الصعود : (٢٤: ٥٢و٥٣). «فسجدوا ...» : هذه هي المحبة متعبِّدة. «ورجعوا» : هذه هي المحبة خاضعة. «بفرح عظيم» : هذه هي المحبة مبتهجة. «وكانوا كل حين في الهيكل» : هذه هي المحبة منتظرة». يسبحون ويباركون الله» : هذه هي المحبة متهلِّلة شاكرة.

هذه هي الخاتمة المجيدة لهذا السفر الجليل،الذي قال فيه رينان انه «سفر عامر بالدموع والابتسام».لقد مضت الدموع، بالصليب. وحلَّ،بعد القيام، الابتسام. «رفع يديه وباركهم .. وكانوا يباركون الله». «آمين».